

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وقد أمتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب بحيث تلاقت
فيها الشرح بجميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها
وهناك بذلك مغنيا عن جميع الشروح

الجزء الثالث

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصعب الكاتب :

أَرَكَايِبَ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَذْمَاءُ تَطِسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَزْمَاءُ^(١)
فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكِنَّ النَّوَى وَأَمْشِينَ هَوْنًا فِي الْأَزْمَاءِ خُضْمًا^(٢)
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبَكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبَكَاءُ أَنْ يَمْنَمًا^(٣)
حَتَّى كَانَ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةٌ فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَمًا^(٤)
وَكَفَى بَيْنَ فَضْحِ الْجَدَايَةِ فَاضِحًا لِحَبِّبِهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعًا^(٥)

(١) أركائب . أى ياركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهى الإبل تركب ؛
وتطس : تدق ؛ والوطنس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صغار رخوة . يقول : إن
الدموع تفعل بالحدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطؤها : يعنى أن تأثير الدموع
فى الحدود كتأثير الإبل فى الحجارة .

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهى مؤنثة ، والأزمة جمع زمام ما تقاد به
الدابة . يقول للابل : اعرفن قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكين ، واعرفن لينها
ورقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويداً خضماً حتى لا تتأذى
بسيركن ومرحكن .

(٣) البكا : - يمد ويقصر - والأشهر : البد . يقول : قد كان حياى يغلب بكأى ،
واليوم غلب بكأى حياى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت البكاى ، والضمير فى جلده : للعظم ؛
ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع ؛ يقول : لكثرة
بكأى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنيناً ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء
حتى صارت حالتى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :
وَمُتِّمٌ جَرَّحَ الْفِرَاقُ فُوَادَهُ فَالدمع من أحنانه يترقرقُ
وإلى قول الآخر :

وكان لى فى كلِّ عضوٍ واحدٍ قلباً يرنُّ وتأنطراً ما يطرِفُ

(٥) الجداية : الظبية ، وفاضحا : تميز ، والمصرع : المقتل ، مصدر ميمي - من
صرعه : أى طرحه على الأرض - يقول : من فضح الجداية بحسنه كنى فاضحاً لمن يحبه
وكنى بمصرعى فى حبه بمصرعاً ؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق .

سَفَرَتْ وَبَرَقَمَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكْ بُرُقَمًا^(١)
 فَكَأَنَّهَا وَالِدْمَعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِنِّطَى لَوْلُؤٍ قَدْ رُصِّمًا^(٢)
 كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْسَالِي أَرْبَعًا^(٣)
 وَأَسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتِنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا^(٤)
 رُدِّي الْوِصَالَ سَتَى طُلُوكِ عَارِضٌ لَوْ كَانَ وَصْلُكَ مِثْلَهُ مَا أَفْشَعًا^(٥)

(١) يقول: سفرت - كشفت عن وجهها للوداع ، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر محاجرها - ما حول العين - ويخفي محاسنها ، ولم تكن برقما على الحقيقة ؛ يعني أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها .

(٢) السمط : خيط القلادة . والضمير من كأنها : للصفرة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط . شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ .

(٣) يقول : صارت الليلة بدوائبها الثلاث أربع ليال ، لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والدوائب : جمع ذؤابة ، وهي الحصلة من الشعر ؛ والأصل ذائب ، فأبدل من الهمزة الأولى واوًا تخفيفا .

(٤) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين : القمر والشمس ، وهى وجهها ، وجعل وجهها شمسًا فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر .

وإذا الغزاةُ فى السماء ترفعتُ وبدأَ النهارُ لوقته يترحَّل
 أبدتُ لوجهِ الشمسِ وجهًا مثله يلقى السماءَ بمنلِ ما تسْتَقِيلُ
 ويقول صريع الغواني :

فَبِتْ أَسِيرُ الْبَدْرِ طَوْرًا حَدِيثًا وَطَوْرًا أَنَا جِى الْبَدْرِ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا
 إِلَى أَنْ رَأَيْتُ اللَّيْلَ مِنْكَشَفِ الدَّجَى يُوَدِّعُ فِى ظِلْمَائِهِ الْأَنْجَمِ الزُّهْرَا
 وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(٥) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم الدير ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأفشع : أفلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال لو كان وصالك مثل السحاب الذى أعناه للطلول أى دائما لا يتفرق - لكان دائما لا ينقطع

زَجَلٌ يُرِيكَ الْجُوهَ نَاراً وَالْمَلَأَ كَالْبَحْرِ وَالتَّلَمَاتِ رَوْضاً مُمْرِعاً^(١)
كَبْنَانَ عَبْدَ الْوَاحِدِ الْعَدَقِ الَّذِي أَرَوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاهُ وَأَفْرَعاً^(٢)
أَلْفَ الْمُرُوءَةِ مَذُنَشَا فَكَأَنَّهُ سَقَى اللَّبَانَ بِهَا صَبِيئاً مُرَضِعاً^(٣)

(١) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلمات : جمع تلمة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى والمرع المنصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو بيرقه حتى يرى نارا ، ويملاً المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويخصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الحصيب ؛ وقد جمع فى هذا البيت ما فرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام .

أَصْ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ بَارِقًا

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كَأَنَّمَا الْبَيْدَاهُ غِيبٌ صَوْبُهُ بِحَرِّ طَلْمَا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَاجِبًا
(٢) العدق : الكثير قال تعالى « لأستقيناكم ماء غدقا » أى كثيراً . شبه ذلك السحاب الذى وصفه بينان - أصابع - المدوح الكثير الجود ، وهذا مخلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كَأَنَّمَا حِينَ تَجَلَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا أَيْدَى الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَدَائِمَا

(٣) المروءة : الكرم ؛ واللبن : جمع اللبن ، وصبيها حال . يقول : ألف الكرم ناشا ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيعا . وهذا من قول أبي تمام :

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ لِمَنْهَا كَانَتْ لَهُ قَدِمًا نَشُوعًا فِي الصَّبَا وَلِدُودًا

«النشوغ : الوجور والسعوط يقال نشفت الصبي وجوراً فانتشفه جرعه جرعة بعد جرعة واللدود ما يصب بالسعط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديد الفم جانباه » وإليك طرفة نحوية للكبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون : هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وحجتنا أنهما مركبان من «من» و«إذ» تغيرا عن حالهما فى أفراد كل واحد منهما ، فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من «من» «وإذ» أن من العرب من يقول فى «منذ» منذ -

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَامًا فاعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفَرَّعًا^(١)
تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِعِ بَارِقًا تِ وَالْمَعَالِي كَالْعَوَالِي شُرْعًا^(٢)
مُتَبَسِّمًا لِعِفَاتِهِ عَن وَاضِح تَعَشَى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللَّمَعًا^(٣)

بكسر اليم - فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدها بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير : ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران ؛ وإذا كان الاسم بهما مخفوضا كان الحذف بهما اعتباراً بـ « من » ، ولهذا المعنى كان الحذف بمنذ أجد لظهور نون « من » فيها ؛ والرفع بـ « مذ » أجد لحذف النون منها تغليبا لإذ ؛ ويدل على أن أصل « مذ » و « منذ » واحد : أنك لو سميت بهما قلت في تصغير مذ : منيد وفي تكسيره : أمناذ ؛ فترد النون المحذوفة ، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها : وحجة البصريين أنها معانها الأمد ، إذا قلت ما رأيته مذ يومان : فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان ؛ والأمد في موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنها مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدها خبراً .

(١) التأمم : جمع تيممة : العوذة تعلق على الصبي للوقاية من العين ، قال الواحدي : من روى نظمت - بضم النون - فالعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التأمم التي تعلق على من خاف شيئاً ، فإذا سقطت عنه عاد الحوف : أى أنه ألف الإعطاء واعتاده ، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تأممه ؛ ومن روى بفتح النون : فإنما يعنى ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء ، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك ، وكان كمن ألقى تيممته فيفزع ؛ وهذا من قول أبي تمام :

تَكَادَ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جَنُونَهَا إِذَا لَمْ يَعُوذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبِ

(٢) الصنائع : الأيادي والنعم والمعروف . والقواطع : السيوف ، وبارقات مشرقات والعوالى : الرماح ؛ وشُرْعًا : منتصبة مرتفعة . يقول : جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف ، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جنى : يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح .

(٣) متبسمًا : حال من فاعل ترك ؛ والعفاة : جمع عاف : السائل ؛ وعن واضح : أى عن ثغر واضح ؛ وتعشى : تظلى . ولوامعه : ثنائه . يقول : يتسم للسائلين عن عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق ، ويروى ، تعشى : أى تذهب نور أبصارها ؛ وهو من قول العباس بن الأحنف :

مُتَكَشِّفًا لِدُأْتِهِ عَن سَطْوَةٍ لَوْ حَكَ مَنَكِبَهَا السَّمَاءُ لَزَعَرَا^(١)
أَلْحَازِمَ التِّيْقِظَ الْأَعْرَ الْعَالِمَ الْفَطْنَ الْأَلْدَ الْأَرِيحَى الْأَزْوَعَا^(٢)
أَلْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْأَطْيِبَ الْوَاهِبَ النَّدُسَ اللَّيْبَ الْهَبْرِيَّ الصُّقْمَا^(٣)
نَفْسٌ لَهَا خُلِقَ الزَّمَانُ لِأَنَّهُ مُفْنِي النَّفُوسِ مُفْرَقٌ مَا جَمَعَا^(٤)
وَيَدٌ لَهَا كَرَمٌ الْفَنَامُ لِأَنَّهُ بَسَقِي الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلَقْمَا^(٥)

مُسْتَرْبِلِينَ سَوَائِفًا مَازِيَةً تَعْسِي الْقَوَانِسُ فَوْقَهَا الْأَبْصَارَا^(١)

(١) حك : بروي صك ؛ والمعنى : زاحم : يقول : إنه يظهر للأعداء سطوة لوزاحم منكبها السماء لزعرها : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدرة عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعمار لسطوته منكباً لما جعلها زاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالنكاب .
(٢) و (٣) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقظ : الكثير التيقظ الذى لا يغفل عن أموره والأعر : الشريف ، و يروى الأعز ؛ والألد : الشديد الحصومة ، والاريمى : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهنز لها ويتحرك ؛ والأروع : الذى بروعك بجماله أو الحاد الذكى ؛ واللبيق : الخفيف فى الأمور ؛ والندس : الفطن . والهبزى : السيد الكريم ؛ والمصقم : الخطيب البليغ .

(٤) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هذا المدوح يفتى أعداءه كما يفتى ماله ، فهو جواد كثير الغارات ، وهذا قريب من قول أبي نواس :

وما هو إلا الدهرُ تأتي صُرُوفُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشَقُّ بِهِ وَيُمَادِي

(٥) العماره — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقم : المكان الخالى الذى لاعماره فيه . يقول : إنه يعطى كل أحداً كان غنياً أم فقيراً ، كما أن الغنام يسقى كل موضع : أعامراً أم غامراً . ومثله لا بن المعتز :

وَيُصِيبُ بِالْجُودِ الْفَقِيرَ وَذَا الْفَنَى كَالْفَيْثِ يَسْقِي مُجْدِبًا وَمَرِيحًا

وَلَاخِرُ يُخَاطَبُ الْفَيْثُ :

وَلَيْسَ يَخُصُّ أَرْضًا دُونَ أَرْضِ وَكِفَاهُ تَمَّانِ الْبِلَادَا

وروى الخوارزمي : العماره — بفتح العين — وقال : يعنى القبيلة ، كأنه قال

يسقى المكان الذى به الناس والخالى .

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها ،

والمأذية : الدرع البيضاء أو السهلة اللينة .

أَبْدَا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفِرٍ وَافِرٍ وَيَلْمُ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَّصِدًا^(١)
يَهْتَزُّ لِلْجُدُوى أَهْتَزَّازَ مَهْنَدٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الوَعَى^(٢)
يَا مُغْنِيَا أَمَلِ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا^(٣)
أَقْصِرْ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى
وَبَلَّغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكُ فَارَبَمَا^(٤)

(١) الشعب: الشمل؛ ويصدع: يفرق؛ والوفر: النقي؛ ويلم: يجمع. يقول: إنه أبدأ يفرق شمل المال بالمطاء. ويجمع مفرق المكارم، وقد جمع في هذا البيت بين التطبيق والتجنيس، وقال أبو تمام:

له كل يوم شمل مجدي مؤلفٍ وشمل ندي بين العفاة مُشْتِ
وقال البحرى:

ومعال أصارها لاجتماعٍ شمل مال أصاره لافتراقٍ

(٢) الجدوى: العطا؛ والمهند: السيف؛ ويوم الرجاء: متعلق بهتز؛ والوعى: بالعين والغين - جلبة الحرب وصوتها؛ والجملة قبله: صفة لمهند. يقول: بهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الحطيئة:

كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألته تهللٌ واهتزاز اهتزاز المهند

ولتم بن نويرة:

تراه كنفصل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

(٣) لقاؤه: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو

بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.

(٤) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربما: أراد فاربعن،

فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حسبك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال

الواحدى: يحتمل أمرين: أحدهما: أني أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإتصار،

والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك للمدى - الغاية - وهذا قريب من

قول أبي تمام:

يا ليت شعري من هدى مناقبه ماذا الذى يبلوغ النجوم ينتظر

وَحَلَّتْ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا
لَمْ يَحْتَلِ الثَّقَلَانِ مِنْهَا مَوَاضِعًا^(١)
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْعَمًا^(٢)
نَفَذَ الْقَضَاءَ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كَلِمًا أَرْمَمْتَ شَيْئًا أَرْمَمًا^(٣)
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيَّ كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبِي مُسْرِعًا^(٤)
أَكَلَتْ مَفَاخِرَكَ الْمَفَاخِرَ وَانْتَفَتَّ عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيٌّ وَصَفِيٌّ ظَلَمًا^(٥)

(١) لك أن تقرأ الفاعل بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن ؛ وبكسرهما : جمع فعل ؛
والثقلان : الجن والإنس :

(٢) يقول : حويت فضل الثقلين - الجن والإنس - وهذا الفضل لم يطعم في نيته
أحد ولا حدثته به نفسه لبعده مناله .

(٣) أزمع الشيء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلمنا أردت شيئاً وأزمعته
أنفذه ، فقوله : لك ، خبر كأن : أى كأنه موافق لك ولك أن تجعل لك : صلة أزمع : أى أن
القضاء منفذ لما تريد ، فكلمنا أزمعت أمراً أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد
قال الخليل : أزمعت على الأمر فأنا مزعم عليه : إذا مضيت فيه وثبتت عزمك عليه .
وقال الكسائي : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أأزمعت من آلِ ليلي ابتكاراً وشطت على ذى هوّى أن تزارا
وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعت وأجمت عليه :

(٤) العصي : العاصي ، فعيل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لا يطيع أحداً
قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٥) انتفتت ؛ رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلمع
جمع الظالم ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حتى
أنتها فليس لأحد منهم غير ، وانصرف مطايا وصفى قلمرة عن غايتها - أى لم يبلغ
قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هدمت مساعيه المساعى وانتفتت خطط المكارم فى عراض الفرقد

وَجَرَيْنِ تَجْرَى السَّمْسِ فِي أَفْلَاكِهَا فَقَطَمَنْ مَغْرِبَهَا وَجُزْنَ الْمَطْلَعَا (١)
لَوْ نَيْطَلَتِ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلَهَا لَعَمَمْنَا وَخَشِينَا أَنْ لَا تَقْنَعَا (٢)
فَمَتَى يُكَذِّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذَا وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا أَدْعَى (٣)
وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقًا حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعَا (٤)

(١) يقول : وجرت مفاخرك في الأرض مجرى الشمس في الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَبْعِي أَنْ تَوْمَ بِنَا فَقَلَّتْ كَلَا وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الْجُودُ
وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصغاء إنائه ، وإلا فأى تناسب بين البيتين ؟ وإنما بيت أبي تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب أن يقول : إنه من قول علي بن الجهم :

وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر
أو من قول أبي قيس بن أبي رفاعة - شاعر جاهلي - يصف قصيدة :

تسير مسير الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواه الرجال نشيدها
(٢) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضاً وخافت أن لاتقنع منها بذلك . وروى لعمتها - والضمير للممدوح - وخشيت - بضم التاء - والضمير للمتنبي : أي لعمتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتقنع بها لأن همتك تقتضى فوقها .

(٣) يقول : لا يكذب من ادعى لك فوق هذا ، لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك ما خلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى حق ، لجعل الخبر الذي هوى نكرة - وهو حق - في موضع الاسم ونصبه بأن ، وجعل الاسم الموصول - ما ادعى - في محل الخبر ، وذلك جائز في ضرورة الشعر .

(٤) النزر . هو القليل ، فهو تأكيد معنوي : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره ، لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها - على حد قول أبي نواس :

* حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا قَسَمَ النَّاسَ طُرًا إصْبَعًا^(١)
إِنْ كَانَ لَا يُسَعَى الْجُودَ مَا جِدُّ إِلَّا كَذَا فَالْفَيْثُ أَبْخَلُ مَنْ سَعَى^(٢)
قَدْ خَلَفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ أَبْنَهُ مَرَأَى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعًا^(٣)

* * *

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع ،
ولكن يكون من جنسه .

(١) رجلا : مفعول ثانٍ ليدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان
لا يدعى الفتى رجلاً إلا إذا كان كذا : أى كهذا المدوح فسم الناس جميعاً إصبعاً ،
لأنهم لو وزنوا بإصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل ، قال .
الواحدى : وكان هذا المدوح يلقب بذى الإصبع ، وكان له إصبع زائدة : وروى
الحوارزى أصبعا - جمع الضبع - يريد . كلهم بالإضافة إليك ضباع لأنك حزت شرفاً
وقدرأ لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبى النجم :

لو كان خلق الله جنبا واحداً وكنت فى جنبٍ لكنت زائداً
ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانباً

ليمت جانبها إننى أرى قربها العجب العاجباً

(٢) يقول : إن كان لا يصح سعى ما جد لجد حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبخل
الساعين بعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبخل الساعين مبالغة ،
قال ابن وكيع :

سقيت فكان الغيث أدنى مسافة وأضيق باعاً من ندادك وأقصرأ

(٣) ابنه - بحذف حرف النداء - أى يابنه ؛ وغرة الشخص : طلغته : ومرأى
ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك
وليبق ذكرها إلى يوم القيامة .

وقال يرثي أبا شجاع فاتكا ، وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه
المرثية بعد خروجه من مصر :

أَلْحَزَنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَبِيعٌ (١)
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ (٢)
النُّومُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعْنَى وَالكَوَاكِبُ ظَلَمٌ (٣)
إِنِّي لِأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتَحْسُنُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجِعُ (٤)
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً وَيُؤَلِّمُنِي بِي عَتَبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ (٥)

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلق ، والتجمل - تكلف الصبر - يمنعني عن
التهاك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب ،
وبذاك يعصى صاحبه تارة ويطبعه أخرى .

(٢) عني بالمسهد - أي الكثير السهاد ، المنوع عنه النوم - نفسه . يقول : الحزن
والصبر يتنازعان دموع عيني فالحزن يجيء بها - أي يجريها والتجمل يردها .

(٣) يقول : النوم بعد أبي شجاع لا يألف العين : أي لا تنام العيون بعده حزنا
عليه ، والليل يطول فلا ينقضى ، كأنه قد أعيا عن المشي - كل من التعب - فانقطع ؛
والكواكب ظلم - كالعرجي - لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل
لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبارة ابن جني : لو كان الليل والكواكب مما
يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده
فالليل معي والكواكب ظلم ما تسر . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : اللوت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع
عند الموت في ميدان الوغى فلا أهابه : يعني أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت ،
كما قال أبو تمام .

جليد على عتب الخطوب إذا عرت ولست على عتب الاخلاء بالجلد

(٥) يقول : إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم ، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ،
ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله ، كما قال أشجع السلمي :

يُعْطِي زَمَامَ الطَّوْعِ إِخْوَانَهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ

تَصِفُوا الْحَيَاةَ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ (١)
 وَلَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومَهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ (٢)
 أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ (٣)
 تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنِ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَنْتَبِعُ (٤)

وبعد : فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند الموادة والملاينة ، وشدته عند المباطشة والمقاومة .

(١) قوله عما مضى : متعلق بغافل ؛ ويتوقع : ينتظر . يقول : إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها ، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر في العواقب من انقضائها أو أحداثها التي لا يطيق لها احتمالاً ، أما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريضها فإنها لاتصفوله .
 (٢) يسومها : يكافئها ؛ ويعني بالحقائق : ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار ، والإنسان فيها على خطر عظيم ، وأن الحياة ، فانية فمن غالط في هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألتى عن نفسه الفكر في العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء في السلامة مع نيل المراد فطمعت في ذلك .

(٣) الهرمان : هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط - وهما معروفان ، وكل ما يتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التي بناها لها : معروف ، فراجعه إن شئت : يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يعرفون ولا يعرف بأى ميتة هلك ، ولا في أى وقت لطول عمر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مفنية لأهلها منكراً على من اغتر بها ، وأن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرُونَ إلى الفناء . وعبرة العكبرى : قوله أين الذي الهرمان من بنيانه : استدل بينائهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أى أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عددهم وعددهم ؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفته ؟ أما فرقت شماله وشتته ؟ أما في بطن الأرض غيبته ؟ وكأنه في هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمَلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنَ أَمِ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ

يريد أن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرُونَ إلى الفناء .

(٤) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعَهُ مَوْضِعٌ^(١)
كُنَّا نَنْظُرُ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعٌ^(٢)
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أُعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(٣)
الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَافِقَةٌ

مِنْ أَنْ يَعْيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ^(٤)

وسطوتهم ثم يناهها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريها .

(١) يقول : إنه - بعد مرتقى همته - لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في الملا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لا يشبع طموحه .

(٢) البلقع : الخالي . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

(٣) وإذا : عطف على وكل دار بلقع - في البيت السابق - وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شيء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شيء من هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيول ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء ، فبنات أعوج : يعني الخيل ؛ وأعوج : خيل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمي بذلك لأن غارة وقعت على أمحابه ليلا وكان مهرا ، ولضنهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة ، فاعوج ظهره وبقى فيه العوج ، فلقب بالأعوج ؛ وقد جاء في معنى بيت المتنبي شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قائلهم :

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُ خَطِيئَةٌ وَدَرُوعٌ

وقال مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة يرثيه :

وَلَمْ يَكْ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ حَدِيدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمَذَلَا

(٤) الأروع : الذكي الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأتقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعني أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع ثمرها وقال العسكري - عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل بالمكارم بين أخسر وبين صفقة ،

وهي منصوبة بأخسر - التي هي عطف على المجد - وهذا غير جائز ، لأن صفة تحمل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفاً على الضمير في أخسر ؛ فإن عطفه على الضمير الذي فيه لم يكن أجنياً منه ، فلا يعد فصلاً بينه وبين صفة ، فيصير نحو قولك . مررت برجل أكل وعمرو خبزاً ، بعطف عمرو على الضمير في أكل ونصب خبزاً بأكل ، وفي نوادر أبي زيد :

نخیر نحنُ عند البأسِ منكم إذا الداعي الثوبُ قال يالاً^(١)

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعاً بالابتداء ، ومنكم : متعلق بنخیر - على أن يكون «خير» خبر المبتدأ - لكلا يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم ، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيداً للضمير في «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف «نحن» الأولى التي هي مبتدأ للجملة الثانية توكيداً للضمير في «خير» ، ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب « صفة » بفعل مضمر يدل عليه «أخسر» ، وتجعل «المكارم» عطفاً على «المجد» - لا على الضمير في «أخسر» فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجرى مجرى الصلة والموصول ، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضاً كذلك ، ثم قال صفة وكأنه قال خسرت صفة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم في قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» على يعلم

(١) بعده :

ولم تثقِ العواتقِ من غيورٍ بغيرتهِ وخَلينِ الحجالِ
وقد نسب أبو زيد في نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبي ولأئمة النحاة في إعراب «نخیر نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة : والثوب : الذي يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن اللستغيث إذا كان بعيداً يتعرى ويلوح بثوبه رافعاً صوته ليرى فيغاث ؛ ويالا : أراد يالفلان ، أو يالبنى فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهي التي خرجت عن خدمة لأبويها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالثوب . يريدأنهن في يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحمهن الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم

وَالنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَزْلًا
بَرْدٌ حَشَائِي إِنْ اسْتَطَمْتَ بِلَفْظَةٍ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا
وَلَقَدْ أَوَّاكَ وَمَا تُنِيمُ مُسَلِّمَةً
وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا
مِنْ تَعَايَشِهِمْ وَقَدْرِكَ أَرْفَعُ (١)
فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ (٢)
مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ (٣)
إِلَّا نَفَاها عَنكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ (٤)
فَرَضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبْرَعُ (٥)

أو علم ، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذي دل عليه «أعلم» ، وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من يضل» في موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعم أفضل ، وأفضل إذا أضيف إلى شيء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس ، فلا بد أن يكون من الناس ؛ ولا تقل زيد أفضل النعام لأنه ليس من النعام ، فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى «من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .

(١) يقول : إن الناس في زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم مخالطهم وتعاشرهم ، وقدرك أجل من أن تعاش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلني كلمة وأصمعي منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن ما في قلبي من لوعة الحزن ، فلقد كنت في حياتك تضر - إذا تشاء - أعداءك ، وتنفع أوليائك : أى فانفعي بكلامك

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه ما يريه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تلجمهم بنفسك : ما يريهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أو جعت قلوبهم وأبكيت عيونهم .

(٤) الأصمع : الذكي الحاد ؛ وقوله وماتلم : حال . يقول : كنت أراك في حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى .

(٥) يقول : ونفاها عنك يد شنشتها إعطاء الأولياء وقتال الأعداء حتى لكأن النوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفي هذا يقول أبو تمام :

ثوى ماله نهبُ المعالي فأوجبت عليه زكاة الجود ما ليس واجبا
ويقول ابن الرومي :

ملكٌ لا يرى الله تستحق الوسائل

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنِّي رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنَزَعُ (١)
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِستَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِحٍ حَتَّى أَنَّى الْأَمْرَ الَّذِي لَا يَدْفَعُ (٢)
فَطَلَّاتَ تَنْظُرُ لَأَرِمَا حُكَّ شُرْعٍ فِيمَا عَرَكَ وَلَا سِيُوفُكَ قُطِعُ (٣)
بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشِهِ مُتَكَائِرٍ يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السَّلَاحِ الْأَذْمَعُ (٤)
وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ (٥)

وَيَرَاهَا فَرَانِضًا وَتُسَمَّى نَوَافِلًا

ويقول آخر :

أَغْرُهُ مَتَى تَسْأَلُهُ جَادَ فَرِيضَةَ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْهُ جَادَ تَبْرَعًا

(١) يريد : يا من كان في حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . . إذ يخلع اللبوس على من يقصده - كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعني الكفن - والحلة : اللباس من ثوبين - إزار ورداء - ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(٢) الفادح : الذي يشغل حمله ، وفي هذا المعنى يقول الحماسي :

دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِيعْ لَهَا عَنكَ مَدْفَعًا

(٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول :

ظَلَّلتُ - أَقمتُ - تَنْظُرُ إِلَى الْمَوْتِ نَظَرَ الْعَاجِزِ لَمْ تَعْمَلْ رِمَا حُكَّ وَلَا سِيُوفُكَ فِي دَفْعِ مَا نَزَلَ بِكَ ؛ إِذْ لَا مَدْفَعَ لِلْمَوْتِ .

(٤) بأبي : تفدية . وقوله وجيشه متكائر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكائر :

خبر أول لجيشه ؛ ويبكي : خبر ثان . يقول : إنه - مع كثرة جيوشه - كان وحيداً من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تنفي شيئاً عند المصيبة . وقد فسر هذا في البيت التالي .

(٥) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح

غير البكاء فلا غناء في البكاء ؛ وإنما تروع به القلب وتقرع به الحد : أي أنه لا يجدي ولا يدفع شيئاً .

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْبَازِي الْأَشْهَبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ (١)
 مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالشَّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيْرًا لَا يَطْلُعُ (٢)
 وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يَضِيعُ (٣)
 قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانَ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بَرْقِعٌ (٤)

(١) الأشهب - تصغير الأشهب - وهو الذي غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذي في صدره بياض ، وهو في الطير والكلاب ، كالأبلق في الدواب . يقول : وصلت إليك - مخاطب المرئي - يد - يريد يد النية - سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبازي مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . ويروي ألباز الأشهب - بقطع همزة ال : من الباز - ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة ال قد وقعت في أول الشطر الثاني ، فكأنه أخذ في بيت ثان ، كما قال حسان :

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكَا فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عِمَانَا
 وقال الآخر :

حَتَّى أَتَيْنَ فَتَى تَأْبِطُ خَائِفًا السَّيْفَ فَهَوَّ أَخُو لِقَاءِ أَرْوَعُ

(٢) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلا للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول - متفعماً عليه - : من للمحافل في إرشاد جماعتها ، والجحافل في تصريف كتابتها ، والسرى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء في الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذي كانت تستمد برأيه ، والنير الذي كانت تهتدي بضوئه ، فعدمت ما كانت تعهده عنده ، وغرب غروباً لا يطلع بعده ، قاله العكبري .

(٣) يقول : ومن الذي اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع تصادك بعدك ومثلك من لا يضيع في حياته قاصده .

(٤) يقول : قبح الله وجهك يا زمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبايح ؛ فكأنه اتخذ القبايح برقعا . فقله : قبحا ، مفعول مطلق نائب عن عامله - من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقياه ؛ والقبح - في المصراع الثاني - الحسن .

أَيُّمُتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكُ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخُصْمِيُّ الْأَوْكِعُ (١)
أَيْدٍ مُقَطَّعَةً حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفًّا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ (٢)
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ
وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ (٣)
وَتَرَكَتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ (٤)
فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَخْشٍ نَافِرٍ دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَّلَعُ (٥)

(١) الأوكع في الأصل : الذي أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للاماء اللواتي يكددن في العمل ، ويقولون أمة وكماء : أى حماة ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لثيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبي شجاع فاتك في جوده وفضله مع بقاء حاسده - يعنى كافورا - الأحمق أو اللثيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجر بدل من أبي شجاع .

(٢) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للاذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصفع ؛ ولكن للأيدى التي حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من التنبي ، إذ خرج إلى هجم كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(٣) يخاطب الزمان . يقول أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو - كافور - أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسامعين - أى أصدق الناس - يعنى المرثى . فقوله أبقيته : صفة لكاذب ، و«من» : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٤) الريححة والريح : واحد ، وتضوع : تفوح .

(٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه في الفلوات ، فبموته قرت دماء الوحوش . قدمه : فاعل قر . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال : والتطلع : الاستشراف

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوْتُ إِبْنَاءِ سُوْقَبَا وَالْأَذْرُعِ (١)
 وَعَفَا الطَّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ الْقَنَاةِ وَلَا حَسَامٌ يَلْمَعُ (٢)
 وَوَلَى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعٌ (٣)
 مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعٌ (٤)
 إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فِيهَا رَبِيهَا كِسْرَى تَذِلُّهُ الرِّقَابُ وَتَخْفَعُ (٥)
 أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فِيهَا قَيْصَرٌ أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فِيهَا تَبَعٌ (٦)

(١) ثمر السياط : العقد التي تكون في عذباتها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبدا كان يضربها بسياطه لتركض في قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ، وهي - في شدة جريها أو كثرتها - كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

(٢) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان في الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف الذي يسيل منه الدم - من رعاف الأنف - والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التيمي :

تَرَكْتَ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ مُحَلَّاةً وَقَدْ حَانَ الْوَرُودُ

وَعَادَرْتَ الْجِيَادَ بِكُلِّ مَرَجٍ عَوَاطِلَ بَعْدَ زَيْتِنِهَا تَرُودُ

(٣) و (٤) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مريض الظبية أو كناسها تتخذُه مألفا وتأوى إليه ، فهو من هذا ؛ والنادم : النديم ؛ وشيع الرجل : خرج معه عند الوداع ؛ و « من » - في البيت الثاني - فاعل ولي ؛ والمرتع : المرعى . يقول : ولي وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع في كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٥) و (٦) يقول ؛ إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل في العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك في كل قوم ؛ فقوله فيها : أى فهو فيها ؛ ومثله في البيت الثاني ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .

قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَمَنَةٍ فَرَسًا وَلَكِنَّ النَّيَّةَ أَسْرَعَ (١)
لَا قَلْبَتِ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعًا (٢)

وقال في صباه :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعًا (٣)
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَقِينَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا (٤)

-
- (١) فرساً : نسب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان في الطعان ؛ أي كان إذا طعن لم يدركه ، ولكن النية كانت أسرع منه فأدركته .
(٢) يقول : إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول - على طريق الدعاء - : لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الخيل قوائمها .
(٣) بأبي : هذه الباء باء التندية ؛ أي أفدى بأبي من وددته : أي جعل فداء له .
(٤) يقول : كان تسليمه علي عند اللقاء توديعاً لفراق ثان . وفي هذا يقول علي ابن جبلة العكوك :

رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلِمَ حَتَّى وَدَعَا
ويقول الآخر :

بِأَبِي وَأُمِّي زَائِرٌ مُتَقَنَّعٌ لَمْ يَخْفِ ضَوْءُ اللَّبْدَرِ تَحْتِ قِنَاعِهِ
لَمْ أَسْتَمِعْ عِنَاةَ لِقَائِهِ حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِنَاةَ لَوْدَاعِهِ

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْعُ أَنْحِيلٍ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ
وَلَوْ أَنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أَلُوفُ^(١)
وَمِنَ اللَّفْظِ لَفِظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْفَ وَذَاكَ الْمُطَهَّمُ الْمَعْرُوفُ^(٢)
مَا لَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارُ
كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ^(٣)

(١) الطفيف : القليل الحقيق - من قولهم : طف له الشيء ، وأطف ، واستطف : إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطايك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نذرا قليلا ، ولو كان في الخيل التي تهبا ألوف من الجياد .

(٢) المطهَّم : التام الجمال . يقول : إن من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هي لفظة المطهَّم ؛ يعنى أنك أمرتني أن أختار وصف فرس تهبه لي ، والذي أختاره هو المطهَّم ، وهو المعروف عند أهله : أي أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالي من العيوب والإشارة بقوله وذلك ، إلى الوصف ، لأن المطهَّم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتني الوصف ، فذكرت وصفا واحداً امتثالاً لأمرك ، فأما الذي عندي فهو أن لا أختار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .

وأهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو ممتلئ بمحس ،
وكان قد بلغه أنه ثلثه عند الوالى الذى اعتقله ؛ فكتب إليه من السجن (*) :

أَهْوَنُ بَطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلْفِ (١)
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بَرَكَ بِي
وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأُسُودَ بِالْجَيْفِ (٢)

(*) كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكار سديقاله من قبل . قال
صاحب الصبح النبى : لما اشتهر أمر المتنبي ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض سليمة - من
عمل حمص فى بنى عدى - قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها « كوتكين »
وجعل فى رجليه وعنقه خشبتين من خشب الصنصاف ، فقال المتنبي .

زعم المقيم بكوتكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبتة مذ صيرت من أبناءهم صارت قيودهم من الصنصاف
ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى .

يَيْدِي أَيُّهَا الْأَمِيرِ الْأَرِيبِ لَالشَّيْءِ إِلَّا لِأَنِّي غَرِيبِ
أَوْ لَأَمْ لَهَا إِذَا ذَكَرْتَنِي دَمَ قَلْبِي بِدَمْعِ عَيْنِي يَذُوبِ
إِنْ أكن قَبْلَ أَنْ رَأَيْتَكَ أخطأ ت فإني على يَدَيْكَ أتوب
عَائِبٌ عَائِبِي لَدَيْكَ وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوِي الْعِيُوبِ الْعِيُوبِ

وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان وتجدها فى التذييل .

(١) أهون بكذا . أى ما أهونه - سيفة تعجب - والثواء . الإقامة . يريد مقامه
فى السجن . يقول . ما أهون على هذه الأشياء ! أى أنى ووطنت نفسى عليها ، ومن
وطن نفسه على شئ هان عليه - وإن اشتد - كما قال كثير .

قللت لها يا عزُّ كل مصيبة إذا وُطنت يوماً لها النفس ذلت

ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك .

(٢) غير اختيار : حال ؛ والصدر : فى تأويل اسم الفاعل ؛ والبر . الإحسان .
يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبي وهو فى السجن وأهدى إليه هدية .

كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفٍ (١)
لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ (٢)

يقول : قلت برك بي اضطرارا - لا اختيارا - لاحتياجي إليه ، كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها لها . وفي مثل هذا يقول المهلبى الوزير .

ما كنت إلا كلخمة ميتة دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ
ومثله لأبي على البصير :

لَعَمْرُ أَيْكَ مَا أَنْتَسِبُ الْمُعَلَى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
ولكن البلاد إذا اقتشعرت وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُحَى المَهْشِيمُ
ومثله قول الآخر :

فلا تحمدوني في الزيارة لاني أزوركم إذ لا أرى متعللا
ومثله :

خذ ما أتاك من اللثا ح إذا نأى أهل الكرم
فالأسد تفتس الكلا ب إذا تعذرت الغنم

(١) المعترف : الصابر على ما يصيبه ، ووطن نفسه : مهدها وذلكها . يقول - للسجن - : كن كيف شئت من الشدة ، فإني صابر عليك .

(٢) السكى . اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بي قصا لما كان الدر على شرف قدره ساكنا في الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه في السجن بالدر في الصدف . قالوا : وهو من قول أبي هسان .

تمجبت درُّ من شيبى فقلت لها لا تعجبي فطلوع البدر في الشدْفِ
وزادها عجبا أن رُحْتُ في سَمَل وما دَرَّتْ دُرُّ أن الدرِّ في الصَّدْفِ

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي :

لِحَنِيتِ أَمْ غَادِهِ رُفِيعَ السَّجْفِ لَوْحَشِيَّةٍ لَأَمَّا لَوْحَشِيَّةٍ شَنْفِ (١)
نُفُورٌ عَرَّتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَادَبَتْ سَوَالِفَهَا وَالْحَلَى وَالْخَصْرُ وَالرُّذْفِ (٢)

(١) لحنية : أراد اللحية ؛ فحذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله في الشعر ، أنشد
سيبويه للأسود بن ينفرة :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شَعِيثُ بْنُ سُهَيْمٍ أَمْ شَعِيثُ بْنُ مِثْقَلِ (١)
ولعمري بن ربيعة .

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَمِيعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِنَانِ (٢)
والعادة والعيادة : المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب الستر إذا كان بصفين ، وقوله
لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما - كالأول - ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه
قال : ليس لحنية ولا لغادة ، بل هو لوحشية - أى لظبية وحشية - ثم رجع منكراً
على نفسه فقال : ما لوحشية شنف - والشنف : ما يعلق في أعلى الأذن - يعنى أن
السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنفا ، واللوحشية لا شنف لها . يتعجب
من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف حنية أم امرأة حسناء ؟ والعرب
إذا بالغت فى مدح شئ جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

حَنِيتٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقُوسِ مَا لَهَا وَتَرُّ

(٢) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعمرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى
هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعاً وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة
أصلية ، ونفرة من رؤية الرجال فتجادبت سوالفها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت
تحلى به جذب عنقها بثقله ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، ورددتها يجذب خصرها
لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حلى وحلى .

(١) يقول : ما أدري أشعيث من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؟ وشعيث حى من تميم
ثم من بنى منقر ، فجعلهم أدياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا
حى من قيس . قال الشنمري : ويروى شعيب - بالباء - وهو تصحيف :

(٢) يقول : الهامى النظر إلين واشتغال البال بهن عن تحصيل رميمهن الجمار بلا منى»
وعلم عدد المرات : أهى سبع أم ثمان ؟

وَحَيْلٌ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَنْثِقُ لَنَا خُوطًا وَلَا حَظَنًا خِشْفًا^(٢)
زِيَادَةٌ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقِي وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي صَعْفًا^(٣)
هَرَاقَتُ دَمِي مِنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بَهَا
مِنَ الْوَجْدِ وَالشُّوقِ لِي وَلَهَا حِلْفًا^(٤)

(١) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها - من قوله تعالى : « ويحيل إليه من سخرهم أنها تسعى ، أى يرون ذلك كالحيال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والحوط : الفصن ؛ والحشف : ولد الظبية . يقول . إن مرطها - ثوبها - أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النقرة ، فإذا هى كفنن بان يتثنى ، وظبي يرنو - ينظر - وخص القامة واللحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ . وروى ابن جنى : وخبل - بالباء الموحدة - والخبل : الذى قطعت يده ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكان ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إِنْ أَقْبَلْتُ فَالْبَدْرَ لَاحَ وَإِنْ مَسَّتْ فَالْفِصْنَ مَالٍ وَإِنْ رَنْتِ فَالرَّيْمُ

(٢) يقول : حالى - أو شأنى - زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى أى نقص ما ازددت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وَأَسْرُهُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ زِيَادَتِي فِيهَا هُوَ النِّقْصُ

وكما قال المتنبي - وقد تقدم - :

مَتَى مَا أَزْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهَى فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَزْدِيَادِي

(٣) هراقت : أراقت ، والهاء : بدل من الهمزة ؛ والحلف : اللزام . يقول :

أراقت دمي بمهما تلك التي أجدها من الحب ما تجدي والشوق لي ولها ملازم ، أى أى أحبها كما تحبني ، وأشتاق إليها كما تشتاق لي . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : بي من الوجد بها ما بها من الوجد بي لكان أشد اعتدالا ، لكنه - للوزن - حذف بعضه للعلم . كما قال أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تُثْرِي كَمَا تُثْرِي الرِّجَالَ وَتَعْدِمُ

أراد كما يعدمون ، لحذف

وَمَنْ كَلَّمَا جَرَدْتَهَا مِنْ نِيَابِهَا كَسَاهَا نِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعْرُ الْوَحْفُ^(١)
 وَقَابَلَنِي رُمَاتَنَا غُصْنٌ بَانَةٌ يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ^(٢)
 أَكِيدُ لَنَا يَا بَيْنُ وَأَصَلْتَ وَصَلْنَا فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو^(٣)
 أَرَدَّدُ وَبِئِذَا لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً وَأَكْثَرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غَلَّةَ لَهْفِ^(٤)
 ضَنِّي فِي الْهَوَى كَالشَّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِنًا لَذَذْتُ بِهِ جَهْلًا وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفِ^(٥)
 فَأَفَنِي وَمَا أَفْتَنَهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفِ^(٦)

(١) الوحف : الكثير اللتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف اللتف ما يقوم لها في سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل : رأت عين الرقيب على تدان فأسبغت الظلام على الضياء

(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل ؛ وأراد بالرماتين : نديها ؛ وبالغصن : قدها وبالبدر : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعني : أنها قامت عند الوداع بحذاءي فقابلني من نديها رماتان على قد كالغصن يميله وجه كالبدر ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئاً بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكأن وجهها يميل قامتها ، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة ، فلا تقدر على سرعة الحركة .

(٣) أ كيداً : أى أتكيد كيداً ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد لنا أيها البين - البد - فتواصل وصلنا - أى تلازمه ؟ - أى كلما تواصلنا تعرض لنا ففترقتنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؛ ومثله للبحترى :

فوا أسنى لو قاتل الأسفُ الجوى ولَهْفِي لَوَأْنِ اللَّهُفِ مِنْ ظَلْمِي يُجْدِي

(٤) ويل : كلمة يقولها كل واقع في هلكة ؛ واللَهْفُ : التحسر على ما فات ؛ والغلة : العطش وحرارة الجوف . يقول : إنى أ كسر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى إياها ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٥) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكامن : حال من السم ؛ وجهلاً : مفعول له ؛ والحنف : الموت . يقول : بى ضنى مستر كما يكن السم فى الشهد - العسل - إذا مزج به ، وقد استلذت الهوى جهلاً بذلك لضنى وحنفى فى تلك اللذة .

(٦) فأفنى : أى الضنى . والكهف - هنا - اللجأ ، ففاعل أفنى : ضمير الضنا ؛ وفى

قَلِيلُ الْكِرْمِيِّ لَوْ كَانَتْ الْبَيْضُ وَالْقَنَا كَارًا لَمَا أَغْنَتْ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ (١)
يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَطْيِيبُ وَجْهِهِ
وَيَسْتَفْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفٌ (٢)
وَأِنْ قَدَّ الْإِعْطَاءُ حَتَّى يَمِينَهُ إِلَيْهِ حَيْنَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ (٣)

الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفاً لتأخر مرجعه لفظاوية : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ، فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة عن كهف . والضمير : للضنى ، ودونها : صلة كهف . يقول : فأفنى الضنى نفسى وما أفنته ، كأن للمدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

(١) الكرمى : النوم . والبيض الأولى - بكسر الباء - السيوف . والثانية - بفتح الباء - جمع بيضة : الخوذة من حديد . والقنا : الرماح . والزغف : جمع زغفة ، الدرع اللينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما أغنت المدح والحوذ عن أصحابها شيئا ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ عَقْدَهُ شَرَّارًا وَثَقَّفَ عَزْمَهُ ثَقِيْفَا
وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعْلَ الَّتِي لَوْ أَنَّهُنَّ طُبِعْنَ كَنَّ سِيَوْفَا

(٢) يقال : قطب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً . يقول : هو مهيب إذا عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل من كلامه مقام الخطب الطوال ، فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة . وفى مثل هذا يقول البحرى :

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخَطْبِ اعْتَلَى فَصَلَ الْقِصِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفِ

(٣) يقول : أفنت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتاقت يده إلى الإعطاء كما يمنح الإلف إلى الإلف إذا فارقه . وفى مثله يقول أبو تمام .

وَاجِدٌ بِالْعَطَاءِ مِنْ بَرَاءِ الشُّوْ قِ وَجِدَانٍ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ
وَيَقُولُ غَيْرِهِ :

يَحْنُ إِلَى الْمَعْرُوفِ حَتَّى يُنِيلَهُ كَمَا حَنَّ إِلَى الْمَسْتَهَامِ إِلَى الْإِلْفِ

أَدِيبٌ رَسَتْ لِعِلْمٍ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالِ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قَفٌ^(١)
 جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفَهُ سُمُوا أَوْدَ الدَّهْرِ أَنْ أَسْمَهُ كَفٌ^(٢)
 وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سَيَادَتِهِ خَلْفٌ^(٣)
 يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لِحَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمْ تَقْفُو^(٤)
 وَقُوفِينَ فِي وَقَفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ فَنَائِلُهُ وَقَفٌ وَشُكْرُهُمْ وَقَفٌ^(٥)

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعله اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وعدة رسوخه وماتته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعنى أن جبال الأرض تصغر في جنب جبال العلم التي في صدره .

(٢) الجواد : الكريم العطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالى في كل خير لا وليأته وشر لأعدائه - لأنهما يصدران منه - حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشاركه كفه - الذى هو جمع الخير والشر - في الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس مجتمعون على سيادته لا يدافع في ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو : تتبع . يقول : من حب النفس إياه يقولون له : نقديك بأنفسنا ، فكان هواه جرى أولا في عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أى أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُودِدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَتَخَلَّفْ فِي المَلَّةِ ائْتَانِ
 وَقَوْلِ البَحْتَرِيِّ :

وأرى الناسَ جَمْعِينَ عَلَى فَضْلِكَ مَا بَيْنَ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
 (٥) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس ، والعامل فيه يقدونه ، كما تقول دأيتك راكبين : أى أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف . مصدر يوصف به الواحد والجمع ، والوقف : ما حبس على جهة مخصوصة ؛ وشكر : بدل تفصيل من

وَلَمَّا قَدَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشَفْنَا

عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ^(١)

وَمَا حَارَتِ الْأَوْهَامُ فِي عَظَمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الظَّرْفُ^(٢)

وَلَا نَالَ مِنْ حُسَادِهِ الْفَيْضُ وَالْأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفَرِهِ العُرْفُ^(٣)

تَسْكُرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفٌ^(٤)

وقفين ؛ وبمثل : عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والمدوح فريقان
واختان في شيئين وقفين - محبوسين - أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثاني على
المدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعني أنه أبدأ يعطى والناس أبدأ يشكرونه ، وفي مثل
هذا يقول البحرى .

أعيال لهم بنو الأرض أم ما لهم راتبٌ على الناس وقف

ويقول : ابن الرومي :

أمواله وقف على تنقيلتنا وثناؤنا وقف على تحقيقه

[تنقيلتنا : إصلاحنا - من نقل الحف أو النعل : رقعته وأصلحه] .

(١) كَشَفْنَا : بحثنا ؛ والضمير في عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله في الجهد
والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشاكله ، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد :
أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، الكشف أى البحث - لأننا
يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظر .

(٢) يقول : حارت الأوهام في عظم شأنه ، والظرف - النظر - في حسنه وجماله ،

وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية في العظمة والحسن

(٣) الوفر : المال ؛ والعرف : الجود واصطناع المعروف . يقول : إن الحسد قد

نال من حساده وأثر فيه نقصاً وهزالاً كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك

النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فقلت مقاتلك بالصبِّ ما تفعلُ جدوى الأمير بالأموالِ

(٤) يقول : إذا فكر فإنما يفكر في العلم ، وإذا نطق نطق بالحكمة . وباطنه ينطوى

على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الأخلاق . قال الحريري :

أَمَاتَ رِيَّاحَ اللُّؤْمِ وَهِيَ عَوَاصِفٌ
وَمَمْنَى العُلَى يُودَى ورَسْمُ النَّدَى يَمْفُو^(١)

فَلَمَّ نَزَّ قَبْلَ ابْنِ الحُسَيْنِ أَصَابِعًا
إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيمُ الوُطْفُ^(٢)

وَلَا سَاعِيًا فِي قُلَّةِ المَجْدِ مُدْرِكًا
بِأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يَدْرِكُهُ الوُوصَفُ^(٣)

وَلَمَّ نَزَّ شَيْئًا يَحْمِلُ العِبَّ حَمَلَهُ
وَيَسْتَصْفِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طِرْفُ^(٤)

فَتَى جَهْرُهُ ظَرْفٌ وَبَاطِنُهُ تُقَى
تَزِينٌ مَا يُحْفَى بِصَالِحِ مَا يُبْدَى
قال ابن جني : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل
أبدأ تبنى مقبوضة على مفاعن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعلين أو فاعلين
فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا ، وقد جاء عروضه على مفاعلين ،
وهو تخليط منه . وأقرب ما يصرف إليه أن يقال إنه رد مفاعل إلى أصلها وهي مفاعلين
لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف مالا ينصرف وإجراء المعتل
مجرى الصحيح وقصر المدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها . قال الواحدي :
ولو هو قال ومنطقه هدى أوتقى : لصح الوزن .

(١) اللؤم : ضد الكرم - أى الحسة - والمعنى : المنزل ؛ ويودى : يهلك ، والرسم : أثر
الديار ؛ ويعفو : ينجى ؛ والواو - فى قوله ومعنى الملا - واو الحال . ولما استعار اللؤم
رياحاً استعار للعلى معنى وللندى رسماً ؛ إذ أن الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغانى . يقول
سكن المدوح رياح اللؤم بعد شدة هبوبها عن معنى العلى ورسم الندى وقد كادت
تعفوها وتذهب بهما أى أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .

(٢) هطلت السماء . اشتد انصباب مائها ؛ والوطف . جمع الوطفاء ، وهى السحابة
المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم . جمع الديمة ، وهى المطر يدوم أياماً .
يقول : لم يربل هذا المدوح أحد إذا أعطى استحييت السحب وخجلت من عطائه .
وفى هذا يقول أبو نواس :

إن السحاب لتستحي إذا نظرت إلى نذاك فقاسته بما فيها

(٣) قلة المجد : أعلاه يقول : إن المدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى
قلة المجد مالا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .

(٤) العباء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرقت : القرس الكريم .

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ وَمِنْ تَحْتِهِ فَرَشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفٌ^(١)
فَوَاعَجَبًا مِنِّي أَحَاوِلُ نَفْتَهُ وَقَدْ فَنَيْتَ فِيهِ الْقَرَاطِيسُ وَالصُّحُفُ^(٢)
وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنِ مَكْرُمَاتِهِ يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفٌ^(٣)
وَتَفْتَرُ مِنْهُ عَنِ خِصَالِ كَأَنَّهَا ثَنَائًا حَبِيبٍ لَا يُعْلَمُ لَهَا رَشْفٌ^(٤)
قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمْ
كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنْبِ الْأَنْفِ^(٥)

يقول : إنه يحمل من أفعال المهمات ما لا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبعد مرتقى همته وقوة نبعده ؛ إذ العبارة بذلك لا يبسطه الجسم .

(١) جملة كالبحر المحيط بالدنيا في كثرة عطاياه وغزارة نداءه . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يجله ومن فوقه سقف يظله .

(٢) الضمير من «فيه» للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ، والصحف جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسي كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيري حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفي مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتَهُمْ سَيْرًا لَوْ أَنَّهَا كَتَبَتْ لَمْ تُبْقِ فِي الْأَرْضِ قَرَطَاسًا وَلَا قَلَمًا

(٣) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتي غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؛ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أي لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتي صنف يقصدونه ، وقوله : له أي لأجله .

(٤) وتفتَر : أي الأخبار ؛ أي تسفر وتنجلي ؛ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان والثنايا : الأسنان في مقدم الفم ؛ والرشف : اللص ؛ شبه خصاله في حسنها وحلاوتها . بثنايا حبيب لا يعلم مص ريقها .

(٥) يقول : إني قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ، ولكني آرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الحطيئة .

وَلَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتَّبَرُّ وَاحِدٌ نَفُوعَانَ لِلْمَكْدِيِّ وَبَيْنَهُمَا صَرْفٌ (١)
وَلَسْتَ بِدُونِ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفٌ (٢)
وَلَا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَهْضُ مِنْ كُلِّ وَلَيْسَ لَكَ الضَّعْفُ (٣)

قومٌ هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الدنيا
وقد كان الحطيئة مدح بهذا قوما كانوا ينبزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما
قال فيهم هذا غفروا بلقبهم .

(١) نفوعان : أى هما نفوعان ؛ والبيضاء من التمت للراد به التأكيد كما فى أسس
الدار ؛ والتبر : الذهب . والمكدي : الفقير الذى لا خير عنده والصرف : الفضل ؛
تقول له على صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة
سواء وإن اجتمعا فى النعمة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتكم مثل الدنانير فيهم وسائر هذا الخلق مثل الدرام

(٢) الدون : الخسيس ؛ وقوله خلفه خلف ؛ خلفه : خبر مقدم ، منصوب على
الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا
ترتجى أنت : أى أنت والغيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للوجود منتهى ، يعنى
أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية
القصوى للوجود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قصر الجود عنكم يا بنى مطر ولا تجاوزكم يا آل مسمود
يحل حيث حلتم لا يفارقكم ما عاقب الدهرين البيض والسود
وقال أشجع السلى :

فما خلفه لأمرى مطمع ولا دونه لأمرى متقع

وقال أبو تمام :

إليك تنهى المجد من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير
وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جمله
اسما لا ظرفا .

(٣) ولا واحداً : عطف على خبر ليس - فى البيت السابق - . يقول : ولست
واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، وليس لك ضعف جميعهم ، أى أنت تنفى
غناهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشيء على الشيء .

وَلَا الضُّعْفَ حَتَّى يَنْبَغِ الضُّعْفَ ضِعْفَهُ وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضُّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ ^(١)
 أَقَاضِينَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ غَلَطْتُ وَلَا الثَّلَاثَانَ هَذَا وَلَا النِّصْفَ ^(٢)
 وَذَنْبِي تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحًا بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو ^(٣)

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف . ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا: أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ، ونصب مثله لأنه نعت نكرة - وهو ألف - قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال ، كما قال القائل :

* لَمِيَّةٌ مُرَحِّشًا طَلَّلَ ^(١) *

وَألف : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الغثاء والتكلف والغلو ما ترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثبتت به عليك ، ثم قال : غلطت - ليس هذا ثلثى ما أنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ما تقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم أجدى مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب ، قال :

وَعِنْدِي أَيَادٍ جَبَّةٌ لَمْ أَجِدْ لَهَا يَأْخُضُّهَا عِنْدِي لِسَانًا مَعْبَرًا
 وَلَكِنْ جُهْدِي أَنْ أَقُولَ وَمَا عَسَى لَدَى الْجَهْدِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ فَيُعْذِرَا
 ولأبى تمام :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مَذْنِبًا يَوْمَ أَتَيْتُكَ سِوَاكَ بِأَمَالِي لِحَبَّتِكَ تَائِبًا

(١) عجزه :

* يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَّلُ *

وهو لذى الرمة . والخلل - بالكسر - جمع خلة . قال الجوهرى : الخلة واحدة خلل السيف ، وهى بطائن ينشئ بها أجناف السيف منقوشة بالذهب .

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً* فقال كيف تراه فقال مرتجلاً :
بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْ مِبَاشِرِهِ الحُتُوفُ (١)
فَدَغَّهُ لَتَى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامِ جَوَاشِنِهَا الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ (٢)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلاماً له ليقوموا به فلحقوه بظاهر حلب ليلاً فرماه أحدم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر ، فقال أبو الطيب (*) :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ وَلِلنَّبْلِ حَوَالِي مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ (٣)

* الجوشن : الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن - الدرع - يشق صفوف الأعداء يوم القتال أمانا على نفسه لحصاته ، ولا تعمل الحتوف - الناي - في من لبسه .

(٢) لقي : أي ملقياً . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرمح والسيوف لمكانه من الشعاعة ولا يحتلج إلى الدروع ، وفي مثله يقول الآخر :

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَأَحْصُونَ بَارِضِنَا نَلُودُ بِهَا إِلَّا القَنَا وَالقَوَاضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه ، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده ، فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه ، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بحسمى وحالي عنده سقم

وفيها يعرض بيني حمدان أبناء عم سيف الدولة ، وكان ذلك بحضور من أبي العشائر فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليقوموا به ، وقد تقدم ذلك في موضعه .

(٣) إلى من أحبه : يعني أبا العشائر - يقول : هو منتسب إلى من أحبه ، ولكنه مع ذلك أراد قتلي ، فللنبل حوالى من يديه صوت يحف بي .

فَهَيِّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ الْوَفَّ (١)
وَكُلُّهُ وَدَادٍ لَا يَدُهُمْ عَلَى الْأَذَى دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفٌ (٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزَنَ الْوَفَّ (٣)
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءِ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفٌ (٤)

وقال في عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعَدَدْتُ لِلنَّادِرِينَ أَسْيَافًا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بَيْنَ آنَافًا (٥)

(١) «من» الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل ، متعلقة بحننت . يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني إليه ، وما كان شوقي إليه في هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع ، لأن الكريم طبعه الألفة .

(٢) على . بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين . متعلق بودادي ؛ وضعيف . خبر كل . يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادي للحسين - أبي العشائر - هو وداد ضعيف .

(٣) واحداً : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعنى الكثير ولا يظلمه . يقول : إن ساءني بفعل واحد فقد سرني بأفعال كثيرة ؛ وفيه نظر إلى قول الآخر .

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدًا نَأْسَانُهُ بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلَائِي (٤)
(٤) نفسى له : أى أنا مملوك له إذ أسرني بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بي ، كما قال الآخر :

* أُرِيدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي *

وقوله : نفسى الفداء لنفسه : دعاء ؛ أى أفتديه بنفسى .

(٥) يعنى بالنادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيوفاً أجدة - أقطع - بها أنوفهم ، يعنى أظلم بها وأنكل .

لا يَرْحَمُ اللهُ أَرْوَسًا لَمْ
أَطْرَنَ عَنْ هَامِيْنٍ أَفْعَافًا^(١)
مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قَلْتِهِمْ
وَأَنْ تَكُونَ المِثْوَنَ آلَافًا^(٢)
يَاشِرٌ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدِيْمٍ
وَزَارَ لِلخَامِعَاتِ أَجْنَوَافًا^(٣)
قَدْ كُنْتَ أُغْنِيَتْ عَنْ سُؤَالِكِ بِي
مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِىَ وَمَنْ عَافَا^(٤)
وَعَدْتُ ذَا النِّصْلِ مَنْ تَمَرَّضَهُ
وَحِخْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافًا^(٥)

(١) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والأفعايف : جمع فحفف - بكسر القاف - العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لارحم الله رءوسهم التى أطارت السيوف تحوفها عن هامها ، فضمير « أطرن » للسيوف .

(٢) يقول : ما ينقم السيف - أى ما ينكر ويحب ويكره - إلا قلة عددم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً ؛ وأن تكون المئون منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . قوله : وأن تكون أى وأن لا تكون ، لحذف « لا » وهو يريد بها .

(٣) فحمة : أوجهه شئء يكرم عليه ؛ والخامعات : الضباع ، لأنها تخمخ فى مشيها - أى تمشى شئء الأعرج . يقول - لمن قتل من عبيده - : ياشر لحم أسلت دمه فجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها .

(٤) كأن هذا البعد سأل عاففاً عن حال للتنبى فذكر له من حاله ما زين له العذر به . وقوله : سؤالك بى أى عنى ، كما قال تعالى « فاسأل به خبيراً » وزجر الطير وعياقتها ضرب من التكهين كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فإن نفر عن يمين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول - للبعد الذى قتله - لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتمرضك للعذر بى .

(٥) يقول : وعدت هذا السيف - يعنى سيفه - أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسيفى بالعذر بى وأخذ خيلى خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف : أى أن لا أفى بوعدى إياه . فذا اسم إشارة ؛ ومن : مفعول ثان لوعدت ؛ وتمرضه : أى تمرض له ؛ والإخلاف : ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

لا يُذَكِّرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا تُتَّبِعُكَ الْمَقْتَلَانِ تَوَكَّافًا^(١)
إِذَا أَمْرُ رَاعِي بِفِئِدْرَتِهِ أَوْرَدَتْهُ الْفَيْيَةَ الَّتِي خَافًا^(٢)

* * *

-
- (١) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء - جريانه - يقول : لم يكن
فيك خير تذكر به ولا تبكي عليك العين .
- (٢) يقول : إذا راعى - خوفى - امرؤ بفئدرته كافأته بالقتل وهو غايه ما يخافه المرء

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية :

أَيَذْرَى الرَّبِيعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقًا وَأَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرَّكْبِ شَاقًا^(١)
لَنَا وَلَا أَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى^(٢)
وَمَا عَفَّتِ الرِّيَّاحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مِنْ حَدَائِبِهِمْ وَسَاقًا^(٣)

(١) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربيع من قتله بشوقه إلى أحبته . يقول : هل يدرى هذا الربيع - ربيع الأجنة - ما فعل من إراقة دمي وما هاج في قلبي من الشوق ، وذلك أن وقوفه بالربيع هيج شوقه وجدد له ذكر الأجنة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم « شاق » على « أراق » ، لأن الربيع إذ لم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتداء باللام ثم عاد إلى ذكر سببه ، وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حملة على الشوق .

(٢) تلاقى : أى تلاقى ، فحذف إحدى التائين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربيع - يعنى الأجنة - قلوب تلاقى فى جسام ما تلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكرونا ، فكأننا تلاقى بالقلوب وإن لم نتلاق بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى البِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

(٣) عفته الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربيع منزلا ، فلا ذنب للريح فى دروس منازلها ، إنما عفاها الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلم يخرجوا منه لما درس الربيع . وهذا كما قال أبو الشيبان :

مَا فَرَّقَ الأُلَافَ بَنَهُ دَا اللهُ إِلا الإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بِالبَيْنِ لِمَا جَهَلُوا
وَمَا إِذَا صَاحَ غُرَا بُِ فِي الدِّيَارِ احْتَمَلُوا
وَلَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِالبَيْنِ تَطْوَى الرَّحْلُ

فَلَيْتَ هَوَى الْأَحْبَةِ كَانَ عَذْلًا فَحَمَلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقًا^(١)
نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْمَيْنُ شَكْرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقًا^(٢)
وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقًا^(٣)
وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلَا أَرْمَتِهَا النِّيَاقًا^(٤)

وَمَا غَرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله مالا يطيق لجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فِيَارِبٌ قَدْ حَمَلْتَنِي فَوْقَ طَاقَتِي مِنَ الْحُبِّ حَمَلًا قَاتَلِي فَوْقَ مَا بِيَا
وَالْإِفْسَاوُ الْحُبِّ يَارِبٌ بَيْنَنَا يَكُونُ سِوَاهُ لَا عَلَى وَلَا لِيَا

(٢) عين شكرى : ملأى بالدمع ؛ وللساق : طرف العين مما يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالمهم والعين ممتلئة بالدموع فسأل الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأن جميع الجواب ماق يسيل الدمع منه ، يشير إلى غلبة السكاء من لوعة الفراق .

(٣) المحاق - بضم الميم ، وكسرهما - نقصان القمر آخر الشهر ؛ والتمام : السكال ، وقد طابق بين التمام والمحاق . يقول : لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم السكال في الحسن والإشراق ، وأنا لسقمى كأنه أعطانى المحاق يعنى : أن الحبيب كان في الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا في الدقة والنحول كالقمر في المحاق ، وقد أخذ هذا القائل :

يَأْمَنُ بِحَاكِي الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ إِزْحَمَ فَنَى يَحْكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(٤) الفرع : الشعر ؛ والأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة ، والنياق : جمع ناقة . وقوله : بين الفرعين والقدمين ظرف لنور وما يليه في البيتين التالين ، والضمير في أزمته : للنياق ، وجاز تقديمه لأنه مؤخر في الرتبة . لما جعله بدرآ والبدر لا يخص النور بصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، وأن نياق الركب تهدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة ؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه ، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التي بين شعره وقدميه ، فبدأ بالوجه ثم نى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي الصنابغة :

وَطَرَفٌ إِنْ سَقَى الْمَشَاقَ كَأَسَا
وَحْضَرٌ تَنْبَتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ
سَلِيٌّ عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسِنِّي
تَرَكَنَا مِنْ وِرَاءِ الْعَيْسِ نَجْدَا
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ
بِهَا نَقَصُ سَقَانِهَا دِهَاقًا^(١)
كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقًا^(٢)
وَرُيْحِي وَالْمَهْلَمَةَ الدَّفَاقًا^(٣)
وَنَكَبْنَا السَّهَاةَ وَالْعِرَاقًا^(٤)
لَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ اثْنَلَاقًا^(٥)

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْشُوكَ لَقَادَمَ نَسِيمِكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرِّكْبُ
(١) دهاقا: ملامى. يقول: وله طرف ساحر إذا سقى عشاقه كأمأ ناقصة سقانيا
مترعة، يعنى أنه أعشق المشاق له، وفيه نظر إلى قول القائل:

وَمَا لَيْسَ الْمَشَاقُ مِنْ حُلَلِ الْمَوَى وَلَا أَخْلَقُوا إِلَّا الثِّيَابُ الَّتِي أُبْلِ
وَلَا شِيرُبُوا كَأَسَا مِنْ الْحَبِّ حُلُوةً وَلَا مُرَّةً إِلَّا شَرَابُهُمْ فَضْلِي
(٢) يقول: إن الأبحار تنبت في خصره استحساناً له وتكثر عليه من الجوانب
حتى تصير كالنطاق عليه. وفي هذا المعنى يقول بشار:

وَمُكَلَّلَاتٍ بِالْعِيُودِ نِ طَرَفِنِي وَرَجَعَنْ مَلَسْنَا
[يريد بشار أنهن - لحسنهن - تملو الأبحار إلى وجوههن ورءوسهن حتى كأن لمن
إكليلا من العيود. وملسا: أى لم يعلق بهن أذى ولا رية] ويقول أبو الصاهية:

أَحَاطَتْ عِيُونُ الْعَاشِقِينَ بِخِصْرِهِ فَهِنَّ لَهُ دُونَ النَّطَاقِ نِطَاقُ
(٣) المهلمة: الباقة السريمة؛ والدفاق: التذققة في السير. مخاطب محبوبته يقول:
سلى عن حال سيرى هذه الأشياء تخبرك بإقدامى وتجهدى للأهوال؛ يعنى أنه كان وحده
لم يصحبه غير ما ذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة.

(٤) العيس: الإبل البيض؛ ونكبه: عدل عنه؛ والسهاوة: فلاة بين الشام
والعراق. يقول: خلفنا - في قصدنا إلى المدوح - نجداً وراءنا وملنا عن طريق
السهاوة وطريق العراق ومتوانا حلب.

(٥) ترى: أى العيس؛ ودجى الليل: أظلم؛ والاتلاق: البريق والاتجام؛ يقال:
اتلقى البرق وتألّق: إذا لمع. يقول: لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة في ظلمة
الليل يسطع لها فنتصبح به ويمتادها، وهذا من قول سحيم:

أَدْلَتْهَا رِيَّاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا أَنْتَشَاقًا^(١)
أَبَاحَكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَعَادِي فَلِمَ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقًا^(٢)

إِذَا نَحْنُ أَدْبَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايِنَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
ومثله قول أبي الطمحان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَاقِبُهُ^(١)
(١) انتشاقًا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس في طريقها إلى سيف
الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفي مثل هذا المعنى يقول ابن
الرومي :

فَهَدَّتْ عُيُونَهُمْ لَهُ أَضْوَاؤُهُ وَهَدَّتْ أَنْوْفَهُمْ لَهُ أُرْوَاغُهُ
ويقول أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِي لَنَا مَنَزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَنْشِقُ
ولعلمهم يريدون المعنى المجازي فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون باتتلاقه مجده
ومكارمه ؛ فعبروا عن المعنوي بالحسي مبالغة في ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت
به إليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رفقة ، وهي الجماعة في السفر . يقول : -
للوحش - إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصد
الرفاق التي تسير إليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على
من يمارضه ويخفر ذمته ، قال الواحدى قوله : فلم تتعرضين الرفاقا ، تقديره فلم تعرضين
الرفاق له : أى رفاقه .

(١) الجزع - بفتح الجيم ، وكسرهما - ضرب من الخرز الجماني فيه يياض وسواد
تشبه به العيون . وقبل البيت :

وَبَانِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُم م إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كَلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وبعده :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوِّدٌ تسير المنايا حيث سارت ركائبه
إلى آيات يمدح بها أبو الطمحان بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي .

وَلَوْ تَبَعْتَ مَا طَرَحْتَ قَنَاهُ لَكَفِكَ عَنْ رَذَائِبِنَا وَعَاقًا^(١)
 وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقِ مِنَ النَّيْرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقًا^(٢)
 إِمَامٌ لِلْإِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقًا^(٣)
 يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقًا^(٤)
 فَلَا تَسْتَفْهِرُونَ لَهُ ابْتِسَامًا إِذَا فَهِقَ الْمَسْكُورُ دَمًا وَضَاقًا^(٥)

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا ، يقول : لو تبعته أيها الوحش ما طرحته رماحه من القتل لكفك ذلك عن مطايبنا ولكن لك فيه غناء عن التمرض لنا - لكثرة .

(٢) يقول : نحن آمنون في طريقنا إليه حتى لو سرنا في النيران ما قدرت على إحراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه في أمن وطمأنينة . ومثله لأبي تمام :

فَمَضَى لَوْ أَنَّ النَّارَ دُونَكَ خَاضَهَا بِالسَّيْفِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ النَّارَا
 « يريد جهنم » ولأبي حية النخري :

لَوْ أَنَّ جَبْرَ النَّارِ دُونَ بِلَادِهِمْ لَعَلِمْتَ أُنَى جَبْرَهَا مُتَخَوِّضٌ

(٣) من قريش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء - يعني خلفاء بني العباس - إذا شاقهم عدو - أي تمرد عليهم - يهذرون شقائه - خلافه وعصيانه - تقدمهم إليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لما وقدره وارتفاع أمره وشدته - سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما في إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة في البيت التالي .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذي يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذي تعتمد عليه .

(٥) الفهق : الامتلاء ، ومنه التفهيق الذي يفهق فيه بالكلام . والمسكر : مجال الحرب . يقول : لا تنسكر تبسمه في أهوال ساعة الحر . وهو عند ضيق المسكر بازدهام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعني أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والحيل ، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه في البيت التالي وفيه مثل هذا يقول البحري :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمَهْجَ الْعَوَالِي وَحَمَلَ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقًا (١)
 إِذَا أُتْمِنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعْدُوا جَمَنَهُمْ طِرَاقًا (٢)
 وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيحُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبِنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقًا (٣)
 فَكَانَ الطَّمْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا وَكَانَ اللَّبْتُ بَيْنَهُمَا فُوقًا (٤)

ضَحُوكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهَوَّ بِرُوعُهُمْ وَالسَّيْفِ حَدَّ حِينَ يَسْطُورُ وَرَوْتُقُ

(١) المهج : الأرواح ، والعوالي : الرماح ؛ وهمه : همته ؛ والعناق : الخيل الكرام يقول : لا تنكر ابتسامه في هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه في الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالي .

(٢) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول : إذا أنعلت خيله لتصد قوم أدركتهم فداستهم بجوارفها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبي الأخرز الحماني :

لَمْ تَشْكُ خَيْلَهُمُ الْوَجْبَى مِنْ رَوْحَةٍ إِلَّا انْتَعَلْنَ مِنَ الدَّمَاءِ قَتِيلًا

(٣) نقع : ارتفع صوته وبعد . والصريح : المستغيث . وضير نصبن للخيل والمؤللة المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْبِطِ الرَّفْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ

يقول : إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها الرهفة لاستماعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها ، وهذا معنى قوله إلى مكان : أى إلى مكان سوى مكانهن .

(٤) الضمير في بينهما للصريح والخيل : والفواق - بضم الفاء ، وفتحها - مقدار ما بين الحلبتين ، ويضرب مثلا في السرعة . والفواق أيضاً : الشهقة الغالبة للإنسان يقول : إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطمان من غير بطء في إجابته فتجعل الطمن جوابا ، ومقدار اللبت بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة ، أو فواق إنسان : أى لا لبت بينهما . والله سلامة بن جندل حين يقول :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِيحٌ فَرِيعٌ كَأَنَّ الصَّرَاخَ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ (١)

(١) يقول : إذا استغاث بنا مستغيث ، كان جوابه الجدى في نصرته ، ويقال قرع

مَلَايِقَةٌ نَوَاصِيهَا النَّايَا مَعْوَدَةٌ فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا (١)
 تَبِيْتُ رِمَاحَهُ فَوْقَ الْهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا (٢)
 تَعْمِيلُ كَرَانٍ فِي الْأَبْطَالِ خَرًّا عُلِّينَ بِهَا أَصْطَبَاحًا وَاعْتَبَاقَا (٣)
 تَعَجَّبْتَ الْمَدَامُ وَقَدْ حَسَّاهَا فَلَمْ يَسْكُرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا (٤)

(١) النواصي : جمع ناصية : شعر مقدم الرأس ؛ وملايقة ومعاودة : حالان من الخيل ؛ والعامل فيها : الصدر - من قوله وكان الطعن يقول: إن خيله تلقى نواصيها النايا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت نواصيها معاينة الأبطال في الحرب ، قالوا : والمعانقة آخر حالة في الحرب ؛ وأولها الملاقة من بعيد ، ثم المراماة بالسهم ، ثم المنازلة بالرمح ، ثم المنازلة إلى الاقتران ، ثم المعانقة .

(٢) أراد - - بالهوادي : أعنق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبيت رماحه معروضة فوق أعناق خيله في سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذي تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومي :

وإعمالي إليك بها المطايا وقد ضرب العجاجُ بها رواقا

(٣) الملل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب في الصباح ؛ والاعتباق الشرب في العشي . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خر علت بها صباحاً وغبوقاً فهي لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو لينها وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدواً وعشياً وفي مثل هذا يقول البحري :

يتعثرن في النحور وفي الأو جُه سكرًا لما شربنَ الدماء

(٤) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الحمر فلم تغلبه الحمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومئاته ، ولما جاد بالمال لم يبق من سكر الجود ولم يصح من أريحته ، وقد أحسن البحري في هذا المعنى إذ يقول :

تسكرمت من قبل الكئوس عليهم فما استطعن أن يُحِدثن فيك تكرما

لهذا الأمر ظنوبه : إذا جد فيه ؛ والظنوب : طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنوب .

أَقَامَ الشَّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا ، فَلَمَّا فَاقَتْ الْأَمْطَارَ فَاقًا (١)
 وَزَنَا قِيَمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَ (٢)
 وَحَاشَا لِارْتِيَا حِكِّكَ أَنْ يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى (٣)
 وَلَكِنَّا نَدَاعِبُ مِنْكَ قَرْمًا تَرَا جَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حَقَاقًا (٤)
 فَتَى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوَهُ الْأَسْرَى الْوَثَاقَا (٥)

(١) يقول : أقام الشعر يبابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الامطار كذلك ؛ يعني كثرت عطاياه وكثرت الأشعار في مدحه .

(٢) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أى السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية للعبية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاء فرساً وجارية يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبرى : وسمى قيمة الجارية صداقا لأن القيمة للأمة ، كالصداق للحرمة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحرمة بالمهر .

(٣) حاشا : كلمة للاستثناء والتبديد للشيء ؛ والارتياح : الاهتزاز لابذل ويبارى : يجارى . ويباقى : يغالب من البقاء . وقد استدرك في هذا البيت ما ذكره في البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك ، أن يبارى بشيء ، فهو أكثر من أن يعارضه شيء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقي من كرم غيرك ، يعنى أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيها به .

(٤) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : بيد أنى قلت ذلك - أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر - مازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد ، فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم .

(٥) يقول : إذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفماً عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه أغلامهم وقبودم ؛ أى يعفو عنهم ويطلقهم ؛ والأصل فى هذا المعنى قول عنتره :

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِدِ الْوَقِيمَةِ أَنَّنِي

أَغْنَى الْوَعَى وَأَعِفُّ هِنْدَ الْمُنَمِّ

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْوًا وَلَمْ أَظْفَرْ بِكَ مِنْكَ أُسْتَرَاقًا (١)
فَأَبْلِغُ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرَقٌ يُجَاوِلُ بِي لَحَاقًا (٢)
وَهَلْ تُغْنِي الرِّسَالَةُ فِي عَدُوِّ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غُطِّي رِقَاقًا (٣)
إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَيْبٌ فَلَيْ قَدْ أَكْتَهُمْ وَذَاقًا (٤)
فَلَمْ أَرِ وَدَّهْمٌ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرِ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرِ وَعَمَّا لَمْ تُلْقَهُ مَا الْأَقَا (٥)
وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلْقِ قُلْنَا أَعْمَدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وَفَاقًا (٦)

(١) يقول : إنك لم تحسن إلى غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلى ، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئاً ، ولكني كنت أهلاً لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوني عليك أنهم لا يلحقونني ولا يلغون شأوي لأن البرق إذا حاول اللحاق بي كبا على وجهه - عثر وسقط - وإذا لم يلحقني البرق فكيف يلحقونني هم ؟ قال الواحدى : وتحمله المدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله - حاسدى عليك .

(٣) الظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف . وهذا استفهام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفينى منهم الرسالة ، إنما يشفينى منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول إنى أعرف الجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فإنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والآكل أعرف بالما كول من الذائق .
(٥) ألاق الشيء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفأك كغف ما تُلِقُّ دِرْهُمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسِّيفِ الدِّمًا
يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم يمسكه وجدت به .

(٦) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقاً - اتفاقاً - أو عن عمد ، لاستبعاد الوهم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .

فَلَا حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاهُ سَرَجًا وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا^(١)

وقال يمدحه ويذكر الغداء الذي طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :

لَعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقِيَ وَالْحُبُّ مَالٌ يَبْقَى مِنِّي وَمَا بَقِيَ^(٢)
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَسَكِنْ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَمْشِقُ^(٣)
وَيَبِينُ الرِّضَا وَالسُّخْطَ وَالقُرْبَ وَالنُّوَى مَجَالٌ لِلدَّمْعِ الْمُقَلَّةِ الْمُتَرَفِّقِ^(٤)

(١) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحري :

حَطَّتْ سَرُوجُ أَبِي سَعِيدٍ وَاعْتَدَّتْ أَسْيَافُهُ دُونَ الْعَدُوِّ تَشَامُ

(٢) يقول . إن عينيك ما دأى فكل ما لقيه قلبي من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنته من السحر . وإن الحب هو الذي أذاب جسمي وأكل لحمي فالذي لم يبق مني - وهو الذاهب - وما بقي ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام - في قوله لعينيك - للتعليل : ومن قوله للحب : للملك ويروي بدل للحب : للشوق .

(٣) يذكر أنه عذاه يعزف عن النساء ولا يميل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عيني حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يمشق إلى العشق ، وفي هذا نظر إلى قول صريع التواني :

وَقَدْ كَانَ لَا يَصْبُو وَلَكِنْ عَيْنُهُ رَأَتْ مَنظَرًا يُضْنِي الْقُلُوبَ فَرَأَتْهَا

وقوله ولكن من يصير : أراد ولكنه - بضم الشان - فحذفه وجزم بعده

على الشرط .

(٤) يقول : إنه يبكي في كل حال رضى عنه الم محبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو

بعد عنه . لأنه في حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد .

والمترقق الذي يحول في العين ولا ينحدر . وعبرة العكبري : ما بين ما أرجوه من

رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما آتمناه من اقترابه وأخافه من بعده مجال للدموع

التي تترقق في القل كلفنا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسي

حين يقول :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقِي مِنْ مَحِبَّةٍ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُومَ الْمَذَاقِ

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبَّهُ وَفِي الْهَجْرِ فَهَوِ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي (١)
وَعُضْبِي مِنَ الْإِذْلالِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَبِّي (٢)

تَرَاهُ بَأَكْبَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مَخَافَةٌ مُرَقَّةٌ أَوْ لاشْتِيَاقٍ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ
(١) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه
شاكاً بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا
تيقن الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى
عليه بلاء كله ، كما قال الآخر :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِيذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَأْسِ
وفي هذا المعنى يقول قيس بن الرقيات :

تَرَكْتَنِي وَاقْتَبَا عَلَى الشُّكِّ لَمْ أَصْدُرْ يَأْسَ مِنْكُمْ وَلَمْ أُرِدْ
ويقول ابن أبي زرعة الدمشقي :

فَكَأَنِّي بَيْنَ الْوِصَالِ وَبَيْنَ الْهِجْرِ تَمَنُّ مَقَامُهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلِّ بَيْنَ الْجَنَانِ وَبَيْنَ النَّارِ أَرْجُو طَوْرًا وَطَوْرًا أَخَافُ
قال المكبري : وأصل البيت من قول الحكيم : الرجاء تمن والشك توقف ،
وهما أصل الأمل . وقال الآخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع
ومخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرتجيه . ولقد أحسن أبو حفص
الشاطبي في قوله :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تَهَدَّدُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعُتْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سَخَطٌ وَلَا رِضَى فَإِنَّ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ

(٢) وغضبي : أي ورب غضبي . ورب الغضب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله .
جعلها غضبي لفرط دلالها ، فهي ترى من نفسها الغضب دلالة على عاشقها ، وجعلها
سكراً من الصبا والحدادة فهي مزهوة مختالة . ثم جعل شبابه شبيهاً شبيهاً إليها كما قال
محمود الوراق :

وَأَشْنَبَ مَفْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاصِحَ
سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَفَقَبِلَ مَقَرِّي^(١)
وَأَجْيَادِ غَزْلَانَ كَجَيْدِكَ زُرْنِي
فَلَمْ أَتَّبِعْ عَاطِلًا مِنْ مُطَوَّقِ^(٢)
وَمَا كَلُّ مِنْ يَهُوَى يَمَفُّ إِذَا خَلَا
عَفَافِي وَيَرْضَى الْحَبَّ وَالْحَيْلُ تَلْتَقِي^(٣)

كَفَاكَ بِالشَّبَابِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

أَخِيْبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَالِي شَافِعُ
وَأَرَدَ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهُوَى
أَلْفَاهُ نَعْمَ وَسِيْلَةَ الْمُتَوَسِّلِ
(١) وَأَشْنَبَ : عَطَفَ عَلَى غَضْبِي ؛ وَالْأَشْنَبُ : الْأَبْيَضُ الْأَسْنَانِ الْحَسَنُ
وَالْمَسْوُولُ : الْحَلْوُ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ عَسَلًا . وَالثَّنِيَّاتُ الْأَسْنَانُ الَّتِي فِي مَقْدَمِ
الْفَمِ ، وَالْمَفْرُقُ مَوْضِعُ افْتِرَاقِ الشَّعْرِ مِنَ الرَّأْسِ . يَقُولُ : وَرَبُّ حَبِيبٍ حَسَنِ الْأَسْنَانِ
حَلْوُ رَضَابِ الثَّنَائِيَا وَاصِحُ الْوَجْهِ - مَشْرُقُهُ - تَعَفَّفَتْ عَنْهُ وَتَصَوَّنَتْ بِسِتْرِ الْفَمِ مِنْهُ عَفَّةً
وَتَوَرَعًا كَيْلَا يَقْبَلْنِي قَبْلَ رَأْسِي إِجْلَالًا لِي وَمِيلًا إِلَيَّ . يَرِيدُ أَنَّهُ أَحَبُّ وَصَلَهُ وَتَعَفَّفَ
هُوَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ .

(٢) الْأَجْيَادُ : جَمْعُ جَيْدٍ ، الْعُنُقُ . وَالْعَاطِلُ : الَّذِي لَا حَلِيَّ عَلَيْهِ ، وَالْمَطَوَّقُ الَّذِي
قَدْ تَطَوَّقَ بِالْحَلِيِّ . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْعَفَّةِ وَالزَّهَادَةِ ، وَأَنَّهُ قَدْ زَارَهُ مِنَ الْحَسَانِ عَاطِلَاتٍ
وَحَالِيَّاتٍ ، فَلَمْ يَعْرِفْ ذَاتَ الْحَلِيِّ مِمَّنْ لَا حَلِيَّ عَلَيْهَا .

(٣) الْحَبُّ - بِكَسْرِ الْحَاءِ - الْمَهْجُوبُ ؛ وَعَفَافِي مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ . وَقَوْلُهُ : وَالْحَيْلُ تَلْتَقِي
حَالٌ . يَقُولُ : لَيْسَ كُلُّ عَاشِقٍ عَفِيفًا مِثْلِي وَقَدْ الْحَلْوَةُ بِالْمَهْجُوبِ وَمَعَ أَنِّي عَفِيفٌ أَرْضَى
الْمَهْجُوبِ فِي الْوَعْدَى - الْحَرْبِ - بِشَجَاعَتِي ؛ قَالَ ابْنُ جَنِّي : سَأَلْتُهُ - التَّنْبِيْ - عَنْ مَعْنَاهُ
وَقَدْ الْقِرَاءَةُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : الْمَرْأَةُ مِنَ الْعَرَبِ تَرِيدُ مِنْ صَاحِبِهَا أَنْ يَكُونَ مَقْدَمًا فِي الْحَرْبِ
فَتَرْضَى حَيْثُذُ عَنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرُو بْنِ كَلْثُومٍ :

يَقْتَنُ جِيَادَنَا وَيَقْلُنَ لَسْتُمْ
بُعُولَتْنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُونَا^(١)
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْقَائِلُ

(١) مِنْ مَعْلَقَتِهِ . يَقُولُ : يَلْفَنُ خَيْلَنَا وَيَقْلُنَ لَنَا : لَسْتُمْ أَزْوَاجَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُوا مِنْ
سَبِي الْأَعْدَاءِ إِيَابًا .

سَقَى اللهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمَعْقِي (١)
إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ تَخَرَّقَتْ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٢)
وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاطِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثَنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ (٣)

أَخَذْتُ لَطْرَفِ الْعَيْنِ مَا تَصِيبُهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمَخَالِجِلِ
ويقول الآخر .

لِي مَا حَوَاهُ فِنَاعِهَا مِنْ فَوْقِ مَا حَوَتْ الْجِيُوبُ وَلِي مَكَانُ ثَرَاهَا
لَمْ تَلَفْ مُعْتَنِقِينَ لَيْسَ عَلَيْهِمَا حَرَجٌ سِوَايَ مَعَ الْهُوَى وَسِوَاهَا
وقال العكبري : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع حجة ائتلاف
الأرواح إنما نمنع حجة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم .

(١) ما يسرها : مفعول ثان لسقى ؛ والبابلي : الحمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام
الصبا . يقول : سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل الخمر المعتقة ؛ وهذا
على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست مما يسقى :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه احتمال الثوب على لابسه ، بيد أن هذا
الثوب - الدهر - باق لا يبلى - أما لابسه - وهو الإنسان - فإنه يبلى ويفنى . ومن
ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع - أي أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبدأ
جذع لا يسن . قال الأخطل :

يَا بَشْرُ لَوْلَمْ أكنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةِ أَلْقَى عَلَى يَدَيْهِ الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ
وفي مثل هذا المعنى يقول ابن دريد في مقصورته :

إن الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياه لليلِ

(٣) الكاف - في قوله كالألحاط - اسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال ؛
وبكل القتل : أي بقتل فظيع . يقول : لم أر مثل الألحاط ولا مثل فعلها يوم رحيل
الذين أحبهم ! بعث لنا القتل ؛ أي قتلنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ،
والأصل في هذا قول النابغة :

فِي إِرْغَانِيَةِ رَمْتِكَ سِيَّهَا مَهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ
[رماه فأقصده . قتله في المكان]

أُدرنَ عيوننا حارباتٍ كأنها مَرَكِبَةٌ أَحداقها فَوْقَ زُبَيْ (١)
عَشِيَّةً يَعدُونَا عَنِ النَّظَرِ البُكَاءُ وَعَنِ لَذَّةِ التَّوَدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ (٢)
نُودِعُهُمُ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ قَنَا ابنِ أَبِي التَّهِيَّجَاءِ فِي قَلْبِها فَيَلْقَى (٣)

(١) الضمير - في أدرن - للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حدقة - سواد العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زبيق . وهو معروف أن الزبيق يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عققا - طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زُبَيْقِ (٢)
يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن السمع إذا امتلأت به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وِراءِ زُجاجةٍ إِلَى الدارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبابةِ أَنْظُرُ
وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، ألا ترى إلى قول البحري :
لا تَمَذُّنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سِيرتُ وَلَمْ أَلِقْ
إِنِّي خَشيتُ مَواقِفًا لِلبَيْنِ تَسفَعُ غِربَ ما قِلكِ
وَذَكَرتُ ما يَجِدُ المودُ دَعِ عِندَ ضَمِّكَ واعتناقكِ
فَتَرَكتُ ذاكَ تَمَعُدًا وَخَرَجتُ أَهْرَبُ مِنْ فِراقكِ

ومن هذا قول الآخر :

يَوْمَ الفِراقِ شَكَرتُ تَرَكَ وَداعِمِ
أَوهَلْ رَأيتَ وَهَلْ تَمِعْتِ بِواحدِ
والمعذر فيه موسع توسيعا
يَمْشِي يُودِعُ رُوحَهُ تَوَدِيعًا
وقول الآخر :

صَدَنِي عَنِ حَلالَةِ النَشِيعِ حَذَرِي مِنْ مَرارةِ التَّوَدِيعِ
لَمْ يَقُمْ أَنسُ ذَا بَواحِشِهِ هَذا فَرأيتُ الصَّوابَ تَرَكَ الجَمِيعِ
(٣) القنا : الرماح . وأبو الهيجاء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجَ دَاوُدَ حِنْدَهَا إِذَا وَقَمَتْ فِيهِ كَنَسَجِ أَنْطَرْتَقِ (١)
هُوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجِيُوشِ كَانَهَا تَخَيْرُ أَرْوَاحَ الْكَمَاةِ وَتَنْتَقِي (٢)
قَدْ عَلَيْنَهُمْ كُلُّ دِرْعٍ وَجَوْشِنٍ وَتَفَرَّى إِلَيْهِمْ كُلُّ سُورٍ وَخَنْدَقِ (٣)

من الجيوش . يقول : إن البين - البعد - يفتك بنا فتك رماح سيف اللولة بجيوش أهداه . وهذا من حسن التخصيص وهو بديع .

(١) قواض : قوائل ، يعنى الرماح ، وهو خبر عن معذوف ضمير القنا ، ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والحدرتق : بالذال والذال - الضكبوت وإذا جمعت حذف آخره قلت خدارن ؛ وفي الصحاح : بالذال المهملة ؛ وأنشد أبو عبيدة لزيفان السدي :

وَسَهْلٍ طَامٍ عَلَيْهِ الْفَلَقُ يُبِيرُ أَوْ يُسَدِّي بِهِ الْخَدْرَتِقِ (١)
يقول : هي - أي رماح سيف اللولة - قوائل من يقصدها نوافذ في دروع الأبطال تخرقها إليهم ، كأنها تخرق نسج الضكبوت .

(٢) هواد - من الهداية - يقال هداه فهدى ، والأملاك الملوك : وتغير بحذف إحدى التاءين أي تنغير ، والسكاة جمع كمي : البطل المستتر في سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدي أربابها أو تهدي هي بنسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تنخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِنْدَابَايَا وَالنَّسَايَا كَانَهَا تَهْدِي إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدِي (٢)
(٣) الجوشن : الدرع . يقول : لا تحصنهم منها الدروع فإنها تقدها - تقطعها - ولا الأسوار والخنادق فإنها تفرسها - تقطعها - وتأتي عليها وذلك لشدة طعن فرسان للمدوح وشجاعتهم .

(١) الفلق الطلعب : الحضرة على رأس الماء ، يقال : ينبت في الماء ذو ورق عريض

(٢) قال ياقوت : سندابايا : موضع بأذربيجان بالبذ ، من نواحي بابك الحرمي .

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

رَمَى اللَّهُ مِنْهُ بَابِكَا وَوَلَاتَهُ بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَتَى يَوْمَ بَدِ الْخَرْمِيَةِ لَمْ يَكُنْ بِهَيَّابَةِ نَكْسٍ وَلَا بِمَعْرَدٍ
قَفَا سِنْدَابَايَا وَالرَّمَاحِ مُشِيحَةً تَهْدِي إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدِي

يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللَّقَافِ وَوَاسِطٍ وَيُرُ كِرْهَا بَيْنَ الْفِرَاتِ وَجَلِقِ (١)
 وَيُرْجُمُهَا حُمْرًا كَانَ صَحِيحَهَا يُبَيْكِي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ (٢)
 فَلَا تُبَلِّغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يَذُكُرْ لَهُ الطَّعْنَ يُشْتَقِ (٣)
 ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ الشُّيُوفِ بَنَانُهُ لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقِّقِ (٤)
 كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً كَمَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكَ أَرْفُقِ (٥)

(١) اللقان : بلد من بلاد الروم . وواسط : بلد بالعراق بناها الحجاج وخلق : دمشق أو غوطها . قال الواحدي : وكان أوقع بيني البريدي بواسط ، يريد كثرة غاراته وفسوها في البلاد من العراق إلى أقصى الروم ، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقصى الشام .

(٢) المتدقق : المتكسر . يقول : برد الرماح من القتال متلطخة بالدماء تقطر منها ، كأن صحاحها تبكي على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة ويكي كيكي . والتشديد للبالغة .

(٣) فلا تبغاه أي المدوح ، يقول — مخاطباً صاحبه على عادة العرب — لا تبغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطمان اشتاق إليها وحن والبيت منقول من قول كثير :

فَلَا تُذْكَرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ إِنَّهُ مَتَى تُذْكَرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ يَحْزَنُ

(٤) بنانه : فاعل ضروب ؛ والكلام المشقق : الذي شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام : إذا أخرجه أحسن مخرج . يقول : إنه شجاع في الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع ، قال العكبري : وقد نقل هذا المعنى في الهجاء إلى المدح من قول الأول :

فَبَاعِدْ زَيْدًا مِنْ قِرَاعِ كَتَيْبَةٍ وَأُذِنْ زَيْدًا مِنْ كَلَامِ مُشَقِّقِ

(٥) يقول : إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو في غنى عنه ، إذ أن قطرة الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل للمدوح يتكلف ما لا حاجة به إليه ، إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان المدوح مطبوعاً على الجود لم يكن في استطاعته العدول عنه ، وإذن يكون عاذله عليه ، كمن يقول للفلك ارفق في حركتك ؛ فقوله كسائله : خبر مقدم ومن يسأل : مبتدأ مؤخر ومثله كماذله من قال . وذهب ابن جنى إلى أن المعنى : كما أن

لَقَدْ جُدَّتْ حَتَّى جُدَّتْ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ (١)
 رَأَى مَلِكُ الرُّومِ أُرْتَبَاحَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي التَّمَنَّى (٢)
 وَخَلَّى الرَّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا لِأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطَّعَانِ وَأَحْذَقِ (٣)
 وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضِ بَعِيدٍ مَرَامَهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلِ حَوَالِيكَ سُبْقِ (٤)
 وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكِ مِنْهَا رَسُولُهُ فَاسَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ (٥)

الغيث لا تؤثر فيه القطرة ؛ كذلك سائله لا يؤثر في ماله وجوده ، قال العروضي - ناقدآ :-
 وهذا على خلاف العادة في المدح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة
 إليه ، قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقال الشاعر :

ولم يك أ.كثر الفتيانِ مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

والذي فسره - أي ابن جني - مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد
 - أي التنبئ - : من عادته وطبعه الجود كمادة الغيث أن يقطر - أي يمطر - فسائله
 مستغن عن تكليفه ما هو في طبعه .

(١) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعاً لما نالوا من
 برك وإحسانك .

(٢) الارتياح : الانبساط ؛ والندى : الجود ؛ والمجتدى : طالب العطاء ؛ والتعلق :
 للتودد ، أو الذي يخضع ويلين كلامه - مأخوذ من الصخرة الملقاة ، وهي اللساء -
 يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للجود وأريحيتك له تعلق إليك تعلق السائل ؛ وفي
 هذا نظر إلى قول القائل :

ولولم تُناهضه وأبصرَ عظيمَ ما تنيلُ من الجدوى لجاءك سائلاً

(٣) الرماح السمهرية : نسبة إلى سمهر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح ؛
 وأدرب : من الدربة ، وهي العادة ؛ يقال درب بالشيء : اعتاده وضرى به . والحاذق :

الخبير بالشيء . يقول : وترك ملك الروم الرماح صغاراً لا اختياراً لمن هو أحذق بالطعان
 وأجرى عادة به منه - يعني سيف الدولة - يعني ترك الحرب صاغراً واستأمن بالكتاب .

(٤) يقول : استأمن إليك من أرضه البعيدة لعله أنها لا يبعد على خيلك السبق
 فإنك تدركه بهامتي أردت . وقوله بعيد : يروى بالجر ، على أنه نعت سببي لأرض . ومرامها -

أي مطلبها . . . فاعل له ؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم ، والجملة : نعت أرض .
 (٥) المسرى : الموضع الذي يسار فيه ليلاً : والهام : الرؤوس . يذكر كثرة قتلاه

فَلَمَّا دَنَا أَخْبَقَ عَلَيْهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُنْتَلِقِ (١)
وَأَقْبَلَ بِمِشْيِ فِي الْبِسَاطِ فَأَ دَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي (٢)
وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهْجَاتِهِمْ يَمْتَلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامِ مُنْتَقِي (٣)
وَكُنْتُ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَدَالِ الدُّسْتَقِي (٤)

في أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك في طريقك فما سار إلا فوق
ردوس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ جَنَاحِينَ فَاتَّقَ فِيهَا قَنَاءَ قِصْدِ (١)
وقول الأول :

بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ نَجْدٍ بَنَانُ فَتَى وَجُحْمَةٌ فَلْيَقُ

(١) يقول : لما قرب الرسول أعشى بصره لمان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان
سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمان الأسلحة حواليه . وقال العسكري : الضمير في
« مكانه » للرسول : أي حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمان الحديد في عسكر
سيف الدولة .

(٢) في البساط : يروى في السباط ؛ والسباط : صف يقومون بين يدي الملك .
وقوله إلى البحر : أي إلى البحر ، حذف همزة الاستفهام . ويرتقي : يصعد ، يقول :
وأقبل الرسول يمشي إليك بين السباطين فضبه من هيبتك مالا يمرض مثله إلا لن قصد
إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، لعظم ما عاين .

(٣) لم يثنك : لم يصرفك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونمق الكلام : زينه : يقول : لم يجد
الأعداء شيئاً يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دماهم مثل أن يخضعوا لك في
كتاب يكتبونه إليك لأنك لاتدفع بالمقاومة . ولعله من قول أبي تمام :

فَخَاطَ لَهُ الْأَقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُمَانَهُ إِذْ لَمْ تَحْطَهُ قِبَالَهُ
وقوله أيضاً :

عَدَا خَائِفًا يَهْتَجِدُ الْكُتْبَ مَدْعَا عَلَيْكَ فَلَا رُسُلَ تَمْتَنُكَ وَلَا كُتُبَ

(٤) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدمستق : القائد من
قواد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكابته كتبت إليه بما تحدته

(١) الجنانج : عظام الصدر : ويروى ججاجم .

فَإِنْ تُمْطِرُ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلٌ^(١) وَإِنْ تُمْطِرُ حَدَّ الْحَسَامِ فَأَخْلِقِ^(٢)
 وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمْ^(٣) أُسَيْراً لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ^(٤)
 لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا^(٥) وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ^(٦)
 بَلَعْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً^(٧) أَثْرَتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ^(٨)
 إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقِ^(٩) أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْخَلْقِ^(١٠)

صيوفاك في قذال الدمستق من الجراحات : أى إن هذه الجراحات التي تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لانه يتبين بها كيفية الامر كما تتبين بالكتاب - وكان الدمستق قد جرح في بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار النبي إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ما ظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًا وَنَمْنَةً ضَرَبْنَا وَطَفْنَا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
 كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطْتَ بِهَا لَامًا وَلَا أَلْفَا
 فَإِنْ أَلْطَا يَانِكَارٍ قَدْ تَرَكْتَ وَجُوهُهُمْ بِالذِي أَوْلَيْتَهُمْ صُحْفَا

[المشق : مد الحروف ؛ والنميمة : النقش ؛ والصلف : جمع صليف ، صفحة العنق والظلمة يانكار - بالطاء والظاء - لازموه ولم يفارقوه] :

(١) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خالق بهذا أى جدير به . يقول : فإن أعطيته ما يطلب من الأمان فهو سائل يسألك ؛ وأنت لا تخيب سائلا ، وإن قتلته فهو جدير بذلك لأنه حرى مباح الدم .

(٢) البيض : السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعتق .

(٣) الضمير في شفراتها : للبيض الصوارم ؛ وشفرة السيف : حده ؛ والزردق : الصف من الناس - تعريب رسته . يقول : إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حق أفنتهم . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا بِنَفْسِهِمْ رِضًا لِلَّهِ مَصْفُوفِ الْقَنَا الْمَشَاجِرِ

(٤) وصفه بالنور لبعده صيته وشهرة اسمه في الناس كشهرة النور المستضاء به . يقول : هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيقي اشتهاه النور في المشرق والمغرب .

(٥) الأحق : الجاهل الذي لا عقل له . يقول : إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من

وَمَا كَمَدُ الْخَنَادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرِقُ ^(١)
وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيُغْفِضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمْخَرِقٍ ^(٢)
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقٍ ^(٣)

أحق من الشعراء أمره باللاحق بي ؛ فهو بحمته يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر ، والقباز واللاحق استعارة من سباق الخيل .

وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يا طالباً مَسْمَاتَهُمْ لِيَنَالَهَا هِيَاثَ مِنْكَ غِبَارُ ذَلِكَ الْمَوَكِبِ
قيل إن الخالدين - أبا بكر وأخاه عثان - قالوا لسيف الدولة : إنك لتغالي في شعر النبي ، اقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها ، فدافعها زمانا ، ثم كررنا عليه ، فأعطاها هذه القصيدة : فلما أخذها قال عثان لأخيه أبي بكر : ما هذه من قصائده الطنانات فلائى شئ ، أعطانا ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملها شيئا .

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لي لم يطبقوا مزاحمتي فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق في تياره . وقال الخطيب التبريزي المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا المعجز لهم قصدت فيما خلده ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَلَمَّا وَسَا يَهْدَى بِهِ مِنْ هِجَائِنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمًا يُرْمَى فِي الْبَحْرِ يَغْرِقُ
(٢) المخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العيب والأباطيل : مأخوذة من الخرق ، وهو شئ يلبس به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

كَانَ سَيُوفِنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَحَارِيقُ بَأَيْدِي لَاعِيِنَا

يقول : يمتحن الناس بعقله ليعرف . اعندهم ثم يفضى مع علمه بذي العيب منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها . يقول : إن إغضاه عن هؤلاء العاشقين لا ينعفهم إذا كان يعرفهم بقلبه فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبارة العكبرى : يريد هو يفضى للمخرق إغضاه تجاوز وحلم لا إغضاه غيظ وسوء ، وغض العين

فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِزُهُ تَمْتَنِعْ ، وَيَا أَيُّهَا الْحَرُومُ يَمِّمَهُ تُرْزَقِ (١)
وَيَا أَجْبَنَ الْفَرَسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِيْ وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفْرُقِ (٢)
إِذَا سَعَتِ الْأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعَى مُحْنَقِ (٣)
وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ (٤)

لطرفها وكفها للحظها لا ينفع الموه الغالط والمقصر المخرق ، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه . وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي :

والنؤاد الذكي للناظرِ المطرِّقِ عينٌ يَرَى بها مِنْ وِراءِ

ولابن دريد :

ولم يَرَ قَبْلِي مُنْضِيًّا وَهُوَ نَاطِرٌ وَلَمْ يَرَ قَبْلِي سَاكِنًا يَتَكَلَّمُ

(١) يقول : يا من يطلب فيخاف طالبه كن جاراً له حتى تصير منيعاً لا يصل إليك

سوء ، ويا من حرم حظه من الرزق اقصد سائلاً تصر مرزوقاً ، فهو ذو نجدة يحمي الدمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريئاً إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقةً بنصرته .

ومن فارقه - وإن كان شجاعاً - فرق - خاف وفرغ - وصار جباناً ؛ قال علي بن جبلة :

بِدِ عِلْمِ الْإِعْطَاءِ كُلُّ مُبْخَلٍ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرَّوْعِ كُلُّ جَبَانٍ

وقال البحرى :

يَسْخُو الْبَخِيلُ - إِذْ رَأَى كَبْنَافَهُ وَالنَّكْسُ يَمْلَأُ مَضْرِبَ الصَّمَامِ

(٣) المحنق : الغضب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويطلوه سعى جده

- سعده - في إبطال كيدهم سعى محنق ، ويروى سعى جده في مجده : أى في تشييد مجده أى أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أبنيت الشيء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير

الفضل الأول : أى إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول : لا عينيك فضلك الظاهر إذا لم يملك جددك القاهر ، أى أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل صاحبه شيئاً ، قال حسان :

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه بين عقيل وقشير وبنى العجلان وكلاب لما عاتوا
في نواحي أعماله ، وقصدته إمام ، وإهلاك من أهلكه منهم ، وعضوه عن عفا بعد
تضارهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤ .

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْمَذْيَبِ وَبَارِقِ

مَجْرَى عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ ^(١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ بِفَضْلَةٍ مَا قَدْ كَسَرُوا فِي الْمَفَارِقِ ^(٢)

وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوْبَةَ تَحْتَهُ كَانَ ثَرَاهَا عَنَبَرٌ فِي الْمَرَافِقِ ^(٣)

رُبَّ حَيْلٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لِوَجْهِلٍ غَطَى عَلَيْهِ النِّعِيمُ

[الحلم : العقل ؛ والجهل : الخلق وعدم العقل] وقال ابن دريد :

لَا يَرْفَعُ الْجِدَّ بِلَالٍ وَلَا يَحْطُكُ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَسَلَا

(١) المذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسوابق :
الحيل ؛ وما بين : لك أن تجعله ظرفا لتذكرت ، ومجر عوالينا بدل منه بدل اشتغال ؛
كأنه قال مجر عوالينا فيه . ولك أن تجعل « ما » زائدة وبين المذيب : ظرفا لمجر ،
ومجرى - بفتح الميم وضمها - وهو ومجر : مصدران ميميان . يقول تذكرت زولنا
بين هذين الوضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان وتتسابق على الحيل .
يعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الحيل .

(٢) القنيس : الصيد ؛ والمفارق : جمع مفرق ، موضع افتراق الشعر من الرأس .
يقول : وتذكرت صحبة قوم صمالك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا
لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال ، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة
الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في
رؤوس الأعداء .

(٣) الثوبية : موضع بقرب الكوفة ؛ وتوسد الشيء : جعله كالوسادة تحت رأسه ؛
والمرافق : جمع مرفق ، مرفق اليد ؛ وثرأها : ثرابها . يقول : وتذكرت ليلا اتخذنا
فيه هذا المكان مخدات لنا : أى نمنا عليه وكان طيب التراب ، فكان ثرابه الذي
ارتفتنا به حين اتكأنا عليه عنبر في المرافق ، وقال ابن جنى : المرافق جمع مرفقة وهي
الوسادة . وهذا غير موافق لل مقام ، لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على

بِلَادٍ إِذَا زَارَ الْحَسَانَ بِغَيْرِهَا خَصَا تَرْبَهَا تَقْبِنَهُ لِلْمَخَانِقِ (١)
سَقَتْنِي بِهَا الْقَطْرُ بُرْبُلِي مَلِيحَةً

عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءَ صَادِقٍ (٢)

سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاطِرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقٍ (٣)

مشقة السفر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداوم والأرض وسائدم ، ولا يفتخر الصلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحترى :

فِي رَأْسٍ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لَوْلُوًّا وَتَرَابُهَا مِسْكٌ يَشَابُ بِمَنْبَرٍ

(١) بغيرها : حال من الحسان ؛ وحصى : فاعل زار ؛ والمخانيق : جمع مخنقة ، وهي القلادة . يقول : هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبته كما يثقب اللؤلؤ وجعلته قلائد لمن لحسنه ونفاسته ؛ وقال الخطيب التبريزي : إنما أراد ما يوجد حول الكوفة من الحصا الفروحي أي أن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر ، وحصاها ينوب عن الدر والياقوت ، كأن النساء يتحلين به وينظمنه في عقودهن . وفيه نظر إلى قول دعبل :

فَسَكَاتِنَا حَصْبًا وَهِيَ فِي أَرْضِهَا حَرَزُ الْعَمِيقِ نُظْمِنَ فِي سِلَاحِ

(٢) قطربل : ضيعة من أعمال بغداد ، تنسب إليها الحمر القطربلية ، وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء ؛ ومن وعدها ؛ نعت لكاذب يقول سقتني الشراب القطربلي امرأة مليحة على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق : أي يستحسن كلامها فيقبل كذبتها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد ، أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفي مثله يقول منصور النخعي :

تَعَلَّلَهُ مِنْهَا غَدَاةَ يَرَى لَهَا ظَوَاهِرَ صِدْقٍ وَالبِوَاطِنَ زُورٍ

(٣) قال ابن جنى : أي قد اجتمعت فيها — أي المليحة — الأضداد ، فعاشقها لاينام شوقاً إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهي سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جنى — كما ترى — إلى أن البيت صفة للمليحة ؛ وقال العروضي : إنما يصف القطربلي — الحمر — والحمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ، وهي — بشعاعها — كالشمس للناطر ، وهي ترخي الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهي طيبة الرائحة فتمسك لمن شمها ، والأظهر ما ذهب إليه ابن جنى . وقد عاب ابن وكيع على المتنبي هذا ، وقال ينفى : أن يقول :

وَأَعْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ^(١)
أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْ تَارَ مِزْهَرَ
بَلَا كُلُّ تَمَعٍ عَنِ سِوَاهَا بِعَاتِقٍ^(٢)
يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلَامٍ مُرَاهِقٍ^(٣)
وَمَا الْخُنُنُ فِي وَجْهِ الْقَتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَأَتْلَى لَاتِقٍ^(٤)

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ وسقم لأبدان وبره سقام

حتى يصح التقسيم والعباق .

(١) وأعيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر - على إضمار رب - والأعيد :
الناعم المثني لنا . يقول : وسقاني أعيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق
يميل إليه جبالجسه ، والعاقل العفيف - الذي لا يفسق - يصبو إلى روحه لحفته
وظرفه . وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

فَتَنَّتَنِي وَصَيْفَةٌ كَالْفِطَامِ الْمُرَاهِقِ

هَمَّةُ النَّاسِكِ الْعَفِيفِ وَسُؤْلُ الْمُنَافِقِ

(٢) المزهر : العود ؛ والعائق : اللانع . يقول : إذا تناول العود جس الأوتار أتى
بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه ، كما قال الآخر :

إِذَا مَا حَنَّ مِزْهَرُهَا إِلَيْهَا وَحَنَّتْ نَحْوَهُ أَذِنَ الْكِرَامُ

وَأَصْفَوْا نَحْوَهَا الْأَسْمَاعَ حَتَّى كَانَهُمْ - وَمَا نَامُوا - نِيَامٌ

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد ، وإما لأنه يحفظ الأبيات
الحلوة والأشعار النادرة ؛ ويؤكد هذا البيت التالي .

(٣) عاد : هي تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذي قد راهق اللحم - أي
دافاه وقاربه - يقول : إنه يأتي بالألحان القديمة والأشعار التي قلت في الدهور الماضية ،
فهو بغنائمه يحدث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبارة ابن
جنى : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٤) صمير يكن : للحسن . والحلائق : كالثمائل - الحصال - أي الأخلاق .

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمَوَافِقِ وَلَا أَهْلُهُ الْأَذْنُونَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ (١)
وَجَاوِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمُنَافِقِ (٢)

يقول : إذا لم تكن أفعال النقي وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفاً له ، قال
العباس بن مرداس :

وَمَا عِظْمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ نَخْرُمُ كَرَمَهُمْ وَخَيْرٌ
وقال الفرزدق :

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجِسْمِ وَطَوْلِهَا إِذَا لَمْ يَزِنْ حَسْنَ الْجِسْمِ عُقُولُ
وقال دعبل :

وَمَا حُسْنَ الْجِسْمِ لَهُمْ بَزِينٌ إِذَا كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ قَبَاحًا

(١) الأذنون : الأقربون - جمع أدنى - والأصادق : جمع أصدقاء ، جمع صديق
قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الإنسان إلا ما يوافقته ،
ولا أقاربه إلا أصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان واقفه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم
صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأذنون . قال المكبرى : وأخذ صدره
من قول القائل :

يُسْرُ الْفَتَى وَطَنُ لَهُ وَالْفَقْرُ فِي الْأَوْطَانِ غُرْبَةٌ
وأخذ مجزئه من قول الآخر :

دَعْوَتُْ وَقَدْ دَهَنْتِي دَاهِيَاتٌ وَلِلْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ طَرُوقُ
صَدِيقًا لَا شَقِيقًا فِيهِ غِلٌّ أَلَا إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلتزمها ،
ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال المكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره
لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا مخلص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى :
يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدم
بيدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

وَالْمَيْنُ تَقْلَمُ مِنْ عَيْنِي مَهْدِيهَا مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
ويقول القائل :

خَلَيْتُ لِلْبَغْضَاءِ حَالٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ

برأى من أُنقادت عُقَيْلٍ إِلَى الرَّدَى
 أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى
 فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعِ
 لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذِ
 وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا نِيَابًا طَفَفُوا بِهَا
 وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ
 وَإِشْمَاتٍ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطٍ خَالِقِ^(١)
 وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَاقِقِ^(٢)
 وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَاقِقِ^(٣)
 وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَا حَقِ^(٤)
 رَمَى كُلَّ نَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ^(٥)
 سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ^(٦)

(١) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء الجيش الذى أوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذى أشار على عقيل هذه أن يعصك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشتموا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟ يعنى أنهم أساءوا فى هذا التدبير .

(٢) على : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل : الجيش العظيم ؛ والذى يعجز الورى : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذى يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذى يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرة وازدحامه ؛ يعنى أنه لا يقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٣) يقول حين عصوه وقتلوه بسطوا أ كفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بنى عقيل — وأنهم كانوا فى تلك الحرب جزر السيوف وغرض الحتوف .

(٤) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب ؛ يعنى أنهم لم يؤثروا من ضعف فى حربهم ولا من تقصير فى هربهم ، ولكنهم رأوا من لا يوافق فى حرب ولا يمتنع منه هرب .

(٥) كعب : قبيلة منهم ؛ وطفنوا تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طفنوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وقتيلهم ، فكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته .

(٦) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله : سقى غيره : أى سقاهم كأس الموت فى غير بوارق الغيث ؛ يعنى فى بوارق السيوف .

وَمَا يُوجِعُ الْحِزْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ
كَأَيُّوجِعُ الْحِزْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ (١)
أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا سَنَابِكهَا تَحْشَوُ بَطُونَ الْحِمَالِقِ (٢)
عَوَابِسَ حَتَّى يَأْسُ الْمَاءَ حَزْمَهَا فَهِنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالنَّاطِقِ (٣)

والعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاهم من عسكره في مثل السحاب البارقة ، فكانت ضد السحاب التي أحسن إليهم بها فكفروا بها . وفي مثل هذا يقول البحرى :

لَقَدْ نَشَأْتُ بِالشَّامِ مِنْكَ سَحَابَةٌ تَوَقَّلْ جَدْوَاهَا وَبُحْشَى دَمَارُهَا
فَإِنْ سَأَلُوا كَانَتْ غَمَامَةً وَابِلٍ وَغَيْثًا وَإِلَّا فَالْمَمَارُ قِطَارُهَا

(١) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبني كعب لما حرمت أنفسهم فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة ساجدة — : وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا أصدقاء خرموا فضله ورفده .

(٢) بها : أى بالخيول — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال : محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : الفبار . والقنا : الرماح ؛ والسنايك : أطراف الحوافر ؛ والحمايق — بحذف الياء ، لأنها الحمايق — جمع حملاق : بطن جفن العين . يقول : أتاهم بالخيول وقد أحاطت بها الرماح والفبار فهي حشو هذين ، وحوافرها تحشو العينون بما تثير من الفبار . وقال العروصى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رءوس القتلى فتحشو حماليتها بسنايكها ، كما قال :

* وَمَوَاطِنُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ *

فأما أن يرتفع الفبار فيدخل في العينون فلا كثير افتخار في هذا .

(٣) عوابس : حال — أى كالحلة لما أصابها من الجهد — ؛ وحلى : من الحلية . وأراد ييايس الماء : ما جف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف ايض ؛ والحزم : جمع حزام ؛ والناطق : جمع منطقة ، ما يشد به الوسط . يقول : أتتهم الخيل كالحلة وقد جف العرق على حزمها فايض ، فصارت الحزم كأنها الناطق المحلاة بالنفضة .

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمِرِ طَوَالَ الْعَوَالِي فِي طَوَالِ السَّمَائِقِ (١)
 وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَعْدَةٍ وَغَيْرِهَا قِبَائِلَ لَا تُعْطَى الْقَفِيَّ لِسَائِقِ (٢)
 قُسَيْرٌ وَبَلْمَجْجَانِ لَانَ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءِينَ فِي أَلْفَاطِ أَلْتَنَغِ نَاطِقِ (٣)
 تُخَلِّبُهُمُ النَّسْوَانَ غَيْرَ فَوَارِكِ وَهُمْ خَلَوْا النَّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ (٤)
 يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا بِضَرْبِ يُسَلِّي حَرَّهُ كُلَّ عَاشِقِ (٥)
 أَتَى الظَّنَّ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ مِنْ أَلْتَلْخِيلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ (٦)

(١) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالي الرماح ؛ والسماقي : جمع سملق ، للفازة المستوية الأرض للترامية الأطراف . يقول : لبت أباك حي فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة في المفاوز الطوال .
 (٢) القفي : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : ويراك تسوق أمامك من بني معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولى أقيمتها من يسوقها ، يعني ؛ إنك أذلت من العرب من لم يذله غيرك . واللام في لسائق : زيادة في التوكيد .

(٣) بلعجلان : يريد بني العجلان ، حذف النون لمشايتها اللام ، كما قالوا في بني الحارث : بلحارث . وقوله فيها : أي القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبدد شملهما بين ما تبدد من القبائل التي هربت بين يديك ، فقلنا وخفيتا فيها خفاء راءين في لفظ ألتغ إذا كرهها ؛ وفيه إشارة إلى كثرة الجموع التي ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالحرب .

(٤) فركت المرأة : إذا أبغضت الزوج ، فهي فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف وتشقتهم في كل وجه تركت النساء أزاجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دَعَانَا النِّسَاءُ إِذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا دُعَاءَ نِسَاءٍ لَمْ يُفَارِقَنَّ عَنْ قَلِيٍّ

(٥) الضمير في يفرق : لسيف الدولة ؛ والكمأة : الأبطال عليهم السلاح - جمع كمي - والضمير في بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نساءهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه : أي أن شدة ذلك الضرب أنستهم حيطة أحببتهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر في هربهم منه .

(٦) الظنن : جمع ظئنة ، وهي النساء في الهوادج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش ،

بِكُلِّ فَلَاةٍ تُفَكِّرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا
ظَعَانُ حُمْرِ الْحَلِيِّ حُمْرُ الْأَيَاتِقِ (١)
وَمَلُومَةٌ سَنِيفِيَّةٌ رَبِيعِيَّةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيحَ اللَّقَالِقِ (٢)
بَعِيدَةٌ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةٌ بَيْنَ الْبَيْضِ غَيْرُ الْيَلَامِقِ (٣)

مارشرش من الدم ونحوه ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية التى قد أدركت
وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان
فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم
بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه :
أتى الطعن حتى ما يطير رشاشه : الطعن - بالطاء المهملة ؛ ورشاشه : بالماء ضمير
الطعن أى طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء : أى أنه غزا
العدو فى عقر داره .

(١) بكل : خبر مقدم ، وظعائن : مبتدأ مؤخر . والظعائن : جمع طعينة ، وهى
النساء المحمولات فى الهوداج ، وحر الحلى : أى أن حلين الذهب ، والأياتق : جمع
أيتق ، جمع ناقة : أى أنهن من الأشراف . ذوى اليسار حلين الذهب ومركوبين
النياق الحمر - وهى أكرم النياق عند العرب - يقول : إنهم أبدوا فى الحرب حتى
انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لاعددها بالأنس ، ومع ذلك أدركهم ، فما ينفعهم
هربهم ؛ أو تقول : حمر الحلى وحر الاياتق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق
فحمر حلين ونوقهن ؛ فيكون الكلام متصلا بما قبله .

(٢) وملومة : عطف على ظعائن ؛ والسكنية : الملومة المجتمعة ؛ وسيفية نسبة إلى
سيف الدولة : وربعية : لأنه من ربعية ، واللقالق : جمع لقلق ، طائر كبير كثير فى
العراق . ويصيح الحصى فيها : أى عند وقع حوافر الخيل عليه . شبه صوت الحصى
بصوت اللقالق . يقول : إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة .

(٣) بعيدة : صفة للملومة ؛ والقنا : الرماح ؛ والبيض : جمع بيضة : الخوذة تكون
على الرأس ؛ واليلامق : الأقبية ، جمع يلقى : وغبر : جمع أغبر ، وكان الوجه أن يقول
غبراء اليلامق ، لأنها صفة للسكنية ، لكنه جمع ذهابا إلى المعنى ، لأن السكنية جماعة ،
وهذا كما تقول : مررت بكثبية صفر الأعلام طوال الرماح : يقول : إن رماحهم طويلة
قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متسكافون مجتمعون ، لازدحامهم ،

نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ فَمَا تَبْتَنِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ ^(١)
 تَوَهَّمَهَا الْأَعْرَابُ سُورَةَ مُتَرَفٍ تَذَكَّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السَّرَادِقِ ^(٢)
 فَذَكَرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةً غَبَّرَتْ سَمَاوَةَ كَلْبٍ فِي أَنْوْفِ الْخَزَائِقِ ^(٣)

فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفي هذا إشارة إلى أن الفلوات التي لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجدم فقد أقحمها عليهم ولم يتيب اختراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يفضيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرَيْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لِالسُّلْبِ

(٢) السورة : الوثبة ؛ والهاء في توهمها : للسورة ؛ أي توهم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسره بـمفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : للتنعم ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرادق : ما يدار حول الخيمة من خقق بلا سقف . يقول : توهم الأعراب أن حرك سورة متمم إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعم كمادة الملوك فانصرف عنهم وتركهم هرباً من العطش والحرق ؛ وفي هذا نظر إلى قول البحري :

أَلْوْفُ الدِّيَارِ فَإِنَّ أَرْمَعَ التَّرْحُلِ حَرَّمَ لِيَطَانَهَا

إِذَا هُمْ لَمْ يَهْتَدِمْ عَزَمَهُ مَقَاصِيرُ يَعْتَادُ أَكْفَانَهَا

وإلى قول منصور العمري :

كَذَبَ الْعِدَا لَوْ كُنْتَ صَاحِبَ نِعْمَةٍ صَرَعَتْكَ بَيْنَ إِقَامَةٍ وَكَلَالِ

(٣) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أي سماوة بني كلب ، وهي بركة معروفة بناحية العواصم ؛ والخزائق : جمع خزيقة ، وهي الجماعة . يقول : في هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أي حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم في بركة السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعني عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تبجمهم .

وَكَانُوا يَرَوُعُونَ الْمُلُوكَ بَأْنَ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبَتَ الْفَلَاقِقِ^(١)
فَهَا جُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ
وَأَبْدَى بِيُوتَا مِنْ أَدَاحِي الْفَنَاقِقِ^(٢)
وَأَصْبَرَ عَنَ أُمُوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ وَأَلَفَ مِنْهَا مُقَلَّةً لِلْوَدَائِقِ^(٣)

(١) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخففة من التثنية ؛ والضمير في نبتت : للملوك . والفلاقق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشأوا في البادية فلا يكثرثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء : وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه - أى في جواره - كما ينشأ الطحلب في الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .

(٢) أهدي : أفضل تفضيل - من الهداية - وهو حال من ضمير مخاطب ؛ والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا : لأن كل جمع بينه وبين واحد التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى - ككرسى - موضع يرض النعام من الرمل ؛ والفنائق : جمع النفق ، ذكر النعام . يقول : فهججوك وأثاروك عليهم بمصائبهم فكنت أهدي إليهم في الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لا عش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(٣) الضباب . جمع ضب ، الدوية البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة ؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرءوس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها ودقت إلى كل شئ . أى وصلت إليه . قال أبو المثلم الهذلي يرثى صخرأ :

حامي الحقيقة نسالُ الوديقة مغتاق الوسيقة لا نكسُّ ولا واني^(١)

(١) قبله :

أبي الهضيمة نأبٍ بالعظيمة متلاف الكريمة جلد غير ثنيان

قال ابن الأعرابي : يقال فلان يحمي الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا في وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريدة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذي إذا طرد عليه طريدة أنجأها وسبق بها .

وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكَتْهَا مُهْلَبَةَ الْأُذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ (١)
فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلِكَ رَاحَةَ

وَلَكِنْ كَفَاهَا الْبَرُّ قَطَعَ الشُّوَاهِقِ (٢)

وَلَا شَفَلُوا صُمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ

عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنِ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ (٣)

وأصبر : عطف على أهدى - في البيت السابق - . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب - والضب لا يرد الماء قط - وكنت آلف مقلة للهجير - شدة الحر - من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا في تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدامنه من الأيد والجلد .

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديرًا : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا رددته في حنجرته ؛ والمهلبة : اللقوعة الهلب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهي لهامة البعير إذا هدر أخرجها من فمه يقول : كان طغيانهم وغهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم - فحل كريم - هو سيف الدولة - مصعب فضعمها - عضها بلاء فمه - أي نال منها - وسار عليها فتركها - صيرها مهلبة الأذنان ساكنة الهدير ، يعني أذلم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنانها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

أَبَى صِفْرُ الْأُذْنَابِ أَنْ تَحْطُرُوا بِهَا

والمنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستدل بقطع الأذنان ، وسكنتها بعلبتك عليها فانتقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشوايق : جمع شاقق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجمهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لو لم تذهب إليهم لقصدت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير في البرارى عن تجشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه في الأرض قائمًا لا يطمئن به ؛ والدماشق : جمع دمهشق - على حذف التاء - والدمهشق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا وَيَجْعَلُ أَيْدِيَ الْأَسَدِ أَيْدِيَ الْخِرَانِقِ (١)
 وَقَدْ عَابَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَصْرَعِ مَارِقِ (٢)
 تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضِمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَّاقِ (٣)
 وَلَا تَرِدَ الْفُذْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ (٤)

تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم، فهم إنما شغلوا رماحك بحجرهم عن دمار قلوب قواد الروم: أي فلا راحة لحيلك ولا لسلاحك.

(١) المسخ: قلب الخلق؛ والخرانيق: جمع خرنيق - بكسر الخاء - وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها. يريد بمسخته الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جناء والأقوياء ضعفاء، فتصير الأيدي القوية التي كأنها أيدي الأسد أيديا ضعيفة كأنها أيدي الأرانب. وعبارة العكبري: ألم يحذر الأعداء سطوته التي هي على عدوه كالسوخ الذي يقبل الخلق ويقبح الصور ويعيد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدي الأسد من أعدائه وقد تناهت في القوة كأيدي الخرانيق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار؟ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

لَوْ أَنَّ أَيْدِيَكُمْ طُولًا قَصَّرَتْ عَنْهُ فَكَيْفَ تَكُونُ وَهِيَ قِصَارُ

(٢) وقد عابنوه: حال من ضمير يحذروا - في البيت السابق - والمارق في الأصل: الذي يمرق من الدين؛ والمراد: الخارج عن الطاعة - من مروق السهم - والمصرع: مصدر صرعه، إذا طرحه على الأرض؛ ويراد به القتل. يقول: قد عابنوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديراً بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصي المتمرد عليه حتى يعتبر الثاني بالأول، كما قال أشجع:

شَدَّ الْخَطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يَخْطَمْ

(٣) القضم: أكل الشيء اليابس؛ والهام: الرءوس؛ والعلائق: جمع عليقة، وهي الخلالة تعلق من رأس الدابة لتعتلف؛ وجنوبها: نواحيها. قال ابن جني: سألته - المتنبى - عن معنى هذا البيت فقال: الفرس إذا علقت عليه الخلالة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم ياكل؛ فخيله أبداً إذا أعطيت عليقتها رفته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها، فقد تعودت خيله ذلك في غزواتها.

(٤) ولا ترد: عطف على لا تقضم؛ والفدران: جمع غدير، وهو ما غدره السيل - تركه - والشقائق: نور أحمر؛ يقال له شقائق النعمان، قال ابن جني: أي

لَوْفَدُ نَمِيرٌ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمْ وَقَدْ طَرَدُوا الْأَطْمَانَ طَرَدَ الْوَسَائِقِ (١)
أَعَدُّ رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ (٢)

لكثرة ما قتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم، والساء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق، وماء الغدير أخضر من الطحلب فشبّه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق. وقال ابن فورجه: إنما يعني أنه لا يروم الهويونا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء، كما قال بشار:

فَتَى لَا يَبِيْتُ كُلِّي دِمْنَةً وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بَدَمٌ

وقال المكبري: ويجوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة، ولا تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفك من دماء أعدائه كالريحان في خضرته إذا استبان تحت الشقائق، واستولت بجمرتها على جلته؛ وأشار بخضرة الماء إلى صفاته وكثرته، ونبه بذلك على جمومه، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه صفته، وترد منه ما هذه حقيقة؛ وفيه نظر إلى قول جرير:

وما زالت القتل تمر دماؤها بدجلة حتى ماه دجلة أشكل (١)

(١) لوفد: اللام للابتداء؛ والوفد: القوم الوافدون؛ ونمير: قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة - كما سيذكر في البيت التالي - والأطمان: جمع ظعن، جمع ظعينة، للمرأة مادامت في الهودج. والوسائق: جمع وصيقة: الطريدة من الغنم أو الإبل. يقول: إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بني نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين وطرّدوا نساءهم كما تطرّد الوسائق.

(٢) ضمير رد: للخضوع؛ وغرب كل شيء: حده. والفياق: جمع فيلق، القطعة من الجيش. يقول: إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين قمام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم، وهذا كما يقول أبو تمام:

فحاط له الإقرار بالذنب روجه وجنانه إذ لم تحطه قنابله

(١) تمر: نجري؛ وأشكل: فيه بياض وحمرة، قد اختلط.

فَلَمْ أَرَ أَرْقَى مِنْهُ غَيْرَ مُحَاتِلٍ وَأَمْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقٍ (١)
تَصِيبُ الْجَانِيقِ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ دَقَائِقٌ قَدْ أُعْيَتْ قِيسَ الْبِنَادِقِ (٢)

وقال في صباه يمدح أبا المتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضى الأزدي :

أَرْقَى عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّ (٣)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ (٤)

(١) المحاتل : المتحاح ؛ والمسارق ؛ الذى يتربص غفلة . يقول : لم أر أحداً يرمى أعداءه جهاراً ويسرى إلى أعدائه معالنا غير مسركا يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج إلى المحاتلة والمسارقة في الظفر بدوه ، وفي هذا يقول البحرى :

فَنَدْرِكُ بِالْإِقْدَامِ بُغَيْقَنَا الَّتِي نَطَالِبُهَا لَا بِالْخُدَيْعَةِ وَالْمَكْرِ

وهو معنى قديم .

(٢) الجانيق : جمع منجنيق ، آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون في الحصار ؛ والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب المسكاني . والبنادق : جمع بندقة ، ما يعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه يقدر على ما لا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رمية وتمذر ضبطه من الأشياء الدقيقة ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التي ترمى بها البنادق ، يعنى أنه معان موفق مؤيد .

(٣) الأرق : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقه - من حزن أو عشق - . والعبرة : الدسعة تتردد في العين ؛ وتقول : رقرقت الماء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول : لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثل بمن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه ، وحرقته تزداد كل يوم ودমেه بسيل .

(٤) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد - بالفتح - المشقة ، والمضام الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لفتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين : خبرا عن جهد الصبابة ، وأن تكون في موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التي أنا فيها ، وقال البحرى :

مَالَا حَ بَرَقَ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا أَنْذَنْتُ وُلَى فُوَادُ شَيْقٍ^(١)
 جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُ عَمَّا تَحْرِقُ^(٢)
 وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ
 فَمَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَفْشِقُ^(٣)

هل غاية الشوق المبرح غير أن يملؤ نسيج أو تفيض مدامع

(١) انثنت : رجعت ؛ ولى فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمان البرق بهيج العاشق ومحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجمة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذى هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير في أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تَغَى الْقُمْرَى إِلَّا شَجَانِي وَغَنَاهُ الْقُمْرَى لِلصَّبِّ شَاجِي

(٢) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى نارا تكمل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفئ عنه ولا تحرقه . يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْ كَانَ قَلْبِي فِي نَارٍ لِأَحْرِقَهَا لِأَنَّ إِحْرَاقَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ

فما - من قوله ماتنطفئ - : مصدرية ؛ والضمير في تحرق : نار الهوى ؛ وعمما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفئ - كما يقول العكبرى - محذوف على رأى البصريين في إعمال ثانى الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفححت عن زيد ، محذفت معمول الأول لدلالة الثانى عليه ؛ وحببتهم أن الثانى أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول . لأنه أسبق في الذكر ، وقد جاء في الكتاب العزيز إعمال الثانى . فهو دليل «للبصرى» ، وجاء في أشعار العرب إعمال الأول ففي القرآن «آتونى أفرغ عليه قطرا . هاؤم أقرءوا كتابيه» وفي البيت محذوفان هذا الذى ذكرناه ؛ والثانى حذف العائد إلى «ما» الثانية من صلتها ؛ وفيه حذفان آخران تقديرها جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى .

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية فى الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أى من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس ما يوجب الموت ، وإنما الذى يوجبه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر فى النفوس أن الموت فى أعلى مراتب الشدة قال : لما ذقت العشق وعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق !

وَعَذَرْتَهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَزَّيْتَهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا (١)
 أَيْبِنَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ أَيْبِنَا غَرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ (٢)
 نَبِيكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَشْرِ بِجَهَنَّمِ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا (٣)
 أَيْنَ الْأَكْسِرَةِ الْجِسَابِرَةُ الْآلِي
 كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا يَقِينَ وَلَا بَقُوا (٤)
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءَ بِحَيْشِهِ حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لِحَدِّ ضَيْقِ (٥)

(١) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق في وقوعهم في العشق وفي جزعهم وعرفت أني أذنبت بتصيرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت في العشق من الشدائد ما لقوا، وفي مثل هذا يقول علي بن الجهم:

وقد كنتُ بالعشاق أهزأ مرةً وها أنا بالعشاق أصبحتُ باكيًا

ويقول أبو الشيص:

وكنتُ إذا رأيتُ فتىً يُبكي على شجنِ هزأتُ إذا خلوتُ
 وأحسبني أدالَ اللهُ مِنِّي فصيرتُ إذا بصرتُ بهِ بكيتُ

(٢) نطق الغراب ونطق: صاح. انتقل أبو الطيب من النسيب إلى الوعظ وذكر الموت، ومثل هذا — كما قال الواحدى — يستحسن في المرأى لافي المدح. وقوله: أَيْبِنَا: أى يا إخواننا. يجوز أن يكون نداء لجميع الناس — لأن الناس كلهم بنو آدم — ويجوز أن يريد قوما مخصوصين: إما العرب، وإما رهطه وقبيلته. يقول: نحن نازلون في منازل يتفرق عنها أهلها بالموت. وإنما ذكر غراب البين لأن العرب تتشام بصياح الغراب، يقولون: إذا صاح الغراب في دار تفرق أهلها، وهو كثير في أشعارهم. (٣) مثله:

لا يُلبثُ القراءُ أن يتفرقوا لئلا يكره عليهم ونهارُ

(٤) الألى: أى الذين، ويقين: أى الكنوز؛ وبقوا: أى الأكسرة.

(٥) من — فى أول البيت — للتفسير؛ والجار والمجرور فى موضع الحال من الأكسرة؛ ومن — المضافة إليها كل — نكرة موصوفة. والجملة بعدها: صفها. ونوى: أى أقام فى قبره؛ وبروى: نوى، أى هلك. يقول: أولئك الذين ذكرناهم من كل

خُرُسٌ إِذَا نُودُوا كَانَ لَمْ يَفْلَمُوا أَنْ الْكَلَامَ لَمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ^(١)
 وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفُوسُ تَفَائِسُ وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ^(٢)
 وَالْمَرْءُ يَأْمَلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَةٌ وَالشَّيْبُ أَوْ قَرُّ وَالشَّبِيَّةُ أَنْزِقُ^(٣)
 وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَوَلَّتِي مُسَوَّدَةٌ وَلِمَاءَ وَجْهِ رَوَتْ^(٤)
 حَذْرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ^(٥)

ملك كثر جنوده حتى ضاق بهم الغضاء لجمعه لحد - شق في جانب قبر - ضيق بعد أن كان الغضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

وأصبح في لحدٍ من الأرض ضيقٌ وكانت به حياً تضيقُ الصحاحُ

« الصحاح : جمع صحصح : الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء »

(١) يقول : إنهم موتى لا يحيون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالمعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن ، لأن الميت لا يوصف بما ذكره قاله الواحدى .

(٢) النطيس : الشيء الذى ينفس به ؛ أى يرضن به ؛ والمستعر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والكيس لا يفتخر بما جمعه من الدنيا لعله أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئاً ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى المستعر : أى الذى يطلب العز بما له هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وإن امرأاً أمين الزمان ن لمستعزراً أحمقاً

(٣) شبية : مشتبهة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيب . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يبيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الطيش والحفة .

(٤) اللثة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونىق : الحسن والنضارة .

(٥) حذراً : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف «قد» ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام يقول : لكثرة دموعى كاد يشرق بها جفنى : أى يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يلبق ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفنى أشرق ريقى ، وفى هذين البيتين نظر إلى قول الآخر - وهو من باب غير هذا الباب - :

أَمَا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا فَأَعَزُّ مَنْ تُحَدَى إِلَيْهِ الْأَيْتُ (١)
كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشَّمْسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ (٢)
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضِ سَحَابٍ أَكْفُهُمْ
مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ (٣)

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً عَنِّي بِذَلِكَ الرِّضَا بِمَفْتَبِطٍ
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتَّبِعُهُ مِنْكَ التَّجَنُّيَ وَكَثْرَةَ السَّخَطِ

(١) الأيتى : النياق ، جمع ناقة - على غير قياس - والقياس : الأتوق يقول :
إن قوم هذا للمدوح أعز الناس لمنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يقصد ويرى إليه الطلاب
والقصاد ويحدون جمالهم . قال الواحدى : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمى الرضا -
بضم الراء - وهو اسم صنم ؛ وأراد ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون
ابن عبد مناف .

(٢) جعلهم كالشموس فى علو ذكركم واشتبارهم أو فى حسن وجوههم . يقول :
كبرت لله - أى قلت الله أكبر - تعجباً من قدرته حين أطلع شمساً لا من المشرق ،
وكانت منازل المدوحين فى جهة المغرب : قال العكبرى : وإنما جمع الشموس ليجعل
كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها
وغروبها وازدياد حرها وانتقاصه وتغير لونها فى الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس
الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى « رب المشرقين
ورب المغربين » و « رب المشرق والمغرب » وقال الله تعالى « والله المشرق والمغرب »
وقال النخعي :

حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لِمَعَانِ بَرَقَ أَوْ شَاعَ شَمْسُ

(٣) يقول : إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى
أيديهم على ندى السحاب : أى كان من حقها أن تلين حتى تثبت الورق وهذا من قول
البحترى يصف أيام للتوكل :

أَشْرَقَنَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطَبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ

ويقول أبو الشمقمق - وكان مع طاهر بن الحسين فى حراقة فى دجلة - :

وَتَفُوحٌ مِنْ طَيْبِ الشَّنَاءِ رَوَّاحٌ (١)
لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ (١)
مِنْ سَكِيَّةِ النَّفْحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا (٢)
وَحَشِيَّةٌ بِسِوَاهُمْ لَا تَعْبِقُ (٢)
أَمْرِيْدٌ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا (٣)
لَا تَبْلُنَا بِطِلَابٍ مَالًا يُلْحَقُ (٣)

عَجِبْتُ لِحِرَافَةِ ابْنِ الْحَسَنِ كَيْفَ نَعَمُ وَلَا تَفْرَقُ
وَبِحِرَانٍ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَأَخْرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عَيْدَانِهَا وَقَدْ مَسَهَا كَيْفَ لَا تَوْرُقُ
ويقول مسلم :

لَوْ أَنَّ كَفَاً أَغْشَبَتْ لِسَاحَةَ لَبَدَا بِرَاحَتِهِ النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ

(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مكاتكم » والثناء يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة اللتين عليهم ، والله ابن الرومى حين يقول :

أَعْبَقْتَهُ مِنْ طَيْبِ رَيْحِكَ عَبَقَةً كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءَكَ السَّمُوعَا
ولآخر :

لَوْ كَانَ يُوْجَدُ رَيْحُ مُجَدِّ فَأَحْمَا لَوْجَدْتُهُ مِنْهُ طَلَى أَمِيَالٍ
ولابن الرومى أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنَى لَنَا مَنزَلَا فَقُلْ لَهُ يَمْشَى وَيَسْتَنْشَقُ

ومثله :

لَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمُوكُ لِقَادَهُمْ شَمِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(٢) النفحات : الروائح ؛ وتعبق : تفوح . يقول : روائح ما يسمع من الثناء عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ، يعنى لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يامن يريد أن يوجد له نظير لا تمتحننا بطلاب مالا بدرك ، أى أنه لا يوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول ابحترى :

وَلِئِنْ طَلَبْتُ نَظِيرَهُ لِيْ إِذْنِ لَمْ كَلِّفْ طَلِبَ الْمَحَالِ رِكَابِيْ

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ (١)
 يَأْذَا الَّذِي يَهَبُ الْجَزِيلَ وَعِنْدَهُ أُنَى عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَنْتَصَدَّقُ (٢)
 أَمْطِرْ عَلَى سَحَابِ جُودِكَ ثَرَّةً وَأَنْظُرْ إِلَى بَرِيحَةٍ لَا أَغْرَقُ (٣)

(١) يقول : إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلاً كان طلب مثله محالاً ، وعبارة العكبري : لا تطلب مثله ، فظني أنه لا يخلق الله مثل محمد ، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق في الأول ولا في الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثله لأبي الشيبان :

ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أَحَدٌ وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ
 ولا بن الرومي :

فهل من سبيل إلى مثله أبا الله ذلك على من خلق

وللحصني :

لم يكن في خليقة الله نِدٌّ لك فيما مضى وليس يكونُ
 (٢) وعنده : أي وفي اعتقاده أي إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته ، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ؛ والأصل في هذا قول زهير :
 تراه — إذا ماجئته — متهللاً كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ
 فقوله : أنتصدق ، أي أعطيه الصدقة وأهبها له : وقد جاء تصدق . بمعنى سأل ، وأنشدوا :

ولو أنهم رزقوا على أقدارهم للقيت أكثر من ترى يتصدق

(٣) ثرة : غزيرة كثيرة الماء . يقول : اجعل سحاب جودك ماطرأ على مطراً غزيراً ثم ارحمني بأن تحفظني من الفرق كيلا أغرق في كثرة مطرك وهذا ينظر إلى قول ابن أبي السمط في وصف سحابة :

حتى ظلمتُ أقول في إلحاحها بالوبل : هل أنا سالم لا أغرقُ

هذا : وقد قال ابن الشجري في أماليه تمليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلى لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجبين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، فحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

أوجدُ ميثاً قبيلَ أفقدُها

كما جاء في قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى^(١) *

أراد أن أحضر ، حذفها ؛ بذلك طى حذفها قوله : وأن أشهد اللذات . والثاني : أن يكون بالفاء مقدره ، وإذا كانت في الجواب مقدره ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع بإبائتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون حذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا^(٢)

وأما قوله تعالى « لا يضركم » في قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ، والثاني على التقديم والتأخير ، كأنه قال : « لا يضركم كيدهم » « وإن تصبروا وتيقوا » وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

* إنك إن يُصرَع أخوك تُصرَع^(٣) *

والثالث : أن يكون الضم للاتباع .

(١) من معلقة طرفة ، وقد تقدم شرحه في غير موضع من هذا الشرح

(٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقوله :

إِن بَسَلْ المرء من قتل ومن هريم للذة العيش أفناه الجـديدان
فإنما هذه الدنيا وزينتها كالزاد لا بد يوماً أنه فاني
من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله سـيـان

(٣) من رجز لم عمرو بن خنارم البجلي وهو :

يا أقرعُ بن حابس يا أقرعُ إني أخوك فانظرن ما تصنعُ
إنك إن يصرع أخوك تُصرعُ إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا
في باذخ من عز مجد يفرعُ به يضر قادرٌ وينفع
وأدفع الضيم غداً وأمنع عزُّ الدُّ شامخٌ لا يُقمع
يتبعه الناسُ ولا يُسْتقبُ هل هو إلا ذنبٌ وأكرعُ
وزمَع مؤنَّشِبٌ مجمَعُ وحسبٌ وغلٌ وأنفٌ أجدعُ

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةَ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ (١)

وقال في صباه ارتجالا :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقِي (٢)
وَكُلُّهُ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ (٣)
مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرَقِي (٤)

(١) كذب ابن فاعلة : أى كذب ابن زانية . كفى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا مادمت في الأحياء مرزوقا ؛ ويرى ترزق — بفتح التاء — أى ترزق الناس . أى تعطيم أرزاقهم ، والأولى أجود .
(٢) أى : استفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة في العلو إلا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيما .

(٣ و ٤) المرفق : وسط الرأس حيث يفرق الشعر وقوله وما لم يخلق : قال الواحدى : ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقا كذات الباري عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وأقرع بن حابس صحابى ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصرع الهلاك ؛ وزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالى . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : للرتفع . ويقمع : يقهر ويذل وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أرتاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق ، استعاره لأسفل الناس كالذئب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أى غير الصريح فى نسه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِنُ وَيَا قَلْبٍ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ^(١)
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بِنَا وَوَقُفْنَا فَرِيقِي هَوَى مِمَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ^(٢)
وَقَدْ صَارَتِ الْأَجْفَانُ قَرَحَى مِنْ الْبُكَاءِ
وَصَارَ بَهَاراً فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ^(٣)

(١) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شرطية التفسير ، كقوله تعالى « قل هو الله أحد » يؤجى : ابتدائية . وتأني - بحذف إحدى التاءين - أي تتمهل وتترفق ، والحزائيق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين ؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً - على مالك من علائق القرب - ممن أفارقه ؛ يعني أن الأعبة إذا فارقتني ذهب القلب معهم ففارقتني وفارقته . ومثله للعباس ابن أحنف .

تَفَرَّقَ قَلْبِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلَهُ دَرَى أَىَّ قَلْبٍ أُشَيِّعُ
وَلَاخِر :

كَانَ أَرْوَاحَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا أَوْ سِرْنَا فِي أَمْرِ الْحَىِّ الَّذِي سَارَا
(٢) البت : الحزن . وفريق هوى : نصب على الحال من الضمير في وقوفنا .
يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزنا أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق - وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه - وشائق - وهو الممشوق يشوق عاشقه - وجعل هذه الحالة تزيدنا حزنا ؛ لأن فراق الأعبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم .

(٣) قرحى : كجرحى ومرضى ، جمع قرح : أي جرح ، فهو بدون تنوين ؛ وقال ابن جنى : قلت له - للنتني - عند القراءة عليه قرحى : أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهى اسم لا وصف ، والبهار : زهراً نغراً ، والشقائق جمع شقيقة ، زهر أحمر يقال له شقائق النمان . يقول : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الحدود صفرة لأجل البين ، كما قال عبد الصمد بن العذل :

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ^(١) وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقٌ^(٢)
تَفْسِيرٌ حَالِيٌّ وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَيْبٌ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْفُرَاتِي^(٣)
سَلِ الْبَيْدَ : أَيْنَ الْجِنُّ مِنَّا بِمَجُوزِهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِيِّ : أَيْنَ مِنْهَا التَّفَاتِقُ^(٤)

بَاكَرَتُهُ الْخُتْمِيُّ وَرَاحَتْ عَلَيْهِ فَكَسْتَهُ حُمَى الرُّوَّاحِ بِهَارَا
لَمْ تَشْنُهُ لَمَّا أَحْتَّ وَلَكِنْ بِدَلَّتُهُ بِالْأَحْرَارِ اصْفَرَّارَا
وقال أبو تمام :

لَمْ تَشْنُ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ حَوَّلَتْ وَرَدَ وَجْنَتِيهِ بِهَارَا
وقال أيضاً :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ احْتِرَاقٌ يُعِيدُ بِنَفْسِنَجَا وَرَدَّ الْخُدُودِ

(١) اجتماع : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لهم اجتماع ؛ والجملة : حال . وقوله وميت : أى ومنهم ميت يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم ، يقون : على هذا مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، ومنهم قال - مبنغض - ووامق - محب - كما قال الأعشى :

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثِرْوَةٌ فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وقال الآخر :

وَمَا النَّاسُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ

هذا : وقد عاب أبا الطيب بعض المتحدلقين ، فقال كان ينبغي أن يقول : على ذا عهدنا الناس : راضٍ وساخط ، وميت ومولود ؛ أو يقول : اجتماع وفرقة ، وموت وولادة ، وقلى ومقعة .

(٢) الفراتي الشاب الناعم الجميل ، وجمعه غراتق - بفتح الغين - ويقال الفراتيق ، وهو فى الأصل طائر مائى يشبه السكركى . يقول : تمر الليالى وتجيء وهى على حالها وبمرها تغير حالى وشيبتى وهى لا تشيب . يعنى أن الزمان يبلى ولا يبلى .

(٣) جوز كل شئ : وسطه : والمهاري : جمع مهريه ، وهى الإبل المنسوبة إلى قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . ويجوز فى المهاري فتح الراء وكسرهما : - كصحارى وصحارى - بتشديد الياء وتخفيفها - قال رؤبة :

وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّ جَلَّتْ لَنَا
مُحْيَاكَ فِيهِ - فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالَقَ^(١)

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ بِنَا حَرَا جِيحُ الْمَهَارِي النَّفْهَ^(١)
والنفاق : جمع نفاق ، وهو ذكر النعام . يقول - لصاحبه - : سل البيد تخبرك
أين تقع الجن منا بهذه المغازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن - وعن إبلانا أين تقع
منا الظلمان فى السرعة : أى أن إبلانا كانت أسرع من النعام .
(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى . وضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كأننا الخ .
ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والهيأ : الوجه .
والسالمق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه :
ليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السالمق التى كنا نقطعها أظهرت
لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العميل :

وَجُجُوهُ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ اغْتَشَوْا بِهَا
صَدَّعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

(١) قبله :

وَمَخْفِقٍ مِنْ لَيْلِهِ وَلَيْلِهِ
أَعْمَى الْمُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَهُ
بِنَا حَرَا جِيحُ الْمَهَارِي النَّفْهَ
يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالتَّأَوُّهِ

المخفق : الموضوع الذى يخفق فيه السحاب ، والليله : المكان المستوى الذى ليس به
علم ؛ وغول كل ميله : أى بعد يريد مكانا بعيدا يقتال الذى فلا يستبين فيه ، ولا يكاد
يقطع من بعده ، ويعبر ناهه : كالمدى ، والجمع نفه ويجذبته : يريد يجذبنا أنفسنا فيه ،
والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إِذَا مَا قَتَّ أَرْحَلَهَا بِلَيْلٍ تَأَوُّهُ آهَةً الرَّجُلِ الْحَزِينِ

فَا زَالَ لَوْلَا نُورٌ وَجْهَكَ جُنْحُهُ وَلَا جَابِهَا الرَّكْبَانُ لَوْلَا الْأَيَاتُ^(١)
وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنَّي مِنَ السُّكْرِ فِي الْفَرَزِينَ ثَوْبٌ شَبَارِقُ^(٢)

ويقول أشجع السلي :

مَلِكٌ يَنْسُرُ جَبِينَهُ تَسْرِي وَتَحْرُ اللَّيْلُ طَائِي
ولصريح الفوائ :

أَجِدْكَ هَلْ تَدْرِينْ أَنْ بَتُ لَيْلَةً كَانَ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
صَبْرَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفُرَّةٍ كَفُرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ

(١) زال — من الزوال — أى ذهب ؛ وجنحه : فاعل ، وجنح الليل : إقباله بظلامه ينجح على النهار ، أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها : قطعها — أى السائق — والأياتق : النياق ، جمع ناقة . يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ، ولولا النياق لما قطعنا السائق .

(٢) وهز : عطف على الأياتق ؛ والمراد بالسكر : النعاس ؛ والفروز : ركاب للابل من جلد محروز ، ويقال ثوب شبارق : خلق ممزق . ويقال شبرق شبرقة وشبراقا : مزقة قال امرؤ القيس :

فَأَذْرَكَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَأَشْبَرِقِ الْوَلْدَانِ ثَوْبَ الْمَقْدِسِيِّ^(١)
والهز : التحريك ، يعنى تحريك الإبل ركبائها فى سرعة سيرها ، وذلك بمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مأثدا بين الفريزين كالثوب الخلق لكثرة تمايله . يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الإسراع لما قطعنا السائق إليه .

(١) المقدسى : الراهب يترى من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركا ، والنسا قال الأصمى : بوزن المصارعق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت فغذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وحنى النسا ، ولا يقال عرق النسا .

شَدَوْا بِابْنِ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيهَا كِبْرَانَهَا ، وَالنَّمَارِقُ (١)
بِمَنْ تَنْشَعِرُ الْأَرْضُ خَوْقًا إِذَا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الْجِبَالَ الشَّوَاهِقُ (٢)
فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُنْخَشَى وَيُرْتَجَى يُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَتُنْخَشَى الصَّوَاعِقُ (٣)

(١) شدوا بابن إسحاق : أى غنوا بمدح ابن إسحاق ؛ وصاغت : أى ماست مأخوذ من مصاغة الألف . والذفارى : جمع الذفرى ، اللوزع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ؛ والكيران : جمع الكور ، وهو الرجل ؛ و النمارق : جمع نمرة ، وهى الوسادة تحت الركب ؛ والمراد هنا : التى تكون قدام الرجل يجعل الركب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الفرز . يقول : غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صاغت أبقاؤها الرجال والوسائد التى عليها - وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه ،
وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

لَا تَضْرِبُ الرِّكْبُ الطَّلَاحُ نَحْوَهُ بَلْ بِاسْمِهِ يَزْجُرْنَ كُلَّ طَلِيحٍ
ويقول إسحاق بن خلف :

إِذَا مَا حُدِّثَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاظَةِ الْحَيْثِ الْعَجَلِ

(٢) بمن ؛ بدل من ابن إسحاق ، إلا أنه أعاد العامل ؛ والاقشعرار : أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف ؛ وترتج : تضطرب وتتحرك ؛ والشوايق : جمع شاق ، وهو العالى . يقول : تهابه الأرض إذا مشى عليها ، وتتحرك الجبال خوفا منه .

(٣) الجون : جمع جون - بفتح الجيم - وهو الأسود ؛ والسحاب ؛ من الجموع التى بينها وبين مفردها الهاء ، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع ؛ والحيا : المطر . يقول : إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

سَمَّاحًا وَبَأْسًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا

إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْعَارِضِ الْمُتَأَلَّقِ

وَلَكِنَّهَا تَمْتَضِي وَهَذَا مُخَمِّمٌ
تَحَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَّتْ
غَدَا الْهِنْدُ وَأَنْبِيَاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى
تَشَقُّقٌ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا
وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرِ صَادِقٌ (١)
مَعَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالشَّارِقُ (٢)
فَهِنَّ مَدَارِيهَا وَهِنَّ الْخَانِقُ (٣)
وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ (٤)

ويقول الآخر :

هَوَ عَارِضٌ زَجِلٌ فَمَنْ شَاءَ الْحَيَا
أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقُ أَغْضَبَا
(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمتضى ، وهذا مقيم في كل وقت ،
والسحاب قد تكذب في الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والمدوح صادق
فيا يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومي :

فَضَّلْتَ أَحَاكَ الْفَيْثَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجْبَى
عَلَى أَنَّهُ يَمِضِي وَأَنْتَ مُخَمِّمٌ
وحاصصته في الجلود أي حصاص
سماؤك مِدْرَارٌ وَرَوْضُكَ وَاصٍ (١)
ومثله للبحترى :

أَنْى يَكُونُ لَهُ احْتِفَالُكَ فِي النَّسْدَى
وَوُقُوعُهُ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ
(٢) يقول : زهد في الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى إغراضاً عن الخلق فلم يزد
ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت ، إذ لم تحمل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفه
شامل . ولعله ينظر إلى قول البحترى :

وَشُهْرَتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
فَكَأَنَّيْ فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسٌ
(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أي التي عملت ببلاد الهند ؛ والهام : الروس ،
والطلى : الأعناق ؛ والدارى جمع مدرى ، وهو ما يفرق به الشعر ؛ والخانق جمع
مخنقة ، وهى القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رؤوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت
محبته للروس والأعناق كما تصاحبها الدارى والخانق ؛ يعنى إذا علت سيوفه الروس
صارت بمنزلة الدارى ، وإذا علت الأعناق صارت بمنزلة الخانق .

(٤) تشقق — مجذف إحدى التاءين — أى تشقق ؛ وبروى تشقق — بضم التاء

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا : قاصمه فأخذ كل واحد منهما حصته
وروض واصل متصل النبات .

يُجَنَّبُهَا مَنْ هَتَفَهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصَلِّي بِهَا مَنْ نَفَسَهُ مِنْهُ طَالِقٌ^(١)
يُحَاجِّي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقٌ^(٢)
نَكَرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَمَعُّبِي وَلَا حَجَبَ مِنْ حُسْنِ مَا اللَّهُ خَالِقٌ^(٣)
كَأَنَّكَ فِي الإِطْغَاءِ لِلْمَالِ مُبْفِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَةِ عَاشِقٌ^(٤)

على البناء للمجهول - والجيوب : نائب فاعل ؛ وضير منهن للسيوف والجيوب : جمع جيب ، ما يفتح على النحر من أعلى الثوب ؛ والمفارق : جمع مفروق ، وسط الرأس . يقول : إذا غزا شققت الثالكات جيوبهن من جراء ما يفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحمى الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء .

(١) جنبته الشيء : إذا باعدته عنه ؛ وصلّى بالأمر يصلّى : إذا قاسى حره وشدته ؛ وأصله من صلى بالنار : إذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه - موته وهلاكه ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وإنما الذى يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه : أى مفارقتها : كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه . إذ هى لا محالة قاتلته (٢) يحاجى به : أى يخالط - من الأحمية ، وهى الكلمة المخالفة للفظ للمعنى ، كالشيء لللفز به يلتقى على الإنسان ليستنبط معناه ، كما قال أبو ثروان : مادو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنى السهم وآذانه قذذه ، وأصل الكلمة من قولهم : حجاجا يحجو إذا أقام وثبت ، فقيل لها أحمية ، لأن الملقى عليه يحتاج إلى الثبوت والتفكير . يقول : إن الناس يحاجى بعضهم بعضاً بهذا المدوح يقولون : ماناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذا المصراع الثانى فقال يرى ساكتاً - يعنى المدوح - لا يفتخروا ولا يذكر شجاعته والسيوف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عن هذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(٣) نكرت الشيء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ - الماضى - ومنه قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذى نكرت - من الحوادث إلا الشيب والصلعاً
يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغربتك لكثرة ما رأيت
فيك من المحاسن فأتى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبى ثم علمت أن الله قادر على أن
يخلق ما يريد ؛ وإذن لا عجب .
(٤) من قول البحتري .

أَلَا قَلَّمَا تَنَبَّى عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا ، وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ^(١) ،
 سَيَحْيِي بِكَ الشَّمَارُ مَا لَاحَ كَوْكَبُ وَيَمْحَدُو بِكَ الشَّفَارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ^(٢) ،
 خَفِ اللَّهُ وَأَسْتَرْ ذَا الْجَمَالَ يَبْرِقُ فَإِنْ لَحْتَ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ^(٣) ،
 فَمَا تَرَزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمُ وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ^(٤) ،
 وَلَا تَفْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ وَلَا تَرْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ^(٥) .

تَسْرِعُ حَتَّى قَالَ مَنْ لَبِيَ الْوَهْيَ لِقَاءَهُ أَعَادِ أُمَّ لِقَاءَهُ حَبَائِبُ

(١) الأداة : استفتاح ؛ وهى : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أى الرماح - فاعل تنبى - والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تبقى على ما نزل بهامتك من كثرة استعمالها في الحروب والغارات .

(٢) السمار : جمع سامر ، الذين يسمرون ليلاً ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم الذى يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله ملاح وماذر : لما مصدرية زمانية ؛ أى مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأييد ؛ يعنى : أنت أبدأ يحيى السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغنى السافرون بمدائحك فيحidon الإبل بها .

(٣) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والحدور : جمع خدر . يقول : استر جمالك يبرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب في خدورهن شوقاً إليك وهياماً بك ، ويروى حاضت ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال - زعموا - دم حيضها ؛ والمعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقاً وهياماً .

(٤) و (٥) الرتق : ضد الفتق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من حرمان ورزق ورتق وفتق ، بل هى موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :

فَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حَطِّهِ وَلَا يَضَعُ النَّاسُ مَا يَرْفَعُ

وقال آخر :

كُنَّا مُلُوكًا وَكَانَ أَوْلُنَا لِلْحِلْمِ وَالْبَأْسِ وَالنَّدَى خُلُقُوا

لَا يَرْتَقُ الرَّاتِقُونَ مَا فَتَقُوا يَوْمًا وَلَا يَفْتَقُونَ مَا رَتَقُوا

والأصل في هذا كله قول العباس بن مرداس للنبي صلوات الله وسلامه عليه :

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٍ مِنْ غَيْرِكَ الْغَفَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لِأَحْنٍ^(١)
 هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرُوَيْتِكَ الْمَنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَتْلُحَاتِقُ^(٢)

وعرض عليه بدر بن عمار الصحبة للشرب في غد فقال ارتجالاً :

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً تَهَيَّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ^(٣)
 نَسِيَهُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَسِكِنْ تَحْسِنُ أَخْلَاقَهُ^(٤)
 وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُهُ وَذُو اللَّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ^(٥)
 وَقَدَّمْتُ أَمْسٍ بِهَا مَوْتَهُ وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ^(٦)

وما كنتُ دونَ امرئٍ منها ومن تضحج اليوم لا يُرْفَعُ

(١) لك الخير : دعاء المدوح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛
 ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد المدوح يقول : غيرى يطلب الغنى من غيرك أى أنا
 لا أطلبه إلا منك ، وغيرى يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .
 (٢) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الأبعد : أى هى غاية ما يطلبه
 الإنسان ، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئاً ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأت
 جميع الناس .

(٣) المدامة : الخمر ؛ وغلابة : تطلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك
 الشوق ، كما قال البحرى :

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِيُ الْمَمُومَ وَتُبْعَثُ الشُّوقَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ
 (٤) أراد بسوء الأدب : ما يكون من الشارب — من قول الحنا ، والعريدة
 والحركات المفرطة — وتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من الساحة والبذل ؛ وفى الخمر
 يقول القائل :

رَأَيْتُ أَقْلَ النَّاسِ عَقْلًا إِذَا انْتَشَى أَقْلَهُمْ عَقْلًا إِذَا كَانَ صَاحِبًا

تَزِيدُ حُمَيَّاهَا السَّفِيَةَ سَفَاهَةً وَتَتْرُكُ أَخْلَاقَ الْكَرِيمِ كَمَا هِيَ

(٥) يقول : أعزوا أئمن ما للسان : عقله ، والعائل يكره ضياع عقله .

(٦) جعل غلبة السكر على عقله كاللوت ، ثم قال : ومن مات مرة لا يشتهي العود

وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ (١)
أَمَرْتُ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقْتَنَا وَمَا أَلِمْتُ لِخَادِنَةِ الْفِرَاقِ (٢)
إِذَا هَجَرْتَ فَعَنْ غَيْرِ أُخْتِيَارٍ وَإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ أُشْتِيَاقِ

وعرض عليه محمد بن طنج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِي أَنْظُرَ قَوْلِكَ لِي بِحَقِّي وَوَدُّ لَمْ تَشْبُهُ لِي بِمَذْقِ (٣)
يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاهٍ عَلَى قَتْلِي بِهَا لَصَرَبْتُ عُنُقِي (٤)

إليه ، وقد تجنى ابن وكيع - شغشته مع النبي - فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم في معنى السكر :

بِسِيٍّ وَيَعْدِرُهُ حُسْنُهُ لَدَى عَاشِقِيهِ بِغَيْرِ اعْتِدَارِ
مَحَاسِنُ تُغْفَرُ ذَنْبَ الصَّدُودِ كَمَا غَفَرَ السُّكْرُ ذَنْبَ الْخُمَارِ

وأي هذين من بيت النبي ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .
(١) الغدائر ؛ جمع غديرة ، الدؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبري « أن » هي مخفة من الثقيلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفواصل يفصل بينها : نحو سوف والسين ولا نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل لا تصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سئ »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق . المزج ؛ وشابه : خلطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت

بحياتك فشربتها ، ولأني أحبك حبا خالصا غير مشوب .

(٤) يقول : سقانيها إقسامك على بذلك قسا لو أقسمته يزيد به قتل لفعلت ذلك .

وكان لأبي الطيب حِجْرَةٌ (*) تسمى الجهمامة ، ولها مهر يسمى الطخرور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمَرْوَجِ أَنْخَضِرَ وَالْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةَ الْعَوَاتِقِ (١)
 أَقَامَ فِيهَا التَّلْجُ كَالْمُرَافِقِ يَمَقْدُفُوقَ السَّنِّ رِيْقَ الْبَاصِقِ (٢)
 ثُمَّ مَضَى لِأَعَادَ مِنْ مُفَارِقِ بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَاقِقِ (٣)
 كَأَنَّهَا الطُّخْرُورُ بَاعِي آبِقِ يَا كَلُّ مِنْ نَبْتٍ قَصِيرٍ لَاصِقِ (٤)
 كَقَشْرِكَ الْحَبْرِ عَنِ الْمَهَارِقِ أَرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوْذَانِقِ (٥)

* أى فرس أنثى ، والذي فى كتب اللغة أنها الحجر ، قالوا : والحجر الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الماء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل ، وصميت كذلك لأنهم جعلوها كالحمرمة الرحم إلا على حصان كريم .

(١) المروج : جمع مرج ، الموضع تخرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى والحدائق جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والحلا : الكلاء الرطب ؛ والعواتق : جمع عائق ، ما يعوق عن النفاذ فى الشيء . يقول : نبتنا يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعواتق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا جبق حمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن العذل :

ونسج الثلج على الطيور وأجد الريق على الثغور

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ما ذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقاً ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكان الدوب قاده وساقه حتى ذهب ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائم الشيء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

(٤) الطخرور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباعى : طالب ؛ والآبق : المارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لا يرتفع عنها . يقول : إنه - لإعواز المرعى - كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يشبت فى مكان واحد كأنه يطلب آبقاً لترده فى طلب المرعى .

(٥) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها ؛ معرب ؛ وذلك أنهم كانوا

بِمُطْلَقِ الْيَمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ عِبِلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَّافِقِ (١)
 رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِي مَنْخَرِ رَحْبِ وَإِطْلِ لِاحِقِ (٢)
 مَحْجَلِ نَهْدِ كَمَيْتِ زَاهِقِ شَادِخَةِ غُرْتُهُ كَالشَّارِقِ (٣)
 * كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ (٤) *

يأخذون الحرق ويطلونها بشيء ثم يصفقونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاصق بالأرض بقر الكاتب الخبر عن الصحيفة ، وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للنهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى يهر مثل الشوذانق ، والشوذانق الشاهين — الصقر -- معرب مه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه ك نصف البازي يقول : أطلب الكلاً والنبات من هذا المهر يهر كالشوذانق لحفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(١) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل في القوائم الثلاث بالقيد . والفائق : مغرز الرأس في العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضخم الأطراف ، والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع في العضد ؛ وإذا تدانت مراقفه كان أمدح له .
 (٢) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعا يحمى ويذهب ليكون خطوه أجد ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق : فالطرائق طرائق اللحم ؛ ونائه من ناه الشيء ينويه : إذا علا ونهت به ونوهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومته عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق : أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه . وقال ابن جنى : الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيماً جليلاً . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يخبس نفسه والإطل : الحاصرة ولحوقها : ضمورها .

(٣) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسم العالى المشرف . والكسيت : الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمهزول ؛ والفررة . البياض فى وجه الفرس ، والفررة : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلاً ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحي الأفق .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .

بَاقٍ عَلَى الْبُوعَاءِ وَالشَّقَاتِقِ ^(١) وَالْأَبْرَدَيْنِ وَالْمُهْجِرِ الْمَاحِقِ ^(٢)
 لِلْفَارِسِ الرَّأِضِ مِنْهُ أَوَاتِقِ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ ^(٣)
 كَأَنَّهُ فِي رَيْدٍ طَوْدٍ شَاهِقِ ^(٤) بِشَأَى إِلَى الْمِسْمَعِ صَوْتِ النَّاطِقِ ^(٥)
 لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقِ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ نَجِيءَ السَّابِقِ
 يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الْأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الْخَلِيِّ فِي الْمَنَاطِقِ ^(٦)
 * مَشِيئًا وَإِنْ يَعْدُ فَكَأَنَّهَا دِقِ ^(٧) *
 لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ لِأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الْأَيَاتِقِ ^(٨)

(١ و ٢) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف والبوبعاء التربة الرخوة . والشقاقات جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى والأبردان : الغداة والعشى . والمهجير : شدة الحر وقت المهاجرة - نصف النهار - والمالحق الذى يمحق كل شيء بحرارته يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة ،

(٣) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول : لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٤) فى ريد : أى على ريد ؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود : الجبل والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال .

(٥) بشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٦) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك والناطق : جمع منطقة ، ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطئ الأبرق بحوافره ترك فيه آثاراً كأن آثار الخلى إذا قلع من الناطق .

(٧) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا - جرى - ترك آثاراً كالحنادق .

(٨) الضمير فى أوردت : للآثار المشبهة بالحنادق وغب سحاب : أى بعده . وأحسبت :

إِذَا اللَّجَامُ جَاءَهُ لِيَطَّارِقَ شَحَا لَهُ شَحْوَ الْغُرَابِ النَّاقِ (١)
كَأَنَّ الْجَدُّ لِعُرْمِي النَّاقِ مُنْحَدِرٌ عَنْ سَيْتِي جُلَاهِقِ (٢)

كفت ، ومنه : حسبنا الله ؛ أى كفانا . والحوامس : الإبل التى ترد الخمس — بكسر
الحاء — وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ؛ والأيانق : جمع أيتق ، جمع
ناقة . يقول : لو أوردت هذه الآنار التى هى كالحنادق بعد إقلاع سحاب صادق المطر
لكان فيها من الماء ما يكفي نياقا عطاشا ترد الخمس : يعنى إذا أقلع السحاب وامتلأت
آثار حوافره كفت الإبل العطاش . يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض
إذا عدا .

(١) كححا : فتح فاه . والناغق — بالعين والعين — الصائم . يقول : إذا الجم
لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق ، يريد أنه — مع شدته وعنفه —
لا يمنع من اللجام ؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم .

(٢) الناهق : عظم نأق فى مجرى الدمع من الفرس ، وهما ناهقان ، ويستحب
عريهما من اللحم ؛ قال أهل اللغة : الناهقان عظام شاخصان يندران — يبرزان — من
ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما الناهق — أى الصوت — ويقال لهما أيضاً النواهق .
قال النابغة الجعدي يصف فرسا :

بِعَارِي النَّوَاهِقِ صَلَّتِ الْحَبِيبِينَ يَسْتَنُّ كَالْتَيْسِ ذِي الْحَلْبِ (١)
وفى التهذيب : النواهق من الحيل والجر حيث يخرج الناهق من حلقه ؛ وأنشد
للنمر بن تولب :

فَأرسل سهماً له أهزعا فشكَّ نواهقه والنهأ (٢)

(١) الحلب : نبات ينبت فى الميظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلزق بالأرض حتى
يكاد يسوخ ، ولا تأكله الإبل ، وإنما تأكله الشاء والظباء ، وهى مغزرة مسمنة وتحتبل
عليها الظباء ، قال الأصمى : أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى
هذا النبات .

(٢) الأهزع : قيل هو خير سهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر
ما يبق من السهام فى الكنانة : جيداً كان أوردنا .

بَزَّ الْمَذَاكِي وَهُوَ فِي الْمَعَاتِقِ وَزَادَ فِي السَّاقِ عَلَى النَّقَاتِقِ ^(١)
وَزَادَ فِي الْوَتْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ وَزَادَ فِي الْأُذُنِ عَلَى الْخِرَاتِقِ ^(٢)
وَزَادَ فِي الْحِذْرِ عَلَى الْمَعَاتِقِ يُمَيِّزُ الْهَزْلَ مِنَ الْحَقَاتِقِ ^(٣)
وَيُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقٍ يُرِيكَ خُرْقًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ ^(٤)

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهق : البندق الذي يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدها مشدود على سيقى قوس البندق .

(١) بز : غلب وفاق ؛ والمذاكي : جمع مذك : الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : للمذاكي الحيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فررت عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أي السن ، قالوا والمذكي أيضاً من الحيل الذي يذهب حضره - جريه - وينقطع ؛ وفي المثل : جرى المذكيات غلاب : أي جرى المسان الفرح من الحيل أن تغالب الجري غلاباً ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية في الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والمعاتيق : جمع عقيقة ، وهي الشعر الذي يولد المولود وهو عليه ؛ والنقائيق : جمع نقيق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الحيل السنة وهو بعد فلو - أي مهر - صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام في طول الساق وصلابته ، وذلك محمود في الحيل كما قال امرؤ القيس :

* لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِّي وَسَاقًا نَعَامَةً *

(٢) الخرائق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدي : ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبي : وإن أذنه تزيد في الدقة والانتصاب على آذان الأرناب .

(٣) المعاتيق : جمع ععقيق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل في الحذر فيقال : أحذر من ععقيق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه - أي ركضه - فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد ؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة ؟ فلعب أو جد حسب مراد صاحبه .

(٤) الخرق في الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق ؛ والحاذق : الماهر . يقول

يَحْكُ أَنْى شَاءَ حَاكَّ الْبَاشِقِ قُوبِلَ مِنْ آقَقَةٍ وَأَفِقِ (١)
 بَيْنَ عِتَاقِ لَطِينِ وَالْمَعَاتِقِ فَمُنَّقَهُ يُرْبِي عَلَى الْبِوَاسِقِ (٢)
 وَحَلَقَهُ يُمَكِّنُ فِترَ الْخَانِقِ أَعِدُّهُ لِلطَّعْنِ فِي الْفِيَالِقِ (٣)
 وَالضَّرْبِ فِي الْأَوْجِهِ وَالْمَفَارِقِ وَالسَّيْرِ فِي ظِلِّ اللُّوَاءِ اتَّخَافِقِ (٤)

إنه لند كانه وحذقه إذا أحس سارقا بليل سهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ،
 أى لشدة جريه وتناهيه فى العدو - الجرى - تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ،
 وحذقه أنه لا يخرج ما عنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبقي
 جريه ، كما قال القائل :

وللقارحُ اليبغوبُ خيرُ علالةٍ من الجذعِ المرخى وأبعدُ منزها
 وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

ذو أولقٍ عند الجراء وإنما من صحة إفراطٍ ذاك الأولقِ
 [الأولق : الحفة من النشاط كالجنون]

(١) أنى : كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين
 شاء كالباشق - طائر من أصغر الجوارح - الذى ينتهى رأسه ومناقره إلى أى موضع
 أراد من جسده ، ثم قال : إن العتق - الكرم - يكتنفه من قبل أبيه وأمه ؛ فكرم الأم
 يقابل فيه كرم الأب . فالأفق من الحيل : الكرم الطرفين ، وهى آققة ، ومن آققة :
 حال ، أى مولودا من آققة و آفق : أى إنه كريم الام والأب وكل من أمه وأبيه كذلك
 (٢) البيت تمة لما فى المصراع الأخير من البيت السابق ؛ والعتاق من الحيل :
 الكرام ؛ والإناث عتائق ؛ والبواسق : جمع باسقة : النخلة العالية . يقول : إن أبويه
 آققان بين كرام الحيل وكرأئهما : أى إنه وسيط فى العتق ، ثم قال : وعنقه يزيد على النخل
 الطوال طولا والحيل توصف بطول الأعناق ، كما قال القائل :

* وهاديها كأن جذعٌ سحوقٌ *

(٣) يقول : إن أعلى حلقة دقيق حتى لو أراد الخائق أن يطوفه بفتره - ما بين
 الإبهام والسبابة - لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفيالق : الكتاب من الجيش .

(٤) والضرب : عطف على الطعن والمفارق : أوساط الرءوس حيث يفرق الشعر
 واللواء : الراية ؛ وخفقه : اضطرابه فى الهواء .

يَحْمِلُنِي وَالنَّصْلُ ذُو السَّقَاسِقِ يَنْطَرُ فِي كَمِي عَلَى الْبَنَائِقِ ^(١)
 لَا أَلْخُظُ الدُّنْيَا بِعَيْفِي وَأَمِقِ ، وَلَا أَبَالِي قِصَاةَ الْمُرَافِقِ ^(٢)
 أَي كَبْتَ كُلَّ حَاسِدٍ مُنَافِقٍ أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ ^(٣)

وقال يهجو إسحاق بن كَيْفَلِغ وقد بلغه أن غلامه قتلوه :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إِسْحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ :

هَذَا الدَّوَاهِ الَّذِي يَشْنِي مِنِ الْخُفِّ ^(٤)

إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا قَدِيدٍ وَلَا أَشْفٍ ، أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا خُلُقٍ ^(٥)

(١) النصل : حديدة السيف ؛ وسفاسقه ؛ طراقه ؛ والبنائق : جمع بنيقة ، لبنة التميمي . يقول : يحملني في الحرب وسيني يقطر دما — دم القتلى — في كمي على بنائقي . أي يحملني والسيف هذه حاله ؛ قال المعكبري : الرواية التي قرأت بها الديوان على شيخني أبي الحزم وعبد النعم : والنصل ذو ، بالرفع ، ورفعته على الابتداء ، والواو للحال ، أي في هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفا على الضمير المنسوب في يحملني ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أي مع النصل .

(٢) لحظه : نظر إليه مؤخر عينه . والوامق : الحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق محب لها فيذل طلبها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدي .

(٣) أي : جرف نداء ؛ وكبت عدوه ؛ أذله وردته بغيظه ، وكبته الله لوجهه : صرعه . قال ابن جنى يخاطب ممدوحا له ، قال الواحدى : ليس في هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد ، فكيف يخاطب ممدوحا ؛ إنما يخاطب المهر الذي وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدونني عليك ثم قال : أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٤) يقول : لادواء للأحمق إلا الموت ، كما قال البحرى :

مَا قَضَى اللَّهُ لِلْجَهْلِ بَسْتَرٌ يَتَلَفَاهُ مِثْلُ حَتْفِ قَاضِي

(٥) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته

ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقوداً كما قال :

فَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ فَقِيدٍ

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتَهُ خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرَ فِي الْمَلَقِ (١)
وَحَلَفَ أَلْفَ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ
مَطْرُودَةٍ كَكُؤُوبِ الرُّمَحِ فِي نَسَقِ (٢)
مَا زِلْتُ أَعْرِفُهُ قَرْدًا بِلَا ذَنْبٍ صِفْرًا مِنَ الْبَأْسِ تَمْلُؤُهُ مِنَ النَّزَقِ (٣)
كِرِيشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ (٤)

وإن عاش عاش وليس من يحمل به أو يبالي ؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة كما قال الحزب أرزى :

فَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا وَجْهَ وَلَا بَدَنَ وَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا عَقْلَ وَلَا أَدَبَ
(١) هامته : رأسه ؛ والحون : الحياة ؛ والملق : إظهار المحبة . يقول : إن العبد الذى قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفى قلبه دغل . فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

(٢) وحلف : عطف على خون . يقول : وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة — مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح ، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه :
شَرَفٌ تُتَابِعُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبٍ
وقوله أيضاً :

نَسَبٌ كَمَا اطْرَدَتْ كُؤُوبٌ مُتَقَفٌ لَدُنْ يَزِيدُكَ بَسْطَةً فِي الطُّوْلِ
(٣) يقول : ما زلت أعرفه قرداً إلا أنه لا ذنب له ، وأعرفه فارغاً من الشجاعة إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشاً ، والله ابن الرومى حين يقول :

مَعشَرٌ أَشْبَهُوا الْقُرُودَ وَلَكِنْ خَالَفُوهَا فِي خِيفَةِ الْأَرْوَاحِ
(٤) يقول : هو من القلق كيريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر من القلق على حال ، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال ، كما قال ابن الرومى :
فَلِمَكَ أَطْيَشٌ مِنْ رِيشَةٍ وَرُوحُكَ مِنْ هَضْبَةٍ أَرْجَحُ
ولبعضهم :

يَارِيشَةٌ فَوْقَ مَهَبِّ الصَّبَا يَهْفُوبُهَا الرِّيحُ عَلَى مَرَصَدِ
أَطْيَشٍ مِنْ قَلْبِ فَتَى عَاشِقٍ مَتِيمٍ بَاتَ عَلَى مَوْعِدِ

تَسْتَفْرِقُ الْكَفَّ فَوَدَّيْهِ وَمَنْكِبَيْهِ وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الْجُورْبِ الْعَرَقِ (١)
 فَسَأَلُوا قَاتِلِيهِ كَيْفَ مَاتَ لَمْ مَوْتًا مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتًا مِنَ الْفَرَقِ (٢)
 وَأَيْنَ مَوْقِعِ حَدِّ السَّيْفِ مِنْ شَبْحِ بَغَيْرِ رَأْسٍ وَلَا جَنْمٍ وَلَا عُنُقِ (٣)
 لَوْلَا اللَّثَامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشَابَهَةِ لَكَانَ الْأُمُّ طِفْلٍ لُفٍّ فِي خِرْقِ (٤)
 كَلَامٍ أَكْثَرَ مِنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الْأَذَانِ وَالْحَدَقِ (٥)

* * *

(١) الفودان : جانبا الرأس ؛ والجورب : هو «الشراب» الذي توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق : الذي به العرق . يقول هو صغير الرأس قصير العنق ، وهو أيضاً قميء حقير ، فإذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فككتسى أ كففهم تتنا منه لتأني رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل ما بدالك أن تقول فإنني أنثى عليك بمثل ريح الجورب

(٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أي أمات لهم موتا ؛ والفرق : الخوف والفرع . يقول : هو جبان فسألوا قاتليه هل مات خوفا أو مات بالضرب ؟ والله أبو تمام حين يقول :

وإلا فأعلمه بأنك ساخط عليه فإن الخوف لاشك قاتله

(٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شيء لدمامته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له .

(٤) يريد باللاثام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه في اللؤم وجاء مشابهاً لهم فيه لكان الأم طفل ولكنهم شركاؤه في ذلك فليس هو الأم ، وبهذا قد سوى بينه وبينهم ؛ وفي هذا نظر إلى قول بعضهم :

إذا ولدت حليمةً باهلي غلاماً زيد في عدد اللثام

(٥) ومنظره : أي وجهه ، أو النظر إليه ، ويشق : يشغل . يقول : إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والمهذر ، ومنظره على الأحداق — العيون — لما ينطوي عليه من الغل والحجب وإضمار غير الجميل وإن كان يلقاك بالبشر .

يلقاك والعسلُ المصنَى يُجتنَى من قوله ومن الفِعالِ العلقمُ

وقال يمدح أبا العشار الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي :
أُتْرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي (١)
كَيْفَ تَرَى التِّي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنَهَا غَيْرَ رَاقِي (٢)
أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكَ لِكِنَّكَ عُوْفِيَتْ مِنْ ضَنْيِ وَأَشْتِيَاقِي (٣)

يُبدى الهوى ويثور - إن عرضت له فرص - عليك كما يثور الأرقمُ
« الأبيوردي »

فلا تفرغ نك السنة رطاب بطائهن أ كباد صَوَادِي
« الديلمي »

فيأرب وجه كصافي النمير تشابه حامله والنمير
« شوقي »

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يُميرك ظاهراً مُتبسماً عن باطن متجهم
« أبو تمام »

(١) حسب يحسب - بفتح السين في المضارع وكسرهما لفتان - وأتراها :
أنظنها : والمآقي : جمع موق ، مؤخر العين مما يلي الأنف . يقول - لصاحبه :
أنظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآقي عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترحم من يسكى
ولا ترى ، كما قال في البيت التالي .

(٢) رآها : أصله رآها ؛ قدم الألف وأخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة
على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراق : أى منقطع الدمع ، وأصله راقى : تقول
رقاً الدمع والدم يرقاً إذا انقطع ، فلينه . يقول : إن هذه المشوقة لا ترحم با كياً ،
وكيف ترحمه وهي ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لهجرها فهي
لا ترحم أحداً لأنها تظن الدموع في أجفان العشاق خلقة ؟ .

(٣) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو مجال من الضمير المستتر في الخبر يقول .
أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعها منا إلا أنك عوفية
من الضنى - النحول - والاشتياق . لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومعها

حُلتِ دُونَ الْمَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْزُرُ تِ لَحَالِ التُّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ (١)
 إِنَّ لِحَفَا أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتَفَ اتِّفَاقِ (٢)
 لَوْ عَدَا عَنكَ غَيْرَ هَجْرِكَ بَعْدُ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مَخَّ الْمَنَاقِ (٣)
 وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ (٤)

فنتت نفسك : أى بالحب ؛ أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جعظة :

لو ترى ما أراه منك إذا ما جال ماء الشباب فى وجنتيك

لتميت أن تُقبَّلَ خديك وإن لم تصل إلى خديك

(١) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والزار ههنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نعلت شوقا إليك ، فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نحولى ودقة جسمى . فليس فى بقية لعناقك .

(٢) يقول : إن النظر الذى كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تمعد منا فاتفق لنا فيه الحنف - الهلاك - من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا فى جبال الهوى .

(٣) عدا عدا عنك . صرف عنك ومنع من لعناقك . وغير : استثناء مقدم ؛ وجد : فاعل عدا ، وقال العكبرى : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف التكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الإبل ، والمناقى : جمع منقبة ، وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقى - أى مخ - يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لاهجرك لو اصلنا السير إليك حتى تنضى الإبل ويسيل عنها : أى لأنبناها فى طى البعد بيننا ، ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر ، وهو مالا سبيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أبعدُ نأى المليحة البخلُ فى البعدِ مالا تُكلفُ الإبلُ

(٤) الضمير فى عليها : للمناقى ، والأرماق : جمع رmq ، بفيه الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نلحنا وهزلنا من عدة الشوق حتى نصير من الحفة كأننا أنفاس على أرماق : أى على إبلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الذماء فكأنها أرماق ، كما قال الآخر .

* أنضاه شوقى على أنضاه أسفارِ *

مَا بِنَا مِنْ هَوَىِّ الْمُيُونِ اللَّوَاتِي لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ (١)
 قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَسَوَاتِي (٢)
 كَاثَرَتْ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا لِ بِمَا نَوَّاتٍ مِّنَ الْإِيرَاقِ (٣)
 لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ سَادَ هَذَا الْأَنَامَ بِأَسْتَحْقَاقِ (٤)

وكما قال هو أيضاً :

بَرَّتْنِي الشَّرَى بَرَى الْمَدَى فَرَدَدْنِي أَخْفُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جَرْنِي
 وقال ابن جنى : ولسرنا ولو وصلنا إليك وهي تحملنا على استكراه ومشقة كما
 تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد لأننا قد بلغنا أو اخر أنفسنا ؛ قال الواحدى : هذا محال
 كيف يحمل الرمق النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذى ذكره ؟ ثم
 فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) ما بنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والأشفار : جمع شفر منبت الهدب ؛ والحداق :
 جمع حدقة سواد القلة . يقول : أى شيء أصابنا من هوى العين الكحلء الجفون السوداء
 الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتهابالمجران ، وأيام الوصال توصف
 بالقصر وأيام المجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى المجر بليالى
 الوصال . أى بذكرها والتعسر عليها .

(٣) قال الواحدى : الإبراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً وأورق الغازى : إذا
 لم يغم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئاً . قال : وكان الخوارزمى يقول فى تفسير هذا البيت :
 هى تطاب بإسهاذا إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية ، فكأنها تكأثره نوالا ، لكن نوالها
 الأرق ونواله الورق . قال الواحدى : فإن كان أبو الطيب أراد بالإبراق هذا — أى أنه من
 الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإبراق من الأرق إنما يقال أرق بأرق وأرقه تأريقاً ،
 والأولى أن يحمل الإبراق على منع الوصل والتجنب منه . يقول : هى فى منعها وصلها
 فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكأثر عطاءه بمنعها ينظر
 أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(٤) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق ؛ اسم ليس ؛ وخبرها
 الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فسادالخلاتو
 بحق غير هذا المدوح ؛ وبما يتصل بمعنى البيت قول البحترى :

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْفَيْلِقَ بِالذُّعْرِ وَالذِّمَّ الْمَهْرَاقِ (١)
ذَاتُ فَرِيحٍ كَأَنَّهَا فِي حَشَا الْمَخْبِرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِطْرَاقِ (٢)
ضَارِبُ الْهَامِ فِي الْغُبَارِ وَمَا يَرُ ۖ هَبُّ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِي (٣)
فَوْقَ شَقَاءٍ لِلْأَشَقِّ مَجَالٌ ۖ بَيْنَ أَرْضَاغِهَا وَبَيْنَ الصَّفَاقِ (٤)

قدره مرتفع عن حظه لا يرُعك الحظُّ لم يوجد بحق

(١) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : الصبوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفاً شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن ما في البيت ، يريد أنه يخرج منها دم نائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٢) ذات : خبر مبتدأ محذوف : أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهى حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال تطعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والخبر : يروى بفتح الباء وبكسرهما يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجري من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفاً واستعظماً حتى لكأنها في جوفه .

(٣) يقول : هو ضارب الهام - الروس - في الهيجاء وبسقي الأقران كؤوس الموت ولا يبالي أن يشرب ما يسقيهم شجاعة وولوعاً بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالي بالموت .

(٤) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء : مؤنث أشق ، ويقال فرس أشق . إذا كان رجب الفروج طويل القوائم ، قال جابر أخو بني معاوية بن بكر التلي :

وَيَوْمَ الْكَلَابِ اسْتَنْزَلَتْ أَسْلَاتُنَا شُرْحَبِيلَ إِذْ آلَى الْيَتَمَ مُقْسِمِ

لَيْتَنَزِعَنَّ أَرْمَاحُنَا فَازَالَهُ أَبُو حَنْسٍ عَنِ ظَهْرِ شَقَاءٍ صِلْدَمِ (١)

والأرساغ : جمع رسع ، وهو مستدق ما بين الخافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق

(١) عن ظهر : يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول : - حلف عدونا لئتنزعن

أرماحنا من أيدينا قتلناه .

مَا رَأَاهَا مُكَذِّبُ الرُّسُلِ إِلَّا صَدَّقَ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِ الْبِرَاقِ (١)
هَمُّهُ فِي ذَوَى الْأَسِنَّةِ لَا فِيهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنُّطَاقِ (٢)
ثَابِتُ الرَّأْيِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لَا يَقْدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِفْلَاقِ (٣)
يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَقْدَمْكُمْ فِي الْوَعْيِ مُتُونُ الْعِتَاقِ (٤)

جلدة البطن ؛ قال الأصمعي : الصفاق الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر ،
وأنشد للجعدى :

لَطِينٌ بِتَرْسٍ شَدِيدِ الصَّفَا قِي مِنْ خَشَبِ الْجُوزِ لَمْ يُثَقِّبِ (١)
يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان -
الذكر - الطويل بين قوائمها وبطنها .

(١) البراق : هو ذلك الذي روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبته
ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء في ليلة ، وقيل في وصفه أنه يضع يديه عند
منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجرى جرى
البراق . فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل في وصف البراق .

(٢) الضمير من فيها : للأسنة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : ما يشد به
الوسط : يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها - رماحها - حوله كالنطاق
فإن همته حينئذ إنما هي في الأبطال وأخذ أرواحهم لا في اتقاء رماحهم ، فهو لا يبالي
بها ولا هي تثنيه عنهم .

(٣) ثقوب الرأى : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : الضوء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم :
الأناة والتعقل . يقول : لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول
ابن دريد :

يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنبِي حَبَوْتِي إِذَا رِيَا حِ الْطَيْشِ طَارَتْ بِالْحَبَا
(٤) الحارث بن لقمان : جد أبي العتائر ؛ والعتاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن
لا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا في الوعى - الحرب - قال ابن جنى : قوله في الوعى حشو
إلا أن فيه نكتة ، وهى أنهم ملوك إنما يركبون الخيل للحرب أو دفع ملم ، لذلك خسر
حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل في الوعى لا تقتضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها في وقت

(١) يقول : ذلك للوضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق .

بَعَثُوا الرَّغْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِ ۖ فَمَا كَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ الْقِتَالِ (١)
 وَتَكَادُ الظُّبَا لِمَا عَوَدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَنْاقِ (٢)
 وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنْ الْإِشْفَاقِ (٣)
 كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا كَبْدُورٍ تَمَامُهَا فِي الْمُحَاقِ (٤)

وهذا من أفعال الرواض لامن أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(١) يقول : بعثوا خوفهم في قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم ، فكانتهم قاتلهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمام :

لَوْلَمْ يَزَاحِفْهُمْ لَزَاحِفْهُمْ لَهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَوْجَالِ

هذا : والأعدى - بالتشديد - جمع الأعداء ، وأصله أعادى بالهمز فأدغم .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛ وتنتضي :

تستل . يقول : إنهم عودوا السيوف أن تغمد في الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أعمادها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبي تمام :

وَنَبَّهَنَ مِثْلَ السِّيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتَهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ

(٣) الإشفاق : الخوف والفرع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا

هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والحزق فتجلدوا وصبروا .

(٤) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدأ محذوف : أى هم - المدحون - كل

ذمر الخ ؛ والمحاق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا في طلب المجد والرفعة

ازداد شرفهم فازداد حسن ذكركم بموتهم ، كالبذور فإنها تستفيد الكمال بالحاق ، ومالم

تصر إلى الحاق لم تتم ، لأنها في الحاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فحاقها سبب كمالها ؛

كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفاً . وقال ابن جني : تمامها في الحاق

الكلام متناقض الظاهر ، لأن الحاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له

ذلك قوله « يزيد في الموت حسناً » : أى هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا في

طلب المجد ، فشبههم بيدور تمامها في محاقها ، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف

والتعجب منه ، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعاً وتصرفاً . . وقال

ابن فورجة : أراد أن البدور يفضى أمرها إلى الحاق . فهو غايتها التي تجرى إليها ومصيرها

الذى تصير إليه ، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم ، وليس التمام في هذا البيت الذى

جَاعِلٌ دِرْعَهُ مَنِيتَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقٍ^(١)
كِرْمٌ خَشَنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ فَهَوَ كَالْمَاءِ فِي الشَّفَارِ الرَّفَاقِ^(٢)

يعنى به استكمال الضوء؛ والدليل على ذلك قوله «كبدور» والبذور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوءها، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهلة... قال الواحدي: وعلى هذا لا مدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك؛ وإنما شبههم ببذور تمامها فى المحاق بزيادتهم حسناً بالموت لانتهاه آخر أمرهم إلى الموت، ثم أوضح ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه أولاً.

(١) جاعل: صفة لذمر. يقول: إنه يتقى العار ولو بموته، فإذا لم يجد وقيامن العار غير منيته جعلها درعاً له، فأتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك. قال أبو تمام:

وقد كان قوتُ الموتِ سهلاً فردّهُ إليه الحِفاظُ المرُّهُ وأُتْلِقُ الوغْرُ

وقال بعضهم:

وموتٌ لا يكون طليّ عاراً أحبُّ إلىّ من عيشٍ رماقٍ^(١)

(٢) الكرم: ضد اللؤم؛ والشفار: جمع شفرة، حد السيف. والرفاق هنا: الحداد القاطعات. يقول: إن لم كرم ما خشن جوانبهم على الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الحسف ويقبلوا الإهانة، ثم شبه ذلك الكرم بالماء، فهو مع لينه وعدوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابه ومضاء ونفاذاً، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه. وهذا من قول بعضهم:

وكالسيف إن لا يفتنهُ لأنّ متنهُ وحداهُ إن حاشنتهُ خَشِنَانِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فإنّ الحسامَ الهندُوانيّ إمّا خُسُونَتُهُ ما لم تُقلَلْ مضارِبُهُ

(١) الرماق: العيش اليسير الدون الذى يمكك الرمق؛ ومن كلامهم: موت لا يجر

إلى عار خير من عيش فى رماق، ومثله العيش الرمق: أى الدون قال الكميّ:

أرانا على حبّ الحياة وطولِها يُجَدُّ بنسافى كل يوم ونهزلُ

نُعالج مُرَمَقاً من العيش فانياً له حاركٌ لا يحملُ العيبُ أجزلُ

[الحارك: أعلى الكاهل].

وَمَعَالٍ إِذَا أَدْعَاهَا سِوَاهُمْ لَزِمْتَهُ جَنَابِيَهُ الشَّرَاقِ (١)
يَأْتِي مَنْ كَلَّمَ بَدَوْتَ بَدَا لِي غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الْأَخْلَاقِ (٢)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكْرِ لِقَوْمٍ حَلَفُوا أَنْكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ (٣)
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزُّنْدُ وَالْآ فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الْآفَاقِ (٤)
قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَاكَ إِلَّا مَنْ سَيِّفُهُ مِنْ نِفَاقِ (٥)
إِنْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفُسِ أَنَّ الْجِمَامَ مَرُّهُ الْمَذَاقِ (٦)

(١) يقول : لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاها سواكم نسب إلى الحياة والسرقة .

(٢) يقول : أنت شديد الشبه بأبيك ، فإذا ظهرت لي شاهدت فيك أخلاقه ، وإن غاب شخصه ، وقال ابن الرومي :

إِذَا سَلَفٌ أَوْدَى وَخَلَفٌ مَثَلُهُ فَمَا ضَرَّهُ أَنْ غَيْبَتْهُ الرِّوَامِسُ

(٣) تنكرت : غيرت زيك حتى لا تعرف ، والمكر : مكان الكر في الحرب . يقول : لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفمالك التي لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جنى : في المكر حشو وفيه نكتة ، وهي أنه إنما شبه في المكان الذي يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبه فيها لافي غيرها مما ليس له شهرتها ، وقال التبريزي : حلفوا أنك ابنه : أي ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب ، فكان المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(٤) الاستفهام تعجب ، وقوى به : أطاقه ؛ والآفاق : نواحي الدنيا وأقطارها . يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهي قد اشتملت على نواحي الأرض ، أي استوت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت في قبضته .

(٥) يقول : إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيف الحديد لا متناحك على أسلحتهم بيأسك وشجاعتك وعدة شوكتك . فلا يلقونك الا بسيف النفاق ، يعني أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٦) قال أبو العلاء المعري : إن هذا البيت والذي بعده يفضلان كتابا من كتب

وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ (١)
كَمْ ثَرَاءَ فَرَجَتْ بِالرُّمُحِ عَنْهُ . . . كَانَ مِنْ بَحْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقِ (٢)
وَالْفَيْ فِي يَدِ اللَّيْمِ قَبِيحٌ قَدَّرُ قُبْحَ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ (٣)

الفلاسفة ، لأنهما متناهيان في الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألفت هذا الهواء فظننت أن الموت كرهه الذوق ، وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع في الأنفس أن الموت مر الطعم . قال الواحدى : وفي هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجأهروه بالحرب لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام . قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية بصد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه لا جزع بعد الموت لعدم حس الليت بشيء مما هو فيه . وعبارة أبي الفضل العروضى : لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر وينقص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب في هذا إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذي قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام قال : هذا ما أراده أبو الطيب ولم يرد الإلحاد وإنما قال هذا من حيث الظاهر

(٢) الثراء : كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه قتلت أربابه فأطلقته من إساره وأبجته لطلابيه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المال في يد اللئيم قبيح - لأنه يضمن به عن حقوقه - كما يقبح الفقر في يد الكريم ، فقوله قدر قبيح الكريم في الإملاق : يريد أن يقول قدر قبيح الإملاق في الكريم ، قلب للضرورة والقافية : وللصراع الأول من قول أبي تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَانَتْهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
وقول العطوى :

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسٍ فَمَلِكٌ كَالشَّمْسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ^(١)
شَاعِرُ الْمَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدَّقَاقِ^(٢)
لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلَكِنْ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَيْرُ النَّهَاقِ^(٣)
لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِي الْأَذَى هُرُّ أَوْ رِزْقِهِ مِنْ الْأَرْزَاقِ^(٤)

نعمة الله لا تُعَاب ولكن ربما استُتَبِحَتْ على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يع
وسخ الثوب والقلائس والبر ذون والوجه والقفا والغلام

(١) يقول : إن قولي لا يبلغ فعل المدوح في الشرف والرفعة ، ولكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولكن كالشمس في الإشراق : أي أن قوله في فعل المدوح الذي هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيكون كفوؤا له ، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل المدوح بأشعة الشمس التي تملأ الكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعاني الدقيقة فهو يهتن في صناعته : وأراد بالخدن ؛ نفسه ، جعل نفسه خدنا - صاحبنا وصديقا - للمدوح ترغبا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبي تمام :

عَرَبَتْ خِلَاتَهُ فَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ فَأَبْدَعَ مُغْرَبٌ فِي مُغْرَبٍ
(٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار في مديحك - لأنك ملك همم كبير المداح - ولكن شعري يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحير ، ولعله ينظر في هذا إلى قول خدش بن زهير :

وَلَنْ أَكُونَ كَنْ أَلْتِي رِحَالَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَى مَنَسِجَ الْفَرَسِ
وقول الآخر :

أَلْمَى بِابْنِ عَمِّكَ لَا تَكُونِي كَمَخْتَارِ عَلَى الْفَرَسِ الْحِمَارَا
(٤) يقول : إن دهرك محدود - محظوظ - مرزوق بك ، فليت لي مثل ماله من الحظ والرزق ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

أنت فيه وكان كلُّ زمانٍ يشتهي بعضَ ذا علي الخلاق^(١)

* * *

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثرت سُؤاله وغاشيته فقال له إنسان
جعلت مضربك على الطريق فقال : أحب أن يذكره أبو الطيب فقال :

لَا مَ أَنَا أَنَسٌ أَبَا الْعَشَائِرِ فِي جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرَقِ^(٢)
وَأِنَّمَا قِيلَ لِمَ خُلِقْتَ كَذَا وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخَلْقِ^(٣)
قَالُوا أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطَّرِيقِ^(٤)
فَقُلْتُ إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تَرِيهِ فِي الشُّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ^(٥)

(١) يقول : كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطعم في كلها ومثله

لمسلم بن الوليد :

كالدهرٍ يحسُدُ أولاهِ أوَاخِرَهُ إذ لم يكن كان في أعصاره الأول
وفيه نظر إلى قول أبي تمام .

مَضَى طَاهِرَ الْأَنْوَابِ لَمْ تَبْقَ بَقْعَةٌ غَدَاةً ثَوْبِي إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٢) العين : الذهب ؛ والورق : الفضة ، وقيل هي الدراهم المضروبة .

(٣) يقول : إن الذي يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ؟ أى أنه طبع

على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان ؛ لأن المطبوع على الشيء لا يستطيع
أن يجحد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته ، والذي خلق خلقه خلق خلقه .

(٤) كان أبو العشائر بميافارقين ، ف ضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون
دونه حجابا ، ف ذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحته ونداه في

البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصا ؟

(٥) الشح : البخل ؛ والفرق : الحرف والدعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا

وإنما يتعجب البخل كما يتعجب الحرف ، وذلك أن الشح خوف الفقر : والشجاع لا يفرق ،
كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول

أبو تمام :

وإذا نظرتَ أبا يزيد في وَغَى وَندَى ومُبدَى غارةٍ ومُعيدا

بِضَرْبِ هَامِ الْكِمَاةِ تَمَّ لَهُ كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ (١)
السَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا يَحْجُبُهَا بَعْدَهَا عَنِ الْحَدَقِ (٢)
كُنْ لُجَّةً أَيْهَا السَّمَاحُ فَقَدْ آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْفَرَقِ (٣)

* * *

يَقْرَى مُرَجِّبِهِ مُشَاشَةً مَالَهُ وَشَبَا الْأَسَدَةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدًا (١)
أَيْقَنْتَ أَنْ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُذِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودًا

ويقول الآخر :

إِلَى جَوَادٍ يَمُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبَيْنِ وَبِاسْمِ بُلْبُلٍ يُحْلَهُ يَعْتَدُهُ جُبْنَا
يَلْقَى الْعَفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ قَبْلَ السُّؤَالِ وَلَا يَبْنِي بِهِ ثَمْنَا
(١) الهام : الرؤوس ؛ والسكاة : جمع كمي ، الشجاع المستتر في سلاحه . يقول :

إِنْ كُلُّ أَحَدٍ يَجِبُهُ لَشَجَاعَتِهِ كَمَا يَجِبُ مِنَ يَتَمَلَّقُ النَّاسَ وَيَلِينُ لَهُمْ وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ فَمِ لَهُ بَضْرِبُ
الهام ما يكسبه التملق ، كما قال :

وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ (٢)
(٢) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع
بعدها يراها كل راء -

(٣) يقول : كن أيها الجود بجرأ ذا لجة مهلكا ، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر
على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سؤاله وقصاده مالا أخذ
له سيفه أضغاف ذلك ؛ وهذا كقوله :

فَالسِّمُّ يَكْسِرُ مِنْ جِنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْمَيْجَاءَ
وقيل المعنى : كن أيها الجود بجرأ إن شئت فإنه لا يخاف أن يفرق لأن سيفه أعطاه .
الأمان من كل تهلكة ، يريد أنه مع سباحته شجاع حق لو صار الجود تهلكة ما خافه .

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذي يمكن مضغه ، والثغرة - بالضم

نقرة النحر .

(٢) شكده : أعطاه أو منحه .

قافية الكاف

وقال وقد أجل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ أَنْسَفَكَ وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاطَتْ بِهِ مَلِكًا^(١)
 مَنْ يَنْسِرِفُ الشَّمْسَ لَا يُنْكِرُ مَطَالِعَهَا
 أَوْ يُبْصِرُ الخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمُ الرَّمَكَا^(٢)
 تَسْرُ بِالمَالِ بَعْضَ المَالِ تَمْلِكُهُ إِنَّ البِلَادَ وَإِنَّ العَالَمِينَ لَكَ^(٣)
 ولما أنشد أجب دمي^(٤) الخ استحسناها فقال :
 إِنَّ هَذَا الشُّعْرَ فِي الشُّعْرِ مَلَكٌ سَارَ فَهَوَ الشَّمْسُ والدُّنْيَا فَلَكِ^(٥)

(١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك - انصب - بسيف الدولة ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه : ورب قصيدة مدح بها فغاطت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسها .

(٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يحمد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، هما بمعنى .

(٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداً شيئاً فقد سررت بملك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر في هذا إلى قول عدى بن زيد :

ولك المال والبلاد وما يملك من ثابتٍ ومُستاقٍ

(٤) أراد القصيدة التي مطلعها :

أجاب دمي وما الداعي سوى طللٍ دعاه فلباه قبل الركب والإبل

(٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالمالك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخاق ، وهو سائر في الدنيا سير الشمس في السماء . هذا : والمالك - بالتحريك - واحد وجمع . قال الكسائي : أصله مالك - بتقديم الهجزة - من الألوكة ، وهي

عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ يَبْنِنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدُ لَكَ^(١)
فَإِذَا مَرَّ بِأُذُنِي حَاسِدٍ صَارَ مِنِّي كَأَنَّ حَيًّا مَهْلَكًا^(٢)

* * *

الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل ملاك . وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان ؛ وقال ابن السيرافي : هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فَاسْتَلِمَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَاكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ
ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك ، فلما جمعه ردوها إليه ، فقالوا : ملائكة وملائك أيضاً ، قال أمية بن أبي الصلت :

وَكَأَنَّ بَرَقَعَ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهَا سَدْرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرِبُ^(١)
قال ابن بري : صوابه أجرد - بالدال - لأن القصيدة دالية ، وقبله :
فَأَتَمَّ سِتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَاقَهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تَوَرَّدَ
وفيها يقول في صفة الهلال :

لَا نَقْصَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ خَبِيئَتُهُ قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُقَمَدُ^(٢)

(١) يقول : عدل الله فيه بيني وبينك فقضى لي بالإحسان في نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فخسك لي بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائماً ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتِي أُعْطَيْتَنِي فَالِدُرُّ دُرُّكَ وَالنُّظَامُ نِظَامِي
(٢) يقول : إذا سمع شعري حاسد لي من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحد ، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله . ومافيه من الحماد لم يمدح به أحد من الملوك .

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هي السابعة ، وسدر : أي بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد للملاسته لا لجره . وقوله تواكله القوائم : أي تواكلته الرياح فلم يتموج .
(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف فيما تزعمه العرب .

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :
أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنَا فِي سَمَاءِ مَا لَهَا حُبُّكَ^(١)
الْفَرْقَدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ
وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكَ^(٢)

* * *

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري :
بَكَيْتُ يَا رَبِّعُ حَتَّى كِدْتُ أَبْكِيكَ وَجُدْتُ لِي وَبَدَمِي فِي مَعَانِيكَ^(٣)
فَعِمُّ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجَنًا وَأَرْدُدُ تَحِيَّتَنَا إِنَّا نُحْيُوكَ^(٤)

(١) الحبك : طرائق النجوم في السماء . جعل مجلسه في علو قدره كالسما . غير أنه ليست له طرائق كما للسماء .

(٢) الفرقد : نجم معروف ، وهما فراقدان . جعل ابنه — وهو قريب من المصباح — كالفرقد ، وأراد بالصاحب : الفرقد الآخر ، وفي هذا نظر إلى قول علي بن الجهم :
كَأَنَّهُ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ تَتَّبِعُهُ بِدْرِ السَّمَاءِ تَلِيهِ الْأَجْمُ الزُّهْرُ

وقال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبي نواس :

قَضَى أَيْلُولٌ وَارْتَفَعَ الْحُرُورُ وَأَذَكَتْ نَارَهَا الشُّعْرَى الْعَبُورُ
فَقُومًا فَانْكِحَا خِرًا بِمَاءِ فَإِنَّ تَنَاجٍ بَيْنَهُمَا السَّرُورُ
تَنَاجٍ لَا تَدِرُّ عَلَيْهِ أُمَّ بِحَمَلٍ لَا تَعْدُ لَهُ الشُّهُورُ
إِذَا الْكَاسَاتُ كَرَّتْهَا عَلَيْنَا تَكُونُ بَيْنَهَا فَلَكَ يَدُورُ
تَسِيرُ نَجْمُهُ عَجَلًا وَرَيْنًا مُشْرِقَةً وَأَحْيَانًا تَنُورُ
إِذَا لَمْ يُجْرِهِنَّ الْقُطْبُ مِتْنَا وَفِي دَوْرَاتِهِنَّ لَهَا نَشُورُ

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي كان به أهله . يقول : بكيت عليك يارب حتى لو كنت ممن يعقل لرئيت لحالي وبكيت لبكائي ، فقد أنفقت نفسي وأفانيت دمي في مغانيك أسفا عليك وتذكر آ لأهلك . فقوله وجدت بي : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أنفقتها .

(٤) عم صباحا : بمعنى أنعم ، يخاطب الربيع على عادة العرب في مخاطبة الربوع

بِأَيِّ حُكْمٍ زَمَانَ صِرْتَ مُتَّخِذًا
رُثْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رُثْمِ أَهْلِيكَ (١)
أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا أَنْبَعَتْنَا لَنَا
إِلَّا أَنْبَعَتْنَا دَمًا بِاللَّحْظِ مَسْفُوكًا (٢)
وَالعَيْشُ أَخْضَرُ وَالْأَطْلَالُ مُشْرِقَةٌ
كَانَ نُورَ عَيْبِدِ اللَّهِ يَقُولُوكَا (٣)
نَجْمًا أَمْرُؤُ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ
وَخَابَ رَكْبٌ رِكَابٍ لَمْ يَوْمُوكَا (٤)

والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول للربيع — على سبيل الدعاء :
أنهم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكرا لما سلف لى فيك
من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق
لفقد الأحبة .

(١) الرُّثْمُ : الظبي الخالص البياض ، والفلا ، جمع فلاة ، الصحراء ، يقول : أى
حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أفقرت فأوتت إليك ظباء الصحارى بدلا
من ظباء الإنس اللاتي رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام

وَظَبْيَاءَ أَنْسِكَ لَمْ تَبْدَلْ بَعْدَهَا
بِظَبْيَاءِ وَحَشِيكَ ظَاعِنًا بِمَقِيمِ
(٢) أراد بالشموس : الحسان ؛ وانبعثن : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وانبعثن :
أسلن . يقول : إني لأذكر أيام فيك شمس ما ظهرن لنا إلا أبكيننا دما صبوبا بنظرنا
إلهن : أى أجرين بالحاطهن دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :

يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحْظَاتَهُ
إِلَّا تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ
وقال أشجع السلمي :

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَاسِنِهَا
فَلِكُلِّ مَوْضِعٍ نَظْرَةٌ قَتْلُ
وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وَجَفُونَ لَكَ لَا تَطْرَفُ إِلَّا عَنِ قَتِيلِ

ما جميل الصبر عنها عند مثلى بجميل

(٣) خضرة العيش : كناية عن الحصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار .
يقول : كان العيش رغداً طيباً وأطلاك — أى التى هى أطلال اليوم — كانت مشرقة
قبل تفرق الأحبة وارتحالمهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص :

(٤) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك : يقول :
تخلص من مكره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك بإتباعه وخاب من لم يقصدك

أَحْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّمْرَ فَأَمْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ^(١)
 وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَأَقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ^(٢)
 فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقَ يَدَايِكَ^(٣)
 شُكْرُ الْعُفَاةِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكًا^(٤)

ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء؛ أي قوم ركبوا وفي قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك
 (١) يقول: إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والجد،
 وعلّمتهم من غوامض المعاني حتى استغنوا عن إخراجها بالفسر، فسهل عليهم الشعر حتى
 كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً، فامتدحوا ومدوحهم بما فيك من خصال الجود ومعاني
 الشرف وهي لك، غير أنهم ينخلونها بمدوحهم، وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي:

مدح الأولون قوماً بأخلا فِكْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَى مَخْلُوقًا
 نخلوم ذخائراً لك بالببا طَلِ مِنْ قَوْلِهِمْ وَكَانَ زَهْوَقًا
 فانزعنا الحقوق من غاصبها فَجَبَا صَادِقٌ بِهَا مَصْدُوقًا

وفي البيت التالي زيادة بيان لمقصوده.

(٢) مثله لأبي العتاهية:

شيمٌ فتحت من المدح ما قد كَانَ مُسْتَفْلِقًا عَلَى الْمَدَاحِ
 ولا بن أبي فنن:

يُعَلِّمُنَا الْفَتْحَ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ وَيُحْسِنُ حَتَّى يُحْسِنَ الْقَوْلَ قَائِلُهُ
 وقال أبو تمام:

ولو لا خلال سنها الشعر ما درى بُنَاةَ الْعَلِيِّ مِنْ أَيْنَ تَوَنَّى الْمَكَارِمِ
 وقال أيضاً:

تغرّى العيون به ويُفلقُ شاعر فِي وَصْفِهِ عَفْوًا وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ

(٣) يقول: كن على الحالة التي أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك في
 أوصافك وأخلاقك، وإنما قال: كما شئت: لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم
 والمجد بديعة في جميع أحواله.

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو طالب العروف؛ وأوليت: أعطيت. وأوجدني:

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْهَمَنِي أُنِي بِقِلَّةِ مَا أَمْنَيْتُ أَهْجُوكَا^(١)
 كَفَى بِأَنْتَكَ مِنْ قَحْطَانَ فِي شَرْفٍ . وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلُّ مِنْ مَوَالِيكَ^(٢)
 وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لِرَأُونِي مِثْلَ شَانِيكَ^(٣)
 لَبِي نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِي يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَ^(٤)

جعلني أجد . يقول : إن شكر السائلين لمطائرك دلتني عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا إليك فسلكته إلى جودك .

(١) الآفاق : النواحي . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر في جنب قدرك حتى لتخيل الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر استحقاقك ، قال البحرى :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ قَدْرُكَ دِيكُونِ الْمَدِيحِ فِيهِ هِجَاءٌ

(٢) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : في موضع رفع فاعل كفى ؛ وفي شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر في الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والوالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — في موضع شريف أو نسب شريف فإن غفرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك .

(٣) الشانى : البغض ، وأصله الشانىء — بالهمز — فلينه للقافية ، يقول لوتقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى فى الذلة والقله مثل عدوك الذى يبغضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لَوْ كَمَا تَنْقُصُ تَزِدَا دِ إِذْنِ نِلْتَ السَّمَاءَ

ثم نقله أبو تمام فقال :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْنٌ لَتَفَدَّتْ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

(٤) لبي : تثنية لب — مثل لبيك ، واللبي : اسم من الإلباب ، وهو لللازمة يقال ألب بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الاضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم لبيك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما فى هذا البيت ، وقوله من رجل : «من» زائدة ؛ والمجورور فى موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبي ندادك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع ، من ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا محجب لما يريد بى من الاحسان

مَا زِلْتُ تُتَبِّعُ مَا تُولِي بَدَا بِيَدِي حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيَادِيكَ^(١)
فَإِنْ تَقُلْ هَا فَعَادَاتُ عُرِفَتْ بِهَا أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فُوكَا^(٢)

إلى وصوغ الديدج له . ثم دعا للمدوح فقال : يديك من رجل صحي وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ وبدا : بدل بعض من الموصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت أيديك عندي فظننت أن حياتي كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَا تَنْتَفِنِي بَعْدَ أَنْ رَشَيْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكَ^(١)

(٢) ها - هنا - بمعنى خذ . يقول : فإن قلت لي : خذ فذلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فإنك لا تقول لا - أي لا أعطيك أولا أقضى حاجتك - فإن فاك - فاك - لا يجوز بهذه الكلمة ، ولسانك لا يؤتيك عليها ، لأنك لم تتعود ذلك ؛ وفي مثل هذا يقول الفرزدق :

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدِي لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعْمُ
ويقول أبو العتاهية :

وَإِنْ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْضِ لَا إِلَيْهِ كَيْبُفِضُ مَنْ قَالَهَا
ويقول العسكوك في أبي دلف :

مَا خَطَّ لَا كَاتِبَاهُ فِي صَحِيفَتِهِ كَمَا تَخَطُّ لَافِي سَائِرِ الْكُتُبِ
وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى صاحب كتبها وكتب معها :

العميرى عبد كافي الكفاءة ، وَإِنْ اعْتَدَّ مِنْ وَجْهِ الْقَضَاءِ
خَدَمَ الْمَجْلِسَ الرَّفِيعَ بِكُتُبِ مُتْرَعَاتٍ مِنْ حَسَنَاتِ مَقْعَمَاتِ

(١) يقال راشه يريشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، وشف الريش نزعها ، والمراد هنا : سلبه ما أعطاه إياه .

ورود کتاب من ابن رائق علی بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تَهْنَأُ بِصُورٍ أُمُّ نُهْنَيْهَا بِكَأَ وَقَلَّ الَّذِي صُورَهُ وَأَنْتَ لَهُ لَكَأُ^(١)
وَمَا صَغُرَ الْأَرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُبِيتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَ^(٢)
تَحَاذَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ أَنَّهُا
نَفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالغَرْبُ نَحْوَكَ^(٣)

فكتب إليه صاحب

قد أخذنا من الجميع كتاباً وَرَدَدْنَا لَوْقَتَهَا الْبَاقِيَاتُ
لست أستغنم الكثير فطبعي قَوْلُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام وتهنا بصور : أي
أتهنا بصور ؛ لحذف همزة الاستفهام لمادلت عليه أم ولين همزة تهناً للوزن . يقول : أتهناً
بولاية صور أم نهني صوراً بك ؟ ثم قال : وقل لك الذي صور له وأنت له : أي أنت
أحد أصحابه « يعني ابن رائق ، يريد : لو كنت أنت ابن رائق - أي لو كنت تملك
ما يملكه - لقد ذلك قليلاً بالنسبة إلى ما تستحقه ، فصور - في الشطر الثاني - مبتدأ ؛
وأنت : عطف عليها ؛ وله خبر ؛ ولكا : متعلق بقول ؛ وفي مثل هذا . يقول إسحاق بن
إبراهيم الموصلي :

أَنْهَيْتِكَ بِطُوسٍ أُمُّ نُهْنَيْ بَكَ طُوسَةٌ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ طُلَاقٍ بِكَ يَا فَضْلَ عُرُوسَا

ويقول أشجع السلمي :

إِنْ خِرَاسَانَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ تَرَفَعُ مِنْ ذِي الْهَيْمَةِ الشَّانَا
لَمْ يَحِبُّ هَارُونَ بِهَا جَفْفَرًا لَكِنَّهُ حَابِي خِرَاسَانَ

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكي]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحببت به : أعطيته : يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر
بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك . وإلافه عظمة الشأن في نفسها .
(٣) يقول : إن البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل

وَأَصْبَحَ مِصْرًا لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقَلَّةٍ وَقَمَّ بِبَكِّي (١)

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّا كَا لَا لِيَسْوَى وَدَكَ لِي ذَا كَا (٢)
وَلَا لِحَبِيبِيَا وَلَكِنِّي أُمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَا كَا (٣)

لسمى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلمساً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير في كلامهم ، قال أبو تمام :

لَوْ سَعَتْ بِلَدَةِ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْجَدِيبُ

وقال البحترى :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ

(١) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة . وأصبح - ههنا - تامة . والواو - من قوله ولو أنه - واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للنصر الذى حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .
(٢) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشيء سوى ودك لى ؛ أى إنما أنادمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن - ههنا - نكرة بمعنى أحد ؛ وإلاك : فيه قبيح ؛ والوجه : إلا إياك ، لأن «إلا» ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فَمَا نُبَالَى إِذَا مَا كُنْتَ جَارَتَنَا أَنْ لَا يَجَاوِرَنَا إِلَّا كَ دِيَارِ (١)

(٣) لحبيبا : أى لحبى إياها - يعنى الحجر - كفى عنها وإن لم يجر لها ذكر : يقول : لست أنا دمك لأننى أحب الحجر ، ولكن لأنك مرجو لأولياك مهيب يهابك ويخشاك أعدائك ؛ ومن كان كذا ، تجب طاعته .

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى ما بها أحد ، وهو فيعال : من دار يدور

يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكثر لعدم مجاورة غيرك لنا .

وقد كان تاب بدر بن عمار من الشرب مرة بعد أخرى ، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارجعاً :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاءُ فِي مَلِكِهِ لَا مَلِكَ لَكَ (١)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبِينُنَا دَمُ كَرَمَةِ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفِكِهِ (٢)
 وَالصَّدَقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَنَبْنَا
 أَمِنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أُمٌّ مِنْ تَرَكَهِ (٣)

وقال في محمد بن طنج وعو عند طاهر العلوي :

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبُرِّ رَوْ مِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ (٤)
 وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ (٥)

* * *

وقال في أبي العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة في داره فقال :

لَيْتَ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَكَ (٦)

(١) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك في مالك ، لافي ملكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

وَمَنْ كَثُرَتْ فِي مَالِهِ شُرَكَاءُهُ غَدَا فِي مَعَالِيهِ قَلِيلُ الْمَشَارِكِ

(٢) جعل الخمر دم الكرم ، وجعل شربها سفكاً لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .

(٣) يقول الصدق ديدن الكرام الأشراف تخبرنا عن أيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا ، قال له بدر بل من تركه ، وقوله : فنبتنا ، هي فنبتنا ، فترك الهمز .

(٤) و (٥) يقول - وكان عنده في مجلس الشرب ليلاً وأطال - : قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجيء إليك الدار اشتياقاً إليك ومحبة لك .

(٦) يقول : إن كان قد أحسن في وصف البركة فقد ترك الحسن في وصفه إليك إذ لم يصفك ولم يمدحك .

لَأَنْتَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبَحَارَ لَتَأْتَفَ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبِرْكَ^(١)
كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لَا مَأْمَلُكَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَأْمَلُكَ^(٢)
فَأَكْثَرُ مِنْ جَرِيهَا مَا وَهَبْتَ
وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكَ^(٣)

أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ وَذُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكَ^(٤)

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال ، وجرى فيها كلام كأنه يعنى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها في شعبان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وفيها قتل :

فِدَاكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ^(٥)

(١) يقول : كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأنف من البرك لاستصغارها إياها ؛ قال الواحدي : والذى سمعته في معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان قد شبه البركة بأبي العشائر ؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن في وصفك حيث شبهها بك ، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير .
(٢) يقول : أنت كسيفك لأنك تنفى ما تملكه فلا يبقى لديك ، وكذلك سيفك يعنى ما ينظر به فلا يدع أحدا حيا ؛ وجعل السيف مالكا - حيث قال ولا ما ملك - مجازاً ، ويقال ملكتهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها .
(٣) من جريها : أى من جرى ماء البركة . يقول : إن ماجرى من هباتك وعطاياك أكثر مما جرى من ماء البركة ، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مائها .
(٤) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنيت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٥) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :

أيهذا الوزير لا زال يفدي
لك من الناس كل من هو دونك
وإذا كان ذاك أوجب قولى
أن يكونوا بأسرهم يفدونك

هذا : ويقال فداء يفديه فداء وفدى وفاداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأتقذه ؛ وفداء بنفسه وفداء : إذا قال له جملة فديك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر

وَلَوْ قُلْنَا فِدَىٰ لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعْوَانَا بِالْبِقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ (١)
وَأَمْنَا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَلِكَةٍ مِلاكَ (٢)

أوله يد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فدى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداء - بالتونين - إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداء لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء وأنشد الأصمعي للنابغة :

مَهْلًا فِدَاءَ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلَّهُمْ وَمَا أَمَّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ

وقال الفراء : العرب تقصر الفداء وعمده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالوا فداك . وقال في موضع آخر : من العرب من يقول فدى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومدها . وقال النابغة - وعنى بالرب : - النعمان بن المنذر -

* فِدَىٰ لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفٍ وَتَالِدَى *
*

(١) قلاك : أبغضك ، يقال قلاه يقليه قلى وقلاه إن فتحت القاف مددت ومقلية : أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيديويه قلاه يقلاه وهو نادر ؛ وفي الحديث : « وجدت الناس أخبر ثقلة (١) » وتقلى الشيء تبغض قال كثير :

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (٢)

يقول التنبي : ولو قلنا يفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء ، لأنهم كلهم دونك ولا يساوونك : وقال ابن جنى : المراد أن الخلق كلهم فداء للمدوح لأنهم يقصرون عن مدها فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء لأنهم لا يساوونك في الملك ، بل يقصرون عنك .

(٢) وآمنا : عطف على قوله دعونا . وملاك الشيء : قوامه . يقول : ونأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه : إذا كان يفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبرة العكبرى : المعنى : قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ وملوكتهم المترفين ، وإن كان من

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر : أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، ومعنى نظم الحديث : وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غاب .

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشَّبَاكَ (١)
 وَمَنْ بَلَغَ التَّرَابَ بِهِ كِرَاهُ وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ الشُّكَاكَ (٢)
 فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ صَدِيقاً لَقَدْ كَانَتْ خَلَا تُقُهُمْ عِدَاً (٣)
 لِأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفًا إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَ (٤)

بين تلك النفوس من هو ملاك ، ومن ينفرد بعلو منزلة ، فهم عند إصاقتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لا حظا لهم في الملك . . . قوله فداءك : مفعول ثان لآمنا مقدّم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يفتعل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يجودون طمعاً في جر المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذي هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذي يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : روى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمنا فداءك كذلك من ألقاه عماء وغفلته بالتراب أو بالحضيض - وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والحلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن ولتلك قلوبهم فقد عادتكم أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بوناً بعيداً ، إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك في البيت التالي .

(٤) الحسب : ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق المكتنزة ، يكون ذلك في الناس والإبل ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وامرأة ضناك : ضخمة - من الضنك الذي هو الضيق ، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم . قال العجاج يصف جارية :

فَهِ ضِنَاكَ كَالْكُتَيْبِ الْمُنْهَالِ عَزَزَ مِنْهُ وَهُوَ مَعْطَى الْأَسْهَالِ

* ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنُهُ بِالْمُنْهَالِ * (١)

(١) الضناك : الضخمة - كالكتيب الذي ينهال عزر منه - أي سدد من الكتيب ضرب السواري : أي أمطار الليل ، فانزم بضه بعضاً . شبه خلقها بالكتيب وقد أصابه المطر ، وهو معطى الأسهال : أي يسطيك سهولة ماشئت .

أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي بِجَبِّكَ أَنْ يَجِلَّ بِهِ سِوَاكَ^(١)
 وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا نَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرًّاكَ^(٢)
 أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَ^(٣)
 لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ^(٤)

يبين المنفي الوجه في معاداة أخلاقهم له ، يقول : إنك تبغض أن ترى أحداً قلت مفاخره ، وهو كثير المال يقدر على كسب المال والحمد ، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته ، والنحف والضناك : استعارة ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم :

سَلِيلُ خِلَافَةٍ وَغَذَى مُلْكٍ جَسِيمٌ مَحَامِدٍ مَنُهِوِكِ مَالٍ

(١) يقول : أروح عنك وقد ختمت على قلبي بجبك واستخلصته لنفسك بما ترادف على من برك فلم يدع جبك فيه لعيرك مكافأ ينزل بساحته ؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

لَا أَشْرِكُ النَّاسَ فِي مَحَبَّتِهِ قَلْبِي عَنِ الْعَالَمِينَ قَدْ خُتِمًا

(٢) وقد حملتني : عطف على الحال - في البيت السابق - والحراك بمعنى الحركة . كفى بثقل الشكر عن كثرة النعم التي تقتضيه ، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَدِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

(٣) الضمير - في يشق - للشكر ؛ والسواك : ببطء السير من عجب أو إعجاب ،

يقال تتساوك الدواب سواكا : إذا مشت هزلي ضعيفة ، قال الشاعر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا جَرَى بِجِيَادِنَا تَسَاوَكُ هَزَلِي مُحْنٌ قَلِيلٌ

يقول : أحاذر أن يشغل هذا الشكر على دوابي لكثرة ما حملتني منه - وللرأد

النعم - فلا تمشي بنا إلا ضعيفة .

(٤) الضمير في يجمعه : للرحيل ، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلاً ، فأضمر للأول

جوفه بالثاني . والنرا : الكنف والتأحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق

سبباً لإقامتي عندك بأن أصلح أموري وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلي إلى حضرتك

فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفي هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أُنَى لِلْمُقَامِ أَطْوَفُ

وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ (١)
 وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي نَدَاكَ الْمُسْتَفِيضُ وَمَا كَفَاكَ (٢)
 أَتَتْهُ كُنْيَةُ وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِي فَتَقَطَعَ مِشْيَتِي فِيهَا الشَّرَاكَ (٣)
 أَرَى أَسْنِي وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَ (٤)

وقول أبي تمام :

أَلْفَةَ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعٍ
 وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأُوبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ
 (١) يقول : لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصري إلى أحد بالنظر إليه حتى

أعود إليك ، قال أبو النجم :

لَمَّا تَبَيَّنْتُ أَيَّ لَا أُعَايِنُكُمْ غَضَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ أَحَدًا
 وقال صريع التواني :

إِنْ يَحْجُبُوهَا عَنِ الْعُيُونِ فَقَدْ حَجَبْتُ طَرْفِي لَهَا عَنِ الْبَشَرِ
 (٢) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفاني ماجدت به على ولم يكفك ذلك فتأني إلا
 أن تعطيني فوق ما أعطيتني وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا
 أسرع العود إليك : وفيه نظر إلى قول البحري :

فَلَمْ أُمْلَ إِلَّا مِنْ مَوَدَّتِهِ بِيَدِي وَلَا قَلْتَ إِلَّا مِنْ مَوَاهِبِهِ : حَسْبِي
 (٣) أتركني : أراد أتركك فقلب ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛
 والاستفهام إنكارى : أي لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام :
 والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من اتعل
 عين الشمس ، وإذا فارتقت فارتقت هذه الرفعة ، فكأني مشيت في تلك النعل حتى
 قطع مشي شراكها . وإليك عبارة ابن جنى : بحصولي عندك وقصدي لك شرفت عند
 الناس ، فإذا بدت عنك زال ما كسوته من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت
 نعله عين الشمس فمشى فيها فاقطع شراكها فسقط من رجله .

(٤) وما سرنا : حال معترضة بين مفعولي أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله
 السقوط على الركب . يقول : أرى أسنى لمفارتك شديدا وأنا لم أسر بعد ، فكيف
 يكون أسنى إذا جد بنا المسير ؟ وفي هذا المعنى يقول سحيم عبد بن الحساس :

وَهَذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَ (١)
 إِذَا التَّوَدِّيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتُ لِصَاحِبَتِ فَأَاكَ (٢)
 وَلَوْلَا أَنْ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةً لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَ (٣)

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمُضِ غَيْرُ لَيْلَةٍ فكيف إذا جدَّ المطىُّ بنا عشرًا؟
 وقال أشجع السلمي :

فَهَا أَنْتَ تَبْسِكِي وَهُمْ حَيْرَةٌ فكيف تسكون إذا ودَّعوا
 لَقَدْ صَنَعُوا بِكَ مَا لَا يَحْسُلُ ولو راقبوا الله لم يصنعوا
 أَتَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْفِرَاقِ محالٌ لعمرك ما تطمع
 وقال آخر :

لَقَدْ كُنْتُ أَبِيكَ خَيْفَةً لِفِرَاقِهِ فكيف إذا بَانَ الحبيبُ فودَّعَا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك - لغتان -
 - أثر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل في عمل السيف ولم تتفارق
 وأثر في تأثيره ولم أضرب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف
 يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا
 حضر الوداع قال لى قلبى الزم الصمت بعد مفارقتة ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحبت
 فاك : أى لانطقت . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . والى : جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا
 أن أكثر ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضا مناك فى الارتحال
 حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى الممدوح . وعبارة بعض الشراح :
 قوله ولا مناك : أراد ولا صاحبت مناك - بضم تاء صاحبت - ضمير الشاعر ، أو
 بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين - فى البيت السابق - يقول : ولولا أن أكثر
 ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت مناك أيضا : أى لا كانت لك منية
 تتمناها ، وهو دعاء عليه بالأس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرجوع حينئذ ، فهو من جملة
 تلك الذى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال الذى لزول هذه المنية من بينها فيبقى
 عند الممدوح .

قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءِ بَدَاهِ وَأَقْتُلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَ (١)
 فَأَسْتُرُ مِنْكَ تَجْوَانَا وَأَخِي هُمُومًا قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْغِرَاكَ (٢)
 إِذَا عَاصَيْتَهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتَهَا كَانَتْ رِكَاكَ (٣)
 وَكَمْ دُونَ الثَّوْبَةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بَدَاكَ (٤)

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه - : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للمدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك : أى أنك تداويت من فراقه بما هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويرى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق المدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا داويت شوقك بفراقه فقد داوته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :
 أَرَى بَصْرِي قَد رَأَيْتَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ
 وقال بعضهم :

أَفْضَى بِكَ الْمَجْرُ إِلَى أَلْمَا فَجِئْتُ مِنْ دَاءِ إِلَى دَاءِ
 (٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فأسترعنك ياعضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عرا كها ومغالبتها .
 (٣) الركاك : الضعاف ، جمع ريك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هذه المموم - هموم الشوق إلى الأهل - ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت على وإذا طاوعتها وأزمت الرحيل ضعفت وهانت . وقال الواحدى : المعنى : إذا عاصيت هذه المموم فى فراق المدوح اشتدت على وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها .
 ومثل هذا قول أبى العتاهية :

كَمْ أُمُورٍ عَاصَيْتُهُنَّ زَمَانًا ثُمَّ هَوَّتَهَا عَلَى فِهَانَتِ
 (٤) الثوبية ؛ مكان بالكوفة . وذا . مبتدأ ؛ خبره : الظرف بعده . يقول : كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراقى إذا قدمت عليه سر بقدمى فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد ، كما قال أبو تمام :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةَ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ طَلَى تَرَحَّ الْوَدَاعِ
 (٩ - الذى ٣)

وَمِنْ عَذَابِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخْنَا يُقْبَلُ رَحْلَ تَرْوِكَ وَالْوَرَاكَ^(١)
 يُحْرَمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ^(٢)
 وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبِشَامَةَ وَالْأَرَكَ^(٣)
 يُحَدِّثُ مُفْلَتِيهِ النَّوْمُ عَنِّي فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنِّي نَدَاكَ^(٤)

وقال ابن الرمي مخاطباً أمه وقد أراد سفراً :

فَقُلْتُ لَهَا إِنْ أَكْتَابَا بِشَاخِصٍ سَيَتَّبِعُهُ اللَّهُ ابْتِهَاجًا بِقَادِمٍ

(١) ومن عذب : عطف على من حزين ؛ والرضاب : الريق ؛ وأنخنا : أى
 أنخنا مطايانا وهو كناية عن النزول . وتروك : إسم ناقة حملها عضد الدولة ؛
 والوراك : الثمرة : التى تلبس مقدم الرحل ثم تثنى تحتها زين بها ، والجمع ورك .
 قال زهير :

مَقْوَرَةٌ تَنْبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقَطُوعُ عَلَى الْأَجْوَازِ وَالْوُرُكِ^(١)

يقول : وكه هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا
 مطايانا قبل رحل ناقى ووراكها لأنها أدتني إليه .

(٢) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبِّ ابِ صَاكِ الْعَبِيرِ بِأَجْلَادِهَا

والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزناً على
 فراقى ، وهو مع ذلك تشم منه روائح الصب حتى لكأن الطيب قد لصق به .

(٣) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والطيب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من

الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولكنه يبذل
 ثغره لسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدمى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه

حدثه عن إحسانك إلى حق يعذرنى فى الإقامة عندك .

(١) الشوار والشارة : اللباس والهيئة ، ويقال : جاءت الإبل مقورة : أى شاسفة

يابسة - من الضمر ، والمقور أيضاً من الخيل الضامر ، والقطوع : جمع قطع ، الطنفسة
 تكون تحت الرحل على كفتى البعير ، والأجواز : الأوساط .

وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِفَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْضَى الْعَذَا فِرَةَ اللَّكَّاكَ (١)
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا أَنْتَهَتْ تَوْهَمُهُ أُبْنِشَاكَ (٢)
وَلَا إِلَّا بَأَنَّ يُصْنِي وَأُحْكِي فَلَيْتَهُ لَا يَتِيَمُهُ هَوَاكَ (٣)
وَكَمْ طَرِبَ السَّمِيعَ لَيْسَ يَدْرِي أَيْعَجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ غَلَاكَ (٤)
وَذَاكَ النَّشْرُ عَرِضُكَ كَانَ مِسْكَاً
وَذَاكَ الشَّعْرُ فِهْرِي وَالْمَدَاكَ (٥)

(١) البخت الجمال الخراسانية ، وروى البدن : أى السمان من الإبل ؛ ويعرفن : أى يأتين العراق ؛ والكوفة بلد أبى الطيب - : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللكاء : المكثرة اللحم . يقول : ولت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أنضاهما ثقل ما حملت من عطاياك .

(٢) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عنى فليست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه توهمه كذبا : أى أى أبى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ما وصف له الحلم . (٣) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، غذف الفعل للعلم به . يقول : ولا أرضى بشيء إلا بأن يستمع إلى وأحكى ما أغدقته على من نعمك وإفضالك ، فليت عند ذلك لا يتيمه هواك ويستعبده حبك لأن الإحسان يستعبد الإنسان ؛ و«فليت» و«لا يتيمه» على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الباء من يصنى وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٤) يقول : وكم من إنسان تطرب مسامحه إذا سمع شعري فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علوشأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؛ وعبرة العكبرى : والمعنى كلاهما محجب لأنى أثبت فى شعري من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى ؟ (٥) النسر : الرأحة الطيبة ؛ ويريد به : اثناء ؛ والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاة التى يداك عليها أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرأحة الذى هو عرضك كان بمنزلة المسك ؛ وكان شعري بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رأحة الشتاء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلَا تَحْمَدُهُمَا وَأَحْمَدُ هُمَا إِذَا لَمْ يُسَمَّ حَامِدُهُ عَنَّا كَأَنَّ (١)
 أَعْرَهُ لَهُ شِمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ غَدَاً يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكَ كَأَنَّ (٢)
 وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدِهِ وَآخَرُ يَدْعِي مَعَهُ أَشْتَرَاكَ كَأَنَّ (٣)
 إِذَا أَشْتَبَهْتَ دُمُوعٌ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى يَمِّنَ تَبَاكَى كَأَنَّ (٤)
 أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعٍ لِعَيْنِي مِنْ نَوَايَ حَلَى أَوْلَاكَ كَأَنَّ (٥)

وما ازدادَ فضلُ فيكَ بِالمدحِ شهرةً بَلَى كَانَ مِثْلَ الْمِسْكِ صَادَفَ مَخُوضَا
 [الخوض : الذى يحرك به الطيب ؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلاً بل يظهر رائحه ،
 كذلك هذا الشعر يظهر فضائل المدوح للناس ولا يزيده فضلاً] .

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : لا نحمد الفهر والذالك اللذين جعلتهما
 مثلاً لشمرى واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بمصالحك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده
 يعنى بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إتمامك ولم أذكر اسمك كنت أنت
 للعنى بذلك الحمد ، لأنه لا يليق إلا بك ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

وإن جرت الألفاظُ مِنَّا بِمدحَةٍ لغيرِكَ إنساناً فأنت الذى نَعْنِي
 (٢) أعر : صفة لهما ؛ والمراد بالأعر : الشريف ؛ والشمائل : الأخلاق . يقول
 أنت ورثت شمائل أبيك ، وكما ورثتها من أبيك تورثها بريك ، فهم غدا : أى إذا شبوا
 عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فيهم - يلقون أبالك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك .
 قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أبالك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا
 بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه .

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، فيهم من يكون حزيناً عند فراق أحبته
 مختصاً بالوجد دون غيره ، وفيهم من يدعى الاشتراك فى الوجد وليس لدعواه حقيقة ،
 يريد أنه صحيح الود والموالاة غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك
 على غير حقيقة .

(٤) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع
 ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .
 (٥) يقولون : أذم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأذم له على فلان : أخذ
 له الذمة ليحيره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولاً : لغة فى أولئك ، وقد اختلف السراح

فَزُلْ يَا بُعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي حَشَاكَ (١)
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَ (٢)
فَلَوْ سِرْنَا وَفِي تَشْرِينَ خَمْسٌ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السَّمَاءَ (٣)

في معنى البيت ، فذهب ابن جنى إلى أن المعنى : أن مكرمات أبي شجاع أخذت لعيني عهداً من البعد أن تكون في مأمن من تلك الدموع : أى دموع التباكي ، يعنى أن مكرماته تمنع عيني أن تجرى على فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبي بإحسانه ، فأنا أبكي على الحقيقة لا تكلفاً ، فالإشارة في أولها كالدموع الكاذبة . وقال الواحدى : إن مكرماته منعت عيني وعقدت لها عقداً على أهل من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة في أولها كالأهله ، وهذا على رواية نواى ؛ وروى : نواى - مقصور الثوى - أى المقام ، يعنى أن مكرماته أذمت لعيني من المقام عليهم - أى على أهله - أى عقدت لعيني عقداً يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على أولها كاتعلق بالثوى .

(١) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد ، يقول :

تمح عن أيدي هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٢) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول - لطريقه - : كوني كيف شئت فإني

لا أبالي وإن كان الهلاك في سلوكك ، قيل إن عضد الدولة قال تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك .

(٣) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين

الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى عشر وأيامه ٣٠ ؛

والسما كان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً

يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شيء ، والمراد

هنا : السماك الأعزل ، وقد كان هذا النجم يطلع في الثالث عشر من تشرين الأول . يقول :

لو سرننا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا

الكوكب ، فرأى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدأبه السير لا يمضى

عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة - بلده - وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة

وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة .

يُشَرِّدُ يُبْمِنُ فَنَاقُضِرَ عَنِّي قَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَ^(١)
 وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي سِدِّحًا يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَ^(٢)
 وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا أَفْتَرَقْنَا وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَ^(٣)
 وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءِ يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أُمْتِسَاكَ^(٤)
 حَيِّيُّ مِنْ إلهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَ^(٥)

(١) فناخسرو : اسم عضد الدولة ؛ والظعن الدراك : المتابع . يقول : سعده
 ويمنه يطرد عن رماح الأعداء وطمعنا المتتابع .

(٢) سلاح شائك وشاك - على حذف العين - حاد ذو شوكة يقول : رضاه عن
 بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عنى . هذا : والسلاح اسم
 جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد - يؤث ويذكر والتذكير
 أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر - مثل حمار وأحمره ورداء وأردية -
 ويجوز تأنيثه . قال الطرماح - يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

يَهْزُ سِلَاحًا لَمْ يَرِنْهَا كِلَالَةً يَشْكُ بِهَا مِنْهَا أَصُولُ الْمَغَابِنِ^(١)

(٣) هذا استفهام إنكارى . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من
 جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل ، لهم صورتك وليس لهم معنالك ،
 وهذا كقول عمران ابن حطان :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٤) يقول : أنا في انطلاق من عندك وسرعة عودى إليك كالسهم إذا رمى به في
 الجو فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن يتقلب ويعود إلى الأرض يشير بهذا
 البيت والذي قبله إلى أنه ينوى الرجوع إليه .

(٥) حيي : أى أنا حيي . وقد فارقت دارك : حال . يقول : إنى أستحي من إلهي
 أن يرانى وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكّل إليك
 أرزاق العباد ، فكأنى إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن

(١) سمي روقه سلاحاً لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول : لم يرته كلاله
 أى لم يرته عن عرض بل عن قرب واستحقاق .

جنى : واصطفاكا - بكسر الطاء - قال وهو من باب قصر المدود ، واستشهد على قصره بأشعار ، وقصر المدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وأنتَ لو باكرتَ مَشْمُولَةً صَفْرًا كَلَوْنِ الفرسِ الأشقرِ

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحي من الله إذا فارق دار المدوح واختياره له ؟ بل لاوجه لحياته في فعله ذلك ، وإنما يستحي من الله إذا فارق دار المدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحي من خالقه وإنما يقول : أستحي من الله أن أفارقك ، وقد اصطفاك وكل إليك الأرزاق ؛ ألا تراه كيف بين وجه حياته ، إذ ذكر اصطفاه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء ؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبي قال لم أقصر في شعري بمدوداً إلا في موضع واحد وهو :

خذ مني ثنای عليك ما أسطيمه لا تلتزمني في الثناء الواجبا

هذا : وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه في هذه القصيدة بما لم يقع له في غيرها وما لم يخطر على قلبه في جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وتراجمها في البلاد ، وقد وقع له في أثناءها كلام كأنه ينمى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحاله من شيراز ومفارقتها لأعمال فارس قتل في الطريق كما تراه في مدخل هذا الشرح وهذا -
عمرک الله - من غریب الاتفاق .

قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ تَأَنَّ وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ^(١)
وَجُسُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فَيَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلاً^(٢)
لَأَكْبَتَ حَاسِداً وَأَرَى عَدُوًّا كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ^(٣)

(١) تأن : تمهل ، ويروي : تأى توقف ؛ والضمير في عده يعود إلى المصدر المفهوم من تأن ؛ وتنيل : تعطى . يقول : أمهل سيرك وترفق في رحيلك واحسب هذا التمهّل من جملة ماتعطيه ، يعنى أنا نعمة منك نوالا وعطاء لو أقت ساعة ؛ وهو ما ذكر في البيت التالى .

(٢) وجودك : أى وجد جودك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام : الإقامة ؛ وقليلاً : خبر كان محذوفة بعد « لو » ، واسمها ضمير المقام : يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فإن الذى تجوده لا يمد قليلاً ، لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل ، كما قال ابن الطرية :

وليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتُها إليكِ وقلٌّ منكٍ غيرُ قليلٍ
وكما قال إسحاق الموصلى :

إن ما قلٌّ منكٍ يَكْثُرُ عندي وكثيرٌ يَمُنُّ بحبِ القليلِ
(٣) الكبت : الإغظة والإذلال ؛ وأصل الكبت : الكبد فقلبت الدال تاء ، أخذ من الكبد ، وهو معدن الفيظ والأحقاد ، فكان الفيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، لهذا يقال للأعداء : هم سود الأكباد وأرى من الورى - وهو إصابة الرئة . وقال أهل اللغة : الورى - على مثال الرمى - قرح شديد يقاء منه القيح والدم ؛ والعرب تقول للبيض إذا سعل ورياً وقحاباً . وللحبيب إذا عطس رعيّاً وشباباً ، وفي الحديث : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراء » يقول المتنبي : جد بالإقامة لأكبت من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بؤداعه وارتحالهما لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه ، وقال أبو تمام في قبح الوداع :

وَيَهْدَأُ ذَا السَّحَابِ فَقَدْ شَكَّكْنَا
 أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاةُ لَكُمْ قَيْلٌ^(١)
 وَكُنْتُ أُعِيبُ عَذْلًا فِي سَمَاحٍ فَهِيَ أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَدُولٌ^(٢)
 وَمَا أَخْشَى نُبُوكَ عَنْ طَرِيقِ وَسَيْفِ الدَّوَالَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلِ^(٣)
 وَكُلُّهُ شَوَاةٌ غَطْرِيفٍ تَمْنَى لَسَيْرِكَ أَنْ مَفْرَقَهَا السَّبِيلِ^(٤)

قُبِحَتْ وَرَزِدَتْ فَوْقَ الْقَبْحِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْوَدَاعِ
 (١) ويهدأ : عطف على أ كبت ؛ وتغلب : قبيلة للمدوح ؛ والحيا : المطر ؛ والقيل :
 العشرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلاً من أيديك
 الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبنو تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر
 في السكثرة وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

فَقُلْتُ نَدَى السَّمَاءِ أَمْ ابْنِ وَهْبٍ تَجَلَّى نُورُهُ أَمْ عَاشِ وَهْبٍ
 (٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود ، فلما رأيت إفراط سيف
 الدولة في الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عَطَاءٌ لَوْ اسْتَطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى وَهُوَ عَاذِلٌ
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ
 وَقَالَ ابْنُ الْقَطَاعِ : الضمير في « له » للسحاب ، يعني صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه
 في السباح مخافة أن يكدر عليه الطريق .

(٣) النبو : الكلال ، وسيف الدولة : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده ؛ والجملة حال .
 يقول : لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضي الصقيل ،
 والسيف إذا كان ماضياً لا يخاف عليه الكلال . يريد : إنى لم أطلب إليك عدم الرحيل
 في المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق .

(٤) الشوأة : جلدة الرأس ، وجمعها شوى ؛ والفطريف : السيد الكريم في قومه
 وتمنى : يحذف إحدى التامين - أى تمنى . والفرق : وسط الرأس . يقول : إن كل
 سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك ، يعني لنفرك لا يستنكف
 السيد من وطئك رأسه ، بل يتمنى ذلك تشرفاً بك ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

وَمِثْلِ الْعَمَقِ تَمْلُوءُ دِمَاءٌ جَرَّتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخِيُولِ^(١)
 إِذَا أَعْتَادَ الْغَتَّى خَوْضَ الْمَنَائِيَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولِ^(٢)
 وَمَنْ أَمَرَ الْخُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ أَطَاعَتْهُ الْحَزُونَةُ وَالشَّهُولُ^(٣)
 أَنْخَفِرُ كُلٌّ مَنْ رَمَتْ اللَّيَالِي وَتُنَشِّرُ كُلٌّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ^(٤)

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةً تَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنهَا قَبْرُ
 (١) ومثل العمق : أى ورب مكان مثل العمق ؛ والعمق : الوضع العميق ؛ وقيل
 واد بعينه . يقول : ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ
 من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكثر لذلك ، فكيف أخشى عليك
 قطع الطريق ؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت ؛ والوحول : جمع وحل ، ما يبقى فى الأرض من
 آثار المطر يقول : إذا تعود الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم يبال بالوحول ؛
 يريد أن الوحل لا يمنع من السفر لأنه تعود أن يخوض ما هو أشد من الوحل .

(٣) الحزونة : جمع حزن ، ما خشن من الأرض وصعب : ضد السهل . يقول : من
 طعيه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعضه مكان من الحزن والسهل : أى لم يتمتع عليه
 ولم يصعب سلوكه .

(٤) نشر الله الميت وأنشره : بثه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والحامل :
 الساقط الذى لا نباهة له ، والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته
 بالحن تحفره وتجيده منها بإحسانك ، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره
 بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نَشْرَتْكَ مِنْ مَوْتِ الْخُمُولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هُوَ أَذْهَى لَوْ عَلِمْتَ وَأَنْكَرَ^(١)
 هذا : ويقال خفر الرجل يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خفيرا يمنعه ،
 وكذلك خفره تخفيرا ، قال أبو جندب الهذلى :

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطبي ، وقيله :

أَخَالِدُ أَعْيِنْتَ الْمَجَاءَ وَفَنَّهُ فَقَوْلِي وَإِنْ أَبْلَغْتُ فَيْكَ مُقْصِرُ
 وبعده :

وللموت خير لامرى من نشوره إذا كان للتخليد فى الناس ينشر

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَمِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ^(١)
 وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعُ فِغْلُ^(٢) وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبُرِّ الْوَصُولُ^(٣)
 وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَالُ صَبْرًا وَقَدْ فَنَى التَّكْلُمُ وَالصَّهِيلُ^(٤)
 يَجِيدُ الرَّمْحَ عَنكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ^(٥)
 فَلَوْ قَدَرَ السَّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السَّنَانُ كَمَا أَقُولُ^(٥)

ولكنني جمرُ الغضى من ورائه يُخَفِّرُنِي سَيْفِي إِذَا لَمْ أُخَفَّرْ
 والاسم من ذلك الحفرة والحفارة والحفارة - بالفتح والضم - ويقال أخفرت إذا
 بعثت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الذمة :
 لم يف بها .

(١) الحسام : السيف القاطع ، يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال
 وأنت حسام يعيش به القتل : أى أنك تحي من قتله الفقر وأماته الذل بمجودك - كما
 بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فىك الوصل
 والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب لأنه استثناء مقدم .
 ومثله قول الكميت :

ومالى إلا آل أحمدَ شِيعةٌ ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابط الجأش الذى يصبر الجيوش ويقول لهم اصبروا
 صبورا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقدر الرجل على الكلام ولا
 الفرس على الصهيل . فقوله صبورا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهو مقول القول .

(٤) وفيه قصد . أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهانة والشرف أن الجماد يعرفك
 فالرمح يخافك فيجيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن
 ينالك مع طوله هية لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه فى الحروب فلا تجترى
 على مطاعنته .

(٥) يقول : لو كان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحيد عنك وأقصر - مع طولى -
 عن طمنك لمهيتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إن السنانَ وصدرَ السيفِ لو نطقا لَخَبَّرَا عَنكَ يَوْمَ الرَّوْعِ بِالْمَعْجَبِ

وَلَوْ جَاَزَ الْخُلُودُ خَلَدَتْ فَرْدًا وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلٌ^(١)

وقال يرثي والده سيف الدولة وقد توفيت بميما فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب

سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وأنشده إياها في جمادى الآخرة من السنة :

① نَعْدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالٍ^(٢)

② وَزَرَّتِ بَطْ السَّوَابِقِ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يَنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي^(٣)

وللحصى :

يُبْنِي عَلَيْكَ إِذَا النُّفُوسُ تَطَايَرَتْ حَدُّ الْمُهَنْدِ وَالسَّنَانُ اللَّهْدَمُ

وأصله قول عنترة :

لو كان يمل ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مكلّمى

(١) يقول : لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ،

ولكن الدنيا لا تخلد أحداً وشنشتها إفناء خلانها ، فهي مطبوعة على القدر ، وإلا

لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فلو كان حي في الحياة مخلداً لخلدت لكن ليس حي بمخلد

ومثله لمحمد بن يزيد الهلبي :

لو خلد الله مخلوقاً لنجدته لكان ربك في الدنيا مخلده

(٢) المشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالي : الرماح ؛ والنون : النية ، وقيل الدهر ،

ومن ثم يؤث ويذكر ، ويكون واحداً وجما : يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة

الأعداء ومدافعة الأقران ، ولكن النية تحترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ،

فلا تغنى عنا تلك الأسلحة شيئاً .

(٣) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدناة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن

بها ، فلا ترسل إلى الرعى ؛ والحجب : ضرب من العدو - الجرمي - لا يستفرغ الجهد :

يقول : وزربط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا أم بنا حادث ، ومع هذا لاتنجينا من سعى

الليالي ، وخببها في آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركننا حيثما كنا ، وبديع قول عبد الله بن

طاهر في الدهر :

كأننا في حروبٍ من حوادته فنحن من بين مجروحٍ ومطمونٍ

- (٣) وَمَنْ لَمْ يَمَشِقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ (١)
(٤) نَصِيْبِكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ هَبِيبٍ نَصِيْبِكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ (٢)
(٥) رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَادِي فِي غِشَاءِهِ مِنْ نِبَالٍ (٣)
(٦) فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ طَلَّ النَّصَالُ (٤)

(١) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال : يروى إلى وصال - أى مواصلة - يقول : من الذى لم يشق الدنيا من قديم الدهر ؟ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال .

(٢) نصيبك - الأول - مبتدأ . خبره : نصيبك - الثانى - يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيبه في حياته كحظه من وصال خياله في منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت ، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كالنمام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

نَمِ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلِهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامٌ
وقال التهامى :

فَالْمَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنْيَةُ يَقْظَةٌ وَالرَّمْدُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارِي

(٣) الأرزاء : جمع رزء ؛ المصيبة ، وحقق : ابتدائية ؛ والغشاء : ما يغطى الشيء ، يقول : كثرت على أرزاء الدهر وترادفت على قلبي جماعة حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من سهام الدهر .

(٤) النصال : جمع نصل ، الحديدية التى فى السهم . يقول : فصرت الآن إذا رماني الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبي ، إذ لا تجد لها موضعاً الاصابة ، وإنما تكسر نصالها على النصال التى قبلها ، لأنها تصطك بعضها ببعض ، قال الواحدى : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالى على حتى هانت عندى والشيء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك فى البيت التالى . وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع - وما أكثر ما يتجنى على المتنبى - قال : لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمي من ناحية واحدة فلا يصح ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح .

(٧) وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَيِّ مَا أُنتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي (١)
(٨) وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ (٢)

لم يَنْتَظِرُنْ فَتَسْتَبِيكُ قُلُوبَ حَتَّى رَمَيْنَ فَرَشَقَهِنَّ مَصِيبُ
نَجَلٌ يُدَبِّغُنَ السَّهَامَ بِمِثْلِهَا فَلَمَنْ مِنْ تَحْتِ النَّدُوبِ نَدُوبِ
فهذا كلام يصح مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة ؛ ومثله لأخي
ذى الرمة .

وَلَمْ يُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَأَ الْقَرَحَ بِالْقَرَحِ أَوْجَعُ (١)
(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رماني الدهر . يقول : وهان الدهر
على فلا أحفل بمصائبه علماً بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسي :
وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى الْبَيْتِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى وَإِنْ بَانَ جِيرَانِي عَلَى كِرَامِ
ومثله قول الحريري :

صَبْرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَنِيَّةٍ وَهَلْ جَزَعُ أَجْدَى عَلِيٍّ فَأَجْزَعُ
ويروى بدل هان فما أبالي : وما أنا ما أبالي .

(٢) يقول : هذا الناعي - وكان نعمها ورد إلى أنطاكية - أول الناعين جميعاً لأول
امرأة ماتت في هذا الجلال ، يعني لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميتة - بفتح الميم -

(١) قيل إن إخوة ذي الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعوداً رثي بشعره
بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود
وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب
عليها ، وقبل هذا البيت :

تَمَزَيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغِيلَانَ بَعْدَهُ عَرَاءٌ وَجَفَنُ الْعَيْنِ مَلَانَ مُتَرَعٍ
نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ وَافَتْ رِكَابَهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءُوا بِشَرًّا وَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بِاسِقِ الْأَخْلَاقِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادَ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ
خَوَى الْمَسْجِدِ الْمُعْمُورِ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمَهُ قَدْ تَضَمَّنْتَهُمْ

(٩) كَانَ الْمَوْتُ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِيَالٍ (١)

أى ميتة ، تخففت ؛ ورويت ميتة - بكسر الميم - يعنى الحال التى ماتت عليها ، قال الواحدى والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الاحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طراً أى جميعاً منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلاحالا واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟ فقال أحمد الله إلى طر خلقه ؛ قال ابن سيده : أنبأنى بذلك أبو العلاء ، وفى نوادر الأعراب رأيت بى فلان بطر إذا رأيتهم بأجمعهم . والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت ؛ والنعى والنمى : خبر الموت أو الدعاء بموت الميت ، والإشعار به ، نعاء ينعاء ونمياً ونعياناً ، وقال الجوهرى . كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرساً وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلاناً . أى انعمه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير . أى هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهى مبنية على الكسر مثل قطام ودراك ونزال ، بمعنى أدرك وانزل ، وأنشدوا للكثير .

نعاء جذاماً غير موتٍ ولا قتلٍ ولكن فراقاً للدعائم والأصل
(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتاً ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ، ومن بديع ما قيل فى الموت - وليس من قبيل بيت المتنبي ، ولكنه ينظر إليه من بعيد - قول الحسن البصرى . مارأيت حقاً أشبه يباطل من الموت وقال البحرى .

ولم أرَ مثل الموتِ حقاً كأنه
وقال زين العابدين أو جرير

زُراعٌ إذا الجنائزُ واجهتنا
ونلهو حين تغدو رائحاتٍ
كروعةٍ مُلثةٍ لمفارٍ ذئبٍ
فلما غاب عادتُ راتِماتٍ (١)

وأخذه محمد بن وهب فقال .
زُراعٌ لذكر الموتِ ساعةٍ ذكروه
يقينٌ كأنَّ الشكَّ أغلبُ أمره

(١) الثالثة . القطيع من الغنم .

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حُنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ (١)
عَلَى الْمَذْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ (٢)
فَإِنَّ لَهُ بَيْطُنَ الْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَا وَهُوَ بَالِي (٣)

(١٠)

(١١)

(١٢)

(١) صلاة الله : مغفرة ورحمة ؛ والحنوط : طيب مخلط لغسل الميت يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت ، وجمل وجهها مكفنا بالجمال ، كأن الجمال كفن لوجهها ، وفي ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها ، وكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل ، قال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار ، وهو من قول النخعي تَحِيَّاتٌ وَمَغْفِرَةٌ وَرَوْحٌ عَلَى تِلْكَ الْحَلَّةِ وَالْحُلُولِ

وعبارة ابن الألبلي : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التي غيبتها الجمال كما غيبتها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس .

(٢) على المدفون : بدل من قوله على الوجه - في البيت السابق - وذكر على إرادة الشخص ؛ وصونا : مفعول له ؛ واللحد : الشق في جانب القبر ، والخلال : الحصال يقول : إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن في التراب ، وقبل أن تدفن في اللحد كانت مدفونة في كرم الخلال : أي أنها كانت محمية مستورة قبل أن تستر بالتراب ، وكان كرم خصالها يمنعها ويعفها عن كل ما لا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد .

(٣) ذكرناه . أي ذكرنا إياه ، فاعل جديدا . ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز ، ومثله قوله تعالى « أنزل مكوها » وأنشد سيويه وقد جعلت نفسي تطيب لضممة لضممة لضممة لضممة لضممة نأبها (١)

(١) الضم : العض ما كان ، وقيل أن يملأ فمه بما أهوى إليه ، ومنه سمي الأسد

ضيغما - زيادة الياء - قال الشنتمري : وصف هذا الشاعر عضة أصابه بهارجلان فيقول .

قد جعلت نفسي تطيب لإصابتهما بمثل الشدة التي أصاباني بها ، وضرب الضممة مثلا ثم وصف الضممة فقال يقرع العظم نأبها فجعل لها نأبا على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه . قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدي والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبل التفوق شربة يمرُّ على باغى الظلام شرابها
« والظلام جمع ظلامه »

بَلِ الدُّنْيَا تَوَوَّلُ إِلَى زَوَالٍ	وَمَا أَحَدٌ يُخَلِّدُ فِي الْبَرَايَا	١٣
تَمَنَّتُهُ التَّبَوَاقِ وَأَتْلُوَالِي (١)	أَطَابَ النَّفْسَ أَنْكَ مَتَّ مَوَاتَا	١٤
يُسْرُ الرُّوحِ فِيهِ بِالزَّوَالِ (٢)	وَزُلَّتْ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا	١٥
وَمَلِكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَالِ (٣)	رِوَاقِ الْعِزِّ حَوْلَكَ مُسَبِّطُ	١٦
نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكَ فِي النَّوَالِ (٤)	سَقَى مَثْوَاكَ غَادٍ فِي الْعَوَادِي	١٧
كَأَيْدِي أَتْلِيلِ أَبْصَرْتَ الْعَالِي (٥)	لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفَشُ	١٨

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى في القبر إلا أن فكرنا إياه جديد باق أبداً لا يبلى : قال الحرابي :

وإن تَكُ لِلْبَيْتِ أُمْسِيَتَ رَهْنًا فقد أبقيتَ مجداً غيرَ بَالِي
(١) الخوَالِي : المواضِي . يقول : مت في العز والعلاف ، فموتك كان موتاً يتمم مثله من بقى النساء ومن مضى منهن . وهذا يسلى النفس عنك إذ فزت بخيرى الدنيا والآخرة .
(٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارتقتنا دون أن ترى يوماً كرها ينفذ لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن في مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهَوْنٌ مِنْ وَجْدِي وَلَيْسَ بِهِيْنِ سَلَامَتُهُ بِالْمَوْتِ مِنْ جَرَعَةِ الشَّكْلِ
(٣) مسبطر : متمد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر . قال : إن ذكرها في مرثية النساء من الخذلان المين . . والصاحب مولع بنقد التنبي وذمه بالحق وبالباطل ، وإلا قال كلمة لا غبار عليها ؛ وقال العروضي : سمعت أبا بكر الشعراني خادم للتنبي يقول : قدم علينا التنبي وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة ، وقال مستظل ، قال العروضي : وإيما غيرها الصاحب وأنكرها عليه . يقول : مت وأنت في هذه الحال من العز المتطاوول والملك الكامل من ملك ابنك .

(٤) المثوى : المنزل يريد قبرها الذي أقامت به . والغادى : السحاب يغدو بالمطر ؛ والنوال : العطاء . يدعو لها بأن يسقى قبرها سحاب يفضل السحب فيضا كما كان عطاء كفيها يفضل عطاء الأ كف سخاء ؛ وفيه إشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء .

(٥) الساحي : الذي يقشر الأرض بشدة انصبابه ؛ والأجداث : الصبور ؛ والحفش : شدة الوقع ، ويقال حفشت السماء حفشا ؛ إذا جادت بالمطر ؛ وحفشت الأودية : سالت

أَسْأَلُ عَنْكَ بِمَدِّكَ كُلِّ مَجْدٍ ، وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي (١)
يَمْرُؤُ بِقَبْرِكَ الْعَافِي قَيْبِي ، وَيَشْفُلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ (٢)
وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ، لَوْ أَنَّكَ تَقْدِرِينَ عَلَى فَمَالٍ (٣)

١٨

٢٠

٢١

والخالي : جمع مخلاة ، الوعاء الذي يجعل فيه التبن والشعير للدابة . بالغ في وصف المطر حيث جعله في إلحاحه على القبر بالقشر كأيدي الحيل إذا رأت مخالي الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها . قال الواحدى : وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر بمطر يحفر حفر أیدی الحيل . وقال ابن جنى : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث : الإنبات وما يدعو الناس إلى الحول والإقامة ، وهو مذهب العرب ؛ ألا ترى إلى قول النابغة :

ولا زال قبر بين بصرى وجاسم عليه من الوسمى سح ووابل
فئبت حوذانا وعوقا منورا سأبعمه من خير ما قال قائل (١)

وكلما اشتد المطر كان أجم لنباته وأمرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبه اللازمة له ، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالي : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر ، كما تقول : عهدى بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضى

(٢) العافى : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كمادته ، قال البحرى :

فلم يدر رسم الدار كيف يُجيبنا ، ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل (٣) ما — فى ما أهداك — تعجبية ؛ والجدوى : العطاء والإفضال ؛ والفعل : الفعل

الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافى ؛ ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كمادتك فى الحياة .

(١) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ؛ والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .

بِعَيْشِكَ هَلْ سَلَوْتُ فَإِنَّ قَلْبِي ، وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِي (١)
نَزَلَتْ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بُمَدَّتِ عَنِ النَّعَامِي وَالشَّمَالِ (٢)
تُحَجِّبُ عَنْكَ رَائِحَةُ الْخَزَامِي ، وَتَمْنَعُ مِنْكَ أَنْدَاءَ الطَّلَالِ (٣)
بِدَارِ كُلِّ مَا كُنْهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُ الْحِبَالِ (٤)
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الزُّنِّ فِيهِ كَتَمْتُ السَّرَّ صَادِقَةً الْمَقَالِ (٥)
يُعَلِّمُهَا نِطَاسِي الشُّكَايَا ، وَوَاحِدُهَا نِطَاسِي الْمَعَالِي (٦)

٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧

(١) قال الواحدي : يقسم عليها بحياتها ؛ يقول لها : هل سلوت عن حب النوال فإن قلبي وإن بعدت عنك غير سال عن نوالك ؟ وقال ابن جنى وآخرون : هذا مما وضعه في غير موضعه ، ولا يجوز أن يرئى بمثل هذا ، قالوا : والمعنى هل سلوت عن الحياة فإنني غير سال عن الحزن عليك ، أذكرك وإن كنت بعيدا عن أرضك ، وأندبك وإن كنت منتزعا عن موضعك .
(٢) على : بمعنى مع ، وجملة بعدت الخ : نعت لمكان ؛ والعاقد محذوف أي بعدت فيه - والنعامي : ريح الجنوب ، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها ؛ والشمال : الريح التي تهب من ناحية القطب . يقول : نزلت - على كراهتنا لنزولك - في مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح :

(٣) الخزامي : نبت طيب الريح ؛ والطلال : جمع طل . المطر الخفيف . يقول : وحببت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار . يشير إلى ما كان يحيط بها في حياتها من الرياض والبساتين ، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها .

(٤) أراد بالدار : القبر ؛ ومنبت : منقطع ، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره أيام ، وانقطع وصاله عنهم . فالمراد بالحبال : الشمال . وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدي :

تَبْدَلُ دَرَأً غَيْرَ دَارِي وَجِجِيرَةً سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوُبُ
أَقَامَ بِهَا مَسْتَوِطًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طَوِيلِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبٌ
(٥) الحصان : العنيفة ؛ وحصان : مبتدأ ؛ وفيه : خبر ، والمزن : السحاب ، يقول في هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء الزن في النقاء والطهارة ، كاتمة للسر ، صادقة في القول :

(٦) يعلها : أي يعالجها من علتها ؛ والنطاسي : الطيبب الحاذق . والشكاياء : واحد

سَقَاهُ أَسِنَّةَ الْأَسَلِ الطَّوَالِ (١)	إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً يَنْفَرِ	٤٦
تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْجَهَمِ (٢)	وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَالْأَوَاتِي	٤٩
يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ (٣)	وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تَجَارٌ	٣٠
كَانَ الْمَرْوُ مِنْ زِفِّ الرَّثَالِ (٤)	مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا حُفَاةً	٣١

شكوى ، يريد الأمراض التي تشكى ، وأراد بواحد : ابنها سيف الدولة الذي هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول يعالجها قبل موتها ليزيل علتها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالي : أي العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أوعاب .

(١) الثغر : موضع الخفاة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقي لنفي ذلك الداء عنه بالرماح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستمارة بذلك حسناً . يقول . إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لعلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعني : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لا دافع له ، والأصل في هذا المعنى قول ليلي الأخيلية :

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بَهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا

وقال أبو تمام :

وقد نكس الثغر فابعث له صدور القنا في ابتغاء الدواء

(٢) الحجبال : جمع حجلة ، بيت صغير في جوف البيت يستر النساء . يقول : ليست كغيرها من النساء اللواتي يعدلن القبر مستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر .

(٣) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد ، وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش وحده ؛ والتجار : جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر ، مثل صحاب وصحب . يقول : ولم تكن من نساء السوقه يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر ، أي أنها كانت ملكة .

(٤) حولها : كحولها ، تقول حولك وحوليك وحوايك وحوايك : الجميع بمعنى واحد ؛

وَأَبْرَزَتْ الْخُدُورُ مَحْجَبَاتِ (٣٥) يَضَعْنَ النَّفْسَ أَمَكِنَّةَ الْفَوَالِي (١)
أَتْنَهْنَ الْمَصِيْبَةَ غَافِلَاتِ (٣٣) قَدَمَعُ الْحَزْنِ فِي دَمَعِ الدَّلَالِ (٢)
وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمَنْ قَدَدْنَا (٣٤) لَفُضِّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرَّجَالِ (٣)
وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشُّمْسِ عَيْبٌ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ (٤)

واللرو : حجارة بيض براقه ؛ والزف : صغار الريش ؛ والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام . يقول : لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حوايها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .

(١) النفس : الداد ؛ والفوالى : جمع الغالية ، أخلاط من الطيب يتضمخ بها . يقول خرجت لموتها نساء كن محجبات في الحدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالدادامكان الغالية التي كن يتطين بها حزنا للمصيبة بموتها ؛ ولعله يريد جوارى المريثة ، وهذا منقول من قول بعضهم :

قد كانت الأبكار بيضاً فاغدت سوداً لفقدك أوجه الأبكار
وهتكن أستار الحياء وطالما شُرت محاسنهن بالأستار
وظهرن للأبصار بعد تَسْتَرٍ بِالْحُجْبِ دُونَ لَوَاحِظِ الْأَبْصَارِ
ومثله :

قد كن يحبان الوجوه تستراً فالآن حين بدون للنظار

(٢) يقول : فجمن بفقدها على حين غفلة . فيبناهن ييكن دلالا على سبيل الدعابة إذ ييكن حزناً ، فاختلط الدمعان ، فهن ييدين الدلال مع الحزن والدلة مع الحسن .

(٣) يقول : لو كان نساء العالم كهذه المريثة في الكمال لفضلن على الرجال . يعني أن هذه المريثة كانت أفضل من الرجال ، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل - أي فضلن على الرجال - قال ابن وكيع : وهذا ينظر إلى قول علي بن الجهم :

إذا ما هُدَّ مثلكم رجالاً فما فضل الرجال على النساء

(٤) ما - هنا - تيمية ؛ ولك أن تجعلها حجازية فتصب «عيب» و«فخر» يقول :

وَأَفْجَعُ مَنْ قَدَدْنَا مِنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَقْوودَ الْمِثَالِ (١)
يُدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَنَمْسِي أَوْ آخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (٢)
وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّوَاحِي كَحَيْلٍ بِالْجِنَادِلِ وَالرَّمَالِ (٣)
وَمَغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِي لِحَلْبِ ،
وَبَالَ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْمُزَالِ (٤)
أَسَيْفَ الدَّوَالَةِ أَسْتَنْجِدُ بِصَبْرِ ، وَكَيْفَ يَمِثِلُ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٥)

لم نزر بها الأنونة ، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها ، والذكرة لا تمد فضيلة في أحد كما لا يحصل للقمر نخر بتذكير اسمه :

والشمس ليس بضائر تأنيثها وتزيدُ بالنور المنير على القمر
(١) أفجع : مبتدأ ، خبره : من وجدنا ؛ ومفقود المثل : مفعول ثانٍ لوجدنا . يقول
أعدد للمفقودين لجة على الفاقدين من كان مفقود النظير في حال حياته ، فإن من وجد له
نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عنمن لا نظير له ؟
(٢) الهام ؛ الروس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، قلب ، وهو كثير في كلامهم .
يقول : ندفن أمواتنا ونمسي على رؤوسهم بعد الموت ؛ يعني لا نخلو من فقد ودفن ثم
لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصل في هذا المعنى
قول النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنْ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِ
(٣) النواحي : الجوانب ؛ وكحيل : بمعنى مكحولة ، خبر « كم » يقول : كم عين كانت
تقبل إعزازا وإكراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة ؟
(٤) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل في
الحلم ، فليل أغضى على القذى : إذا أمسك عفوآ عنه . والخطب : الأمر العظيم .
والمزال : التحول : يقول : وكم من إنسان أغضى للموت وكان لا ينفى لنزول خطب
به ، وكم من بال تحت التراب وكان إذا رأى في جسمه هزالا يشتغل قلبه به ويفكر في
علاجه ، وهذا ينظر إلى قول البحري يرئى غلامه قيصر :

وأصْفَحُ لِيْلِي عَنْ ضَوْءِ وَجْهِ غَنَيْتُ يَرَوْعْنِي فِيهِ الشُّحُوبُ
(٥) يقول : استغن بالصبر على هذا الرزء الذي لجت به ، فأنت أهل الصبر الثابت
على الأرزاء حتى لفتت الجبال في هذا وبودها أن تكون مثلك في نباتك .

٤١ فَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّقْزِي

وَحَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ (١)

٤٢ وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ (٢)

٤٣ فَلَا غِيضَتُ بِحَارِكُ يَا جُومًا عَلَى عِلَلِ الْفَرَائِبِ وَالِدِّخَالِ (٣)

٤٤ رَأَيْتَكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ (٤)

٤٥ فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ

فَإِنَّ الْمَسِيكَ بَعْضُ دَمِ الْفَرَازِ (٥)

* * *

(١) الحرب السجال : التي تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك في غنى عن أن يصبر ويمزى ، فقد ألفت الخطوب وتمرت بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت في غنى عن أن تصبر :

(٢) شتى جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يقول : يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فإلك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لَا أُمْسِكُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ وَلَا يُفَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ

(٣) غاض الماء : قل ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجحوم : الذي يزداد ماؤه وقتا بعد وقت ؛ و«على» : بمعنى مع ؛ والظرف : في موضع الحال من فاعل ججوما والعلل : الشرب الثاني بعد النهل ؛ والفرائب : الإبل الغريبة التي ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول - على طريق الدعاء - لانهقت بحارك يا بحرآ كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقض عطاؤك وإن كثرت العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثرت وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره على توالي المحن وشدتها . يدعوله بذلك

(٤) المهال : الموج ، من قولهم حالت القوس والمصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . يقول : أنت بين الملوك كاللستقيم بين الموج : أى أنك تقضاهم فضل اللستقيم على الموج . وقوله في الذين أرى ملوكا : أى في الذين أراهم ملوكا ؛ فلوكا : مفعول ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف .

(٥) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الصغرى

وقال يمدحه ويذكر استنفاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي من أسر
الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إِلَامَ طَمَاعِيَةَ الْمَاذِلِ ، وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)

جملته ، كالمسك - وهو بعض دم الغزال - وقد فضله فضلا كثيراً . قال الواحدى :
قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي : كان سيف الدولة يسر بمن
يحفظ شعر المتنبي ، فأنشدته يوماً :

* رأيتك في الذين أرى ملوكا *

وكان أبو الطيب حاضرا فقلت هذا البيت والذي يتلوه لم يسبق إليه ؛ فقال سيف
الدولة : كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبي
واهتز ، فأردت أن أحرره ، فقلت إلا أن في أحدهما عيباً في الصنعة ، فالتفت المتنبي
الثقات حنق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم في محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة ،
وإعماضها الاعوجاج ؛ فقال الأمير : هب القصيدة جيمية ، فكيف تعمل في تغيير
قافية البيت الثاني ؟ فقلت عجلا كرد الطرف :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن البَيْضُ بعضُ دم الدجاج
فضحك ، وضرب يده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح
أن يباع في سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هي «إلى» الجارة ، و «ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من « ما »
طلباً للخفة وإعداداً يلى الجارة ، وكذلك يفعلون في : «م» و «فيم» ، و «عم» ،
و «علام» . و «حتام» . والماذل : اللأم ؛ والواو - في «ولا رأى» - حالية . و «الطاعية»
مصدر بمعنى الطمع ، كالسكراهية والعلانية . يقول إلى متى يطعم العاقل في أن أستمع
كلامه والحب يقع اضطراراً لا اختياراً ، والعاقل لا يقع في شرك الحب برأيه واختياره
فلا معنى للوم فيه لأن الحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وما من فتى في الناس يُحمَدُ عقله فيوجدُ إلا وهو في الحب أحمقُ

قال العكبري : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين
قوله في ظاهره : ولا رأى في الحب ، من قوله : إلام طاعية ؟ قال : وفي تعلقه به وجوه
أحدها يريد إلام يطعم عاذلي في إصغائي إلى قوله ، والعاقل إذا أحب ، لم يبق له مع
الحب رأى يصنى به إلى قول ناصح فمذهله غير مجد نفعا ؟ والثاني أن العاقل لا يرتضى في

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (١)
وَإِنِّي لِأَعشِقُ مِنْ عَشِقِكُمْ نُحُولِي وَكَلَّ أَمْرِيءَ نَاحِلِ (٢)
وَلَوْ زَلْتُمْ مِمُّ لَمْ أَبِكِكُمْ بَكَيْتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ (٣)
أُيْنِكِرُ خَدْيِي دُمُوعِي وَقَدْ جَرَّتْ مِنْهُ فِي مَسَلِكِ سَابِلِ (٤)

الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراراً ، فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رآه أن يورط نفسه في الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذله الجاهل أضيع من سراج في الشمس ؛ وكيف يطعم في نزوعه ؟

(١) يقول : يريد العاذل من قلبي أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم ، فكيف أنتقل عن شيء طبعت عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعٌ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طبع : ككتاب وكتب .

(٢) يقول : بلغ من عشقي لكم وحيي إياكم أني أحب نحولي فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس في الحب لأنه يشبهني في أثر حبكم . قال ابن جنى ، وفيه معنى قول أبي الشيبان :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةٍ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلُنِي اللَّوْمُ
وهو معنى قول الآخر :

أَحِبُّ لِحَبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبُّ لِأَجْلِهَا سَوْدَ الْكِلَابِ

(٣) زلتم : بعدتم . يقول ، ولو فارقتموني ولم أباك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حبي إياكم ، يعني : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عني الحب لبكيت على فراقه لا غتباطي بما ألقى في هذا الحب . قال المنكبرى : وقوله ولو زلتم وتعقيبه في آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع في الشعر .

(٤) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدي ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهي تجري منه في طريق مذلل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ، وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ (١)
 وَهَبْتُ السَّلْوُ لِمَنْ لَامَنِي ، وَبِتُّ مِنَ الشُّوقِ فِي شَاغِلِ (٢)
 كَانَ الْجُفُونَ عَلَى مُقَلَّتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى نَاكِلِ (٣)
 وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ أَلْهَوَى
 ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلِ (٤)
 فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الدَّابِلِ (٥)

(١) يقول: ليس دمعي الآن باول دمع جرى فوق خدي، وليس حزني على هذا الفراق باول حزن على مفارق. يعني أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة.

(٢) يقول: تركت السلو لمن يلومني على الوجد، فهو حظه - لاحظي - إذ لي من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللأم.

(٣) الناكل: التي فقدت ولدها. يقول: تباعد ما بين جفوني سهرا فليست تلتقي النوم، فكأنها ثياب ناكل شقت. يعني: إنني فقدتهم وفقدت النوم بعدهم، فكان جفوني شقت لفقدهم كما تشق الناكل ثوبها من الحزن، وهذا كقوله الآتي:
 قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنْهَا الْبَيْنَ أَجْفَانًا

قال العكبري: شبه مقلتيه في حزنهما بتلك الناكل في وجدها، وتبعد السهر لما بين جفونها بتشقيق الناكل الثياب حدادا، وهذا مما شبه فيه شيثان بشيئين، وهو من أرفع وجوه البديع. وأخذ المهلب الوزير هذا المعنى فقال:

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لِمَا صَرَمَنِي فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى عِبْرَةِ تَجْرِي

(٤) أبو وائل: هو ابن عم سيف الدولة، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج. يقول: لو كان الذي أسرنى شيثا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل، إذ ضمن للخارجي الذي أسره مالا حتى خرج من أساره، وقد بين ذلك فيما يلي.

(٥) النضار: الذهب؛ والقنا الدابل: الرماح، والرمح يوصف بالذبول لقيه. يقول: ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء، إذ أتى الخارجي بجيشه وقتله وأتخذ أبا وائل.

وَمَنَّا مُّ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً فَجِئْنَا بِكُلِّ فِتْنَىٰ بَاسِلٍ (١)
كَانَ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ مُّوَادَّةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ (٢)
دَعَا فَسَمِعَتْ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ (٣)
فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلٍ (٤)
خَرَجْنَا مِنَ النَّعْجِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَائِلٍ (٥)
فَلَمَّا نَشَفْنَا لَقَيْنَا السَّيَاطَ
بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ (٦)

(١) مناه الشيء : جعله أمنية له ؛ والأمنية : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدمهم أن تقاد إليهم الخيل في فدائه ، فجاءت الخيل ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .

(٢) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأننا في ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كموادة القمر بعد أفوله .

(٣) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لا استنقاذه فأجبتة ، ولو سكت لما قدمت عنه ولما غفلت ، فكلم ساكت وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حتى كأنه قائل يسألك حاجة؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبتة على انتزاع مستقره ، ورب ساكت لبعده عنك ، كالمخاطب لك ، لما يوجهه كرمك من اهتمامك بشأته ، واعتنائك بأمره .

(٤) بك : أى بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن أتيتة بنفسك في جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(٥) النعج : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوايل : المطر الكثير ؛ وخرجنا : أى الخيل . يقول : خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العرق في مطر .

(٦) الصفا : الصخر . والماحل : الذى لم يمطر . يقول : لما نشفت الخيل من العرق تلقت السياط من أعجازها بمثل الصخر الذى لا ندوة به ، يعنى أنها لم تسترخ ولم تضعف لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسياط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل .

شَفَنَ لِحَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبَنَ قُبَيْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلٍ (١)
فَدَانَتْ مَرَّافِقُهُنَّ الثَّرَى عَلَى نَفَقَةِ بَالِدَمِ الْفَاسِلِ (٢)
وَمَا بَيْنَ كَاذَبِ الْمُسْتَفِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَبِي الْبَائِلِ (٣)

(١) يقال شفت الرجل : إذا نظرت إليه بمؤخر عينك ، أو نظرا في إعراض ،
وأنشد الجوهري للقطامي :

يُسَارِقُنَ الْكَلَامَ إِلَى لَمَّا حَسِسْنَا حِذَارَ مُرْتَقِبِ شَفُونِ
قال : وهو النيور .. والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبي وائل -
الذي كانت جادة في طلبه - قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعني أن فرسان هذه
الخيل لم يزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أبا وائل في ركضة واحدة وأوقفوا
بالقوم الذين أسروه .

(٢) دانت : فاعلت . من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت
قوائمها في التراب إلى مراقبتها ثقة بأن الدم الذى سيفسكه فرسانها سيفسها ويزيل
عنها ذلك التراب ، ويروى بدل الثرى : البرى ، وهو التراب قال مدرك بن حصن الأندى

مَاذَا ابْتَفَتْ حُبِّي إِلَى حَلِّ الْعُرَى حَسِبْتَنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى
بِنَيْفِكَ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى (١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يروه برواً
أى خلقه ؛ وقيل : البرية الحلق ، وأصله الهمز ، يقال براه الله .

(٣) الكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستفير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى
يتفجع - يواعد ما بين رجليه - ليبول . يقول : إن هذه الخيل المستفيرة على هؤلاء
الحوارج كانت لشدة العدو - الجرى - تفجع كما يتفجع البائل لثلا يصيه البول . ويجوز
أن يريد - كما قال الواحدى - أنها تعرق في عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها
كأنها تبول .

(١) يقال في الدعاء على الإنسان بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم .

بفيه البرى ، وحى خيرا ، وشر ما يرى ، فإنه خيسرا

فَلَقَيْنَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوجَةٍ لَبِنَ الشَّائِلِ (١)
 وَجَيْشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ (٢)
 فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ (٣)
 فَلَمَّا بَدَوَتْ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أَسْذَهَا آكِلَ الْآكِلِ (٤)

(١) الردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمصبوحة : الفرس التي تسقى اللبن صباحاً لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ، تحذف الماء ، وهي الناقة التي قل لبنها وخف ومرؤ ونجم في شاربها ، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل ؛ قال ابن القطاع . حذف الماء لإقامة الوزن ، والشائلة . التي مر عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر خف لبنها ، وجمعها شول ، والشائل - بلاهاء - التي تشول بذنبها ولا لبن لها ، وجمعها شول : كرا كع وركع . . قال ابن جنى . سألت النبي عن قوله الشائل وقلت له الشائل لا لبن لها ، وإنما التي لها بقية من لبن يقال لها الشائلة بلاهاء ، فقال أردت الماء وحذفتها ، كقول كثير .

أَعْمَرِي لَبِنُ أُمِّ الْحَكِيمِ تَرَحَّلَتْ وَأَخْلَتْ نَحِيَاتِ الْعُذَيْبِ ظِلَالَهَا
 أراد العذبية ، تحذف الماء . يقول للنبي : إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجي بالرماح الردينية وبالخيل التي تسقى لبن النياق صباحاً لكرمها .

(٢) وجيش : عطف على كل - في البيت السابق - والمراد بالإمام : الخارجي . يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام في قومه صحيح الإمامة عليهم ، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين . . . وإنما لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة في الباطل . وقال ابن جنى : معناها قد صح أن إمامته باطلة لاشك في ذلك . والتفسير الأول أوجه .

(٣) ينحزن : من الانحياز ، وهو كالانهزام ، الانضمام إلى جانب . والعاسل : الذي يجنى العسل من خلايا النحل . قال شارحو الديوان جميعاً . أى أقبلت خيل الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل . وقال اليازجي . أى إن خيل المدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل . يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة ، وهو الأظهر والأوجه .

(٤) يقول ، فلما ظهرت لأصحاب الخارجي رأى شجعانهم منك شجاعاً يأكلهم ويفنيهم ، يعني كنت أشجع منهم وإن كانوا معصاة

بَضْرِبِ يَبْضِرُهُمْ جَارٍ لَهُ فِيهِمْ قِسْمَةُ الْعَادِلِ (١)
 وَطَعْنٍ يُجْمَعُ شُدَانُهُمْ كَمَا اجْتَمَعَتْ دَرَّةُ الْحَافِلِ (٢)
 إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنِ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ (٣)
 فَظَلَّ يُخَضَّبُ مِنْهَا اللَّحَى فَتَى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ (٤)
 وَلَا يَسْتَنْغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلَا يَتَضَعُّعُ مِنْ خَاذِلِ (٥)
 وَلَا يَزِعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقَدِّمٍ وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ (٦)

(١) يقول : إن أكلك إياهم كان بضرب أتى عليهم جميعاً ، وأنت وإن بالعت في الضرب وأسرفت إسراف الجائر - الظالم - إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جنى : هذا الضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو في الحقيقة عدل لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله ؛ وفي معناه لحبيب :

أَنْ لَسْتَ نِعْمَ الْجَارُ لِلْسُّنَنِ الْأَلَى إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بِنَسِ الْجَارِ (١)

(٢) الشدان : للفرقون ؛ والدرة : اللبنة إذا كثرت وسال ؛ والحافل . التي حفلت بضرعها ؛ أي امتلأ باللبنة . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل اجتمعوا فيه اجتماع اللبنة في الضرع ، وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بمخافته ، كجمع الضرع لدرته .

(٣) يقول : إذا نظرت إلى الفارس - وهو أقدر على الفرار من الراجل - تحيرت فزعاً منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولو ذهاب الواحد من الرجالة .

(٤) الناصل : الذي ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء الحامم بدمائهم ، غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعني أنه إذا ضرب إنساناً بسيفه لم يبق فيه ما يحتاج إلى إعادة الضربة .

(٥) يقول : إنه مستغن بقوته عن ينصره فلا يستنصر أحداً مستغنياً إليه ولا يجمع ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة في جيش .

(٦) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدم : مصدر ، أو اسم مكان ؛ أي عن إقدام أو عن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهاائل الأمر العظيم الخفيف .

إِذَا طَلَبَ التَّبَلَّ لَمْ يَشَأْ^(١) وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَا طَلَّ^(١)
 خُذُوا مَا أَنَاكُمْ بِهِ وَأَعْذِرُوا فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْعَاجِلِ^(٢)
 وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ فَعُودُوا إِلَى حِمَصَ مِنْ قَابِلِ^(٣)
 فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ^(٤)
 يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمْ فَلَمْ تَذَرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ^(٥)
 أَمَامَ الْكُتَيْبَةِ تَزْهَى بِهِ مَكَانَ السَّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ^(٦)

يقول : ولا يكبح فرسه عن إقدام أو عن شيء يقدم عليه ؛ أي لا يخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع ، ولا يهوله شيء فيرد طرفه - نظره - عنه .

(١) التبل : الثأر ؛ و«لم يشأ» : لم يسبقه : يقول : إذا طلب ترة - ثأراً - لم تفته وإن كانت ممتعة صعبة الحصول كالدين عند الماطل ؛ وإن طال العهد .

(٢) يستهزئ بهم . يقول : اعذروه فيما أناكم به من ضمان أبي وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم . . . والذي أتاهم به هو الواقعة بهم .

(٣) حمص : كانت موضع الواقعة ، ومن قابل : أي العام القابل . يقول : إن كان قد حصل لكم مرادكم في عامكم هذا من قصد حمص فعودوا في السنة التالية ليعود إليكم القتال . . .

(٤) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : الخضوب . يقول : فإن السيف الذي خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال في يد من قتلكم به ، فتمت لقيمته في المرة الثانية كما لقيتم في الأولى .

(٥) على السائل : متعلق ب«يجود» : يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذي طلبتموه من الضمان فلم تذكروه لأنكم طلبتموه لاعن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٦) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال عن الضمير المستكن في الخبر بعد - وهو قوله : مكان السنان ، فإنه خبر عن محذوف ، هو ضمير المدحج - وتزهي : تفتخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل : صدر الرمح . يقول : هو من عساكره

وَأِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالًا بِكُمْ عَلَى بَازِلٍ ^(١)
 أَقَالَ لَهُ اللَّهُ لَا تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى قَرَسٍ حَائِلٍ ^(٢)
 إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ ^(٣)
 وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِي هَمَّةٍ دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ ^(٤)
 بِشُّمْرِ اللَّجِّ عَنْ سَاقِهِ وَيَقْمُرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ ^(٥)

الذين يفخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقوم السنان الرمح ، وهو الطاعن ، وهم بدونه لا يفنون شيئاً .

(١) البازل من الإبل : الذي قد فطرنا به وظهر في السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد : وكان الخارجي قد ركب ناقة ، وهو يشير بكمه بحث أصحابه على القتال ، فهو يقول . إني لأعجب ممن يؤمل ظفرا بتحريك كم وركوب ناقة ا

(٢) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الحيل : التي لم تحمل ، وإذا حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه إليه أن لاتلقى جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجي يدعى النبوة ويقول : لا آتي إلا ما أمرني الله به - فقال النبي : آله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها ؟

(٣) الهامة : الرأس . وبراها : قطعها . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين يقول : هل قال الله له لاتلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه ؟ وجمل ذلك الصوت كالغناء منه كما قال أبو نواس :

إِذَا قَامَ غَنَّتَهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَةٌ لَهَا خَطْبُوهُ وَسَطَ الْغِنَاءِ قَصِيرٌ

« يعنى بالحلية : القيد » فنقل النبي وصف القيد إلى السيف .

(٤) يقول : ليس الخارجي بأول من دعتهمته إلى مالائنه ؛ وكان هذا الخارجي يطمع في الخلافة والملك .

(٥) اللج : معظم الماء ؛ والبيت مثل . يقول إن هذا الخارجي فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها ؛ أو أنه في ادعائه النبوة وطعمه بها في الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة - وهو أحد أمراء الإسلام - كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والوج يقمره في ساحله ؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .

أَمَّا لِلخِلافةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الفَاصِلِ (١)
يَقْدُ عِداها بِلا ضارِبِ وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلا حَامِلِ (٢)
تَرَكَتْ جَماجِمَهُمْ فِي النِّقا وَمَا يَتَخَلَّصَنَّ لِلنَّاخِلِ (٣)
فَأَنْبَتَ مِنْهُم رَيْعَ السَّباعِ فَأَنْتَنَتْ بِإِحسانِكَ الشَّامِلِ (٤)
وَعُدَّتْ إِلَى حَلَبِ ظافِراً كَعَمُودِ الحَلِيِّ إِلَى العاطِلِ (٥)
وَمِثْلُ الَّذِي دُشِنَتْ حافِياً يُؤَثِّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ (٦)

(١) الفاصل : القاطع ، و يروي : الفاضل ، يقول أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبقى عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها ؟

(٢) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى إليهم غير محمول ؛ يعني إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والمعنى أنه المستقل بالحمامة عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٣) النقا : الكتيب من الرمل . يقول : دست رءوس أصحاب الخارجى بجوافر الخيل فطختها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤوسهم شيء .

(٤) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ريعاً بما وسعت عليها من لحومهم ؛ فلو قدرت السباع لأنفت عليك بما شملتها من إحسانك

(٥) الحلى : جمع حلى ، ما يزين به ؛ والعاطل : الذى لا حلى عليها . يقول : وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٦) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفي المثل : أطرى إنك ناعلة (١) يقول : إن مافلتته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب ؛ جعل الحافى مثلاً لمن لم يتأهب والناعل مثلاً للمتأهب .

(١) قال أهل اللغة : هذا المثل يقال في جلادة الرجل ، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه ؛ وأصل هذا : أن رجلاً قاله لراعية له وكانت ترعى في السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى — أى خذى في أطرار الوادى — وهى نواحيه — فإنك ذات نعلين . قال الجوهري : وأحسبه عنى بالنعلين : غلظ جلد قدميها .

وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَّةُ الْأَبْلَقِ الْجَائِلِ (١)
 وَيَوْمَ شَرَابُ بَيْتِهِ الرَّدَى بَغِيضُ الْخُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ (٢)
 تَفَكُّ الْعِنَاةِ وَتُنْفِي الْعَفَاةِ وَتَفْرِهُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ (٣)
 فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَقِيكَ فِي الْآجِلِ (٤)
 فَذِي الدَّارِ أَخُونُ مِنْ مُوسَى وَأَخْذَعُ مِنْ كِفَّةِ الْخَالِلِ (٥)

(١) الشية : لون يخالف بقية لون الجلد ؛ والأبلق : الذي فيه سواد وبياض ؛ والجائل الذي يجول بين الصفيين . يقول : كم لك من خبر اتصار وظفر شاع واشهر اشتار العية في الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل .

(٢) الواغل : الداخِل على القوم في شراهم من غير أن يدعى ، أما الذي يدخل على القوم في طعامهم فهو الوارش . يقول : وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كؤوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله ، وتكره المشاركة في ذلك الشراب ، وهذه استعارة جميلة .

(٣) العناة : جمع عان ، الأسير ؛ والعفاة : جمع عاف ، السائل . يقول : ديدنك فك الأسرى ، وإغناء السائلين . والعفو عن المذنبين .

(٤) معطيكه : معطيك إياه ، والآجل : ما قابل العاجل . والآجل في غير هذا الموضع : من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا : خبأه وهيجه ؛ قال توبة ابن مضر العبيسي :

وأهلِ خِيبَاءِ آمَنِينَ لِحِقَّتِهِمْ بِشَيْءٍ عَزِيزٍ عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ
 وَأَقْبَلْتُ أَسْمَى أَسْأَلُ الْقَوْمَ مَا لَهُمْ سُؤَالَكَ بِالْشَيْءِ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ
 د أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مرصبية يتضاربون ، فاستغناه بعضهم على بعض ، فضرب صيبا منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به ، يدعو للتنبى له بأن الله الذى أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاً له وأن يرضى عنه فى الآخرة بسعيه .
 (٥) المومس والمومسة : الفاجرة . والكفة : الحباله ، أى الشرك ؛ والخالل : الصائد ذو الحباله . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالومس لا تقيم على خليل ، وهى أخذع من حباله الصائد التى تصرع من اطمأن إليها .

تَفَانِي الرَّجَالِ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ (١)

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لما قصده معز الدولة الديلمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطَّنُّ عِنْدَ مُحِبِّينَ كَالْقَبْلِ (٢)

وَمَا تَقْرَهُ سِوْفٌ فِي تَمَالِكِهَا حَتَّى تُتَقَلَّلَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقَلْلِ (٣)

مِثْلُ الْأَمِيرِ بَنَى أَمْرًا قَفَرَهُ

طُولُ الرَّمَاحِ وَأَيْدِي الخَنْزِيلِ وَالْإِبِلِ (٤)

(١) الطائل : كل شيء يرغب فيه أو مافيه غناء . يقول : تفانى الناس في التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شيء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ماتبقى وتعر بعد حلاوتها ، وتعوج بعد استقامتها ، قبها الله وقبح من تهالك عليها .

(٢) الأسل : الرماح . يقول : أعلى المالك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب المالك كان الطعن عنده كالقبل : أى يستلذ الطعن استلذاذ القبل وعجز البيت من قول أبي تمام :

يَسْتَعْدِبُونَ مِنْ أَيَّامِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

والذى يؤخذ من كلام العكبرى أن الضمير فى محبين للطعن — على أنه جمع طعنة وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى المالك — جمع مملكة — سلطان الملك فى رعيته .

(٣) تقلل : تحرك حركة عنيفة ؛ والقلى : جمع قلة ، أعلى الرأس ؛ من قلة الجبل يقول : لا تستقر السيوف فى الممالك حتى تتحرك زمانا فى رهوس الأعداء ، يريد لا يثبت لك الملك حتى تقطع رهوس المعادين لك . قال العكبرى : وأشار بذلك إلى انصرف الديلمي عن الموصل بغير حرب هية لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

سَأَجْهَدُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَإِنِّي أَرَى الْعَفْوَلَا يُمْتَاَحُ إِلَّا مِنَ الْجَهْدِ

ونصب دهر على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناه على الضم .

(٤) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد النال قربته عليه الرماح وأيدي الخيل والمطايا يعنى أنه لا يتعدو عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بماله من العدة والاعتزام الذى ذكره فى البيت التالى .

وَعَزْمَةٌ بِعَمَّتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ

مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنَ زُحَلٍ (١)
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِمَلَقَى النَّصْرِ مُقْتَبِلٍ (٢)
 تَتَلَوُ أَسِنَّةُ الْكُتُبِ الَّتِي نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ (٣)
 يَلْتَقِي الْمُلُوكَ فَلَا يَلْتَقِي سِوَى جَزَرٍ وَمَا أَهْدُوا فَلَا يَلْتَقِي سِوَى نَفْلِ (٤)
 صَانَ الْحَلِيمَةَ بِالْأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ صَيَانَةَ الذِّكْرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخَلَلِ (٥)

(١) عزيمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان التراب ؛
 والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزيمة حركتها همة تملو على زحل - الكوكب
 المعروف - بقدر علو زحل عن التراب .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، الريح تلتف بالغياب وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش :
 بمعنى الوحشة . ويريد ملقى النصر : سيف الدولة ؛ أى يلقى النصر حيشما قصد : أى
 يستقبل به : ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل
 مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات - النهر المعروف - رياح
 تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفي حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(٣) تتلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول : إن رماحه
 تتبع كتبه إلى أعدائه فهو يندرم أولاً ، فإن لم يطيعوه صمد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل
 بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو
 استعجاب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يجب الظفر اغتيا لا قموارة لثقتة بنفسه
 وهذا من قول الفرزدق :

شديدُ الحميِّ لا يَخَاتِلُ قِرْنَهُ وَلَكِنَّهُ بِالصَّحْصَحَانِ يَنَازِلُهُ

وقول صريع الغواني :

مَنْ كَانَ يَخْتَلِ قِرْنَنَا عِنْدَ مَوْقِفِهِ فَإِنَّ قِرْنَ عَلَى غَيْرِ مَخْتَلٍ

(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوم جزرا : إذا قتلوه ؛ وما أعدوا
 عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة يقول : إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم
 ويجيوشهم ، فلا يكونون إلا ما كلال للسباع . ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .
 (٥) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛ والهندي

الفاعلُ الفِعْلُ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكَ وَلَمْ يَقُلْ ^(١)
 وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَابَتُهُ ضَوْءُ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطُّفْلِ ^(٢)
 الْجَوُّ أَضْيَقُ مَا لَقَاهُ سَاطِعِهَا وَمُقَلَّةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِّ ^(٣)
 يَنَالُ أْبَعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَاطِرَةٌ فَمَا تَقَابَلُهُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ ^(٤)

السيف؛ والحلل أغشية الأعماد يقول: إن الخليفة أكرمه فصانه بما وجه إليه من الأبطال والرجال كما يسان السيف الهندي بالحلل. وعبارة العكبرى: لما علم الخليفة أنه سيفه الذي يسطوبه صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم في رسمه والحماة الذين اختارهم لحفظه، كما يسان السيف الكريم بالأعماد التي يتخلل فيها، والجفون التي يحفظ بها؛ وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيه بسيف الدولة.

(١) يقول: إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد آتى به بكرة ويكون أبا عذرة ذلك الفعل، ويقول ما لم يقله أحد في بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً لأن كل بليغ يريد أن يأتي بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه. قال العكبرى: من روى الفعل؛ بالنصب أراد: يفعل الفعل ويقول القول، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل؛ ومن روى بالجر جملة مضافاً: كقوله تعالى «والمقيمي الصلاة».

(٢) غاله يفعله: ذهب به؛ وأصله الإهلاك، والمعجاجة: الغبرة؛ والطفل: وقت غروب الشمس. يقول: يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذي يستر ضوء الشمس بشاره حتى يصير الظهر كوقت الطفل؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه.

(٣) الساطع: المنتشر؛ والضمير المضاف إليه: للمعجاجة. يقول: إن ماسطح من غبار هذا الجيش ملاء كل فضاء، فكان الجو أضيّق شيء به، لأنه على سعته ملاء حتى ساوى أضيّق ما فيه، وكانت عين الشمس فيه أحيّر العيون، لأنه بلغ إليها وأحاط بها؛ وكل هذا مبالغة. وعبارة العكبرى: ما بعد من الهواء أضيّق بساطع هذا الغبار بما قرب، لأنه فيه تجتمع حملته وتتراق كثرته، وما قرب فإنما يرد الشيء بعد الشيء فينجلي منه ولا يجتمع، وعين الشمس أحيّر العيون بقربها من مستقره ودنوها من مجتمعه.

(٤) يقول: إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهي ترى ذلك لما تقابله إلا على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدتها، لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده. وقال من الشراح: يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع

قَدْ عَرَضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
 وَظَاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالغَيْلِ (١)
 وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَأُنْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٢)
 هُوَ الشَّجَاعُ يَعْدُ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ وَهُوَ الْجَوَادُ يَعْدُ الْجُبْنَ مِنْ بَخْلِ (٣)

موضعها وهى ناظرة إليه غير مساوية فى الارتفاع له فتقابلة وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(١) عرضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النواب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين : إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاعتيال ؛ يقال قتل فلان غيلة : أى اغتبيلا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نواب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أى تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أى جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٢) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعاً ويخفونه دونه ، فعلم ما أسروه وانكشف له ما أضمروه ؛ يعنى أنه ألمى صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لان الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا
 يَقْرِى مُرَجِّبِهِ مُشَاشَةً مَالَهُ وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثُقْرَةَ وَوَرِيدَا (١)
 أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُدْبِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جَوَادَا

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثقرة : نقرة النحر

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرِ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغَذَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ ^(١)
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُعَيْتَهُ وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مِنْهُجَةَ البَطَلِ ^(٢)
إِذَا خَلَّتْ عَلَى عَرَضٍ لَهُ حُلَلًا وَجَدَتْهَا مِنْهُ فِي أَهْبَى مِنَ الحُلَلِ ^(٣)

وعبارة ابن الإقليل : يريد أنه الشجاع التناهي الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد التناهي الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ الجبن من بخلٍ وباسلٍ بخله يعتدُّ جُبْنًا
يلقى العفاء بما يَرَجُونَ من أمل قبل السؤال ولا ينبغي به ثمنا
وقد بين صريع العوائى أن الشجاعة جود بالنفس في قوله :

يجودُ بالنفس إذ ضنَّ الجواد بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود

(١) أغذ : أسرع في السير ؛ واحتفل بالأمر : اهتم . يقول : كثرت فتوحه وتوالت ومن ثم لا يفخر بها ، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبال لثقلته بقوته وشجاعته ؛ وعبارة العكبرى : هو يفتح الفتوح العظيمة فلا يفخر بها ويسرع إليها ، ولا يحتفل لها . استقلالاً لمعظم ما يفعله وارتفاعاً عن نهب من يقصده . قال ابن جنى : فإن قيل كيف يكون مغذاً غير محتفل ، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه ، وإن كان محتفلاً عند غيره ، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده .

(٢) أجاز عليه : منعه مما يطلبه . قال تعالى : « وهو يجير ولا يجار عليه » أى لا يمنع مما يريد . يقول : إذا رام المدح شيئاً لا يجيره عليه الدهر ولا يحميه منه ، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه ، ولا يعصمه من الهلاك إذا أراده كان ما كان من البطولة . أو تقول : إذا تحصن قرنه بالدرع لم يتمتع بها .

(٣) خلعت : روى جملة . يريد أن يقول : إذا مدحته تزين مدحى به أكثر مما يتزين هو بمدحى . فضرب لهذا المعنى مثلاً فقال : إذا ألبست عرضه حلاً وجدت تلك الحلال من عرض المدح في شيء أحسن من الحلال : أى أن عرضه أحسن من الحلال ، وهذا من قول أبي تمام :

بِذِي الْعَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَمَلِ ^(١)
 لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَا لَهَا وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةَ الدُّوَلِ ^(٢)
 فَمَا تُكَشِّفُكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ مَلَلٍ مِنْ الْهَرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلٍ ^(٣)
 وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ تَرَكَتْ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ ^(٤)

ولم أمدحك تَفخِيماً لشعري وَاكْنَى مَدْحَتُ بِكِ الْمَدِيحَا

والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والحلل : جمع حلة ، الثياب . قالوا : ولا

تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين ، أو إزارا ورداء .

(١) الجمل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجمل . يقول :

إذا أنشد الجاهل شعري تضرر به ، لأنه لا يعرفه ويغيبه ذلك ، فيظهر عليه من أثر

الجهل والغيظ ما يظهر على الجمل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛ وعبارة

العكبري : إذا أنشد شعري بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك في نفسه ، وانكشف له

قدر تقصيره ، واستنصر بحسن قولي وبديع شعري كما يستنصر الجمل برائحة الورد التي

تؤذيه وتقتله لصادته لها . يعني إنما يعرف شعري وجودته وجوهره من هو صحيح

الفكر ، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجمل ، وإن كان مستلزما في الحقيقة .

قال : وهذا من قول الحكيم : الألفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .

(٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء ، خيرة : مؤنث خير ، بمعنى

أفضل ؛ أنثوها بالناء تشبيها لها بالوصف المحض لفارقها صيغة التفضيل ؛ وجربت :

يروى وجردت . يقول : أنت ملء كل عين مهيبتك وبهائك وأنت خير سيف خبير

دولة ، يعني دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره . يقول : لا أمل للحرب وإن طالت ، لأنك

ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب ،

ولا تزل في رأي ، فقد أوتيت السداد في التدبير حتى لا يفضى بك رأي إلى زلل .

(١) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفي عن الأبصار

حتى كأنهم رجال بلا أرض ، ققتهم وأفنتهم حتى خليت أرضهم بقيت ولا رجل فيها ؛

قال العكبري : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب في صفة الجيش :

ملاً الملا عصباً فكاد بأن يُرَى لا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ -
 حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ (١)
 يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاطِرِينَ لَهُ فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمُ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ (٢)
 إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَأَعْلُهُ وَقَمْتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٣)
 أَجْرُ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ تُجْرِيهَا وَخَذَ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأُولِ (٤)
 يَنْظُرُونَ مِنْ مَقَلٍ أَدْمَى أَحْبَبْتَهَا قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِالسَّأَلَةِ الذُّبُلِ (٥)

(١) الطرف : الفرس الكريم ؛ والثمل : السكران يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حق مشى مشى السكران .

(٢) الناظران : العينان ، والجذل : الفرح : يقول : إنه ملك لا يرد عن شيء ، فما حكمت به عيناه استحسانا فهو له : أى ما يريد بما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا غنى قلبه شيئاً وصل إليه لا يحول دونه حائل . وقال ابن الإفيلي : وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره ، وحكم نفسه أن لا يعرفه الله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم - ههنا - اسم للمفعول ، لا للفعل ؛ فإن الناس مستوون في أفعال نواظريهم ، وإنما يختلفون في المحكوم به . يقول : ما حكم به ناظرك استحسانا فهو لك لا يعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٣) وقمت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله : أقمت أو ارتحلت ، قال العسكري يشير بهذا إلى ارتحال الديلمي عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من الموادة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(٤) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم ، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى قال العسكري : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت تجريها ، وأولاً من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كافاك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمي ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد

(٥) ينظرون : أى الجياد : والأحبة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين .

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفْرِ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ^(١)

* * *

وقال يرثى أبا المهيضاء عبد الله بن سيف الدولة بجلب ، وقد توفى بميفارقين في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بَكَ فِي الرَّمْلِ
وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَلِكَ الَّذِي يُبْلِي^(٢)
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِي بِي وَخِيفْتَهُ
إِذَا عِشْتَ فَأَخْتَرْتَ الْحِمَامَ عَلَى الشُّكْلِ^(٣)
تَرَكْتَ خُدُودَ الْفَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعٌ تُدَيِّبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ^(٤)

والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب ؛ والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد آدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرمح : أى إن الرماح لا تقع إلا في مقاديعها ، لأنها لا تنتهي حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها ، قال العكبري يشير بذلك إلى ما حرضه عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد آلت ذلك (١) يدعو له يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر

(٢) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذي بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت في الأرض ، فإن هذا الحزن يضني ويهزل مثل الموت الذي يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملكا :

يَا مَلِكُ إِنْ كُنْتِ تَحْتَ الْأَرْضِ بِأَلِيَّةٍ فَإِنِّي فَوْقَهَا بِأَلٍ مِنَ الْحَزَنِ
(٣) الحمام : الموت ؛ والشكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرت ما بي من الوجد بك والحزن عليك خفت أن تبثلى بمثله لو عشت وفقدت حبيبا عزيزاً عليك ، فاخترت الموت على فقد الأعرزة والحزن عليهم

(٤) الفانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسبها عن احسين ، والأعين النجل الواسعة الحسنه يقول : تركت خدود الحسنان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة هلك

تَبْلُ الثَّرَى سُوداً مِنَ الْمِسْكِ وَحَدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعْرِ الْجَمَلِ (١)
فَإِنْ تَكَ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَى
وَإِنْ تَكَ طِفْلاً فَأَلْسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ (٢)

تذهب بحسن العيون ؛ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين، ويزيل حسنها ، كما قال :

أليس يضرُّ العينَ أن يكثرَ البُكاُ وَيَمْتَعَ عنها نومُها وهُجُودُها
وإنما قال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئاً فشيئاً، كان استعارة الإذابة لثله أحسن ، وأيضاً لما كان الذوب في معنى السيلان والدمع سائل، كان كأن الحسن سال معه ، وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع ويسخنه وسخونة الدمع تذيب شحمة اللقطة ، فتذيب حسنها ، والثاني أن الحسن عرض لا يقبل الإذابة يقول : هذه الدموع تذيب ما لا يقبل الإذابة ، فكيف ما يقبلها ؟

(١) الثرى : التراب ، ومن المسك : تليل ، والجمال : الكثيف يقول : إن هذه الدموع تصل إلى الأرض فتبلها وهي سود لا متزاجها بالمسك وحده لأن الغائيات لا يكتسطن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهن يفنهن عن التكحل ، وقد استعملن المسك قبل المصيبة فبقى في شعورهن ، والكحل لا يبقى طويلاً ، وهذه الدموع قطرت وهي حمر لا متزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سوداً ، وإنما قطرت على الشعر لأنهن نشرن الشعور وهي كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ، وهذا من قول أبي نواس :

وقد غلبتها عبْرَةٌ فدموعها على خدِّها حُمْرٌ وَفَى نَحْرِها صُفْرٌ

فجعلها صفراً على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذي فيه الزعفران

(٢) الألسى : الحزن ، يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن كنت طفلاً صغيراً فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزة بك ليس باليسير . ومعنى المصراع الأول من قول أبي تمام :

لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتها لها منزلٌ بين الجوامح والقلب

والثاني من قول الآخر :

إن تكنُ مُتَّ صَفيراً فالأسى غيرُ صَفيِرٍ

وَمِثْلِكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدَرٍ سِنَّهُ وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ (١)
 أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ (٢)
 بِمَوْلُودِهِمْ صَنَتُ اللَّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنَظِقَ الْفَضْلِ (٣)
 تُسَلِّمُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِهِمْ وَيَسْفُلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ (٤)

(١) الخيلة - ههنا - الفراسة ، وهي في الأصل : السحابة التي يرحى مطرها يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط البكاء عليك ، وإنما تبكى على قدر أصلك ، إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة فيك ، إذ كنا نفرس فيك الملك ، فلهذا يكثر البكاء عليك

(٢) الاستفهام : للتقرير ؛ والألى : بمعنى الدين . يقول - مخاطبا لليت - أنت من القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلام : أي أنت من القوم الذين أفنوا البخل بجهودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبي تمام :

وإن أزماتُ الدهرِ حلتْ بمعشرٍ أريقت دماءَ المحلِّ فيها فطلَّتْ (١)
 وقال ابن الرومي :

وما في الأرضِ أسمحُ من شجاعٍ وإن أعطى القليل من النوالِ
 وذاك لأنه يُعطيك بما تقيء عليه أطراف العوالِ
 (٣) الأعطاف : جمع العطف ، وهو الجانب . يقول : إن صبي هؤلاء القوم كغيره من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل في أعطافه ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة :

(٤) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيمهم عما يصيبهم ، فهم يترفعون عن الجزع الذي هو شنشنة النفوس الوضيعة ، أما من نبذ قدره ؛ وارتقت في المعالي همته ؛ فإنه يتسلى بالمعالي عن الجزع والملح ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله عن الشغل بما عدا ذلك . والعلياء - : بفتح العين والمد . أما بضم العين فهي مقصورة .

(١) المحل : الجذب ، ويقال طل دمه : أي أهدر .

أَقْلُ بِلَاءٍ بِالرِّزَايَا مِنَ الْقَفَا وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْضَيْنِ مِنَ النَّبْلِ^(١)
عَزَاءُكَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصَلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ^(٢)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ^(٣)

(١) أقل: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هم أقل بلاء؛ والبلاء: فعال من اللبالة؛ والرزايا: جمع رزية، المصيبة؛ والقنا: الرماح. وأقدم: أي أشد إقداماً، استعمل: أفضل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن، أو تقول إنها من قدم يقدم إذا تقدم؛ قال حسان بن ثابت:

كَلَّمَهَا حَلْبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بَرْجَاجَةً أَرْخَاهَا لِلْمَفْصِلِ^(١)
أراد أشد إرخاء. والجحفل: الجيش العظيم. يقول: هم لا يبألون بما يصيبهم من الرزايا كما لا يبالي بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا، والقنا جماد، والجماد لا يوصف باللبالة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام للمرسله التي تأتي إلا التقدم وبعبارة أخرى: إذا أصابهم مصيبة لم يبألوا بها، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها، فهم في ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالي بما يصيبها، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شيء؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته.

(٢) الفصل: حديدة السيف. يقول: الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذي يقتدى به الناس فيتعلمون منه التعزى، لأنك قد تعودت الشدائد، لأنك سيف والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم اللبالة بمقارعة الحديد. فقوله عزاءك: منصوب على الإغراء؛ أي الزم عزاءك؛ أو بفعل مضمَر تقديره تعز عزاءك؛ والمقتدى به في موضع نصب صفة لـ «عزاءك» والضمير في «به» للعزاء.

(٣) مقيم: إما صفة لنصل — في البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف. أي أنت مقيم. والهيجاء: من أسماء الحرب، والصوارم: السيوف القواطع. يقول: أنت مقيم في كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت في أهلها، وهذا من قول أبي تمام:

(١) قبله:

إِنِ التِّي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِمَا لَمْ تُقْتَلِ
قوله كَلَّمَهَا: أي التي قتلت — أي مزجت بالماء — والتي لم تقتل — أي لم تمزج وأرخاها للمفصل: أي التي لم تمزج — أي الصرف.

وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِاحْزَنِ عِبْرَةً
وَأَثْبَتَ عَقلاً وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلِ (١)
تَخَوُّفُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ
وَتَنْصَرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ (٢)
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ
وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفَرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ (٣)
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةً
فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي (٤)

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلَهُ
بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَقًّا إِلَى الْوَطَنِ
وقوله أيضاً :

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْفَرَّانَ مِنْ آلِ مُضْعَبٍ
غَدَاةَ الْوَسْغَى آلُ الْوَسْغَى وَأَقَارِبُهُ

(١) يقول : لم أر أحداً غيرك لا يطيع دمة الحزن ، ولا أثبت عقلاً منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفرع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش في الحروب . وعبرة : أى دمة ، تميز .

(٢) السليل : الولد ؛ والأثني : سليله ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السليل بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ
سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ (١)

والرجل : جمع راجل ، وهم المشاة . يقول : متعجباً — : إن المنايا تخونه في ولده فتخرمه فلا يستطيع لها دفاعاً ولكنها تنصره في الحرب وتنفذ مراده في أعدائه ، وفي هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

أَلَمْ تَتَّعَبْ لَهُ أَنْ الْمَنَايَا
فَتَكُنَّ بِهِ وَهْنٌ لَهُ جُنُودُ

(٣) الفرند : جوهر السيف وماؤه ؛ ويبدو : أى الصبر . يقول : إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل ؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف ؛ والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع - الصدأ - ظهر فرنده ، كذلك هو ؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره .

(٤) يقول : من كانت نفسه حرة كريمة كنفك أغمته عن تعزية غيره وأسلته عن

(١) تجللتها : علاها ؛ وقوله بغل : قال بعضهم إنه تصحيف ؛ والصواب : نغل - بالنون - وهو الحسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل .

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْمَعُ بِلَا رَجَلٍ (١)
 يَرُدُّ أَبُو الشَّيْبِلِ الْحَمِيمَسَ عَنْ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ (٢)
 بِنَفْسِي وَلَيْدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمَلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمَّ لَا تَطْرُقُ بِالْحَمَلِ (٣)

مصيته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو في دهره من الحوادث؛ ومن عرف هذا ووطن نفسه على فقد الأعبة .

(١) يقول : ليس الموت إلا سارقا ، يد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسمى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه ، وإنما هو سارق دق شخصه — أى لا شخص له — يصول دون كف يظهرها ، ويسمى دون رجل ينقلها ، فلا يدري كيف يأتي ، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد : ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه

(٢) الشبل : ولد الأسد ، والحميمس : الجيش ، يقال : إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه . يقول : إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل ، وإنما يسلمه له ، فهو يحمي ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقير اليسير ، وهذا مثل . يقول : إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده ، مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح ، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما ، ولكن لا مدفع للموت

(٣) الوليد : المولود ، وطرقت المرأة والناقة وكل حامل : نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه : قال أوس بن حجر :

لَهَا صَرَخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ كَمَا طَرَقَتْ بِنَفْسِ بَكْرٍ

يقول : أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهى الأرض لا تطرق بالحمل . قال الواحدى : وإنما قال لا تطرق لأنها إما جماد لا توصف بالتطريق وإن كانت تسمى أما ، لكون الأموات فى بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطنها بسهولة وسرعة ، كما قال عز من قائل «فإنما هى زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة ، وفسر قوم هذا البيت على العكس ، قالوا : معنى لا تطرق بالحمل : لا تخرج الولد من بطنها ، والتطريق : إظهار الطريق — من قولهم طرق طرق : أى خل

بَدَا وَلَهُ وَعَدُّ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غَلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِّ (١)
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عِيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرَّكَّابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)
وَرِيحَ لَهُ جَيْشُ الْقَدْوِ وَمَا مَشَى

وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَعَلَّى (٣)
أَيْفِطْمُهُ التُّورَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ (٤)
وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ وَيَسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَدْلِ (٥)

الطريق — يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن اللتني كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجه .

(١) الروى — بكسر الراء — مصدر روى من الماء ، يقال ماء روى — بالكسر والقصر — ورواء — بالفتح واللد — أى كثير مرو . والغلة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشماله واعدة بالخير وعد السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديد إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ، والركاب : ماتوضع فيه الرجل من السرج . يقول : صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ريع : أخيف وجاشت القدر : غلت وهاجت ، والضروس : الشديدة العض ، وما مشى ، وما تعلّى : حالان . يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تعلّى — أى الحرب — تنبيهه إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ومن روى « يعلّى » أراد : جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقا عليهم ، ومن روى يعلّى — بالقاء — فهو من فليت رأسه بالسيف : أى ضربته . أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ، ويروى يعلّى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

(٤) التوراب : لغة في التراب ، والفظام : منع الصبي من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب عن أمه باشماله عليه قبل أن تظلمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السامى :

فَطَمَّتْكَ الْمَتُونُ قَبْلَ الْفِطَامِ وَاحْتَوَاكَ النُّقْصَانُ قَبْلَ التَّمَامِ
(٥) وقبل يرى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السَّلْمِ وَالْوَعَى ، وَيُمْنِي كَمَا تُمْنِي مَلِيكَاً بِلَا مِثْلٍ (١)
تَوَلَّيْهِ أَوْسَاطَ الْبِلَادِ رِمَاحُهُ ، وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ (٢)
نَبْكَى لِمَوَاتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ

تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلٍ (٣)
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ

تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبٌ مِنَ الْقَتْلِ (٤)

يرى من جوده ما رأيت أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام في الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما عرضت .

(١) السلم : المسألة ؛ والصلح يذكر ويؤنث ، ويفتح السين وكسرهما ، والوعى : الحرب . يقول : وقبل أن يلقي ما تلقاه أنت من ارتناع الشأن وعظم السلطان في السلم ، ومن ثمرة الظفر في الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكاً لا نظير له .

(٢) توليه : ضفة مليكا . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسراً فيقتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل

(٣) الموهب - كالموهبة - العطية ، والجزل : الكثير . يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غناؤه من الباكي يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفهم من الدنيا شيء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى بإحرازه ، يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شيء له خطر

(٤) يقول : إذا ألقيت بالك إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك في الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقلباته وتأثيره في الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذى ينتهى إليه الإنسان ضرباً من القتل ، ومن أجل ذلك لا يحمل بالمرء أن يعتر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال في آخر القصيدة «وما الدهر الخ» وعبرة الشراح : إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان في مكروههما ، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره ؟ فهذا يوجب الزهد في الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الاسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوابغ الدهر المهلكة لأهلها علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ الصير في الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :

هَلِ الْوَالِدُ الْمَحْبُوبُ إِلَّا تَعْلَةٌ ، وَهَلْ خَلْوَةٌ أَحْسَنَاءُ إِلَّا أَدَى الْبَعْلِ (١)
وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصَّبَا ، فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُمْ عَنْ جَهْلِ (٢)

إذا بَلَ مِنْ دَاهٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجْمًا وَبِهِ الداء الذي هُوَ قَاتِلُهُ
قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتموم على كل أحد ، فجعل
الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر « وبه الداء الذى
هو قاتله » البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت ؛ وهو معنى ينظر إلى ما جاء فى
الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حميد بن ثور :
أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ، وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
ويقول الآخر :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ فَالأنها الإصباحُ والإمساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهداً لِيُصِحِّني فإذا السلامة داء

(١) التعلّة : العلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلّة : إذا كان يطيب به
نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لا يدوم ، وإنما هو تعلّة إلى وقت والحزن
بسيبه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بمرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها
تجلب لك ولدآ تغتم من أجله ، وتتأذى بتربيتنه ، ولعل العاقبة إلى الشكل . ينهى عن
الحلوة بالمرأة لثلاث تلذ . وقال ابن جنى : وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أدى ذلك
إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التى تلتحق مواصل
النوائى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .
(٢) الحلواء : الحلوة . قال زهير :

تبدلتُ مِنْ حَلْوَاهَا طَعْمَ عَلْقَمِ *

يقول : جربت حلوة الأولاد وقت شبابى فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم
أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله : « هل الولد المحبوب إلا تعلّة ؟ » ويجوز أن يكون
قوله « على الصبا » على صبا البنين - أى فى حال صباهم . وعبارة ابن جنى : لست أسليك
إلا عما قد لجمت به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا -
أى الذى قال ابن جنى - بعيد .

وَمَا تَسْعُ الْأَزْمَانُ عَلَيَّ بِأَمْرٍهَا ، وَلَا تُحْسِنُ الْأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمِّلِي (١)
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمِّلَ عِنْدَهُ حَيَاةً ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ (٢)

* * *

وقال يمدحه :

لَا الْحِلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ لَوْلَا أَدَّكَارُ وَدَاعِيهِ وَزِيَالِهِ (٣)

(١) يقول: إن علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي، وإن ما أمله من الحكم ونوابغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه. يعني أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله، فهي مع أنها تأتي بالعجائب - لا تحسن أن تكتب ما أمله؛ فكيف تعلمه؟ يريد توكيد ما قدمه من حنكته وطبه بالأمر وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وقفده. وعبرة العكبري: ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتقنه من شدة نكدها، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتغال عليه، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أمله وتضبط ما أعده؛ والمعنى أن الأيام التي تأتي بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أمله من الحكمة والكلام النادر؛ فكيف تعلمه؟

(٢) يقول: إن الدهر خوان ليس أهلاً أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يحقق الرجاء في الحياة ولا يفي بالأمل، وليس أهلاً لأن يشتاق فيه إلى الولد، لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينقص عيشه ويسأم معه الحياة، ولأنه لا يبقى على الولد بل يفرج به الوالد.

(٣) الحلم: النوم؛ والمثال: الصورة؛ والزيال: الزايلة والمفارقة. والضائر في البيت: للحبيب - وإن لم يجر له ذكر، لدلالة المقام - يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به في النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة في النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب، كما قال أبو تمام:

* صَدَّتْ وَعَلَّتِ الصَّدُودَ خَيَالُهَا

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعاً من صدوده. يقول: لم يجد الحلم بالحبيب: أي لم أره في النوم ولا رأيت خياله لولا أنني أطلت تذكر وداعه ومفارقتة وواصلت الفكر فيه ليلاً ونهاراً. يعني: تذكرى في اليقظة الوداع والفراق أراني في النوم خياله، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره في النوم: أي أن موجب رؤية الخيال هي استدامة ذكر الوداع والفراق، قال

إِنَّ الْمَيْدَ لَنَا لَلنَّامِ خَيْالَهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيْالَ خَيْالِهِ (١)
بِنِنَا مُبْنَاوِنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ
مَنْ لَيْسَ يَحْطُرُ أَنْ تَرَاهُ بِبَالِهِ (٢)

الواحدى ناقداً : جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين
ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله . ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله
لا رؤية شخصه بعينه ؛ وقال بعض الشراح : يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقى يتذكر
وداعه ورحيله ، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسمت صورته فى وهمه ، وصار
إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور ، لا عن العيان ، فهو يقول
لولا استدامة هذا التذكر ما جاد على الحلم بمراى خياله ولا خيال صورته : وهذا تفسير
وجيه ، وهو ينظر إلى قول القائل :

نَمَّ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالَ وَلَكِنِّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ
(١) يقول : إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأرانا فى النوم كان ذلك الذى أرانا
خيال الخيال ؛ يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله ؛ فالذى رأيناه فى النوم كان
خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال ، وهذا البيت تأكيد لما قبله من
أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق . والمنام - فى البيت - فاعل
الميد ؛ وخياله : مفعول به وقوله « كانت إعادته » لك أن تجعل « كانت » تامة ، بمعنى
حصلت ؛ وخيال خياله : منصوباً بالإعادة ، ويجوز أن يكون أراد . بالإعادة : الشيء
المعاد - على تسمية المفعول بالمصدر - فيكون « خيال خياله » خبر : كانت .

(٢) يصف الحال التى رأى خيال الخيال عليها فى النوم . يقول : رأيناه يعطينا
الشراب بكفه وما كان يجرى فى خاطره أن نراه للبعد الذى بيننا ، والشاعر يجعل
ما يراه فى النوم كأنما يراه فى اليقظة ، قال البحرى :

أُرِدُّ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ السُّكْرَى إِنْ جِئْتِ وَسَنَانَا
ولأبي نواس :

إذا التقى فى النوم طيفنا
عادا إلى الوصل كما كانا
ياقرّة العين فما بالناس
نشق ويلتذخي الانا

يَجْنِي الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلَانِدٍ جِيدِهِ وَنَنَالَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ (١)
 بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيمَةِ فِيكُمْ ، وَسَكَنْتُمْ ظَنِّ الْفُوَادِ الْوَالِدِ (٢)
 فَذَنُوتُمْ وَذَنُوتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، وَسَمَحْتُمْ ، وَسَمَّاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ (٣)
 إِنِّي لَا بُغِضُ طَيْفٍ مِنْ أَحَبِّتَهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ (٤)

لَوْ شِئْتَ إِذْ أَحْسَنْتَ لِي نَامًا أَنْمَتَ إِحْسَانَكَ يَقْطَانًا

(١) التشبيه في البعد ، لا في الصورة . يقول : ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأننا نرى بقلانده الكواكب وبخلخاله الشمس ، يعنى رأينا في المنام ما لم نصل إليه في اليقظة ، وقال العسكري : ما في قلاته من الدر بالكواكب وبخلخاله بين الشمس ؛ يريد لعمان خلخاله ، وذكر أنه يعنى الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلسه إياها ؛ قال : فأحرز قصبته التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه في حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة واللامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنباً للكواكب وإلى الخلاخل نيلاً لعين الشمس .

(٢) القرينة : التي بها قروح من طول البكاء . والوله : التحير ؛ أى ذهب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعدتم عن مرأى التي قرحت بالبكاء في سبيلكم وسكنتم في ظني وفكري - أى في قلبي - فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن الفؤاد : ويروي طي الفؤاد ، وهذا كقول القائل .

لئن بَعُدَّتْ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتَ قَلْبِي فَسَيَّانٍ عِنْدِي غَايَةُ الْبَعْدِ وَالْقَرَبِ
 ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَتَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

(٣) يقول : استدانكم القلب بتفكيره فالدنو من قبل القلب - لا من قبلكم - وسمحتم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسباح - على الحقيقة - إنما هو منه لا منكم إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لامنة لكم في هذا . ولما ذكر السباح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير في « عنده » وفي « ماله » للفؤاد .

(٤) الطيف : الخيال ؛ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل في مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسهم طائف من الشيطان » وقرئ « طيف من الشيطان » ؛ ومنه

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالْأَسَى فَارْقَتُهُ فَحَدَّثَنِي مِنْ تَرَخَالِهِ (١)
وَقَدْ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْمَوَى وَأَذَقْتُهُ مِنْ عِنْتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ (٢)

طيف الخيال الذي يراه النائم؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا: أى ألم فى النوم. قال كعب بن زهير:

أنى ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكراً وشعوف (١)

والضمير المستتر فى «يهجرنا» للحبيب. وضمير «وصاله» للطيف. يقول: إنه ييغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب؛ وعبارة العكبرى: هو ييغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقه مع التمام الشمل، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر. قال ابن جنى: هذا يسمى الأ كذاب لأنه قال فى الأول لا الحلم جاد به، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال، ثم ذكر أنه ييغض طيفه. وقال الواحدى: كان من حقه أن يقول إذ كان يوصلنى زمان الهجر، لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضه؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر.

(١) لك أن تقرأ «مثل» بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف؛ وبالنصب: على تقدير أبغضه بغضا مثل. والصبابة: رقة الشوق؛ والأسى: الحزن، والضمير من «فارقته» للمحبوب؛ والجملة تفسير للمائلة، أو حال من الصبابة وما يليها، والى تعود إليها النون من قوله «لحدثن» على حد قولك: جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس. يقول: فارقت من أحبه لحدثت هذه الأشياء - الصبابة والكآبة والأسى - وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر.

(٢) استقدت: اقتصدت، من القود؛ وهو قتل القاتل بالقتيل. والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل القتول، فرجما قتلوه به ورجما عفوا عنه. والبلبال: ألم والحزن وهذا تمثيل. يريد: كان الموى يؤذيني والحبيب غائب، فلما حضر جعلت إعراضى عن إجابة داعية الموى وتعنفى عما يجرتى إليه جزاء له. وبعبارة أخرى: لى استنمت من الموى وتعنفى وإعراضى عن إجابة داعيه، فأذقته بذلك من العيظ مثل ما أذاقنى من

(١) شعوف: يحتمل أن يكون جمع شعف؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر والشعف والشعوف: إحراق الحب القلب مع لذة يجدها.

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً
تَسْتَجِفُّ الضَّرْعَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)
تَلْقَى الْوُجُوهَ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا
ضَرَبَ بِجَوْلِ الْمَوْتِ فِي أَجْوَالِهِ (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ
وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)
وَإِذَا تَمَتَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَنَنِهِ
بَرَزْتُ غَيْرَ مُعْتَرٍ بِجِبَالِهِ (٤)
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ
مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُعْتَالِهِ (٥)

الحزن . قال ابن جنى : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العرض - أى الهوى نفسه - فيكون هذا من مبالغة الشعر التي ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التي شرب بها فيكون على حذف مضاف : أى ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرعام : تستدعى إسرعه في الحرب - من قولهم جفل الظليم وأجفل إذا أسرع - والضرغام : الأسد ؛ وأشباله : أولاده . وقوله « لكل أرض » أى لافتح أو غزو أو قتال كل أرض . وكفى بالساعة عن قصر المدة التي يستولى عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروح ما يضطره إلى الفرار عن أشباله لشدها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحي ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير في « بها » : للساعة ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال في تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول في نواحيه ؛ وفي البيت جناس بين « يجول » و« أجواله » .

(٣) السلاف : أجود الحجر ، وهو أول ما يجرى من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ما كان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذي سمعه الناس من كلامي ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلافة : أى لم أخرج لهم مختار شعري وجيد كلامي ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(٤) الجياد : الخيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تمتر الشعراء المهيدون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ، يعنى إذا لم يقدروا على السهل القريب كنت قادرا على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلا لفحول البلاغة ؛ والسهل والجبيل مثلا لسهل الكلام وضعبه .

(٥) العراء الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ و« معتاده » نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذي يقطع الأرض بالسير . والمعتال : المهلك - أى الذى يفنيه بالسير - يصف قوته على السير

يَمْشِي كَمَا عَدَتِ الْمَطْيُ وَرَاءَهُ ، وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَاهَا وَكَلَالِهِ (١)
 وَتَرَاعُ غَيْرَ مَعْقَلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلاً بِمِقَالِهِ (٢)
 فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ ، وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ (٣)
 وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَائِفِهَا ،
 وَشَقَقْتُ خَيْسَ الْمَلِكِ عَن رِثَالِهِ (٤)

وقطع الفلوات . يقول : وحكمت في الفلوات أجوبها متى شئت يجعل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به ، على ما قدرت كما أردت ، لاعتمادى على قوة مطيقي .

(١) عدت : ركضت ؛ والمطي : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جم الفرس يجم ويجم جما وجماما وأجم : ترك فلم يركب ، فذهب إعياءه ؛ وفرس جموم : إذا ذهب منه إحضار - جرى - جاءه إحضار ؛ وكذلك الانقي ، قال النمر بن تولب :

جُمُومُ الشَّدِّ سَائِلَةُ الذَّنَابِي يَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سَرَاجَا (١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عدو الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهي مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(٢) ترع : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدها جميعا في وسط الذراع ، وذلك الجبل هو العقال ، والجمع عقل - والتجفل : للسرع . يقول : إذا طرأ على الإبل ما يروعها فنفرت فاشتد عدوها - جريها - وهي غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو في العقال فتصير وراءه .

(٣) الأخفاف : جمع خف ، جمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الإسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح في قوائمه ، وهو نشيط في عدوه لا نشاط إلا في إرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحي كله منوط بقوائمه لأنى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لا نشاط إلا في إسرعه :

(٤) الخيس : أجمة الأسد ؛ والرثيال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة في

(١) قوله سائلة الذنابي : يعنى أنها ترفع ذنبها في العدو - أى الجرى -

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِّمَ اللَّيْثُ كَأَلِهِ يُنْسِي الْفَرِيْسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ (١)
 وَتَوَاضَعُ الْأَمْرَاءُ حَوْلَ سَرِيْرِهِ ، وَتُرَى الْمَحَبَّةَ وَنَحْيَ مِنْ آ كَأَلِهِ (٢)
 وَيُمِيْتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبِيْشُ قَبْلَ نَوَالِهِ وَيُنِيْلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ (٣)
 إِنْ الرِّيَّاحُ إِذَا عَمَدْنَ لِناظِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِمْعَالِهِ (٤)
 أَعْطَى وَمَنْ هَلَى الْمُلُوكِ بِعَفْوِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ (٥)

سيف الدولة : أى جعلته سيفاً لى ، كما هو سيف دولة هانم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من هطايه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(١) يقول : شققت خيس الملك عن الليث - الأسد - الذى أعطى من الكمال ما لم تعطه الأسود ، لأنه يشركها بياسه ويفوتها بحسنه وجماله ، فهو لحسنه إذا بطش بعده وشغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقمه من بأسه ؛ والأسود إذا افترت فريسة أفرعتها لقبح منظرها . ومن روى خوفه : فالخوف مضاف إلى المفعول ، لأنه الخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

(٢) تواضع - بحذف إحدى التائين - أى تتواضع ؛ والآ كال : الأرزاق والأقوات يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريره ويظهرون له المحبة وهى - المحبة - من جملة الأرزاق التى تجبى له من مملكته ؛ يعنى أنه محبوب إلى كل أحد .

(٣) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبش للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

(٤) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها - بكسر الباء - أى ما يستقبل منها . قال الواحدى : والرواية الصحيحة مقبلها - بفتح الباء أى إقبالها ، فيكون مصدرها وهذا مثل لعجلته فى العطاء وسبقه السائل . يقول : إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه ، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل .

(٥) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك بمن هم أهل للعطاء أعطاهم ، أما الملوك فقد من عليهم بالعفو عنهم وترك مما لكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحرى :

وَإِذَا غَنُوا بِمَطَائِبِهِ عَنْ هَزِهِ ،
 وَكَأَنَّمَا جَدَّوَاهُ مِنْ لِكَثَارَتِهِ
 وَآلِي فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَإِلَيْهِ ^(١)
 حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ ^(٢)
 وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ ^(٣)
 وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ ^(٤)
 مَهَجَاتِهِمْ بَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ ^(٥)

عَمَّتْ صِنَائِعُهُ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا ، فَعَدَا الْمَلَأُ عَلَى الْغَنَى الْمَكْرَهَ

(١) هزه: أى تحريكه للعطاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بـ«عن» محذوفة صلة أغنى وواله: أمر من الموالاته ، والضمير للعطاء . يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعطاء تابع عطائه ؛ فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والإقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً ليصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبي نفسه حين سأله ابن جنى عن معناه ، قال المتنبي : أردت إفراطه في الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلداً - كسائله - فهو يفرط في إعطائه طلباً للإقلال ، فكانه - لكثرة إعطائه - يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) فترن : أى فترن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تقرب وتغور في مكان أدنى من همته وتطلع من مكان أدنى من الغاية التي ينالها : أى أن همته تبلغ إلى ما هو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبارة الشراح : إن همته بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهي دون ما ناله بهمته ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانزاح مغاربها ومطالعها تقرب مقصرة عما تبلغه همته وتطلع متواضعة عما يدركه تناولها . قال الواحدي : ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله .

(٤) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يحدد الله له كل يوم سعادة ويحفل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٥) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده ، فكان سيف

لَمْ يَنْزُكُوا أُنْزَارًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَعَى إِلَّا دِمَاءَهُمْ عَلَى سِرْبَالِهِ (١)
فَلَمَثَلِهِ جَمَعَ الْعَرْمَرَمُ نَفْسَهُ ، وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ (٢)
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ لَا تُكْذِبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ (٣)

إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجرى على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق المشاكلة .
واللهجة : دم القلب والروح .

(١) الوعى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه
أثراً غير تلطيف ثوبه بدمائهم التي سفكتها منهم صوارمه .

(٢) العرمرم : الجيش الكثير . ويقال قصمه يفصمه فصا فانصم : كسره من غير
أن يبين ؛ أما التقصم - بالقاف - فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصا فانقصم
وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزالا شبهه بدملج فضة :

كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَى مَفْصُومٍ (١)
والعري - هنا - القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل - بكسر القاف - أى المقاتل
قال عبد الله بن قيس الرقيات :

وَإِغْتَرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لَوْيٍّ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةِ الْأَقْتَالِ

والضمير في «إقتاله» للمدوح ، أو للجيش . يقول : لثل سيف الدولة - أى له
لا لغيره - يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو - لأنه يغنمه ويسلبه - كأنه جمع
نفسه له . ثم قال : وبمثله من أولى الحزامة والتدبير انصممت عرى أعدائه وانقرطعقدم
ولم يكونوا شيئاً مذكوراً . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع
بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أماءه شيئاً .

(٢) الباهي : المفاخر . يقول : - للقمر - لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك
لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل
القمر مباهيا وجهه لانه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه

(١) غبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان
بفئسيه ولم يهتد له فهو نبه ، وقيل فى نبه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضال الموجود
ممن غفلة لا عن طلب وإنما جعله مفصوماً لثنيه وانخائنه ، ولم يقل مقصوم - بالقاف -
فيكون بائنا بائنين .

وَإِذَا طَمَأَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ دَعُ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ (١)
 وَهَبَ الَّذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَارَأَى أَوْفَاءَهُمْ لِابْنِ بِلَا أَوْفَالِهِ (٢)
 حَتَّى إِذَا فِي التَّرَاثِ سِوَى الْعَلَا قَصَدَ الْمُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطَوَالِهِ (٣)

(١) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر - إذا امتلأ ماء - دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله «ذا» إلى ما يفهم من قوله «طما» من العظمة والافتخار : وفي مثل هذا يقول البحري :

قد قلتُ للفيثِ الرُّكَّامِ ولجَّ في إِبْرَاقِهِ وَأَلْحَ في إِرْعَادِهِ

لَا تَعْرِضَنَّ لِحُمْفِرٍ مُتَشَبِهًا بِنَدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

(٢) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيدا مالا : أى من زيد ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن ، و«لا» فى قوله « بلا أفعاله » فى معنى غير . يقول : وهب ما ورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مقتخر بها ، لأنه لا يفتخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى : وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تماثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليث .

لسنا وإن أحسابنا كرمتم يوما على الأحساب نتكل

بنى كما كانت أوائلنا بنى ونفعل مثل ما فعلوا

وقال كساجم :

وإذا افتخرت بأعظم مقبورة فالناس بين مكذب ومصدق

فأقم لنفسك فى انتسابك شاهدا بحديث مجدٍ للقديم محقق

وقال الشريف الرضى :

فخرت بنفسى لا بقومى موقرا على ناقصى قومى مآثر أمرتى

(٣) التراث : المال الموروث . وقوله فى التراث سوى العلا : لأن المال يفتى بالهبة ؛

والعلا لا تفتى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لما لم يبق من المال الموروث شيء قصد الأعداء بالرماح الطوال فامتلات يده بقتلهم : أو تقول : لما فى ما ورثته من الأموال

وَبَارِعَن لَيْسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمْ - فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَ مِنْ أذْيَالِهِ (١)
 فَكَأَنَّمَا قَدَى النَّهَارُ بِنَقْعِهِ - أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفُ مِنْ إِجْلَالِهِ (٢)
 الْجَيْشُ جَيْشِكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ - فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)
 تَرَدُّ الطَّعَانِ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ - وَتُنَارِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ (٤)

لا من العالى ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آباءه - ركب إلى العدا فأتسعت يده بغنائمهم .
 وقوله بطوالة : أى طوال القنا ،

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرتة ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن» لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعناء : أى تشبها برعن الجبل ؛ قال الفردق :

لَوْ لَا أَبُو مَالِكٍ الْمُرْجُو نَائِلُهُ مَا كَانَتِ الْبَصْرَةُ الرَّعْنَاءُ لِي وَطَنًا

والعجاج العبار : يقول : قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد دروعا من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما أكثر أكثر العبار ؛ ومن فى قوله من أذياله - زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : ما يقع فى العين من العبار ونحوه ؛ والنقع : العبار ؛ وغض الطرف كسره وخفضه ؛ والضمير فى نقعه : للجيش . وفى عنه وإجلاله : للعبش ، أولسيف الدولة يقول : أظلم النهار بشدة ذلك العبار حتى كأنما وقع فى ضوئه قذى من العبار ، يعنى أن العبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى فى عينه ، أو كأن النهار غض طرفه لإجلاله . قال الواحدى : وطرف النهار هو الشمس ، فالعنى أن هذا العبار نقص من ضوء الشمس وسترها بتكائفه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحه تقوى بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حكمك ، ولكنك أنت فى الحقيقة جيشه الذى يق قلبه وجناحه ويحتمى بك ، وإذا احتفى الملوك بجيوشهم فأنت تحمى جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَسْخِ لَنَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لِحِبِّ

(٤) هذانبيين لما ذكره فى البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقايل

كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (١)
دُنَّ الحِلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةً لَا تُخْتَطَى إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ (٢)
فَلِذَلِكَ جَاوَزَهَا عَلَى وَحْدِهِ وَسَعَى بِمُنْصَلِهِ إِلَى آمَالِهِ (٣)

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يَوْمَئِذٍ ذَا السَّيْفِ أَمَالَهُ وَلَا يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ (٤)
إِذَا سَارَ فِي مَنَمِهِ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلِ طَالَهُ (٥)

عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعام المر دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فكفيم القتال ومقاساة الطعام . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعام بالتهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(١) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ومحموهم من أعدائهم ليقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامي دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى التنبي هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بيني وبينك ، ولكن ابرز إلى فأينا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : ما رأيت أعجب منك ! أجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقبي به نفسي ثم أبارزك ؟ والله لافعلت ذلك أبداً .

(٢) لا تختطى : لا تتجاوز . يقول : لا يوصل إلى حلوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال ، كما قال :

* ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل *

(٣) على : اسم سيف الدولة ؛ وللنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ما ذكر جاوزها — قطعها — المدوح وحده ، لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله ، فأدرکه حين طلبه بالسيف .

(٤) يؤم : يقصد . يقول : هو — سيف الدولة — سيف يقصد ويطلب ما يؤمله ، ولكنه أمضى من السيف في بلوغ آماله .

(٥) المهمة : المغازاة البعيدة . وطاله — من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته في الطول

وَأَنْتَ بِمَا نُتَلْنَا مَالِكٌ يُشْمَرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ (١)
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْفَمٌ يُرَشَّحُ لِلْفَرَسِ أَشْبَاهَهُ (٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بما فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقت الخيمة فسكلم الناس في ذلك فقال : «

أَيْقَدْحُ فِي الْخَيْمَةِ الْعَذْلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ (٣)
وَتَعْلُو الَّذِي زَحَلَتْ تَحْتَهُ مُحَالٌ لِعَمْرِكَ مَا تُسْأَلُ (٤)

يقول : إذا سار في الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار في الجبل علاه فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(١) نال ينول : إذا أعطى ؛ وثمر ماله : أحسن القيام عليه وأتماه . يقول : أنت بما تعطينا كالمالك الذي ينمي أمواله ، ولكنك تنمي بعضها ببعض .

(٢) الضيفم : الأسد . ورشحه للأمر : هياه وأهله ، والفرس بمعنى الاقتراس ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت - لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران - أسد ينجح لأشباهه ما يأتيه ويفعله ويضربها على ما يمثله ؛ يعني أنك تضرينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباهه للاقتراس فيعلمها ذلك .

(٣) أيقدح : أعييب ؛ والاستفهام إنكارى . والواو من « وتشمل » حالية ؛ والعذل : جمع عاذل ، اللائم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أعييبونها وعذرها في هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله ؟ قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن ، ولو قال : من دهره يشمل لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشيء : أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛ يعنى علم كل شيء ، فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه ، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شيء ولا يحيط به شيء . هذا : وفي رواية * أنفع في الخيمة العذل * أى أينضع عذل العاذلين في سقوط الخيمة ؟ والرواية الأولى أوجه .

(٤) محال : خبر مقدم ؛ و« ما » من « ما تسأل » بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول : وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحتها في علو القدر والنباهاة ؟ فالذى تسأله الخيمة وتكلفه

فَلَمْ لَا تُلُومُ الَّذِي لَامَهَا وَمَا فَصَّ خَاتَمَهُ يَذْبُلُ^(١)
تَضْيِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤَهَا
وَيَرُّ كُضُّ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ^(٢)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذَّبْلُ^(٣)

من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى « ماتسأل » بفتح التاء - المعلوم ؛ فالضمير للحيمة أو للمخاطب : أى أن ما تسأله هى أو ما نسألها أنت من ذلك محال .

(١) ما : بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لا تلوم الحيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الحيمة . وعبارة ابن جنى : إن جاز أن تلام هذه الحيمة على عجزها عن علوها الممدوح ، وهو غير ممكن - لعلوه عنها - فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتم يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس فى طاقته ، فكذا هذه الحيمة لا تقدر أن تملو الممدوح لقصورها عنه ، وقال ابن الإفليلى : المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له إننى تهيبت الرئيس وأعجزنى الاشتغال عليه بقصر يذبل مع عظيمته عن فص خاتم وخفته بجانب رزائه وقتله بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيع الاشتغال على من هذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما - من قوله وما فص خاتم يذبل - بمعنى الذى ؛ والضمير فى خاتمته : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لم لا تلوم لأنما ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتم يذبل تحته ؟ لحذف الخبر . . . وهذا - كما ترى - تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جنى : سألت التنبى عن هذا البيت فقال « ما » بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لا تلوم الحيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتم يذبل والضمير راجع إلى اللاتم . هذا : والخاتم - بكسر التاء وفتحها - لغتان فصيحتان .

(٢) الأرجاء : النواحي ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الحيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير فى أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هية لك وإجلالا أن تملوك .

(٣) « ما » مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل بوصف به الرماح لئنها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصر عنك مادمت فى جوفها فلا تستطيع أن تملوك إجلالا لك وهية لعلو مرتبتك مع أنها هى فى الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح

وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَأَنَّ الْبِحَارَ لَهَا أُغْمَلُ^(١)
 فَلَيْتَ وَقَارِكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ^(٢)
 فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدَّتْهُمْ بِالَّذِي يَفْضُلُ^(٣)
 رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا كَلَوْنَ الْغَزَالَةِ لَا يُفْسَلُ^(٤)
 وَأَنَّ لَهَا شَرْفًا بَادِخًا وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَحْجَلُ^(٥)

(١) الراحة : راحة الكف ؛ والأنامل : أطراف الأصابع . يقول : وكيف تبقى الحيمة قائمة وتحملها راحتك الواسعة الجود ؟ فكأن البحار أنامل لها .

(٢) يقول : فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ما تطيق حملة ، فإنك لو حملت ذلك لحص الحيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط .

(٣) يقول : فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ما تصير به سيد الناس . يصف رزاة حملة وكثرة وقاره ، وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له ما يسود به الناس .

(٤) الغزالة : الشمس عند طلوعها ، يقال طلعت الغزالة ، ولا يقال غابت الغزالة ، وإنما يقال غابت الجونة ، وغزالة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى ، يقال جاء فلا فى غزالة الضحى ؛ قال ذو الرمة :

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حَزْوَى أَرَأَيْتُمْ وَمَا أَغْنَى قِبَالَ^(١)

يقول : صارت الحيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التى لا يفارقها ذاتى نورها ، وأراد بقوله لا يفسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها . والمعنى أن الحيمة اكتسبت من نورك ما صارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها .

(٥) شرف بادخ : أى عال ؛ والبادخ والشامخ : الجبل الطويل ؛ وبذخ البحر يذخ

(١) يريد بقوله أرايتهم : الأظمان ؛ ونصب الغزالة على الظرف ؛ ورأس حزوى : مفعول أشرفت على معنى علوت : أى علوت رأس حزوى فى غزالة الضحى ؛ ولك أن تقول : إن الغزالة - فى البيت - الشمس ، أى علوت رأس حزوى طلوع الغزالة : أى طلوع الشمس .

فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرَعةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يُقْتَلُ^(١)
 وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ نَلَاتَهُمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ^(٢)
 وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا أُشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرَحَّلُ^(٣)
 فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(٤)
 وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هُمِهِ وَأَنَّكَ فِي نَعْرِهِ تَرْفُلُ^(٥)

بذخانا فهو باذخ وبذاخ : اشتد هدره فلم يكن فوقة شيء . يقول : ورأت أن لها شرفاً عظيماً إذ سكتها ، وإذا رأتها الخيام خجلت ؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتغال عليك .

(١) أنكر الشيء : استغربه ؛ والصرعة : السقطة ؛ ومن فرح النفس : خبر مقدم وما يقتل : مبتدأ مؤخر . يقول : فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك تكرراً مستغرباً ، لأنها فرحت بذلك غاية الفرح ، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية ، فكيف لا تصرع ؟ أي لا تسقط .

(٢) يقول : لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتغال عليك لخاتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك ، كما خاتها أطنابها وعمدها .

(٣) التطنيب : مد الأطناب . يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطنابها أشيع الخبر في الناس أنك لست راحلاً للغزو ، لامر دعاك إلى الإقامة .

(٤) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإنسقاطها أن يشير عليك بما ينبغي أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الإشارة - لأنه وصله بالباء . وقال العكبري : أشار من الإشارة ، لا من المشورة في الرأي ؛ فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجراحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبية ؛ أي فنبهك بوقوعها على الرحيل الذي أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة إليه بالوقوع . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حياً وإماموات ؛ إذ لا جراحة له تعالى .

(٥) من همه : مما يهتم به ويحتمل . ويقال رفل يرفل : إذا تبخرت وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يعنى بك ؛ يريد إرشادك إلى

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَتَلُّوا وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا^(١)
هُمْ يُطَلَّبُونَ فَمَنْ أَدْرَكَوا وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ^(٢)
وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ^(٣)
وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ تَوْبُهُا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَاءِ مُخْمَلٌ^(٤)

ما تفعل ، وأنت تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال .

(١) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استعمل بلفظ «ما». وعند يعنى عنود آفوه عائد : مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه ، وأصل العائد : البعير الذى يجور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عند - مثل راعع وركع - وأنشد أبو عبيدة :
إذا رحلتُ فاجعلونى وسطاً إني كبير لا أطيقُ العُنْدَا^(١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والحاسدون مالم وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وخدمهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضرّبون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ما أتلوا ما أصلا من الكلام وجلاوه أصلا لتكذابهم ؛ ويروى : ما أصلا ويقال قولتى مالم أقل : أى نسبتة إلى ؛ ومعناه ؛ أنهم يحسبون أقوالا كاذبة ويفشونها فيما بين الناس ؛ وقال ابن جنى : قولوا ، أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(٢) فمن أدركوا : يروى «فما أدركوا» يقول : هم يطلبون ربتك . فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أو ماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تليفق الأحاديث عنك ، وانكن من يقبل كذبهم ويصدقه ؟ .

(٣) الجد : البخت والإقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون .

(٤) وملمومة : عطف على جدك - فى البيت السابق - يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد : خبر مقدم ؛ وتوبها : مبتدأ مؤخر - أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثياباً لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالحمل لتلك الثياب ، وهو ما تدلى من

(١) جمع بين الطاء والذال وهو إكفاء ، ويقال هو يمشى وسطاً لا عندا

يُفاجئُ جيشاً بها حينئذٍ وَيُنذِرُ جيشاً بها القَسطلُ^(١)
 جعلتكَ بالقلبِ لِي عُدَّةٌ لِأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تُجْعَلُ^(٢)
 لَقَدْ رَفَعَ اللهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيِّفَهَا مُنْصَلُ^(٣)
 فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ^(٤)
 وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي الْكِرَامِ الْأَوَّلِ^(٥)

التياب الحملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين ما يشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدرود لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابق إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرمح ، وروى ابن الأظلي : وملومة - خفصاً - قال : أى ورب ملومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : العبار . يقول : يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشاً آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلاً فياكر جيشاً من الأعداء لا يشعر به فهلسه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك العبار فيهرب . وقيل المعنى : تحزن : أى تسير فى الحزن - فلا تثير غباراً ، وتارة تسهل : أى فى تسير فى السهل فتثير غباراً

(٢) العدة : ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتكَ عدة لى بقلبي وعزى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فى أحتاج إليه لأنك لست من العدد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العدد التى تعمل باليد : أى لا تتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، وعبارة بعض الشراح - وقد روى البيت فى القلب وفى اليد اتخذت عدة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحاً لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد (٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : «من» زائدة ؛ يقول : لقد رفع الله دولة جعلتكَ سيئها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

(٤) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبيع السيف : صنعه والمقصل القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فإنك قد سبقتها بالقطع لأنك تطع بعقلك ورأيتك وحكمك مالا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع ؛ إذ لم ير قبلك مثلك وقال غيره يريد أن قطعها بسيفك ، ولولا قطعك ما قطعت .

(٥) يقول : إن كان الكرام الأولون جادوا قبلك ، فإنك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ما صرت به أولاً فى الكرم .

وَكَيفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ وَأُمَّكَ مِنْ لَيْثِنَهَا مُشْبِلٌ^(١)
 وَقَدْ وُلِدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجَلُ^(٢)
 فَتَبًّا لِلَّذِينَ عَبَّيْدِ النُّجُومِ وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَفْقَلُ^(٣)
 وَقَدْ عَرَفْتِكَ فَمَا بِالْهَاءِ تَرَكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ^(٤)

(١) الليث . الأسد ؛ ولبؤة مشبل ؛ ذات أشبال ؛ والشبل ؛ ولد الأسد . يقول :
 كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة في الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد ؟
 فأملك أشبلت بك من أهلك الذي هو الاسد ، وقد ضرب ذلك مثلاً لشجاعته ووضأته
 كأن أبويه أسدان ، ومن روى من ليثها - بفتح ميم من - ف «من» عبارة : عن الأم ،
 وهي خير المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والشبل - على هذا - هو الليث ،
 وهو الأب .

(٢) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمسا في رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس :
 ألم تكن الشمس لا تنجل - أي لا تولد - فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهذا
 ينظر إلى قول الأول :

لَأُمَّ لَكُمْ بَنَجَلَتْ مَالِكًا مِنْ الشَّمْسِ لَوْ نَجَلَتْ أَكْرُمُ

ومن روى لا تنجل - بالبناء للمعلوم - جعل أمه الشمس : أي فقال الناس ولدت
 الشمس وهي لا تلد ، جعل الممدوح - لعل قدره - كأنه نجل الشمس ؛ والرواية الأولى
 أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق - تقول العرب : ما أدرى أى الورى هو ؟ :
 أى الخلق هو ؟ ، قال ذو الرمة :

وَكَأَنَّ ذَعْرَنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحِ بِلَادِ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِيَلَادِ

قال ابن جنى : لا يستعمل الورى إلا فى النقي ، وإنما سوغ لذى الرمة استعماله
 واجبا ، لأنه فى المعنى منفى كأنه قال ليست بلاد الورى له بيلاد .

(٣) التب : الهلاك والحسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضللا وخساراً
 للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة فى البيت التالى .

(٤) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتكم وعرفت أنك أجل منها
 ندرأ ، فما بالها لا تنزل إليك لتخدمك ، وهي تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو
 عقلت لترلت إليك .

وَلَوْ بُتِمَا عِنْدَ قَدَرَيْنِ كَمَا لَبِتْ وَأَعْلَا كَمَا الْأَسْفَلُ (١)
أَنْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَلُوا أَنْتَ رَبُّكَ مَا تَأْمَلُ (٢)

وقال يمدحه ويعتذر إليه وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين*:

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا قَلْبَاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ (٣)
ظَلَّتْ بَيْنَ أَصِيحَابِي أَكْفِكْفُهُ وَظَلَّ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذَلِ (٤)

(١) يقول: لوبات كل منكما في الموضع الذي يستحقه قدره لبت في موضع النجوم ولبت هي في موضعك لإربائك عليها في الشرف.

(٢) قال الواحدى: لو قال عبيدك كان أحسن، لأن الأكثر في الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى، فأما للضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد. يقول: أعطيت عبيدك - يعنى الناس، جعلهم عبيداً لأنه ملك ما رجوه من عطائك، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينبه ما يؤمله.

(*) قال الواحدى: دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً، فلتقاه العلمان وأدخلوه إلى خزنة الأكسية، فخلع عليه ونضح بالطيب، ثم أدخل على سيف الدولة، فسأله عن حاله وهو مستحى، فقال أبو الطيب: رأيت الموت عندك أحب إلى من الحياة عند غيرك؛ فقال: بل يطيل الله عمرك، ودعاه، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة، فقال أبو الطيب يمدحه بذلك، وأنشده إياها في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه..

(٣) الطلل: ما شخص من آثار الديار، والركب: القوم الراكبون. يقول استدعى الطلل دمعي بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب بيكاه قبل أصحابي وقبل الإبل. يريد أن الإبل تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكي عليه كما قال التهامي:

بَكَيْتُ لِحَنَّتِ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

والعنى: أنه وقف على ديار محبوبه، فشجاه ما شاهد من دروس رسومها وتغير طولها، فاستدعى ذلك بكاءه، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين.

(٤) أصيحابي: تصغير تعظيم. وأكفكفه: أكفه مرة بعد أخرى. ويسفع: يجرى ويسيل. يقول: ظلت أكف الدمع خوفاً من لوم الركب فظل الدمع يسيل

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَذْرَتِي عَجَبٌ
كَذَلِكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلِّ (١)
وَمَا صِبَابَةٌ مُشْتَقٌّ عَلَى أَمَلٍ مِنْ اللَّقَاءِ كَمُشْتَقٍّ بِلاَ أَمَلٍ (٢)
مَتَى تَرُزُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَّحِفُوكَ بِمَعِيرِ الْبَيْضِ وَالْأَسْلِ (٣)

وأصحابي من بين عاذرلي وعاذلي - لأثم - والدمع يسيل بين العذر والعدل في شاغل
عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلا وظلولا ، وظللت أنا وظللت
وظللت ، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه سمع في بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظللت ،
ظللت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالى : « فظلمتم تفكّهون » ومثله
مست ، في « مست » قال الجوهري : وربما قالوا مست الشيء : يحذفون منه السين
الأولى ويحولون كسرتها إلى الميم ، ومنهم من يترك الميم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد
الأخفش لابن مغراء :

مسنا السماء فإنلناها وطاء لهم حتى رأوا أحداً يهوى ونهلانا

والأصل مسنا السماء ، وهذا من شواذ التخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق
يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائي للفراق ، ولا عجب في ذلك ، فإنني كنت
على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربي لا يحجبها عن غير الستر ، فكيف
الآن وقد حجبتها عن الفراق ؟ فالواو في قوله « وما أشكو للحال » أي حين لا أشكوسوى
الستر : أي في حال دنو المسافة ؛ ومن روى « كذاك كانت » فعناه كانت العبارة حين كان
الحاجب بيننا الكلة . والمصراع الثاني رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أي لا
تعجبوا من بكائي على فراقها ، فلقد كنت أبكي في هجرها وما أشكو مانعاً دون
الستور التي تحجبها والمنازل متجاوزة والدور متصافية .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله « كمشتاقي » أراد كصبابة مشتاق ، حذف المضاف .

يقول : إن المشتاق الذي لا يأمل لقاء حبيبه أشد حالاً ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل
خفف التأمل برح اشتياقه قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالاً لاسترواحه
إلى الإياس ؛ والأول أوجه .

(٣) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل الرماح يقول : -
مخاطباً نفسه - إن هذه الحبيبة سبعة في قومها بالسيوف والرماح . فإذا زار قومها

وَالهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أَرَا قِبَهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوَفِي مِنَ الْبَلَلِ^(١)
مَا بَالُ كُلِّ فَوَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُشْتَقِلٍ^(٢)

لأجلها كانت تحفته من قبلهم السيوف والرماح : يعني أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته
أى إن الوصول إليها متعذر لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير « من »
على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولورده على اللفظ لقال زيارته .
(٢) ما يراقبه : يعني ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من
سلاحهم ، فإذا كان مقتولا بالهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق في الماء لم يخش
البلل . وهذا من قول بشار :

كَمْزِيلٍ رَجَلِيهِ عَنِ بَلَلِ الْقَطْرِ وَمَا حَوَّلَهُ مِنَ الْأَرْضِ بِحَرِّهِ
وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تحببه على للثني — : هذا مأخوذ من قول
دي بن زيد :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْفِصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي^(١)
قال العكبري : وليس كما قال وإنما نقله من قول الحكيم : من علم أن الفناء
مستول على كونه هانت عليه المصائب .

(١) قال الواحدى : كان حقه أن يقول ما بال فوادي لا ينتقل عن حبا
وبكل فواد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — ما بى ؟ لأن التعجب إنما هو
من فواده ، لا من أفئدتهم ؛ يعنى لم لا ينتقل حبا عنى ولا أسلوها إذا كان
قومها وعشيرتها يحبونها كحبي ؟ يشير إلى أنها محبوبة في قومها منيعة فيما بينهم ،
وأنه في بأس من الوصول إليها ، واليأس من الشيء يوجب السلو عنه ، كما
قالوا : اليأس إحدى راحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبا .
وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعى بلوغة في حبا مبلغاً لا يبلغه أحد مالم
ينتقل إليه منه ؛ وهذا وجه التعجب في البيت . يقول : مالى أرى كل قلب من قلوب
عشيرتها فيه من حبا مثل ما في قلبى مع أن مالى قلبى باق فيه لم ينتقل عنه إلى غيره ؟

(١) الاعتصار : أن ينص الإنسان بالطعام فيعصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا
قليلا ؛ والنصان : العاص . ويقال : غصصت بالماء أغص غصصاً : إذا وقف في حلقك فلم
تكذب نسيه .

مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَلْحَاطِ مَالِكَةٌ لِقُلْتِنَهَا عَظِيمُ الْمَلِكِ فِي الْبَهْمَلِ (١)
 تَشْبَهُ الْخَفِرَاتُ الْإِنْسَاتُ بِهَا فِي مَشِيئَتِهَا قَيْنَلْنِ الْحُسْنِ بِالْحَيْلِ (٢)
 قَدْ ذُوقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَدَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلٍ (٣)

يعنى أنها قد بلغت مبلغاً من الجمال حببها إلى كل أحد ، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام . وعبرة ابن جنى : أجود ما يتأول في هذا أن يجعل الذى يجده من الشوق كأنه شخص ، والشخص إذا حصل في مكان لم يشغل غيره ، فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده ، لأنه في أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما العرض فلا يشغل مكاناً ، فإذا كان في قلب واحد جاز أن يكون في قلوب كثيرة . والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل كل قلب في عشيرتها به الذى بأبي الطيب من حبها ، فما بال حبها في قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل ؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسننها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

(١) يقول : هى مطاعة اللحظ من بين الحاظ الحسان ؛ إذا دعا لحظها إنساناً إلى هواها لى مطيماً فهى مالكة القلوب فتانة ؛ ولقلتها ملك عظيم فى دولة القل ، لهما دونها الأمر النافذ . وقال ابن فورجة : أى إن العيون إذا نظرت إلى عينها لم تملك صرف الحاظها عنها ، لأنها تصير عقلة لها ، فكأن عينها مالكة العيون . وهو معنى قول ابن نواس :

كَلَّ يَوْمَ يَسْتَرْقُ لَهَا حُسْنُهَا عَبْدًا بِلَا ثَمْنِ

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أى تشبهه : والخفريات : الحيات ، والآنسات : جمع آنسة ، ويقال جارية آنسة ؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك . يقول : إن النساء الحيات ذوات الانس يقصرن عن محاسنها فيقشبن بها فى حسن المشية ويربن مثل دلهما ، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها ، ويمتلن حتى يتلن ذلك وعبرة ابن جنى والواحدى : إذا كان فى حسن امرأة تقصير تشبهت بها فى مشيئتها ، فيجبر حسن المشى تقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة .

(٣) الصاب : شجر مر . يقول : مرت بى من الدهر حلاوته ومرارته ، فما حصلت من حلوه على عسل ، ولا من مره على صاب ، لانقضائهما وسرعة مرورهما ، فكأنى لم أذق شيئاً منهما : وهذا من قول البحترى :

وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي ^(١)
وَقَدْ طَرَقَتْ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عَزْهَاءٍ وَلَا غَزَلٍ ^(٢)
فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدْفَعُهُ وَلَيْسَ يَعْلمُ بِالشُّكْوَى وَلَا الْقَبْلِ ^(٣)

ومن عَرَفَ الأيامَ لا يَرِ خفضها نعيما ولا يعددُ تصرفها بلوى
(١) يقول : إنه إنما كان حيا حين كان شابا ، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روجه إلى غيره ، كما قال الآخر :

من شاب قد مات وهو حيٌّ يمشى على الأرض مشى هالكٌ
والعنى : أنه تغير بعد المشيب حتى صار غير ما كان أولا ، وعبارة العكبري : قد صحبت الشباب مسرورا وأراني الروح - يريد القوة والجلادة والتمهضة - في بدني ثم صحبت المشيب مستكرها لصحته فأراني الروح في بدلي بتغير أحوالي وعجزى عن النهوض والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب ، وصرت أستعين بغيري يساعدني على أحوالي ، وكأني بهذا قد أراني الروح في بدلي - يريد القوة والنشاط - والذي كنت أفعله وحدي صرت أحتاج فيه إلى مساعد وتلخيص العنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره ، وقال ابن فورجه : أحسن ما يحمل عليه البدل في هذا البيت الولد لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أو أن شيخوخة الأب وإذا مات ورثه ، فيكون كأنه بدله في ماله وبدنه .

(٢) رجل عزهارة وعزهارة وعزهي وعزه وعزوه وعزهي وعزهاة وعزهوة وعزوهو : كله عازف عن اللهو والنساء لا يطرب للهو ويتعد عنه وعن مغازلة النساء والتحدث إليهن ، والجمع عزاه مثل سعادة وسعال وعزهون - بالضم - قال ابن بري : ويقال عزهارة للرجل والمرأة . قال يزيد ابن الحكم :

فحقا أيقني لا صبر عندي عليه وأنتِ عزهارة صبور

والغزل : الذي يهوى محادثة النساء . يقول : أبيت حبيبي ليلا ومعي سيفي وقد جعل السيف موضع الرداء والسيف لا يوصف بالليل إلى النساء ولا بالليل. عنهن .

(٣) التراقي : جمع الترقوة ؛ العظم الذي بين اللنكب وبين ثغرة النحر . يقول : فبات السيف بيننا ونحن متعاقبان ولا علم له بما يجري بيننا من شكوى الاشتياق والقبل ولا غير ذلك مما يجري بين المحبين إذا هامتاقا ، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والحفاة وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف

مَ أَغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثْرٌ عَلَى ذَوَابْتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْمَلَلِ (١)
 لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ
 أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمَّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ (٢)
 جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَرَانَهَا وَكَسَانِي الدُّرْعَ فِي الْخُلَلِ (٣)

(١) الردع : التلطيح بالطيب ، يقال به ردع من زعفران : أى لطيح وأثر ، وردعه بالشئ يردعه ردعا فارتدع : لطيحه به فتلطيح ؛ قال ابن مقبل :

يَخْدِي بِهَا بَازِلُ فُتْلٌ مَرَاتِقُهُ يَجْرِي بِدِيَابِجَتَيْهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعٌ (١)
 وروى من درعها : أى ثوبها . وذوابة السيف - هنا - حمائله . وجفنه : غمده .
 والخلل : جمع خله - بكسر الخاء - وهى ما يمشى به الغمد من الجلد النقوش بالذهب وغيره . يقول : ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده ؛ والغلاف الذى فيه الغمد ؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به .

(٢) المضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف والسنان : نصل الرمح ، والأصم : الصلب ، وهو صفة لمحدوف : أى سنان رمح أصم الكعب ، والكعب العقدة بين الأنوبتين . يقول لأطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح ، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه . قال العكبرى : الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين ورواه جماعة سنان - بالتنوين - والأجود الإضافة ، وإذا نون يكون المعنى : ومن سنان أصم كعبه ، والكعب للرمح لالسنان ، وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه ، وأيضاً فإن فى السنان نونين ، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات ، وثلاثة حروف بمعنى فى كلمة ثقيل .

(٣) يقول : أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ما وهبه لى فزان بحسنه الهبات التى

(١) خدى البعير والفرس يخدى خدياً أسرع وزج بقوائمه مثل وخذ ، وجمل بازل بزل نابه : أى انشق وذلك فى السنة التاسعة ، وذلك أقصى أسنان البعير والقتل شدة عصب الذراع ، ومرفق أقتل بين القتلى . وقوله يجرى الخ قال بعضهم معناه متصغ بالمرعى الأسود : كما يردع الثوب بالزعفران ، وقال آخرون : قوله مرتدع أى قد انتهت سنة .

- وَمِنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرِفَتِي بِحَمَلِهِ مِنْ كَعْبِدِ اللَّهِ أَوْ كَعَمَلِي^(١)
مُنْعَطِي السَّوَابِ وَالْجُرْدِ السَّلَاحِ وَالْبِ
يَضِ الْقَوَاصِبِ وَالْمَسَالَةَ الذُّبُلِ^(٢)
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَهُ الْأَرْضُ عَنْ مَلِكِ
مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ^(٣)
فَدَخَنُ فِي جَدَلِ الرُّومِ فِي وَجَلِ وَالْبُرِّ فِي شُفْلِ وَالْبَحْرِ فِي خَجَلِ^(٤)
مِنْ تَغْلِبَ الْفَالِيبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الْجَبِينَ وَالْبَخَلِ^(٥)

وهينها وكسائي في جملة ما أعطاني من الثياب الدرع ؛ يعني أنه وهبه سيفاً ودرعا في جملة ما وهبه .

(١) على : هو سيف الدولة : يقول : منه تعلمت حمل السيف ، فهو واهبه لي ومعلى حمله ثم قال مستأنفاً : من مثله أو مثل أبيه ، يعني لا مثل لهما ؛ ومن على : خبر مقدم ومعرفة في : مبتدأ مؤخر .

(٢) السكواعب : الجوارى الشابات ؛ أى التي كعبت - نبتت - ثديهن والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك آية عتقها وكرمها . والسلاحب : الخيل الطوال ؛ والبيض القواضب : السيوف القواطع للماضية . والعسالة : الرماح التي تضطرب للينها والذبل الرماح الضامرة . يقول : إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التي تدل على أنه يستصحب كآة الفرسان وأعلام الشجعان في اعتمادهم في هباته بما يوافقهم ويعضد بهم بما يشاكلهم .

(٣) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فإن همه وما يخلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمل الزمان مالا يطيقه ويحشمه مالا يعمده ، فيضيق عن غفامة قدره ، ويقصر عن جلالة مجده ؛ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه ؛ وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٤) الجدل الفرخ ؛ والوجل الحوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم في خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشغول بجميشه لا يتفرغ لغيره والبحر في خجل من ندى يديه .

(٥) تغلب : قبيلة المدوح ؛ وعدى ؛ رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه

وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنَجِّدُهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْيَمِّ وَالْحَطَلُ^(١)
 لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلِّبَ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ^(٢)
 خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
 فِي طَلْمَةِ الشَّمْسِ مَا يُفْنِيكَ عَن زُحَلٍ^(٣)
 وَقَدْ وَجَدْتَ بِجَالِ الْقَوْلِ ذَاسِمَةً فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ^(٤)
 إِنَّ الْهَمَامَ الَّذِي فَخِرُ الْأَنْبَاءِ بِهِ خَيْرُ الشُّيُوفِ بِكَفَى خَيْرَةَ الدُّوَلِ^(٥)

مبتدأ مؤخر؛ والنصب: الأصل. وأعدى الجبن، صفة لعدى. يقول: أصله من تغلب التي غلبت الناس نجدة وشجاعة، ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل.

(١) أبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة، وجملة تنجده - أي تعينه - حالية، والي العجز عن الكلام؛ والخطل: اضطراب القول وفساده. قال الواحدي: هذا تعريض بأبي العباس النامي الشاعر، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا في الجاهلية. يقول: إذا مدحته بذكر آباءه الجاهليين كان ذلك عين الي ثم أكد هذا المعنى وتممه في الآيات التالية.

(٢) قوله فما كليب: أدخل ما على من يعقل، لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه. وكليب: هو كليب بن ربيعة رئيس بني تغلب في الجاهلية. يقول: ليت ما مدح به من الشعر يستوفي ذكر فضائله ومحامده، ومق يتفرغ الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة وأين هم منه؟

(٣) يقول: امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به، فإن الشمس تغنيك عن زحل، جعله كالشمس، وآبائه كزحل وهو نجم بعيد خفي - يعني فيما قرب منك عوض عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد: قال العكبري. وهذا من قول الحكميم: البيان شاهد لنفسه، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ ما كان دليلا على نفسه.

(٤) يقول: وقد وجدت من مآثر المدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعا للقول فإن وجدت لسانا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئا تقوله؛ يعني أنه لا ينقصه شيء بمدح به، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح ما فيه.

(٥) الهمام ذو الهمة العالية؛ وخيرة: تأتيت خير، بمعنى أفضل، لما ألقوا الهمة

تُمنى الأمانى صرعى دون مبلغه فما يقول لشيء ليت ذلك لي (١)
أنظر إذا اجتمع السيفان في رهج إلى اختلا فهما في الخلق والعمل (٢)
هذا الممدد لربب الدهر منصلتا أعد هذا لرأس الفارس البطل (٣)

من أوله استسهلوا تأنيته بالناء لأنه قد أشبه الصفات : يقول : إن هذا الهمام الذى يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ، هو أفضل السيوف فى كف أفضل الدول . يعنى دولة الخلافة .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، الشيء الذى تتمناه . وصرعه : طرحه على الأرض ، ويقال تركته صريعاً : أى قتيلاً يقول : إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقى الأمانى إليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفسياً إلاوله خير منه ، أو صار له ذلك الشيء ؛ وعبارة بعض الشراح : شبه الأمانى بالطرائد . يقول إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته ، لأن همته أبعد شوطاً منها فلم يبق فى الدنيا شيء يستحق أن يتمناه ، لأن كل شيء فى قبضة إمكانه . وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحترى فى قوله :

ومظفرٌ بالجدِ إذراً كأنه فى الحظ زائدة على أوطاره
وهو ضد قول عنترة :

ألا قاتل الله الطلول البوالي وقاتل ذكراك السنين الخوالي
وقولك للشيء الذى لا تناله إذا ما حلا فى العين يا ليت ذالياً

(٢) و (٣) يريد بالسيفين : سيف الدولة وسيف الحديد ؛ والرهج : العبار وربب الدهر : حدثانه ؛ ومنصلتا - أى مجرداً - حال من ضمير المعد . يقول إذا اجتمع السيفان فى رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين - وهو المدوخ - معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال :

* وتقطع لزبات الزمان مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل بدفع المكروه ، والثانى موكل بإحلاله ، وذاك عامل ذو إرادة بضرب بالثانى ، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو الكل فى الكل . ومن هنا كان اختلافهما .

فَالرُّومُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ
 وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ (١)
 وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعْلِ (٢)
 جَازَ الدَّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرَشَنَةَ وَزَالَ عَنْهَا وَذَلِكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلْ (٣)
 فَكَلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاهُ عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبِيِّ وَالْحَمَلِ (٤)

(١) الكدري : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر في حجم الحمام ، أحمر للثقل والرجلين ، وهو يعيش في الجبال ، والعرب بلادها للفاوز والصحارى والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا في الفلوات والروم تفر منه مع الحجل في جبالها .

(٢) من أسد : روى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومعقله : المكان الذي يعتصم به في رءوس الجبال : يقول : ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشي به خيله في آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال في آثار الروم فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها في سرعة العدو - الجرى وطول الساق - قال الواحدى وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد في الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العرب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشي بسيف الدولة في الجبال لطلب الروم وقتلهم واستئزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وخرشنة بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفرع . يقول إنه تغفلت في بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذى ألم بأهلها منه .

(٤) يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة مارأوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأَت في نومها السبي الذى تحذرو وقوعه والجمل الذى تتوقع ركوبه وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن ما استقر في قلوبهم من الخوف لا يفارقهم في النوم أيضا هذا : والحلم ما يراه النائم ، وتقول حلمت بكذا وحلمت أيضا ، قال الأخطل :

حَلَمْتُهَا وَبَنُورٍ فَيَدُ دُونَهَا لَا يَبْعُدُنْ خَيَالُهَا الْحُلُومَ (١)

(١) قال الجوهري : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم في نومه أنه يباشرها ، وهذا البيت شاهد عليه .

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلُوا
مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْمُورِ بِالْحَوْلِ ^(١)
نَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا
يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلٍ ^(٢)
بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمْ
فَطَالِ الْعَامُ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ ^(٣)

أما الحلم - بالكسر - فهو الأناة والعقل . تقول : حلم - بالضم - يحلم حلما : أى صار حلما ، ونحلم : تكلف الحلم ، قال حاتم الطائي

تَحْلَمُ عَلَى الْأَذْنَيْنِ وَاسْتَبَقَ وُدَّهُمْ
وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحَلْمَ حَتَّى تَحْلَمَا
أما قولهم حلم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحلم : أى أفسده الحلم ، وهو دود يقع في الجلد فيأكله ، قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة من أبيات يحض فيها هاروية على قتال على عليه السلام ، ويقول له : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم - الذي وقعت فيه الحلة فنقبت ، وأفسدته فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
(١) الجزى : جمع جزية ، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبتهم ويحفظ دمهم . يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتنفقوا عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيتهن ، كالأعور يتمنى الحول ، والجهول خير من العور .
يعنى أن الجزية خير لهم من القتل .

(٢) المنتحل : المدعى على غير حقيقة . يقول : ناديت مجدك الموصوف في شعري وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا في الآفاق وبعد ذكرهما بإجمدا غير منتحل في شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه إشارة إلى أن مجدهم خلد ذكره في شعره وأنها يسيران معا ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلي .

(٣) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لا يبنى من غير الثلاثي لإشذوذا . يقول - لشعره ومجد المدوح - أيتها سائران في الدنيا شرقا وغربا ، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم في أمرنا ومطالعتهم بأحوالنا فتحملا إليهم رسالتى وهم ما ذكره في البيت التالى .

وَعَرَفَاهُمْ بَأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ أَقْلُبُ الطَّرْفَ بَيْنَ التَّخِيلِ وَالتَّحْوِيلِ (١)
يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي ،

وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسَانِ لَا قِبَلِي (٢)

مَا كَانَ نَوْمِي إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي بَأَنَّ رَأْيِكَ لَا يُؤْتِي مِنَ الزَّلِيلِ (٣)

أَقْلُ أَنْلِ أَنْطِجَ أَحْمِلَ عَلَّ سَلَّ أَعِدَّ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ هِصِلِ (٤)

(١) الحول : الخدم . يقول : عرفاهم أي متقلب في نعماء في سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرف في فواضله ، أقلب الطرف - النظر - بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٢) يقول : إنما أتناك الشكر من جهة إحسانك لإحسانك هو الذي شكرك ، لا أنا كأنه ينفي اللنة عليه بشكره ومدحه .

(٣) إلا فوق معرفتي : رواها ابن جنى «إلا بعد معرفتي» وقال : مالحن السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسى إلى فضلك وحملك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : ماتت عما وجب على من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب لإلتحق باحتمالك وسكونى إلى جزالة رأيك . قال الواحدى - بعد أن أورد كلامهما - : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى : إنما أخذنى النوم أى إنما سكنت نفسى واطمأنت مع عتبك لثقت بحملك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلى أنك لا تعجل على ولا ترهق عقوبة ، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيقي لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتي ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التى ينام فوقها ؛ وقوله لا يؤتى من الزلل ؛ أى أنت موفق فى كل ما تفعله لاتأتى الزلل .

(٤) أقل : من الإقالة من العثرة أى أقل من استنزحك من عثرته ؛ وأنل : من الإنالة - الإعطاء - وأقطع : من قولهم أقطعهم أرض كذا : أى جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حملة على فرس ونحوه : أى جعله ركوبة له . وعل : أى ارفع جأهى من التعلية . وسل : من التسلية ، وهى إذهاب التم ؛ وأعد : أى أعدنى إلى موضعى من حسن رأيك ؛ وزد : أى زدنى من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش - وبش : من قولهم بش بالرجل يبش : أى ابتسم إليه وآسنه . ويحكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنل : يحمل إليه كذا وكذا من الدرهم ، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية - وهى ضيعة بياب حلب - وتحت «عل» : قد

لَعَلَّ عَتَبِكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ؛ فَرُبَّمَا صَحَّحَتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَمَلِ (١)
وَمَا سَمِعْتُ ، وَلَا غَيْرِي بِمَقْتَدِرٍ أَذَبَ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلٍ (٢)

رفعنا مقامك ، وتحت صل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأيتنا ؛ وتحت زد : زاد كذا وكذا ، وتحت تفضل - وهو من الأفضال - قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك منا ، وتحت «سر» قد سررناك ، فقال المتنبي : إنما أردت من التسرى ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة : حينئذ شيخ ظريف يقال له العقلى ، ففسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش هى هى هى ؟ -
يعنى حكاية الضحك - فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس :

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وذادَ وقادَ وعادَ وأفضلَ

ومثله لأبي العيثيل :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ تَكُونَ خِصَالَهُ كَخِصَالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْصِتْ وَاسْمِعْ
أَصْدُقَ وَعِيفَ وَبَرََّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ وَأَحْلَمْ وَدَارِ وَكَافٍ وَابْذُلْ وَاشْجِعْ
(١) يقول : لعل أحمد عاقبة عتبك وذلك أن ارتدع بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب ، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقيق وفائى وإخلاصى فى خدمتك ، ويقطع عنى السنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من العلل ما قد يكون سببا لصحة الأجسام ، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها . وفى هذا نظر إلى قول الآخر :

لعلَّ سَبَابًا يُفِيدُ حُبًّا فالشرُّ للخيرِ قد يجزُّ

وقريب منه قول ابن الرومى :

إِحْمَدُ اللَّهِ إِذْ رُزِقْتَ هِجَاءً هُوَ بَعْدَ الْخَوْلِ نَوَةٌ بِاسْمِكَ

قد تذكرتُ موبقاتِ ذُنُوبِي فرجوتُ الخلاصَ منها بِسْمَتِكَ

(٢) غبرى : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بـ«لا» كما فى قوله تعالى « ما أشر كنا ولا آباؤنا » وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول : ما سمعت ولا سمع غبرى بملك

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ

لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي التَّمِينِ كَالكَّحْلِ (١)
وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامَ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ (٢)
أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ وَلَا كَدْرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَغْدٍ وَلَا مَذَلٍ (٣)
أَنْتَ الشَّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ غَيْرَ السَّنَوْرِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلُلِ (٤)

قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب - يذود ويدافع - عمن يفتاب عنده زوراً وهتاناً ولا يحمله ما يسمعه من الوشائيات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفعال تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل - يعنى الغتاب - وقد بين علة ما ذكره هنا في البيت التالى .

(١) تكلفه يحذف إحدى التاءين - أى تكلفه ؛ والكحل : سواد فى أجفان العين خلقه * كأن بها كحلا وإن لم تكحل * يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأن لك حلما طبعت عليه لا يعوزك أن تتكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثر فيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للتكلف والطبوع .

(٢) ثنَّاك : ردك و صرفك ؛ والعارض : السحاب ؛ والمهطل : الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؟ أى كما أنه لا يستطيع هذا لا يستطيع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان : إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد : والمطال - بالكسر - الماطلة ؛ واللذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بما له حتى ينفقه فهو مذل . قال الأسود بن يعفر :

ولقد أروحُ على التجارِ مُرَجَلا مَذِلا بِمَالِي لَيْنًا أجيادى
وقال قيس بن الحطيم :

فلا تمذُلُ بسرِّك كلَّ سِرِّ إِذَا ما جاوزَ الإثنين فاشى

يقول : لا تكدر عطاءك بالبن أو الماطلة أو الوعود أو اللل .

(٤) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وسميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يرثى

قتل هوازن :

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ (١)
لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرْضٍ بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ (٢)

ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :

أَقِلْ أَنْلِ أَنْ (٣) صُنِ أَحْمِلُ عَلَّ سَلَّ أَعِدَّ زِدْ هَشَّ بِشَّ هَبَّ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٣)

وجاءوا به في هَوْدَجٍ ووراء كتائب خُضِرُ في نسيجِ السَّنَوْرِ (١)
والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول :
أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم
وأجسامهم وروءوسهم : أي أنت الشجاع في مثل هذه الحال التي تتخلع فيها
قلوب الأبطال .

(١) ورد : عطف على « لم يبطأ » ومقارعة : حال من انقنا أو مفعول ، والجدل
اللدد في الخصومة ، أو مقابلة الحجبة بالحجة ، أو المناظرة والمخاصمة ، وقد جادله مجادلة
وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل لجدلته : أي غلبته ، ولله من قولهم
جدلت الرجل : أي ألقيته على الجدالة ، وهي الأرض قال الراجز :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلةِ وأتركُ العاجزَ بالجدالةِ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها .
وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضا بتخالف الطعان وتقارع
الأقران حق كأنه من شدة تلك المقارعة ، وانصال تلك المقاومة في جدل لا يقطع ،
وخصام لا ينقطع .

(٢) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعوله ، يقول : لا زلت ضاربا أعداءك كيفما
وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل في أجل مستأخر : أي معصوما بأجل يستأخره ،
وهذا من قول بعضهم - وقد سئل في أي شيء تحب أن تلقى عدوك ؟ - قال في
أجل مستأخر .

(٣) أن : أي ارفق .

(١) قوله وجاءوا به : يعني قتادة بن مسleme الحنفي ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم
مسلمة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبي .

فراهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشِ أَبَقِ أَسْمُ سُدُّ قَدْ جُدُّ مَرِ أَنَّهُ رَفِ أَسْرِ نَلِ
غِظِ أَرَمِ صَبِ أَحْمِ - أَعْزِ أَسْبِ رُعِ زَعِ دِلِ أُنْثِ نَلِ (١)
وَهَذَا دُعَاءٌ نَوْ سَكَتٌ كُفَيْتَهُ لِأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلْتُ (٢)

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أنرج وطلع وهو يمتحن
الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :
شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ تَرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ (٣)

(١) عِش : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع .
وسد : من السيادة . وقد : من قود الجيش ، أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من
الجود ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كمن صاحب أمر ونهى . ور : من
الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رثات أعدائك بأن توهمهم
وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان إليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى
أسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل ؛ أى نل ما تريد بسعدك وإقداك
وتأيديك : وغظ : من القبط ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمي ، أى ارم بيأسك
من يكيدك ويغضك . وصب : من صب السهم المهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب :
أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك ؛ واغز : من الغزو :
أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبي : أى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفرع أعداءك ؛
وزع : من وزعه - أى كفه - أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل
الدية عمن يجب عليه . ول : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محموداً فى ولايتك .
واثن : من ثناه ، بمعنى رده : أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله
إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(٢) يقول : كل ما دعوت الله لك به لو لم أَدع به كنت مكفياً ذلك ، لأنى سألت الله
جده الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٣) الشمول : من أسماء الحجر . والترنج . لغة فى الأترج ، وهو ثمر من جنس
الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الكافور ، وهو أول ما يرى من عذق

وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طَيْبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ (١)
وَمِيدَانُ الْفَصَّاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُتَمَحِّنُ الْفَوَارِسِ وَالْخَبُولِ (٢)

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد إلخ ، فقال :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ، وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قَيْلِي (٣)

النخلة . يقول : يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعني أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذها لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، حذف لديك وأتى به في البيت الثاني ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ما تضر . وقوله من شرب الشمول : أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أى أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل ، أى أكان صغيراً أم كبيراً . فقوله : لديك خبر كل .
(٢) وميدان : عطف على كل - في البيت السابق - ومتمحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أى المكان الذى يتمحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وتمتحن الفوارس والحيل بالتسابق والتجاول والطراد ، هذا هو الذى الذى ترنج إليه همتك ويغمر به مجلسك ، لا الشراب واللهم . قال الواحدى : عارض للتنبي بعض الحاضرين في هذه الآيات ، وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيدٌ أنت من شرب الشمول على الأترج أو طلع النخيل
لشفلك بالمعالي والعوالى وكسبِ المجد والذكرِ الجميل
وقدحِ خواطر العلماء فحصاً ومتمحنِ الفوارس والخبول

فقال أبو الطيب هذه الآيات مجيياً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذى أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان يأتى فيه بقدر ما عاينته ، لأنه أراد : الذى عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أى لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولكنه بنى الكلام على ما عاين : أى إنما بنيت البيان على العيان فأغنانى عن أن أقول : أنت شديد البعد وفى مجلسك ترنج الهند .

فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّسَاءِ مِنَ الْبُؤُولِ (١)
وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونٌ التَّشْطَى ، وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ (٢)
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ (٣)

* * *

ودخل عليه في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، وعنده رسول ملك الروم وقد جاء يلتمس الفداء ، وركب الفلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال بالحياة وأقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقِيَتِ الْعَفَاةَ بِأَمَالِهَا ، وَزُرَتِ الْعُدَاةَ بِأَجَالِهَا (٤)
وَأَقْبَلَتِ الرَّؤْمُ تَمْشِي إِلَيْكَ بَيْنَ اللَّيُوثِ وَأَشْبَالِهَا (٥)

(١) البعول : جمع بعل ، الزُّوج . يقول : إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامي انحطاط المرأة عن درجة الرجل . وهذا ينظر إلى قول أبي النجم :

إني وكلُّ شاعرٍ من البشرِ شيطانه أتى وشيطاني ذَكَرُ

(٢) هذا الدر : مبتدأ ؛ ومأمون التشطى : خبر ؛ ومأمون الثانية : بدل من السيف ، والتشطى : التكسر والتفرق : والفلول : جمع فل ، وهو الثلمة التي تصيب السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تنفتت أجزاءه ولا يصير قطعا لا كتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذي لا يتلم حده ولا يخشى عليه الانقلاب .

(٣) يقول : إن من لا يعرف النهار إلا بدليل يدلّه عليه لم يصح في فهمه شيء لأنه لا فهم له ، كذلك كلامي كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهاراً إلا بدليل .

(٤) العفاة : جمع عاف طالب المعروف . والعداة : جمع عاد ، الأعداء . يقول : إنك تمطى سائلك ما أملاه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك . فتقرب بإزيارتك لهم آجالهم إذ تقتلهم .

(٥) الليوث : الأسود ، والأشبال أولادها .

إِذَا رَأَتْ الْأَسَدَ مَسْبِيَةً فَأَيْنَ تَفَرُّهُ بِأَطْفَالِهَا^(١)

* * *

ودخل عليه ليلاً وهو يصف سلاحاً كان بين يديه ورُفِعَ فقال ارتجالاً :
وَصَفَّتْ لَنَا وَلَمْ تَرَهُ سِلَاحًا كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النَّزَالِ^(٢)
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفًّا عَلَى دُرُوعٍ فَشَوْقٌ مَنْ رَأَاهُ إِلَى الْقِتَالِ^(٣)
فَلَوْ أَطْفَأَتْ نَارَكَ تَأَلَّقِيهِ قَرَأْتَ انْخَطَطَ فِي سُودِ اللَّيَالِي^(٤)
إِنْ اسْتَحْسَنْتَ وَهُوَ عَلَى بَسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرَّجَالِ^(٥)

(١) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَأَتْ الْأَسَدُ مِنْ صَيْدِهِ فَلَنْ يُفِيَّتَ الدَّهْرَ مِنْهُ أَحَدٌ

(٢) يقول: وصفت لنا سلاحاً ولم نره - لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه - فكأنك تصف وقت النزال - الحرب - لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال . هذا : والضمير في نزه : عائد إلى السلاح لأنه في نية التقديم . قال العكبري : ونصب سلاحاً على إعمال الفعل الأول - وهو وضعت - على مذهبه - أي مذهب التنبي وهو كوفي مثل العكبري - في إعمال الفعل الأول ، ومثله لدى الرمة :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشِعْرِي لَيْثِمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

(٣) البيض : جمع بيضة ، المغفر من الحديد يكون على الرأس . يقول : وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من سمعه إلى الحرب . « أن » وصلتها عطف على سلاحاً .

(٤) تا : أي هذه . يعني ناراً أوقدت بين يديه ، أو نار الشمع . أو السراج أو القناديل التي يستضيء بها . يقول : إن بريق هذه الأسلحة يعني عن النار في الإضاءة ، حتى يقرأ ما خط في الصحف في الليالي الحالكه . قال العكبري : « تا » : نعت لـ « نارك » وهي في موضع نصب ، كما تقول : ضربت زيدا هذا ، فهذا نعت لزيد : أي هذا المثار إليه ، ولو جعل بدلاً لجاز و « تا » إشارة للمؤنث الحاضر . كما يشار بـ « ذا » إلى المذكر الحاضر

(٥) استحسننت : أراد استحسنته ، فحذف الماء للعلم به ؛ وعلى الرجال : حال سدت مسد الخبر . يقول : إن استحسننت هذا السلاح وهو ملقى على البساط فاحسن من ذلك إعماله في الوغى ، وهو على الرجال .

وَأَنْتَ لَهَا النَّهْيَةُ فِي السَّكَالِ (١)
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتَقُ جَانِبِيهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالًا لِحَالِ (٢)

* * *

وقال يمدحه ، وأنشدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة (*) :
لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ سُكُولُ طَوَالٍ وَ لَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)
يُبِينُ لِي البَدْرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ ، وَيُخْفِينِ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ (٤)

(١) يقول : وإن بالرجال وبالسلاح نقصا ، وكاملها بك .
(٢) الدمستق : قائد الروم . يقول : لو رأى الدمستق جانبي ذلك السلاح لأكثر من قلب رأيه في التوقى منه . وقوله « حالا لحال » حال ؛ واللام : بمعنى طى ، مثلها في قولهم :

* قلب أمره ظهراً لبطن

(*) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مضر لاضطراب البادية بها ، فنزل حران وأخذ رهاثن بنى عقيل وقشير وبلهجلان ، ثم حدث له بها رأى في الغزو ، فعبر الفرات إلى دلولك إلى قنطرة مشجبة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعمطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قبايق حتى ورد الخاض طى الفرات ، ورحل إلى ميساط ، فورد الخبر بأن العدو في بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلولك وعبرها ، فأدركه راجعاً طى جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه ويذكر ذلك .

(٣) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل ؛ أى شبيهه يقول : إن ليالي الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فهي متشابهة في الطول لبعده الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشا كلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحاً ولا نوماً . يقول : لا يتغير حالى في ليالى بعد الأحبة ولا ينقضى غرامى ووجدى بهم : أى أنه لا يسلو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ماشئت أن تسلو خليلاً فأكثر دونه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال هى طوال ، وكذا ليالى العشاق .
(٤) الضمير فى « بين » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء التى لا أريده ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا ، وهو الحبيب :

وَمَا عَشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأُحْبَةِ سَلْوَةً وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حُمُولٌ^(١)
وَإِنْ رَحِيلاً وَاحِداً حَالَ بَيْنَنَا ،

وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلٌ^(٢)
إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرِحْتِي رَوْضَةً وَقَبُولٌ^(٣)

(١) يقول : ليس بقأى بعدهم سلوا عنهم ، ولكن لأنى صبور على النوايب والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلي :
فلا تحسبى أنى تناسيتُ عهدَكم ولكن صبرى يا أميمَ جميلٍ
وسلوة : مفعول له :

(٢) جملة «حال بيننا» خبر «إن» . يقول : إن ارتحال الأحبة عنى حال بينى وبينهم ، لأنا افترقنا ، وفى الموت الذى يسببه الفراق ارتحال آخر : يعنى أنه لا يعيش بعدهم ، أو تقول : إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفاً من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتى : فارقتى . والقبول : ربح الصبا . يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسيم بها يدينى إليكم - لأنها تذكرنى روائعكم وطيب أيام وصالكم - فلا فارقتى روضة أتنشق روائعها وريح قبول أتنسم بها لأكون أبدأ على ذكر منكم ؛ وفى هذا المعنى يقول البحترى :

يذكركنا ريباً الأُحبةِ كلاً تنفّسَ فى جُنحِ من الليلِ باردُ
والأصل فيه قول الأول :

إذا هبَّ علوىُّ الرياحِ وجدتُنِي كأنى لعلوىُّ الرياحِ نسيبِ

هذا . وقوله أذى : أى أشد إذاءً ، فبى أفضل من الزيد . وقد ذهب ابن جنى فى تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غبار الناقدین . قال : إذا كنتم تؤثرون شم الروح فى الدنيا وملاقة نسيمها ، فلا زلت روضة وقبولاً انجذاباً إلى هواكم ، ومصيراً إلى ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنوم منكم . أراد : فلا برحت روضة وقبولاً ؛ فجعل الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدى : ومن فسّر هذا التفسير فقد فضح نفسه وغر غيره : وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوى على شوق ، فأما الأُحبة - وإن كان إشار الروح طبعاً فى الناس - فإنهم لا يوصفون بطلب الروح وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشنى بنسيم الهواء ، وأيضاً فما الحاجة إلى أذى

وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا
يُحَرِّمُهُ لَمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ
أَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا
أَلَمْ يَرْهَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكَ رُؤْيِي
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقَلَّةِ الْفَجْرُ لَقِيَةً
لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولًا^(١)
فَلَيْسَ لَظْمَانِ إِلَيْهِ وَصُولًا^(٢)
لَعْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلًا^(٣)
فَتَظْهَرَ فِيهِ رَقَّةٌ وَنُحُولًا^(٤)
شَفَّتْ كَعْدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلًا^(٥)

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذا من أخوات كان ، وإنما هي من برح فلان مكانه : أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشممى لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالني أيام اللهو والفرح بقربكم فلا فارقتى روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة وقال ابن القطاع : برح - هنا - بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الروح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتى روضة وقبول يأتينى براائحكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله :

* وفى الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرقى : النسيم . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سددت مسدأ الخبر ، بمعنى متذكراً ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل : ونزول : جمع نازل يقول : إني كلما شربت الماء غصصت به لأننى أتذكر الماء الذى نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لى الماء الذى أشربه

(٢) يقول : إن فلك الماء الذى نزل به الحبيب يحرم وورده لمع الرماح التى ركزها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أى فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٣) فى النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل - فى آخر البيت - مبتدأ مؤخر ؛ استطال ليله فقال : أليس فى هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلنى على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٤) رؤيى : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستهتام . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينها كما نظرت إليها فيفتنن بهما افتتاني فيرق وينحل وتقل أجزاءه فينكشف عنى وينحسر ؟

(٥) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت بكدي

وَيَوْمًا كَانَ الْحَسَنَ فِيهِ عَلَامَةٌ بَعَثَتْ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكَ رَسُولٌ (١)
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَثَارَ عَاشِقٍ وَلَا طَلِبْتَ عِنْدَ الظَّلَامِ دُحُولٌ (٢)

والليل فيه قتيل : جملة حالية . يقول : إنه بداله الفجر عند هذا المكان ، فاشتقت كبدته بانصرام الليل كما يشتقي العدو بنكبة عدوه ، وجعل الليل قتيلاً لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبها بالدم . قال ابن جنى : سأله - المتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنني لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلاً وشننا الفارات وغنمنا ، وشفيت كدى لا نحسار الليل عني ، والليل قتيل في ذلك للوضع . فكان النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . . وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولما رأيتُ الصبحَ قد سلَّ سيفه وولى انهزاماً ليلهُ وكواكبهُ
ولاح احمرارُ قلت قد ذُبحَ الدُّجى وهذا دم قد ضَمَّخَ الأرضَ ساكبهُ

(١) ويوما : عطف على الفجر - في البيت السابق - يقول : ولقيت بدوب القلة بعد ذلك الليل للسبتشع الكريه يوما حسناً جميلاً ، فذكرت به محاسنك فكان حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هي الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكانت جادت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جنى : لما ثار الغبار ستر الشمس فكانت رسول من محبوبته مستخف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفي معناه قول الآخر :

إذا طَلَمَتْ شمسُ النهارِ فإنها أمانةٌ تسليمي عليكِ فسَلِّمي

(٢) اثار : افعل ، من الثار ، وأصله الممز . اثار يثر اثثاراً : إذا أدرك الثار ، خلينيه . والدحول : جمع دحل ، الثار والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهاري بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه ، وبه اشتفيت من ليلي وما قاسيته فيه ، فكأنني أدركت ثأري منه ، وهي أول مرة أدرك عاشق ثأره وطولب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة . ولا بن فورجه هنا كلام حسن يزيد انتقاماً إيضاحاً قال : قد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيهاً بتقريظ وهي من محاسن هذه القصيدة ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتيل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من . . . جعل حسن اليوم وهو ظفر

وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ هَلَّى اسْتِفْرَافِهَا وَتَهْوِلُ^(١)
 رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ^(٢)
 شَوَائِلَ تَشْوَالِ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ^(٣)
 وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحِرَانَ لَبَّتْهَا قَنَا وَنُصُولُ^(٤)

سيف الدولة لسروره به كالملاحة التي جاءت من المحبوب، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطاوعها، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبي الطيب على ماجرت به العادة من نسبة العرائب إلى المدوحين وإن كانت من المحال. يدل على هذا البيت التالي.

(١) الغريبة: الأمر الغريب. وتروق: تعجب. وعلى استغرابها: أي مع استغراب الناس لها. وتهول: تفزع وتخيف. يقول: ولكنه يأتي بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل، وهي مع استغراب الناس لها تعجب التأمل فيها لحسنها وتوقع في نفسه الهيبة استعظاماً لقدرها.

(٢) الدرب: المدخل إلى بلاد الروم. والجرد: الخيل القصيرة شعر الجلد، وهو آية كرمها. يقول: رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلاً.

(٣) شوائل: حال من الجرد. في البيت السابق - وشالت العقر ذنبها: رفعته؛ وتشوال: مفعول مطلق؛ وبالقنا: متعلق بشوائل؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنانها. والمرح: لعب يتبعه النشاط والضمير في تحته: للقنا، ويجوز أن يكون للدوح. شبه الرماح على الخيل بأذنان العقارب إذا رفعتها، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذنان في ذلك الجري، وهو دليل كرمها وقوتها، والتشوال أكثر ما يكون عند الجري، ثم دل على نشاطها بمراحها وعلى عزة نفسها بصهيلها.

(٤) هي: ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد؛ والخطرة: اسم مرة من خطر له. كذا: من يباله - وحران: بلد؛ ولبتها: أجاتها؛ والنصول: السيوف. يقول: لم تكن هذه الغزوة التي رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له، فأجابته خاطره الرماح والسيوف، أي أمتها كانت - مع عظمتها وجلالها - من غير استعداد ولا احتفال.

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ بَارِعَنَ وَطَهُ الْمَوْتَ فِيهِ تَقِيلُ^(١)
 وَخَيْلٌ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ^(٢)
 فَلَمَّا تَجَمَّلَى مِنْ دَلُوكِ وَصَنْجَعَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةً وَرَعِيلٍ^(٣)
 عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطَّرْقِ رِفْعَةٌ وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْأَنْبِيسِ حُومٌ^(٤)
 فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُفْرِسَةً
 قِبَاحًا وَأَمَّا خَلْفُهَا فَجَبِيلٌ^(٥)

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . وهم : أراد فعل الشيء ؛ وأمضى : أنقذ؛ والمهموم : المهم ؛ والارعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرتة . يقول : هو همام إذا هم بأمر فله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقيل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٢) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراهها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وتقبل : أى تنزل وقت الهجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يحشمها من العدو فهى لا تزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فإذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل تقبل بيده آخر .

(٣) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنجة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعييل : القطعة من الخيل . يقول : لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياتها وخيله الجبال .

(٤) على طرق : حال من فاعل علت - فى البيت السابق - والرفعة : الاسم من الارتفاع ؛ والحوم : خفاء الذكر : أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال ، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق ، وهى خاملة الذكر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل .

(٥) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستبحة وقال المكبرى : إنها صفة لمغيرة . يقول : فجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم ، فكانت قبيحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقولہ الآتى :

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَوْ بِيحٌ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ

سَحَابٌ يُمِطُّرُنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ . فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلٌ^(١)
 وَأُمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرَفَةٍ . كَانَتْ جُيُوبَ النَّائِكَاتِ ذُبُولٌ^(٢)
 وَعَادَتْ فَظَنُوهَا بِمُوزَارٍ قَفْلًا . وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدَّخُولُ قَفُولٌ^(٣)
 فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَنَعِ خَوْضًا كَأَنَّهُ . بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخْضُهُ كَفِيلٌ^(٤)
 تُسَايِرُهَا النَّيْرَانُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ . بِهِ الْقَوْمُ صَرَغَى وَالْدِيَارُ طُلُوعٌ^(٥)

(١) سحائب : خبر . مبتدأ محذوف ؛ أى هى - الخيل - سحائب ، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً . قال العكبرى : ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها ، وغسيل : بمعنى مغسول ، جعل خيله كالسحائب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، ولما جعل السيوف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم ، وقال ابن جنى : يجوز أن يعنى بالسحائب : الغبار الكثائر . يصف خيله بالكثرة يقول : سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

(٢) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والحبيب : ما انفتح من القميص على النحر . والنائكات : جمع نكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلاً أو أباً أو أخاً . يقول وأمسى الجوارى اللأى سبين من الروم يسكنين بهذا الموضع فمجمعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلاهن حتى انهطلت إلى الأرض فصارت كأنها ذبول .

(٣) موزار ؛ حصن ببلاد الروم . والقفول : الرجوع . يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٤) النجيع : دم الجوف خاصة ؛ والضمير فى «كأنه» للخوض ؛ ويروى «نَجِيع» القوم يقول : فخاضت الخيل الدم الذى سفكت من الروم خوفاً وافتراً تاماً هائلاً حتى هان غره بالإضافة إليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٥) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى . جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : ما بقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الخيل أينما سلكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهلها فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلْطِيَّةٍ مَلْطِيَّةٌ أُمَّ لِلْبَيْنِ فَكُولٌ^(١)
 وَأَضْمَنْ مَا كَلَّفَنَهُ مِنْ قِبَاقِبِ فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلٌ^(٢)
 وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَمْرٌ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سَيُولٌ^(٣)
 يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلِّ سَابِحٍ سَوَاءً عَلَيْهِ عَمْرَةٌ وَمَسِيلٌ^(٤)
 تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ، وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَخَدَهُ وَتَلِيلٌ^(٥)
 وَفِي بَطْنٍ هَنْزِيطٍ وَسَمِينٍ لِلظُّبَى ، وَصَمَّ الْقَنَا مِّنْ أَبَدَنْ بَدِيلٌ^(٦)

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية : بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمي ، والاسم الأعجمي إذا وقع إلى العرب تصرف فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والشكول : التي تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت في دماء أهل ملطية . أي سفكت دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أمّاً لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباقب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أي كلفن قطعه و«من» الداخلة على قباقب لبيان « ما » . يقول : إن خيله أضعفت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزامحها فأضحى ماؤه كالليل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .
 (٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات رأعته - أفزعته - كثرة الخيل - أي كثرة الجيوش - التي خاضته ، فكأنما تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلباً لأن الروح يكون في القلب .

(٤) السابح : الفرس الذي يمد يديه كأنه يسبح في جريه ، ويحتمل هنا سباحة الماء والعمرة : معظم الماء ؛ والمسيل : مجرى الماء . يقول : إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويمجرى أمامها وهي تتبعه ، فجعل ذلك كالطاردة ، ثم قال : إن هذه الخيل - لقوتها كانت لا تكثرث لعمرة الماء ، بل سواء لديها العمرة والمسيل ، فتسبح في العمرة كما تسير في المسيل الذي لا ماء فيه .

(٥) التليل : العنق : يقول : إذا سبح الفرس في النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبق الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٦) هنزيط وسمين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . والظبي : جمع ظبة : حد السيف ؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ ومن أبدين . متعلق

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْمَةَ يَمْرِفُونَهَا لَهَا غُرْرٌ مَا تَنْقِضِي وَحُجُولٌ^(١)
 تَمَلُّهُ الْحُصُونُ الشَّمُّ طُولَ زِيَالِنَا، فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ^(٢)
 وَبِتْنٍ بِمِخْضِ الرِّانِ رَزْحِي مِنَ الْوَجَى
 وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلٌ^(٣)
 وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ، وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولٌ^(٤)
 وَدُونَ سَمِيسَاطِ الْمَطَامِيرُ وَالْمَلَا، وَأَوْدِيَةٌ بِجَهْمِ وَلَةٍ وَهَجُولٌ^(٥)

بيديل يقول : كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين ، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا من أفنتهم . يعنى أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم ، فكلمتا أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل .
 (١) القرر : جمع غرة : البياض في وجه الفرس ؛ والحجول : بياض يكون في قوائمها . يقول : طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة ، قد عرفوها لها شهرة كغمر الخيل وحجولها ، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت .
 (٢) الشم ؛ الأطوال المرتفعة في السماء . يقول : إن الحصون الشم تمل طول مقاتلتنا إياها فزول هي عن أما كنها بالخراب وتمكتنا من أهلها .
 (٣) حصن الران : من حصون الروم ؛ ورزحى ؛ ساقطة هزالا من الإعياء .
 والوجى : الحفى . يقول : بانت الخيل معيبة بهذا الموضع مما أصابها في حوافرها ، ثم اعتذر لها فقال : لم يلحقها ذلك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذات له وإن كانت عزيزة قوية .

(٤) قوله وفي كل نفس الخ : حال من ضمير الخيل - في صدر البيت السابق -
 والفلول : الثلوم . يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه اللال لطول القتال وشدة الملاقاة ما خلا سيف الدولة ، فإنه لا يهتر ولا يعل ، وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد فله - ثلته - الضرب ، أما هو فلم تسكل عزأعنه عن متابعة القتال ، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته .

(٥) سميساط : بلد بشاطيء الفرات . والمطامير : جمع مطمورة ، حفرة غائرة في الأرض نجبا فيها الطعام والشراب والملا : جمع ملاة ، وهى الفلاة ذات الحروا السراب .
 الهجول : جمع هجل ، المطمئن من الأرض ، قال أبو زيد :

لَبِسْنَ الدَّجَىٰ فِيهَا إِلَىٰ أَرْضِ مَرْعَشٍ

وَالرُّومِ . خَطْبُ فِي الْبِلَادِ جَلِيلٌ ^(١)
 فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحَدَّهُ قَبَلَ جَيْشَهُ ^(٢)
 وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ، وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلٌ ^(٣)
 فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ فَنَىٰ بِأَسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلٌ ^(٤)

تَحْنُ لِلظَّمِّ مَا قَدِ أَلَمَّ بِهَا بِالْهَجْلِ مِنْهَا كَأَصْوَاتِ الزَّنَائِرِ ^(١)

يقول : قبل الوصول إلى سيمساط هذه الأشياء .

(١) مرعش : بلد بائع قرب أنطاكية ؛ أي سارت الخيل في تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلا ، فكأنها لبست الدجى حين سارت في الظلمة . وقوله وللروم خطب ذلك أن سيف الدولة لما تزن بمحصن الران ورد عليه الخبر أن الروم في بلاد المسلمين يعيشون ويقتلون ، فرجع إليهم مسرعا ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر قسطنطين بن الدستق . ويجوز أن يكون المعنى : أن لأرض الروم خطبا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتمذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بمجوافر خيله وذلك أهلها .

(٢) فضول : أي زوائد لا حاجة إليها . يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه ، ولما راوه كذلك علموا أنه يفتي غناء الناس جميعا وأن من سواه من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده .

(٣) الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية . والكيل : الذي لا يقطع يقول : وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تسكل عنه فلا تقطعه : إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهية فلا يقدم عليه .

(٤) الحصان : المذكور من الخيل ، والجزيل : الكثير . يقول : إنهم قتلوا بحضرتة وهو راكب ، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب ، واردين سيفه حين قتلوا به . أو تقول : يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحد سيفه .

(١) قوله بالهجل : خبر مقدم ؛ وكأصوات - أي مثل أصوات - مبتدأ مؤخر

قال ابن بري : والذي في شعره الزناير - بالنون - وهي الحصى الصغار .

جَوَادٌ عَلَى الْعِلَاتِ بِالمَالِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بِخَيْلٍ^(١)
فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمْ وَشَعَّيَعَ فَلَهُمْ
بِضَرْبِ حُزُونِ التَّبْيِضِ فِيهِ سُهُولٌ^(٢)
عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينٍ مِنْهُ تَعْجَبٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي سَاقِيهِ مِنْهُ كَيْبُولٌ^(٣)
لَمَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتَقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَبْئُولُ^(٤)

فجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافئة ، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به ، فهو فتي باسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير .

(١) على العلات : على كل حال . والدارع : الذي عليه الدرع . يقول : يهود بما له على اختلاف أحواله . كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعنى أنه يبدل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدار عين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم . وعبارة ابن جنى : بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميمهم اصطفاها^(١)

(٢) الفل : النهزمون . والحزون : جمع حزن ما غلظ من الأرض ، ضد السهل . والبيض : جمع بيضة ، ما يلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رؤوسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشيع والحزن والسهل .

(٣) قسطنطين : هو ابن الديمستق ، والسكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول لم يشغله ما يعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة . وقال الخطيب التبريزى : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٤) يقول : لملك يوما تعود إلينا فيحقيق بك الهلاك الذى استدفقتة بفرارك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديد له : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، ولعله من قول ابن الرومى :

نَجَوْتَ يَا حُدَىٰ مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَّفْتَ إِحْدَىٰ مُهْجَتَيْكَ تَسِيلًا^(١)
 أَتَسْلِمُ لِلْخَطِيئَةِ ابْنَكَ هَارِبًا، وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلًا^(٢)
 بَوَجْهِكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرْشَةٍ نَصِيرِكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلٌ^(٣)
 أَغْرَمَ كُمْ طُولُ الْجِيُوشِ وَعَرَضُهَا عَلَيَّ شَرْبٌ لِلْجِيُوشِ أُكُولُ^(٤)
 إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْيَيْثِ إِلَّا فَرِيْسَةً غَدَاهُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فَيْلٌ^(٥)

وإذا خشيت من الأمور مقدرًا وهربت منه ففحواه تتوجه

(١) المهجة: الروح، وأنت جريحة بالناء ضرورة، وخلفت: تركت خلفك: أراد بمهجة الأولى - وهى الجريحة - نفس الدمستق، وبالثانية: - التى تسيل - ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة ليده لأن جرح البدن يسرى إلى الروح، وكفى بسلطان المهجة الأخرى - وهى ابنه - عن الهلاك: أى أنه يقتل فيسيل دمه، قال السموءل:

تسيل على حدّ الظبّاتِ نفوسنا وليست على غير الظبّاتِ تسيل

يقول: إنه هرب مجروحاً - لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الواقعة - فنجأ بنفسه وترك ابنه فى يد الهلاك، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى - ابنه - لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه.

(٢) أسلمه. خذله وتركه والاستفهام: استفهام إنكار وتوبيخ، والخطية: الرياح

ويسكن بمعنى يطمئن ويركن، وهو جواب الاستفهام. يقول: أنخذل ابنك وتتركه للرمح وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خلانك؟ أى لا يثق بك أحد بعد هذا.

(٣) المرشة: الطعنة ترش الدم، والرنة: الصياح، والعويل: البكاء. يقول:

بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل، يعنى أنك عاجز عن نصره نفسك فكيف تنصر ابنك؟

(٤) يقول: أغرّمكم كثرة رجالكم؟ لا تفرنكم الكثرة، فإن علياً - اسم سيف

الدولة - يطلبكم وإن كثر عددكم، فالمراد بالشرب والأكل: الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر، لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين، وكان هذا ينظر إلى قول

أبى نواس:

فإن يك باقى إفك فرعون فيكم فإن عصى موسى بكفّ خصيب

(٥) غداء: صار له غداء، والضمير لليث: وأنتك فيل: فاعل ينفك أو غداء

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تَدْخِلْ فِيهِ شَجَاعَةً هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يَدْخِلْ فِيهِ عَدُولٌ (١)
 فَإِنْ تَكُنِ الْإَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَلِمَ الْإَيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ (٢)
 فَدَتِكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيًا ، فَإِنَّكَ مَاصِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٌ (٣)
 إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ
 فِي النَّاسِ بُوْقَاتٌ لَهَا وَطُبُولٌ (٤)

على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أتم وإن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئا ، كالليل مع الأسد فإن الليل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد وبعبارة أخرى : إذا لم تكن لإفريسة للأسد ، فكونك فيلا أى كونك ضخم الحمة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك في النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا في يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا في شفاؤه بكثرة ما يقتل منهم .

(١) قوله هى الطعن : نعت شجاعة يقول : إذا لم يدخلك فى الطعن شجاعة هى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؛ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان (٢) صال عليه : وثب واستطال ، يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك ما لم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

(٣) مواصيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشاهبتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٤) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويصر . وعنى يبعث الناس : سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك ؛ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاقل بنفسه فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل وقال المروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون فى أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث : قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ،

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولٌ^(١)
 وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيدُنِي أُصُولٌ وَلَا لِلْقَائِلِيهِ أُصُولٌ^(٢)
 أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجْوَلٌ^(٣)
 سِوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ بِمَحُولٌ^(٤)
 وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبَدِّلُهَا لَهُ وَتُنْدِيلٌ^(٥)
 وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسِ كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلٌ^(٦)
 يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُنَا لَنَا وَعُقُولُنَا^(٧)

وجواب وجوابات ، وهو كثير في كلام العرب في جمع مالا يعقل من الذكر ؛ إذ لا يوجد له مثال القلة

(١) الهادي : بمعنى المهتدي ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجملة بعده . يقول : أنا الذي أتقدم غيري . وأسبقه إلى ما أقول ، يعني أنه يخترع المعاني الأبدكار التي لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

(٢) أراه : جعل فيه ريبة ، والريبة الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادي فيما يريدني لا أصل له لأنه كذب وباطل ، وكذلك هم لا أصل لهم ؛ أي ليس لهم نسب يعرف به أصلهم

(٣) يقول : أعادي على علي وفضلي وتقدمي في الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول في ولا تسكن : أي لا تعرض لهم ، أمامم فلا يفترون عن تلمس ما يشنعون به على .

(٤) يقول : لا تشتغل بمداواة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل في قلب فلا أمل في زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٥) وتنديل : تعطي . يقول : لا تطمعن في مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنا لنلقى الحادثات بأنفس جلدة تهتمر الحطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٧) هذا من قول أبي تمام :

لا يأسفون إذا هم سميت لهم أحسابهم أن تهزل الأعمار

فَتَيْهَا وَفَخَرَأَ تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ ، فَأَنْتِ تَلْخِيزِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ (١)
يَغْمُ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّهُ إِذَا لَمْ تَغْلُهُ بِالْأَسِنَّةِ غَوْلُ (٢)
شَرِيكَ الْمَنَايَا وَالنَّفُوسُ غَنِيمَةٌ ، فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمَيِّتْهُ غَوْلُ (٣)
فَإِنْ تَكُنِ الدَّوَلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً لِمَنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزَّوَامَ تَدُولُ (٤)
وَاللَّبِيضُ فِي هَامِ الْكُمَاةِ صَدِيلُ (٥)

* * *

(١) أنت « تغلب » لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل ؛ وابنة بدلا منها . يقول لتغلب : اغزى وتبى ، فإنك قبيلة خير من غز ، يعنى سيف الدولة . وتبها وغزاً : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله ؛ إذا أهلكه والغول : المهلك ؛ يقال الغم غول النفس والغضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه حنط أفه ولم يقبل برماحه غمه ذلك ، لأنه على يقين من الظفر به .

(٣) ممات : مصدر ميمي ، والضمير في قوله لم يميتته : مفعول مطبق مثله في قوله تعالى « عذابا لا أعذبه أحدًا من العالمين » والعلول : الحيانة في الغم والسرقة من الغنيمة وكل من خان في شيء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله . يقول : بينه وبين المنايا شركة في النفوس ، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خاتته المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائه واتصال ملاحه .

(٤) الدولات : جمع دولة - بضم الدال وفتحها - العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل بالضم في المال ، وبالفتح في الحرب . وقيل بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه ، وبالفتح : الفعل ، وهى في الحرب أن تدار لإحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفء دولة بينهم ، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر ، والموت الزوام : الوحي - العاجل - أو الكريه . يقول : إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزوام غير متهب ولا مكترث .

(٥) لمن : بدل من « لمن » في البيت السابق ؛ والبيض : السيوف : والهام : الرءوس ؛ والسكاة : الأبطال المدججون بالسلح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطئن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع هليل الحديد في رءوس الشجعان .

وقد جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول
في هذا وما تحمك يا أبا الطيب؟ فقال :

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنْامِ سَائِلًا فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَصَائِلًا
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هَمَّامَ وَائِلًا الطَّاعِنِينَ فِي الْوَعَى أَوْائِلًا^(١)
وَالْعَاذِلِينَ فِي النَّدَى الْعَوَاذِلًا قَدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلًا^(٢)

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

دُرُوعُ مَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَبِشَاغِلِ^(٣)
هِيَ الزَّرْدُ الضَّافِي عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ^(٤)

(١) من : مبتدأ ، خبره قد فضلوا - في البيت التالي - والهمام : الملك العظيم الهمة .
ووائل ، أبو قبيلة الممدوح ، جملة اسماء للقبيلة فلم يصرفه . والطاعنين : نعت وائلا .
والوعى : الحرب . وقوله أوائلا : مفعول به ، أى أوائل الأعداء ، ويجوز أن
تكون حالا أى أنهم السابقون إلى الطعان : ومن روى الأوائلا : تعينت المفعولية .
أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم .

(٢) العاذلين : جمع عاذل . أى اللأم ؛ والندى : الجود ؛ والعواذل : جمع عاذلة ،
أى لائمة . يقول : إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم ، ومن كان هذا شأنهم
فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك ، ويتفردون بالكارم بما زدتهم من مجدك .

(٣) هذى الرسائل : مبتدأ مؤخر ؛ ودروع : خبر مقدم ؛ وملك - بسكون اللام -
محفف ملك - بكسرها . - يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن هذه الرسائل التي
أرسلها ملك الروم هي له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله ، وقد
زاد ذلك بيانا فبا يلى : وقوله يشاغل : قال ابن جنى لفظه غريبة ، إلا أن العامة ابتدلها
فلو تجنبا كان أجود .

(٤) الزرد : الدرع المزرودة ، يدخل بعضها في بعض ؛ والضافي والسابغ بمعنى
الطويل التام . يقول : هذه الرسائل عليه درع سابغة : أى تقوم في الرد عنه مقام الدرع
ولكن ألقاها فضائل لك وثناء مخلد عليك ، لأنها خضوع منه واستسلام إليك ، فهو
يحطّب منك الصلح خوفا ورهبة .

وَأَنى أَهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ

وَمَا سَكَنْتَ مَذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ (١)

وَمِنْ أَى مَاءٍ كَانَ يَسْقَى جِيَادَهُ وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلِ (٢)

أَتَاكَ يَبْكَادُ الرَّأْسُ يُجْحَدُ عُنُقَهُ وَتَنْقَدُ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ (٣)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السَّمَاطِينَ مَشِيهِ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ (٤)

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَحَلَّظَهُ سَمِيكَ وَأَخْلَلُ الَّذِي لَا يُزِيلُ (٥)

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرَّزْقَ وَالرَّزْقُ مُطْمَعٌ

وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلٌ (٦)

(١) أنى : بمعنى كيف ؟ والاستفهام : للتعجب ، والقساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل . يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشراً لم يسكن ؟

(٢) الجياد : الخيل ، والمناهل : الموارد . يقول : لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء فمن أى ماء كان يسقى خيله ؟

(٣) يجحد : ينكر ؛ وجملة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاك ؛ وتنقد : تنقطع . يقول : أتاك هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقماً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توها منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هية لك وفرقا منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٤) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدي سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول إليك هية لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فر مستقيماً .

(٥) سميك : فاعل قاسمك ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لا يزاله - لا يفارقه - يقول : إن سيفك قاسمك عيني الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيهِ إليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هية سيف الدولة ماملكه من هية سيفه ، فأجال لحظه متيهاً لهما معا . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٦) الهائل : للفرع الخفيف . والضمير فى منه : للسيف . يقول : فأبصر منك

زَقَبَلَ كَمَا قَبَلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ وَكَلَّ كَمَى وَأَقِفْ مُتَضَائِلٌ^(١)
 وَأَسْعُدْ مُشْتَقِي وَأُظْفِرْ طَالِبٌ هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كَمِّكَ وَأَصِلْ^(٢)
 مَكَانٌ تَمَنَاهُ الشَّيْفَاءُ وَدُونَهُ صُدُورُ اللَّذَائِكِ وَالرَّمَاحُ الدَّوَابِلُ^(٣)
 فَمَا بَلَّغْتَهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَحِبْ لَكَ سَائِلٌ^(٤)
 وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَى وَأَسْتَنْظَرْتَهُ الْجَحَافِلُ^(٥)
 فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ،
 وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ عَاذِلٌ^(٦)

بعموم جودك الرزق المحيي فأطعمه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع والبأس ، وقسم عينيه بين شطرين : التأميل والخوف .

(١) الكمى : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل . المتصاغر خوفاً يقول : وقبل الرسول كمْك بعد أن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هيتلك .
 (٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمْك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفاً عظيماً لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) اللذائِك من الخيل : التي كملت أسنانها ؛ والدوابل من الرماح : اللينة لطولها .
 يقول : كمْك مكان تتمنى الشفاء أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كمْك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنك سألت ذلك وأنت لا تخيب السائل .

(٥) أكبر . فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى « فلما رأينه أكبرنه » وهمة : مفعول به وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء قالوا : كل شيء ينبعث بنفسه كالعبد ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، فيقال : بعثته ، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به ، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره والجحافل : الجيوش ، يقول : إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول إذ حملته همته على أن يأتيك مع ما يعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم - بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم - تنتظر قدومه ليلغفهم جوابك .

(٦) يقول : أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم ، فلما عاد إليهم

تَحْبِيرٌ فِي سَيْفِ رَبِيعَةَ أَصْلُهُ وَطَائِبُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلٌ^(١)
 وَمَا لَوْنُهُ يَمَّا تَحَصَّلُ مَقْلَةٌ ، وَلَا حَدُّهُ يَمَّا تَجَسُّ الْأَنَامِلُ^(٢)
 إِذَا عَايَنْتَكَ الرُّسُلُ هَانَتْ نَفُوسُهَا عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَائِلُ^(٣)
 رَجَا الرُّومُ مِنْ تَرْجِي النِّوَافِلِ كُلِّهَا لَدَيْهِ وَلَا تَرْجِي لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ^(٤)
 فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقِمَهُمْ
 فَقَدْ قَمَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلٌ^(٥)

أزرى بهم ولا مهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك ، ورأى جنودك وكثرة عديك ، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه

(١) ربيعة : قبيلة سيف الدولة ؛ وطبع السيف : عمله ، يقول : رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم ير سيفاً قبلك بهذه الصفة

(٢) المقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والأنامل : رؤوس الأصابع ؛ ولون السيف : فرنده وجوهره ؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه ، وأراد بحدته عزيمته ، وكلا الأمرين لا يدرك بالحواس ، وعبارة الواحدى : إن العيون لا تحصل لونه لأنها لا تستوفيه بالنظر هية له كما قال :

كأن شمعَ عين الشمس فيه ففى أبصارنا عنه انكسارٌ
 ولا تجس الأنامل حده كما تجس حد السيف لأنه ليس سيفاً طى الحقيقة . وقال ابن وكيع هذا من قول الأول :

إِذَا أَبْصَرْتُ نَبِيَّ أَعْرَضَتْ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
 (٣) يقول : إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة صاغرت عندهم أنفسهم وما أنوا به من الهدايا وتصاغررت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحرى :

لِحَطُّوكِ أَوْلَ لِحُظَّةٍ فَاسْتَصَفَرُوا مِنْ كَانَ يُعْظَمُ عِنْدَهُمْ وَيُجَلُّ
 (٤) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحدها . طائلة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يبال عليه فيظفر بإدراك ترتة .

(٥) يقول : إن كان الذى ساقمهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلِ زِيَادَةَ وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ (١)
 أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ (٢)
 إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلٌّ وَابِلٌ (٣)
 كَرِيمٌ مَتَى أَسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِيتَ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلٌ (٤)
 إِذَا الْجُودُ أَعْطَى النَّاسِ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلٌ (٥)

فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والافتقار ما لا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا في البيت التالي .

(١) يقول : خفاؤك خوفا ، لو قتلهم لم يزد خوفهم على ذلك ، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل ، وفي المثل : الحذر أشد من الوقعة
 (٢) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير ، وإليك مصيره : أى منتهاه إلى الخضوع لك ووصل جباله بجبالك والتصرف حسب أمرك

(٣) الطل : المطر الضعيف ؛ والوابل : المطر الغزير ، يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يخذوا حدوك في جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم ؛ يعنى أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم
 (٤) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أى أنت كريم ؛ ولقمت حرب : اشتدت أو وقعت ؛ وحرب لاقح مثل بالأنثى الحامل ؛ قال الأعشى :

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَهْبَاءٌ لَاقِحٌ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمَزُهَا وَأَظَلَّتْ (١)
 يقول : أنت كريم ما تسأل شيئا إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهبت مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعنى لو سئلت شيئا فى أحوج ماتكون إليه لوهبت

(٥) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعطمهم شعري ، أى لا تحوجنى إلى مدح غيرك ، وقال ابن جني : أى لا تعط الناس أشعاري فيسلخوا معانيها ، قال الواحدى : وهذا - أى كلام ابن جني - ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس ، وأجود

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب : أى همزته .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَيْبِي شُوَيْرٌ
ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ^(١)
لِسَانِي يَنْطِقُ بِصَامِتٍ عَنْهُ عَادِلٌ
وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلٌ^(٢)
وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ
وَأُعِظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ^(٣)
وَمَا التَّيْبَةُ طِيَّبِي فِيهِمْ غَيْرَ أَنِّي
بَغِيضٌ إِلَى الْجَاهِلِ الْمُتَعَاكِلِ^(٤)

الشعر ماسار في الناس ، وقال المعري : يريد لا تعط الناس شعري فتجعلهم في طبق فتقول أنت مثل فلان

(١) الضبن : ما بين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر ، والاستفهام : للتعجب والإنكار ، يقول : أفى كل يوم يتمرس بى شويعر صنعته فى صنعته قصير فى معرفته فأراه يباربى فى القوة وهو لا قوة له ويطاولنى وهو قصير أحمله تحت ضبى ؟ يريد حقايرة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضبته لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة

(٢) الباء - فى الشطرين - بمعنى « فى » أى إذا نظقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبى يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول : يعدل عنه لسانى فلا أكله ولا أهاجيه لانى لا أراه أهلا لذلك ، وقلبى يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتالا أبدى الضحك والسخر ثم بين لم يفعل ذلك ؟ فيما يلى « هذا » والمهزل ضد الجد يقال : مهزل مهزل قال الكيت :

أَرَأَنَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا تَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

(٣) يقول : إنما لا أجيهم لأتعبهم بترك الجواب كما أنهم يعيظونى بالمعاداة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أعيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشفى منه .

(٤) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فروة بن مسيك المرادى :

فَإِنْ نَقَلِبْ فَفَلَابُونَ قَدِمًا وَإِنْ نَقَلِبْ فَفَيْرٌ مُغَلَّبِينَا

فَمَا إِنْ طَبِينَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ آخِرِينَا

كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَالٌ تَكْرُهُ صُرُوفُهُ حِينًا حِينًا^(١)

(١) قوله وإن نقلب ففلايون قديما . يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم

وَأَكْبَرُ تَيْبِي أَنْبِي بِكَ وَائْتِ
 لَعْلٌ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ هَبَّةٌ
 رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ
 وَأَكْثَرُ مَالِي أَنْبِي لَكَ آمِلٌ^(١)
 يَعْيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بِأَطْلٍ^(٢)
 وَهِنَّ الْغَوَازِي السَّالِبَاتُ الْقَوَاتِلُ^(٣)
 وَلَوْ حَارَبْتَهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ^(٤)

وبغيض : خبر مقدم عن الرفع بعده ؛ والجملة خبر أن ؛ وإلى : بمعنى عندي . يقول ليس الكبر عادي وديدي غير أني أبغض الجاهل الذي يتكلف ويرى أنه عاقل ، يعني أن الذي يمتنى من تكليمهم إنما هو بغض إياهم لا التكبر عليهم : أقول . ولوعكس المعنى وقال إني أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء - لأنهم أقل من أن يبغضوا - لكان أروع ، وما أجمل قول الطرمح .

لقد زادني حُبًا لنفسِي أَنْبِي بغيض إلى كلِّ امرئ غير طائل
 إذا مارأني قطع الطرفَ بينه وبينني كفعل العارف المتجاهل
 قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : إن الحكيم تربه الحكمة أن فوق علمه
 علما فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله وعمته النفوس
 (١) يقول : أ كبر ما أتبه به أني وائتق بجميل رأيك في ، كما أن أكثر رأيي هو
 من ناحية تأملي لك ورجائي فيك .

(٢) القرم : السيد ؛ وأصله : الفحل الكريم من الإبل . وهبة . أى انتباهة .
 يقول . لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به
 من القول الركيك ، فهلك باطلهم - يعني شعرهم - ويبقى الحق - يعني شعره - .

(٣) المراد بالقوافي : القصائد ؛ والغوازي : من الغزو يقول : مدحته بإذاعة
 فضائله - فكأنني رميت بتلك القوافي التي ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظاً
 وجسداً ، وجعل القوافي غوازي قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها
 سلطات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٤) الثواكل : جمع ناكل ، الفاقدة ابنا أو أباه أو أخاها . يقول : لو كانت

فعلبتنا فغير مغليين ؛ والمغلب . الذي يغلب مراراً . أى لم تغلب . إلا هذه المرة . وقوله
 فما إن طبتنا الخ : أى ما عادتنا وشأنا ؛ وقيل العطب هبنا . العلة والسبب أى لم يكن
 سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور النية واتتق الحاد عا والدولة ،
 والسجال - بالكسر - مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب .

وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا وَالطَّفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ (١)
قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاهٍ عَلَى الْوَرَى إِذَا لَشَمْتُهُ بِالْفُبَارِ الْقَنَابِلُ (٢)
تَدْبِرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالغَرْبَ كَفَهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتَانِ الْجُودِ شَاغِلُ (٣)

النجوم جيوشاً ثم حاربه لقامت عليها النوايح ، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تفتى لو حاربه لأتى عليها وأفناها .

(١) يقول : ما كان أقربها له لو قصدها والطفها - أخفها - لو حاول تناولها ، يعنى أن سعده يقرب له البعيد ، وقال الواحدى : فى جميع النسخ والطفها برد الكناية إلى - الضمير - إلى النجوم ، ولا معنى له ؛ والصحيح : والطفه ، برد الكناية إلى المدوح : أى ما أطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرققه بذلك تناول ، من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر : أى رفيق ، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق ، وبعد ، فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) النأى : البعيد ؛ والورى : الخلق ؛ والقنابل : الجماعات من الخيل . واحدها قنبلة ، قيل القنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ، والقنبلة من الناس الطائفة منهم ، وقدر قنبلاية تجمع القنبلة من الناس : أى الجماعة . يقول . قريب عليه كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجميشه فأنعقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى حتى يعير له كاللثام . وبعبارة أوضح : إذا قاد جيشه وأنفذ نحو العدو خيله ولثمت كتابه بما تشيره من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير مستعص عليه .

(٣) وقتنا : ظرف ؛ ولها : خبر ليس ؛ وشاغل ؛ اسمها يقول : إن تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه ، فإنه بسيفه وقوة يده يديرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شىء يشغلها وقتاً عن الجود ، أى لا يفغل عن الجود وإن عظم شغله ، كما قال البحرى :

تَبَيَّتْ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ لِمُجْدِكَ يَوْمًا أَنْ تَبَيَّتَ عَلَى شُغْلٍ
وروى ابن فورجه . وقت بالرفع ، على أنه اسم ليس وشاغل : نعت له . قال الواحدى : تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال : وفيه معنى لطيف ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكسف الشرق والغرب ومحوياته وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ

يَتَّبِعُ هُرَابَ الرَّجَالِ مُرَادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارِضَتُهُ الْغَوَائِلُ (١)
 وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ (٢)
 فَتَى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهُوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلًا حَتَّى يَرَى وَهُوَ شَامِلُ (٣)
 إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءَ رَازَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكَ الْخُلَاحِلُ (٤)
 أَطَاعَتِكَ فِي أَرْوَاحِهِا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالتَّفَتَّ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ (٥)

ما هو أحقر منهما أولى ، قال الواحدى وهذا الذى قاله - ابن فورجه - باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل ، والوجه : النصب لأنه ظرف لشاغل .

(١) هراب . جمع هارب . ومراده : فاعل يتبع ، ولك أن تجعله مفعولا ثانياً ليتبع ؛ وحرابا : نصب على الحال ؛ أى محاربا - يقال فلان حرب لفلان إذا كلن معاديا له ، ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض : أى من الحرب . والغوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية تنقول : أى تهلك . يقول : إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه ، فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب ، واستقبلته غائلة تآنى عليه .

(٢) النائل : العطاء . يقول : من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله حينما توجد عطاء منه ، وذلك لعموم نائله الأرض ؛ وبعبارة أخرى : إن جوده يشمل الولى والחסد ويعم المحسن والمسيء ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِيَابِهِ لَمْ تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا

(٣) وهو كامل : حال من إحسانه ؛ وكاملا مفعول ثان لـ « يرى » وقوله : له الضمير للمدح ، والظرف حال من الضمير فى « كاملا » : أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه يقول : هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لايراه كاملا بالإضافة إليه وإلى علوهمته حتى يكون عاما يشمل الناس جميعاً .

(٤) العرب العرباء : القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة ؛ ورازت : جربت واختبرت ؛ وفتاها : كريمها وسخيا ؛ والخلاجل : السيد . يقول : إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا . أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم .

(٥) يقول : هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم يبدل أرواحهم لبذلوها فى طاعتك ، وقد تصرفوا فى إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك ، ويجوز أن يكون معنى التفتت عليك القبائل : أحاطت أنسابها بنسبك . فأنت وسيط بينهم .

وَمَنْ لَمْ تَعْمَلْهُ لَكَ الدَّلَّ نَفْسُهُ وَمَا يَنْفِكُ الْفُرْسَانَ إِلَّا الْعَوَامِلُ^(١)
 وَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَفْتَضِ الطَّعْنَ فِي الْوَعَى إِلَيْكَ أَنْقِيَادًا لَا فُتِضَتْهُ الشَّمَائِلُ^(٢)
 وَمَنْ لَمْ تَعْمَلْهُ لَكَ الدَّلَّ نَفْسُهُ مِنْ النَّاسِ طَرًّا عَلِمَتْهُ الْمَنَاصِلُ^(٣)

* * *

(١) الأنايب : جمع أنبوب ، العقدة الناشزة في القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛
 والعوامل : جمع عامل ، وهو ما يلي السنان من الرمح . والنسكت : الوخز . ويقال
 طعنه فسكته : أى القناه على رأسه . شبه قبائل العرب بأنايب الرمح وسيف الدولة
 بالعامل قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون
 بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن
 السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مددك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من
 الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خَلُقُوا سَادَةً فَكَانُوا سُوءًا كَكُمُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ
 وقال البحرى :

كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقَادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الْأَضْيَادِ
 وبعبارة أخرى : يقول له - مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره - كل أنابيب
 الرمح مما تمدد وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان .
 جعل موضع سيف الدلة من العرب - وإن كانوا مدداً له - موضع العامل من الرمح
 الذى به يكون الطعن ، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنايب . وقال ابن جني :
 المعنى أن أصحابك وإن كانوا أعواناً لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها
 كتقدم السنان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ وإليك : صلة انقياداً ؛ والشمائيل : الأخلاق ؛ والمفعول الثانى
 لرأيت : محذوف سد مسده شرط ، « لو » وجوابها . يقول : إن لم يطعك الناس خوفاً
 من طعنك أطاعوك حباً لشمائلك ، أى إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك
 من الطمان فى القتال .

(٣) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك
 وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى إن من لم يخضع لك
 طوعاً ورجبة خضع لك خوفاً ورهبة .

وقال يعزبه بأخته الصفري ، ويسليه بالكبرى ، وأنشدها في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزِيَّةِ فَضْلاً تَكُنِ الأَفْضَلَ الأَعَزَّ الأَجْلاً^(١)
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الأَخْبَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعْزِيكَ عَقْلاً^(٢)
وَبِالْفَاظِكِ أُهُتَدَى فَإِذَا عَزَّ كَ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتَ قَبْلاً^(٣)

(١) يقول : إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلا له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعني أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزية - بالهمز وبتركة - المصيبة .

(٢) يقول : أنت أجل من أن تعزى عنمن ترزأ به من الأحاب لأنك أعقل من الذى يعزبك وأهدى منه إلى معاني التعزية . قال ابن جنى : فوق - الأولى - نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و« فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزى : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكول حذف المنادى : أى أنت يا حيف الدولة وعلى هذا تكون فوق - الأولى والثانية - ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعنا له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلا : نصب على التمييز .

(٣) اهتدى : أى الذى يعزبك . ونصب « قبلا » على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولاً وآخرأ ، كما قال :

وساغ لِي الشرابُ وكنت قبلاً أكادُ أغصُ بالماءِ الفراتِ^(١)

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم وروى أيضا بالماء المعين ، وروى ؛ أغص بقطعة الماء الحميم ؛ قال البغدادي : وهو آخر أبيات خمسة ليزيد ابن الصق وهى .

ألا أبلغ لديك أبا حُرَيْثٍ وعاقبة السلامة للمُليمِ
فكيف ترى معاقبتى وتسعى بأذواد القُصَيْبَةِ والقُصِيمِ
وما برحتَ قَلوصى كلِّ يومٍ تكسر على الخالفِ والمقيمِ

قَدْ بَلَوْتَ أَخْطُوبَ مُرًّا وَحُلُومًا وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزْنًا وَسَهْلًا^(١)
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِعْلًا^(٢)

يقول : إن الذي يعزبك ، منك تعلم ألفاظ التعزية . فهو يقول لك في التعزية بما قلته قبل ذلك واستفاده منك . وعبارة العكبري الإنشائية الأنيقة : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك فقدرك مرتفع عن التعزية . فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جلب إلى حجر القطيعاء (١) وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

(١) بلوت ؛ خبرت . والخطوب ؛ حوادث الدهر . والحزن ؛ ضد السهل ، وهو ماخشن من الأرض وارتفع ؛ والنصوبات - في البيت - أبدال . يريد ؛ حلوها ومرها وحزنها وسهلها وتفسير العكبري الجميل ؛ قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك ، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك ، وسرت في الأيام ما لكا صعبا تسلك منها ماصعب وسهل ، وتعانى ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بملك .

(٢) يغرب ؛ يجيء بشيء غريب ؛ وعلموا قولاً ؛ كلاهما تمييز ، يقول ؛ عرفت الزمان وألوانه وصوره معرفة تامة ، فلا يأتي بشيء غريب ولا فعل جديد لم تراه ولم تعرفه ، وقتلت الزمان علما يعنى علمت منه كل شيء حتى أذلته بملكك ولينتهك ، ومعنى القتل في اللغة ؛ إزالة الحركة ، ومنه يقال شراب مقتول ؛ إذا كسرت سورتها بالماء .

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَعْتُ فِيكُمْ قَبْلَ لَيْلِ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لى الشراب . . . البيت . الليم : من الأم الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة ؛ المناوبة - من العقبة ، وهى النوبة - والدود من الإبل ؛ ما بين الثلاث إلى العشر ؛ والقصيبة والقصيم ؛ موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون فى الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ ؛ عطف على نمت . والحميم ؛ الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضطداد يطلق على الماء البارد أيضا ؛ وأغص ؛ مضارع غصصت بالطعام ، والغصة ؛ ماغص به الإنسان من طعام ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق .

(١) حجر : بلد بالبحرين ، مذكر مصروف ، مشهور بتمره ؛ والقطيعاء - محدود ، مثل الفيراء - صنف من التمر .

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلًا^(١)
 لَكَ الْإِلْفُ يَجْرُهُ وَإِذَا مَا كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلًا^(٢)
 وَوَفَاءً نَبَتْ فِيهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلًا^(٣)
 إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعُ بَعَثَتَهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهْلًا^(٤)

(١) الذعر؛ الخوف قال ابن فورجه . يقول؛ أنت إذا حزنت على هالك فإنما يحزن حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له ، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل؛ وغيرك يحزن خوفا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن ؛ قال الواحدى ، وتفسير الحفظ على ما ذكره ؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه . والوجه أن يقال أراد بالعقل ؛ الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه على أثره ؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من الموت ، وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن .

(٢) الإلف : السكون إلى الشيء والأنس به . يقول : لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه ، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفا حزن على فراق من ألفه ؛ وعبارة العكبرى : لك إلف لكريم صحبتك يجر الحزن إليك بمن تفقده من أحببتك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريماً كأصلك متمكناً في مثل نصاب شرفك ، كان أصلاً لكريم المواصلة والمؤالفة ، وباعثاً على مشكور العاملة ، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة . « ويجره » : رواها ابن جني : تجره - بالتاء - قال : أى تسجبه وتحمل ثقله .

(٣) ووفاء : عطف على إلف - في البيت السابق - . يقول : ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماءه صغيراً ونشأت عليه ، فلا تعرف غير الوفاء للأجباب ؛ ولا بدع : فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فأحدر إليك منهم ، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت . وقوله ولكن : هو استثناء معروف في كلام العرب ، يقولون فلان شريف خير أنه سخي ؛ وفي الحديث : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » أى فلا عجب فى كونى أفصحهم . وقالوا :

فَتَى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَما يُبْقَى مِنَ الْمَسالِ باقياً

(٤) الرعاية : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى

أَيْنَ ذِي الرِّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْبِ بَ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلًا^(١)
أَيْنَ خَلَقْتَهَا غَدَاةَ لَقَيْتَ الرُّومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُنْفَى^(٢)

سببه رعاية العهد هو خير الدموع عوناً على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف
بحر الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً من الوجد أو يَشْفِي نَجْمَ البلبابلِ
وقوله عوناً : يروى «عندي» وروى ابن جني : عينا ، قال : وهو منصوب على التمييز
كقولك : إن أحسن الناس وجهاً زيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمه
حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(١) استكره الحديد : أي أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله في الحرب ؛
وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التي نشاهدها منك الآن أين هي
في وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصل بقرع بعضه البعض عند تجاليد
الأبطال ؟ قال البخري :

لم يكن قلبك الرقيق رقيقاً لا ولا وَجْهُكَ المصونُ مصوناً
وقوله إذا استكره الحديد وصلاً : قال العكبري . فيه نظر إلى قول لبيد :

أَحْكَمَ الْجِنِّيِّ مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلُّ حَرْبَاءَ إِذَا أُكْرِهَ صِلَ^(١)
(٢) خلفتها : رواها ابن جني : غادرتها ، وما بمعنى ؛ والغداة البكرة ، وهي مضافة
إلى الجملة التي بعدها . والهام : الرؤوس . والصوارم : السيوف ؛ وتنفى : من فليت رأسه
إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلوع عن أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول :
أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم في الحرب والرؤوس تطلب بالسيوف في جميع
الجهات كالفالي يتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدى ، وقد أبعث في
تفسيره «تنفى» بما قال ؛ ولم هذا وقد جاء في كتب أهل اللغة أنه يقال فلي رأسه بالسيوف
فليا : ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمْ بِالسِّنَةِ الْبَلْبَابِ وَتُنْفَى الْهَامُ بِالْبَيْضِ الدَّكُورِ
فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم
في الحرب والرؤوس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالتحوف ؟

(١) الجنى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أي رد الحرباء - وهو مسار الدرع - من
عوراتها ، سيف .

قَاتَمَتِكَ الْمُنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلًا^(١)
فَإِذَا قَبِيتَ مَا أَخَذَنَ بِمَا أَغْدَرَنَ مَرَّرَى عَنِ الْفَوَادِ وَسَلَّى^(٢)
وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى^(٣)

(١) للنون : النية ؟ ويجوز تذكيره وتأنينه ، وقد يراد به الجمع ، وهو ما يقصده المتنبي - كما يدل على ذلك البيت التالي - وجوراً : حال ؛ والقسم - بالكسر - الاسم من قسمه . يعزبه بأخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك للوت شخصين - يعني أخته - فذهب بإحداهما - الصغرى - وترك الأخرى - الكبرى - وكانت هذه المقاسمة جوراً - ظلاً - لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركت حياً وكانت المقاسمة معك في الاختين : يعني إذا كنت أنت البقية فالجور عدل ، هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى « جعل القسم نفسه فيه عدلاً » يعني أن القسم جعل نفسه عدلاً في الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى فأترك بأفضل النصيبين لأنك أفضل المتقاسمين . ولترجع إلى المنون فنقول ؛ قال علماء اللغة : النون الموت لأنه عن كل شيء أى يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل للنون : الدهر ، وجعله عدى بن زيد جمعاً فقال :

من رأيت المنون خلدنَ أم من ذاعليه من أن يُضام خفيرٌ
وهو يذكر ويؤنت ، فمن أنت حمل على النية ، ومن ذكر حمل على الموت قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَيْبُهُ تَتَوَجَّعُ وَالدهر ليس بمُعْتَبَرٍ من يجزع

وقدر روى : وربها حملا على النية ، وقيل إنما أنت على معنى الدهور فردمه على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسواهن » لأن الألف واللام في الطفل بمعنى الأطفال ؛ والهاء بمعنى السموات : وقال أبو العباس : المنون يحمل معناه على النايا فيعربها عن الجمع ، وأنشد بيت عدى بن زيد : من رأيت المنون الخ أراد النايا ، فلذلك جمع الفعل .

(٢) أغدرن كغادرن : تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى ؛ والضمير في سرى وسلى : للقياس ، أو لما أغدرن : يقول : إذا قست الصغرى التي أخذتها النية بالكبرى

التي أبقته لك وجدت في ذلك ما تتعزى به لأنها أبقته لك أحبهما إليك .

(٣) أى حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدك : أى سعدك .

وَأَعْمَرِي لَقَدْ شَغَلَتَ النَّيَا بِأَلْعَادِي فَكَيْفَ يَطْلُبِينَ شُغْلًا^(١)
 وَكَمْ أَنْذَشْتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْرِ أُسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقْلًا^(٢)
 عَدَهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا صَالَ خَتْلًا رَأَاهُ أَدْرَكَ تَبِيلًا^(٣)
 كَذَّبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْدِيهِ وَتَتَّبِعِي فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبِيلِي^(٤)
 وَلَقَدْ رَامَكَ التُّدَادَةُ كَمَا رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا الشَّخْصِكَ ظِلًّا^(٥)
 وَأَلْقَدُ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بِمَضًا
 مِنْ نَفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكَتَ كَلًّا^(٦)

(١) يقول : لقد شغلت النايا بما تواصله في أعدائك من القتل في الحرب فكيف
 تطلب النايا شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟

(٢) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال :
 العطاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر
 الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بمطائك فأنقذته من أنياب الإقتار ، والفاقة .
 (٣) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصره : أى عد نصرتك لهذين
 نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال ؛ والختل
 العدر ؛ والتبيل : التار . يقول : عد الدهر أفعالك - من انتياشك الأسير والمقل من
 يده - نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك
 تأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية
 القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٤) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثاراً لأنك تبلى الدهر
 بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى في نعمة لا تفنى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى
 عليه غير الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٥) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك
 ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلاً عن أن ينالوا خاصة نفسك
 والمعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد
 صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٦) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت السكل بما أعطيت من السعد والإقبال

قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحَكَ عَزْلًا^(١)
لَوْ يَكُونُ الَّذِي وَرَدَتْ مِنَ الْفَجْمَةِ طَعْنًا أَوْ رَدَّتْهُ انْخِلِيلَ قُبْلًا^(٢)
وَلَكَشَفَتْ ذَا الْحَنِينِ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى^(٣)

في الظفر بالأعداء ، يعني أن سعده يقاوم أعداءه عنه ويؤميه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب ؛ فقوله : بالسعادة ، متعلق بـ «رمت»

(١) الرامحين : أى حاملي الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه يقول : قارعت رمحك رماح الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطن والاعتدال على التصرف في الحرب .

(٢) وردت : استقبلت . والفجمة : المرة من فجعه : إذا أوجعه بعزله ولديه والقبل جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل بين القبيل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ؛ قالت ليلي الأخيلية في فائض بن عقيل - وكان قد فر عن توبة يوم قتل - ؟

ولما أن رأيتَ انْخِلِيلَ قُبْلًا تبارى بأخْدُودِ شَبَا العِوَالِي^(١)
يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعنا لدفعته عنك بالخييل والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألم بك من الرزية طعنا ومنازلة وقتالاً لأوردت ذلك الموطن خيلك قبلا مقدمة ولا تقممتها على الموت كل الإقحام .

(٣) الحنين : ما يجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول :

(١) بعده :

نسيتَ وصاله وَصَدَدَتْ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ
« الأرب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كلُّ أرب نفور ، لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نقر »

خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتْ السَّمَاءَ نُكْلًا^(١)
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْوًا ذَاتُ خِذْرِ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بِنِفْلًا^(٢)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى^(٣)
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًا^(٤)

ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذي تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحنين للتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكآرة ، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب الموحمة ، ولكن الموت لا يدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(١) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزوج : والحمام : الموت والشكل : فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب . جعل الشكل خطبة لها لأنها كانت بكرآ : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المساة بالشكل وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى شكلا ؛ هذا إذا نصبت السماء على أنها خبر كان ونصب شكلا بالمساة ، كما تقول ضربت المعطاة درهما ؛ وإن رفعت السماء فالمعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها شكلا ، فتكون « شكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخطاب .

(٢) الكفو والكفوؤ : التل ، وبعلا - أى زوجا - حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوآ لها من الناس تزوج منه اختارت الموت بعلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لأنها تأى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هى تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكمل صيانتها ويوفىها حق جلالها .

(٣) يقول : إن الحياة للذاتةها أنفس فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تملى وتستكره لعله يريد أن يقول إن ذات الحدر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفوفتمهن ، لا بشضا فى الحياة .

(٤) أف : كلمة يقولها التضجر الكاره للشئ ، وهى بثلاث الفاء وبالتنوين وتركه يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فإن ذلك الضجر والللال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبية والكبر . هذا : وقوله

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلِيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلِيٌ (١)
 أَبَدًا نَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا (٢)
 فَكَفَتْ كَوْنَنَ فَرَحَةٍ تُورِثُ النِّعَمَ وَخِلَّةٍ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خَلًا (٣)
 وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا تَتَمَّمُ وَضْلًا (٤)

وإنما الضمف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو في مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصور بـ «إنما» ، ولكن قدمه للضرورة .

(١) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنقص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فإذا هما وليا وذهبا ولي العيش وذهب
 (٢) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذها . فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الجلاح :

وَلَمَّنَعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءِ مُكَدَّرٍ

وقال الأول :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكَدَّرٌ مَا أُصْنِيَ وَمُفْسِدٌ مَا أَهْوَى لَهُ بِيَدٍ
 فَلَا يَفْرُغُكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيتُهُ فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدٍ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا : وقد قال العلامة العكبري النعموي الكوفي : « الدنيا » مرفوعة بـ « تسترد » عندنا ، وبـ « تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثاني .

(٣) هذا جواب التمني في قوله « فياليت » . وكفيته الشيء : أغنيته عنه ، والكون : بمعنى الحصول ، والفرحة - بالضم والفتح - اسم بمعنى المسرة ، ويغادر : يترك ؛ والوجد بمعنى الحزن ؛ والحل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها النعم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحباً لمن فقده . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئاً ، فلما فرح به واغتنب أخذه منه ؛ فكان أسفه عليه أكثر من اغتياظه به .

(٤) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة يقول : وهى - أى الدنيا - مع غدرها بالناس - فلا تحفظ لأحد عهداً ولا تدوم على العهد ورجوعها - على ما تهب - معشوقة محبوبة .

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى (١)
 شِيمُ الْفَانِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَدْرِي لِمَا أَنْتَ أُمَّتَمَّا النَّاسُ أَمْ لَا (٢)
 يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمَفْرَقَ مَحْيَا وَمَمَاتَا فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلًّا (٣)
 قَلَدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى (٤)
 فِيهِ أَغْنَتْ الْمَوَالِي بَدَلًا وَبِهِ أَفْنَتْ الْأَعَادِي قَتَلًا (٥)
 وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَعَى كَانَ نَصَلًا (٦)

(١) يسيل: صفة لدمع؛ ومنها: متعلقة بـ«يسيل» وعليها: خبر كل؛ والحرفان للتعليل. أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها: أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي أسفا على فوت شيء منها ولا يخل الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يدها عنها بالموت.

(٢) الشيم: الطبايع؛ والفانيات: الحسان اللاتي غنين بحسنهن وجمالهن. وقوله لنا: أى ألدنا؟ لحذف الاستفهام. يقول: شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد؛ وكذلك الدنيا، ثم قال: ولست أدري أهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا؟ وهذا من تجاهل العارف، لأنه يعلم أن الدينام تؤنث لأنها تشبه الغواني، كما قال زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حِصْنٍ أم نساء
 هو يدري أنهم رجال، ولكنه تجاهل هذا، لأن فيه ضربا من الهزء بهم.

(٣) الورى: الخلق. والحيا: الحياة. يقول: إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والامر والنيل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه.

(٤) سيفها أنت: نعت «دولة» وحساما: أى سيفاً قاطعاً، مفعول قلد. يقول إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الدائد عن يئضنها سيفا قاطعا حلاه بالكارم، فهو حامى الدولة وزينتها وعزها.

(٥) أغنت وأفنت: أى الدولة؛ وبدلا وقتلا: تمييز. والموالى: الأصدقاء والحلفاء والأعدى: جمع أعداء، جمع عدو، يشدد ويخفف: أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بدلا. وبه أفنت أعاديتها قتلا، فهو يحيى الموالى بماله، ويميت الأعدى بسيفه ورجاله.

(٦) اهتز: ارتاح؛ والوعى: الحرب؛ والنصل: السيف؛ أى إذا اهتز للعطاء

وَإِذَا الْأَرْضُ أُظْلِمَتْ كَانَ شَمْسًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أُمْحِلَتْ كَانَ وَبِلًا^(١)
وَهُوَ الضَّارِبُ الْكُتَيْبَةُ وَالطُّفْنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَعْلَى وَأَعْلَى^(٢)
أَيُّهَا الْبَاهِرُ الْعَقُولَ فَمَا تُدْرِكُ وَصَفًا أُنْعَبَتْ فِكْرِي فَمَهْلًا^(٣)

كان كالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف في نفاذ
عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المحل : الجذب وقلة النبات في الأرض لقلة المطر . والوبل : المطر الكثير ؛
أى إذا أظلمت الأرض وأعمت خطوبها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجديت كان جوده
كالسحاب الغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويوجد إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتغلو - من غلاء السعر - أى يعز وجودها
والجلمة : حال . وقوله أعلى وأعلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو
الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غالباً عزيز النال لصعوبة الموقف
واشتداد الحال ، وإذا كان الطعن غالباً كان الضرب أعلى منه لحاجة الضارب إلى فضل
إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم
غيره على الطعن ، وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيدر مع -
أى مقدار رمح - فالدنو إليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم
الطاعن والضارب . وقال ابن جنى : يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو
أيسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب ، والرامي
أبعد من الطاعن ، وقد رتبته زهير فقال :

يَطْمَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقُوا

وعبارة العكبرى : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها
مضطربة ، والطعن بين الفرسان يغلو ويشدد ، والضرب أعلى وأشد فدل على أن
سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتاب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه .
(٣) بهره : غلبه ؛ ووصفاً تميز . وقوله فما تدرك : يروى بالتاء على الخطاب
للمدوح . وبالياء عوداً على لفظ النادى ؛ والعقول : قال العكبرى بالنصب هو الأصل ،
وبالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه . يقول : يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال

مَنْ تَعَاطَى تَشَبَهًا بِكَ أَغْيَا . وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلًّا (١)
فَإِذَا مَا أَشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ . قَالَ لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلًا (٢)

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة (*)

فما يدرك وصفك أتعبت فكري إذ لم يبلغك . فمهلاً : أى ارفق . وعبارة العكبرى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه : مهلاً على فكري فقد أتعبته ، ورفقاً بما أنظم فيك فقد أعجزته .

(١) التعاطى : التناول . ويقال فلان يتعاطى كذا : إذا عنى به وتفرغ له ؛ وأعيانه أعجزه . يقول : وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يندر على التشبه بك لان كرمك لا ينال بالتكلف ، ومن سلك طريقك ضل فيه : أى لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعده مذهبك واتساعه .

(٢) زلت : من الزوال وقوله أو ترى : أى إلى أن ترى . يقول : إذا اشتبه أحد أن يدعوك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك . لا زلت - أى لامت - كما فى رواية - حتى ترى لك مثيلاً ، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد ، لأنه لن يكون لك مثل .

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكابد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهل من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قعده وأنجدم بأصناف من البلغور والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد ، فركب سيف الدولة باقرا ؛ وانتقل إلى غير الوضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه ، وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجبة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسارزحفا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبه يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبير خوفاً من كمين يترص الرسل . فزل سيف الدولة بظاهره وأنتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَمْلُونُ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا^(١)
شَرَفٌ يَنْطِیحُ النُّجُومَ بِرَوْقِيهِ وَعِزٌّ يُقَلِّقُ الْأَجْبَالَ^(٢)
حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ أَلَدِّ زَلَّةِ ابْنِ الشُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالًا^(٣)

على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه
في حصنهم ،

(١) ذى: أى هذه اسم مبهم: يشار به إلى اللؤث كما يشار به «ذا» إلى الذكر؛ وهكذا
خبر عن محذوف: أى هكذا المعالي ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب
مفعول مطلق ، عامله فليعلون: أى فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل: أى هكذا
فليعلون ، وإلاهى « إن » الشرطية و « لا » النافية ، والشرط والمال في محذوفان يقدران
بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر « لا » تأكيداً . يقول : هذه المعالي التى نراها لك هى
المعالي حقيقة ، ومن تعالى فليعلون كما علوت ، وإلا فليدع تعالى ؛ وبعبارة أخرى يقول
مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة في بداره إلى جيوش الروم وانهزامهم من بين يديه ومنعه لهم
مما كانوا عليه من حصار الحدث - : هذه هى المعالي التى تؤثر والمكارم التى تتخذ فمن
حاول تعالى ، فلينهض بمثلاً فهذا سبيلها ، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها :

(٢) شرف: مبتدأ محذوف الخبر: أى لك شرف ؛ والروق: القرن . واستعار
للشرف روقين لما استعار له النطح على سبيل الترشيح ، وهو معلوم أن القرنين في
الحيوان من أسباب القوة ودواعى الإقدام والنعة ، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله
هكذا ، بهذا البيت . يقول : لك شرف يزاحم النجوم في العلو وعز أثبت من الجبال
وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقة ، أو تقول قد بلغت شرفاً باذخا يمس
أعلاه النجوم وعزاً راسخا لوصادم الجبال لأقلقها وبقي راسخا لا يزعزع : أو تقول :
وبلغت عزا تتقلقل الجبال هيبة له وإجلالا . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن سلطانه
ينفذ في كل شيء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها .

(٣) قوله : ابن السيف : ذهب إلى ما فى السيف من معنى المضاء والقهر : أى كلمهم
ملوك قاهرون . يقول : حالهم عظيمة فى كثرتهم ومنعتهم ، ولكن سيف الدولة ابن
الملوك القاهرة والسيف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع ؛ والحال :
تذكر وتؤنث .

كَلَّمَا أَهَجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا^(١)
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقَ الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا^(٢)
خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّعْجُ عَلَيْهَا بَرَأِمًا وَجِبَالَا^(٣)

(١) قال ابن جنى : أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياذ سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير : أى لحقتهم وجاوزتهم . قال ابن فورجه : يقال أَعْجَلَتْهُ بمعنى استعجلته ، فأما سبقته ، فيقال فيه عجلته . يقول : كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم . أقول : وهذا كله تخبط من الشراح ، وإنما النذير نذير سيف الدولة . يقول : كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها ؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى : قال : ويجوز أن يريد أن العدو كلما أَعْجَلُوا النذير بهم وبأدروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة فى الأطراف والمتصرفين فى أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بآدرتهم خيوله ولحقتهم جيوشه وأَعْجَلَتْهُمْ عن ذلك الأَعْجَالِ فصرفتهم على أسوأ الأحوال . هذا : ويقال أَعْجَلَهُ عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه ، ومسيراً : منصوب بنزع الخافض : أى عن مسير ؛ وكذا قوله الإِعْجَالَا - فى آخر البيت - والنذير : الذى يندر أصحابه ويحذرهم .

(٢) فَأَتَتْهُمْ : أى الجياذ ؛ وخوارق : حال ، وما تحمل - ويروى لا تحمل - حال أخرى . يقول : فَأَتَتْهُمْ خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة . وعليها الأبطال مدججين بالسلاح . ويقال خرق الأرض يخرقها : أى قطعها حتى بلغ أقصاها ؛ وفى التثنية : « إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » وقد روى العسكبرى « خوارق » بالرفع على أنها فاعل أتمهم ؛ وليس بوجه ، وزاد على ذلك أن قال : خوارق الأرض : الخيل ، لشدة وطئها ؛ وهذا عمرك الله تخليط أى تخليط ، وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها بسرعة - هذا : والحصر فى البيت - فى قوله ما تحمل إلا الحديد - مجرد التأكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد : أى المعروف بهوله وقوة بطشه .

(٣) خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ : حال أخرى ؛ والنعج : الغبار ؛ والجبال جمع جبل وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أتمهم وقد خفي لونها فلا يعرف الأدم من الكميث والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف

حَافَتُهُ صُدُورَهَا وَالتَّوَالِي لَتَخْرُضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالَ^(١)
وَلَتَمْمِضَنَّ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرَّمْحُ مَدَاراً وَلَا الْحِصَانُ مَجَالاً^(٢)

ذلك النبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكان هذا
العنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملي :

يتعاوران من النبار ملاءةً دكناء مُحَدَّثَةٌ هَا نَسَجَاهَا^(١)
قال العكبري : وفيه نظر إلى قول عرف بن الخرج :

كَأَنَّ الطَّبَاءَ بِهَا وَالنِّعْمَا جَ يُكْسِينَ مِنْ رَازِقِي شِعَارَا^(٢)

(١) المحالفة : المعاهدة ؛ والموالي ؛ الرماح ؛ واللام - من قوله لتخوضن - للقسمة .
يقول ؛ إن صدور خيله وعوالي رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه :
أى تكفيه إياها ، كما قال :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهَجَ الْعُوَالِي وَحَمَلَتْهُمُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا

وقد رورى ابن جنى لتخوضن ، ليخوضن ، ثم قال ؛ طال الكلام بيني وبينه أى -
المتنبى ؛ فى قوله : ليخوضن ، فقال - أى المتنبى - هو مثل قولى ؛ وقلنا السيوف هلمن -
بضم اليم - . وذلك أنه لما وصفها بالمخالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ،
وؤيده قوله تعالى ؛ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم « وقوله « وكل فى فلك يسبحون »
وقوله جل شأنه ؛ « ورأيتم لى ساجدين » كل هذا أجرى مجرى من يعقل لماخوطف وأخبر
عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل ، لأن كل ذى عقل
يصح منه الفعل ، وما ليس من ذوى العقول وإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ، ومنه
مما لا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح ، فأحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل
لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام . انتهى كلام ابن جنى
مضافاً إليه العكبرى .

(٢) يقول : وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تفعل ما عجز سه غيرها ؛
وقوله حيث لا يجد الرمح الخ : أى فى مضائق الحرب التى لا يجد فيها الرمح مداراً
لشدة المحالفة ولا الحصان مجالاً لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول :

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوها من النبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السفابك أسهلت نشرها

(٢) الرازقى هنا : الكتان نفسه ؛ والرازقى أيضاً : ثياب يبيض من الكتان .

لَا أُلُومُ ابْنَ لَأُونِ مَلِكِ الرُّومِ . وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالًا (١)
 أَفَلَقْتَهُ بِنَيْبَةٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ . وَبَانَ بَعَى السَّمَاءِ فَنَالَا (٢)
 كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبِنْسِيُّ فَفَطَّيَ جَبِينَهُ . وَالْقَدَالَا (٣)
 يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْفَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الْأَجَالَا (٤)

ولتخصين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء في مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتخصن لسكونها وسكون النون بعدها - ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكنا أن يقول : وليخصين - بالياء دون توكيد . هذا : الحصان : الفحل من الخيل ؛ والجمع : حصن ؛ وسعى الفرس الذكر حصانا قيل لأنه ضن بجائه فلم ينز إلا هلى كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه محرز لفارسه ، والعرب تسمى الخيل حصونا . وسئل بعض الحكام عن رجل جعل مالا له في الحصون ، فقال اشتروا خيلا واحملوا عليها في سبيل الله .

ذهب إلى قول الجعفي :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ حَلَى تَوْفَى الرَّدَى أَنْ الْحِصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدْرُ الْقُرَى

(١) يقول : لا أُلُومُ ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طلبا لفرسة سيف الدولة ثم بين حيا عدم اللوم فيما يلي .

(٢) البنية : بمعنى البنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه ، صفة لبنية . وبني : طلب . يقول : أفلقته بملك الروم هذه القلعة التي بناها سيف الدولة وهي من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفاه ، وأفلقه بانيتها - يعني سيف الدولة - الذي بنى أن ينال السماء فنالها علوا وعزة ، أى أن ملك الروم العذر في محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إزالتها . والبني : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجهة من محاذاة الزرعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجهة وشمالها ، فتكون الجهة بين جبينين : والقذال مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتي القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إزالتها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلا فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقا وسعة ازداد مضى ملك الروح وغيظه .

(٤) فيها : أى في نواحيها وجوانبها : أى يجمع هؤلاء لهدمها بهم وتجمع أنت أحاطهم إذ تاتيتهم فقتلهم .

وَتَوَافِيهِمْ بِهَا فِي النَّعَا الشُّمْرِكَاءَ وَافَتِ الْعِطَاشُ الصَّلَاةَ^(١)
 قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَنِي يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا^(٢)
 وَأَسْتَجْرُوا مَكَائِدَ الْحَرْبِ حَتَّى
 تَرَكَوْهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبِالْآلِ^(٣)
 رَبِّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفَقَا لَ فَيَدُ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَ^(٤)
 وَقَسَى رُمَيْتَ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِي قُلُوبِ الرَّمْلَةِ عَنكَ النَّصَالَ^(٥)

(١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطربعين أرضين لم تمطرا . يقول : وتأتيهم بأجلهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض المبطورة
 (٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بثوا سيف الدولة على إتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .

(٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكايد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبوهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربوهم مستعينين على قتلهم به .

(٤) الفعال هنا : هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب ، وفعالهم حملهم إلى القلعة المكايد والآلات ، وهم الروم - غير محمودين لأنهم أعداء المسلمين ، أما أفعالهم - وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة - فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عوناً عليهم .

(٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب قسى ترمى عنها السهام فترتد على راميا . يريد السلاح الذى حملة الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلوهم به ورموهم بالسهم عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم قال ابن وكيع - وأنت تعلم تبخى هذا ابن وكيع دائماً على التنبي - : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِيْ هُمُ قَتَلُوا - أَمِيْمَ - أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي^(١)

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك

(١) أخى : مفعول « قتلوا » ؛

أَخَذُوا الطَّرِيقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسُلَ

- لَ فَكَانَ أَقْطَاعُهَا لِزَسَالَا (١)
 وَهُمْ الْبَحْرُ ذُو الْعَوَارِبِ إِلَّا أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلَا (٢)
 مَا مَضُوا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ (٣)
 وَالَّذِي قَطَعَ الرَّقَابَ مِنَ الضَّرْبِ بِكَفِّكَ قَطَعَ الْأَمَالَ (٤)
 وَالثَّبَاتُ الَّذِي أَجَادُوا قَدِيمًا عَمَّ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالَ (٥)

(١) يقول : أخذوا الطرق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث ، فلما أبطأت الأخبار وتأخرت عن عاداتها تطلع سيف الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعا ، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال ، وهذا كقوله السالف .

* قَصِدُوا هَذَمَ سُورَهَا فَبَنَوَهُ *

(٢) العوارب : أعلى الأمواج ، جمع غارب . والآل : ما تراه في أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم كالبحر اللامع نوافرا وكثرة ، إلا أنهم اضمحوا أمام جيوشك فصاروا كآلال ، يعنى أن شأنهم يتلاشى عندك ، وإن جل وعظم .

(٣) « ما » نافية . ولم يقاتلوك : حال . يقول : ما انهزموا عنك غير مقاتلين ولكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن ، يعنى أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا ؛ وعبارة العكبرى : ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائمك قلوبهم من الهيبة وأودعها من الخافة ، حق صار اسمك يهزم عساكرهم ، وذكرك يشفى عزائمهم .

(٤) يقول : إن السيف الذى قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٥) الإجفال : الإسراع فى الهزيمة . يقول : إن الأولين منهم أجادوا الثبات فى الحرب فلم يغب عنهم وأدى إلى هلاكهم ، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يجل بهم ماحل بالدين سبقوهم . قال الواحدي : يريد بهذه الآيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك ، ولك الفضل عليهم ، فيكون هذا أمداح له .

تَزَلُّوا فِي مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ (١)
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ أَلْهَاءَ م وَتُنْذِرِي عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالَ (٢)
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا وَتُرِيهِ إِكْلَ عَضْوٍ مِثْلًا (٣)
أَبْصَرُوا الطَّنَّ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا
قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرَّمَاحَ خَيَالًا (٤)

(١) يقول : نزلوا في الأماكن التي قتلت فيها أقباءهم فلما نظروا إليها عرفوها
فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال في أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم ما يشبهها ؛
وللمصارع : جمع مصرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .

(٢) الأوصال : جمع وصل - بالضم والكسر - وهو العضو . والهام : الرأس .
وتندري : تنذر وتفرق . تقول ذرا يذرو ، وذرا يذري ، وأذرى يذري ، يريد : لم
يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشمور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها
الريح وتلقيها عليهم فيفرزعهم ذلك فيزعجون ويهربون .

(٣) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها إذ تريمهم لكل عضو منهم عضواً
من القتولين . قال العسكري : ويجوز أن يكون الضمير في تنذر للأوصال ، قال : والمعنى
تنذر الأوصال ، الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها في مثل حالها وتريه لكل عضو من
أعضائها مثلاً شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على
الروم عند بناءه الحدث وقد وصفها في قوله :

* على قدر أهل العزم تأتي العزائم *

ولم تكن بعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة وذكروا
عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

(٤) في القلوب : صلة الطعن ؛ ودراكا متتابعاً ، وخيالا : متخيلاً ، وهما حالان
من الطعن ؛ وفي البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن في القلوب دراكا
خيالاً قبل أن يبصروا الرماح ، يعني ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ما صنعت بهم قديماً
وأوا الطعن متداركاً متتابعاً في قلوبهم تخيلاً قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب
التهريزي : اعتبر المتأخرون - أي من الروم - بالتقدمين - منهم - فكأنهم تخيلوا
الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح

وَإِذَا حَاوَلْتَ طِمَآنَكَ خَيْلٌ أَبْصَرْتَ أَذْرُعَ الْقَنَا أُمِيالاً^(١)
 بَسَطَ الرَّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِينًا ، فَتَوَلَّوْا ، وَفِي الشَّمَالِ شِمَالًا^(٢)
 يَنْفُضُ الرَّوْعُ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدْرِي أُسُوفًا حَمَلْنَ أُمَّ أَعْلَالَ^(٣)
 وَوُجُوهًا أَحَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكْتَ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالَ^(٤)

(١) القنا : عيدان الرماح ، والحيل ، يريد بها الفرسان ، يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طمانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال ؛ ومن غريب التفسير ماذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطمان ، قال ، وللعنى أنهم كلما حاولوا طمانك برماحهم استطالوها فرأوا أذرعها أميالا ؛ أي أنها تتقل عليهم جينا وخوفا منك ، (٢) يعنى أن الرعب - الخوف - شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه في ميعنة جيشهم وشماله في ميسرته فتولوا هاربين ، وقال ابن الأقلبي : المعنى بسط الرعب في أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر :

إنا وجدنا بني جَلَانٍ كَلَّمُهُمْ كَسَاعِدِ الضَّبِّ لَا طُولَ وَلَا قِصَرَ

(٣) الروع : الخوف والفرع ؛ والأغلال : جمع غل ، القيد ، يقول : أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التي في أيديهم أغلال لها وعبرة بعض الشراح : يرعش الخوف أيديهم فصارت في قلة الغناء وإن كان فيها سيف - بمنزلة الأيدي المغلولة وعبرة العكبري : ينفذ الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير في الفرزدق :

ضربتَ به عند الإمام فأرْعِشَتْ يداكَ فقالوا مُحَدِّثٌ غيرُ صَارِمٍ

(٤) وجوها : عطف على أيديا - من جهة اللفظ ، لامن جهة المعنى - لأنه لا يريد ينفذ وجوها ؛ والمعنى يغير وجوها : أي يغير ألوانها بأن يورثها صفرة ، فهو من باب :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الرَّعْيِ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتع وتصفر وتكلح ويذهب بجهاها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نصير ، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال ، فالحسن والجمال لوجهك . لا لها ، إذ سلها الخوف حسنها فانحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونصرتك .

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحَدِّثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمَرَادِ انْتِقَالَ (١)
 وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ طَلَبِ الطَّمَنِ وَحَدَهُ وَالنَّزَالَ (٢)
 أَقْسَمُوا لَا رَأُوكَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعِيُونَ الرَّجَالَ (٣)
 أَيْ عَيْنٍ تَأْمَلْتِكَ فَلَا قَتْلَكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَالَا (٤)

(١) يقول : كانوا يظنون أنهم يقدرون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعابنوا قصورهم عنك ، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم ، وانتقل ذلك المراد القدي كانوا يريدونه من محاربتك .

(٢) هذا كما تقول العرب في أمثالها :

كلُّ مُجْرٍ فِي الْخِلَاءِ يُسْرِ *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه ، فإذا قاربه مثله ذهب سروره . يقول المتنبي : إن الجبان - والجبان ضد الشجاع - إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة ، ويظن عنده غناء ويطلب الطمان والنازلة ، يريد أن الروم شجعاء مالم يروك . وقوله وحده : في موضع نصب على الحال ؛ أى منفرداً . والنزال في الحرب : أن يتنازل الفريقان . وفي المحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، ونزال مثل قطام ، بمعنى انزل ، وهو معدول عن النازلة ، ولهذا أنه زهير في قوله :

وَلَتَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ

(٣) إلا بقلب : أى إلا والقلب معهم و «ما» من قوله «طالما» : مصدرية ، والجملة استئناف . يقول : حلفوا ليحضرن عقولهم وليعلمن أفكارهم في قتالك ، ثم قال : طالما غرت العيون الرجال : أى كذبهم عنك كثيراً ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن في مكنتهم محاربتك ؛ أو تقول : لما امتحنوا بأسك وعابنوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم في مقاومتك ، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب : أى صاروا يرجعون في الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك ، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم . قال الواحدي : ولا تتأخر بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى ، لأن قوله غرت العيون : أى قبل التجربة ، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة .

(٤) لاقتك : من اللقاء ؛ والطرف : العين ؛ ورنا إليه يرنو رنوا : إذا أدام النظر وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت ؛ وآل : رجع . يقول : إن العين التي تأملتك لا يجترى صاحبها على ملاقاتك ومواقفتك لما يرى من هيبتك وأفعالك .

مَا يَشْكُ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْشِ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجَيْشَ نَوَالًا^(١)

وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترئ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا؛ وهنا يقول الواحدى : هذا متناقض الظاهر ، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه في المصراع الأول ، وأنكر في الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص ، ثم قال : لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ؛ فعين المدولا تديم النظر إليه هية له ، وعين الولى تحير فيه وتبقى شاخصة ، فلا ترجع إلى صاحبها . وقال فى لا تكتك : إنه من لاق الشيء والأقاه إذا أمسكه ، ثم قال : وهذا بما لم يتكلم فيه أحدمن الشراح . وما أغرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا ، قال العكبرى : وصدق الواحدى فى قوله ، لان أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا . ولنمد بعد هذا إلى «رنا» ؛ قال الجوهرى : يقال أرناى حسن ما رأيت . أى حملنى على الرنو ، أى إدامة النظر ، ومن هذا يقال كأس رنونة أى دأمة على الشرب ساكنة ووزنها فعلمة ؛ قال ابن أحرر :

مدت عليه الملك أطناها كأس رنونة وطرف طمر^(١)

(١) اللعين : يعنى ملك الروم ، والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجاهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما

(١) قبل البيت :

إن امرأ القيس على عهدِه
وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بمكررة

وإنما العيش بربانِه ،

ومنها :

إن الفتى يقتر بعد الغنى

والحى كالميت ويبقى التقى ،

قوله : وإنما العيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنانه أى من نواحيه واحدها فنن -

مقتفر ؛ أى واجد ماطلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتر آثارها ؛ أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ ؛ أراد مدت كأس رنونة عليه أطناها الملك ، فذكر الملك ثم ذكر أطناها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظره

مَا لَمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ وَمَرَجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ (١)
 إِنَّ دُونَ النَّبِيِّ عَلَى الدُّزْبِ وَالْأَحْدَبِ وَالنَّهْرِ مَخْلَطًا مِزْيَالًا (٢)

كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعث إليك تغنمه وتأتي عليه لا محالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها وتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

* وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى *

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبال : جمع حبال ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمي : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهذا الذى ينصب فى الأرض حباله ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تتاله يد وأن من يبعث إليه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحباله ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : الدخلى إلى بلاد الروم ، ولكنه هنا موضع بعينه ، والأحذب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخلط مزيل ومخلط مزيال : يخالط الأمور ثم يزِيلها - أى يفارقها - إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الخيل الفارة خالطها ، وإذا طلبته وجدته مزِيالا لانحاقه ، قال أبو داود الأيادى :

مَخْلَطٌ مِزْيَالٌ مِكْرُهُ مِفْرَةٌ أَجْوَلِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحٌ (١)

ويريد بالتي على الدرب والأحذب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن دون الوصول إليها رجلا هذه صفته ، يعنى سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخلط مزيال كثير الخالطة للأمور يخالطها ثم يزِيلها يحمى حریمها ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاد ، فهو يثق بما يحمىها من هيئته ، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والإضريح : الجواد الشديد العدو - الجرى -

غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا، فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالًا (١)
 فَهِيَ تَمْشِي مَشَى الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا
 وَتَتَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا (٢)
 وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَرِّدٍ الْأَكْرُ مُبِ جَوَزَ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالَ (٣)
 وَطَبِي تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ لَقَدْ أَفْنَتِ الدَّمَاءَ حَلَالًا (٤)

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال . يقول إنه استنقذها من أيدى الدهر والملوك وبنهاها ، فكانت خالا فى وجنة الدهر، فكان الدهر تزين بها كما يزين الوجه بالخال . وقال الواحدي : يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخى الشاعر :

فمن أزمه منها بسهم يُلحُح به كشامة وجه ليس للشام غاسل

وعبارة العكبرى يقول إنه بناها فى وجه الدهر كخال الذى يزين به الوجه مع مخالفته للونه ويمسحه مع ما ثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكان الدهر زين بها وجهه ووسم برفعها نفسه ، وهى استعارة حسنة .

(٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو، والتكبر وتتنى - محذوف إحدى التائين - أى تتنى . والدلال : الشكل والتفنج من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تربه جراءة عليه فى تفنج وتشكل كأنها تخالفه ، وليس بها خلاف ؛ لما شبهها بالروس - لحسنها - جعلها تمشى اختيالا وتتنى دلالا . يقول لو كانت هذه القلعة تمشى لا ختالت فى مشيها عزة وتكبرا ولتدلت على الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .

(٣) المطرد : المتصل الذى لا عوج فيه . والأكعب ؛ العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال ؛ المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفرع يقول ؛ ذاد العدو عنها بالرمح فخاها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .

(٤) وطبي ؛ عطف على كل - فى البيت السابق - والطبي ؛ جمع طبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكأمة تنحوا أن ينالهم حدُّ الطباة وصلناها بأيدينا

وأصل الطبة ؛ طبو - بوزن صرد - فحذفت الواو وعض منها الماء ، والجمع طباة وطبون . يقول ؛ وحماها بسيف لا يقتل بها إلا من حل دمه . يعنى الهجوم

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأَسْوَدِ بَيْسٍ يَفْتَرِسُنَ النَّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ^(١)
 إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سَبَاعٌ يَتَفَارِسُنَ جَهَنَّمَ وَأَغْتِيَالَ^(٢)
 مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَابًا ، وَأَغْتَصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُوءًا^(٣)
 كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْفَضْنَفَرَ الرَّثْبَالَ^(٤)

* * *

وأشباههم من المعادين ، ونسبة التمييز بين الحرام والحلال إلى السيف مجاز ، إذ الذي يميز بينهما في الحقيقة هم أصحاب السيف . وقال ابن جنى ؛ هذا مثل ضربه ؛ أى سيوفه معودة الضرب ، فهى تعرف - بالدربة - الحلال من الحرام ، وقد رد عليه ابن فورجة قال : العادة والدربة ليستما يعرف به الحلال والحرام من الناس ، فكيف فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى المتنبي أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافراً قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمي بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب واليمين واليسرة والساق ، وقيل لأنه يخمس ما يجد : أى يأخذه . والبئس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموال : أى وينتهن الأموال ، فهو من باب * علقها تبتاً وماءً بارداً * كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفترسن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس - الذى معناه المؤانس - الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالحديعة أو أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ، جعل الناس كالسباع - وهى الحيوانات المفترسة - لوجود الاقتراس منهم فى الحالين ، مجاهرين ومفتالين ، والبيتان التالين تأكيد لهذا .

(٣) غلاباً : مغالبة . والاعتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : الغلبة طبع الحياة ؛ والسألة طبع الموت ، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة .

(٤) غاد - فى الأصل - ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهب ، أى وقت كان فى الفضنفر والريبال : من أسماء الأسيدي ، وجعل الريبال وصفا للفضنفر مبالغة كأنه قال : الأسد الشديد : يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأساً وقوة ليتناول ما يريد من يأسه وأيده . قال العكبرى : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدي سيف الدولة أنفاً ومكارهه وإنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيها يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يقاوموا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقتة كافوراً ، فقال : بمدحه ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَالَنَا كُلُّنَا جَوِيٌّ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتَّبُولُ^(١)
 كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثَتْ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ^(٢)
 أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنًا
 هَا ، وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ^(٣)
 تَشْتَكِي مَا أَشْتَكَيْتُ مِنَ أَلَمِ الشُّوقِ
 قِي إِلَيْهَا وَالشُّوقُ حَيْثُ النَّحُولُ^(٤)

(١) كلنا جو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو الحرق في القلب من حزن أو عشق . والمتبول . الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ يهتم رسوله الذى أرسله إلى الحبيبة بشاركته إياه في حبا . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو مجها فأنا الوامق العاشق ، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك ، فما لك تشبهى فيما ألقاه وأقاسيه ؟

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسنها وافتتن مجها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدي من الرسالة إلى منها وإلها منى (٣) الضمير في قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد ، يقول : أفسدت على عينها بسحرها أمانة الرسول حتى ترك الأمانة في الرسالة حبا لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ، وهذا كقوله :

وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

(٤) قوله من ألم الشوق : يروى من طرب الشوق ؛ والطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، يقول : إن الحبيبة تشكو من الشوق إلى مثل ما أشكوا إليها ، ثم كفى عن تكذيبها في تلك الشكوى فقال : والشوق حيث النحول ، يعنى أن للشوق دليلا من النحول ، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، يعنى أن نحولى يدل على شوقى ، أما أنت فلا نحول ، وبالحرى : لاشوق ، وقال ابن الأقلبي : الضمير في «تشتكى» للرسول ، يقول

وَإِذَا خَامَرَ أَلْهَوَى قَلْبَ صَبِّ ، قَمَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلٌ^(١)
زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا

مَ فَحَسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحْوُلٌ^(٢)

وَصَلِينَا نَصَلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ^(٣)

لرسوله - وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقته التحول ، قال بعض الشراح : والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن يبوح له بهواها : أى أرى بك من الشوق إليها مثل ماى لأنك ناحل والتحول يدل على الشوق ، وهذا كالإثبات لما يتهمة به من حبا ، هذا وقوله «حيث التحول» فالتحول مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(١) خامر : خالط ولايس ؛ والصب : العاشق ؛ والبيت : تأكيد للبيت السابق :

أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق ، وعبارة العكبرى : إذا خالط قلب محب هوى من محبه فلكه واستولى عليه وغلبه فما يظهر من تغير حاله ، وتبين من تشتت باله ، دليل لكل عين على ما يضره ، ومخبر على ما يحبه ويستره

(٢) ما دام ههنا تامة بمعنى ما ثبت ، وتحول تغير وتبدل ، أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويزرل ، لأن الشيبية يتلوها الكبر ، والاقبال يعقبه التغير والمهرم

(٣) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمى بمعنى الإقامة ، وقالوا المقام - بالضم والفتح - كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الهم لأنه مشبه بينات الأربع نحو دحرج ، وهذا مدحرجنا وقوله تعالى « لا مقام لكم » أى لا موضع لكم ؛ وقرئ « لا مقام لكم » - بالضم - أى لا إقامة لكم « وحسنت مستقرا ومقاما » : أى موضعا ، وقول لبيد :

عَفَّتِ الدِّيَارُ حَلْهَا فَمُقَامُهَا بِيَمْنَى تَأْبَدُ غَوْهَا فِرْجَامُهَا^(١)

(١) عملها : أى ما حل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها : ما طالت الإقامة به ، و« منى » هنا موضع غير « منى » الحرم ، وتأبد توحش ؛ والقول والرجام جبلان ، والضبير فيها : للديار .

مَنْ رَأَاهَا بَعَيْنَيْهَا شَاقَهُ الْقَطَا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ^(١)
إِنْ تَرَيْنِي أُدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِّنَ الْقَنَاةِ الذَّبُولِ^(٢)

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم»
قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة ،

(١) بينها : أى بين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحول المرتحلون
المتحملون ، يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى يبنى أن ينظر بها إليها رقى للباقيين
لقلة مقامهم ووشك فراقهم رفته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها يتيقن
أن أهلها راحلون - لا محالة - فلم يجد بين المقيم والراجل فرقا ، فهذا يشوقه : أى
يستدعى رفته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملهما ، وقد كفى عن الرقة بالشوق لأن
الشوق رقة القلب ، وعبارة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخليتها
والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صور نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة
فراقها : شاقه النظر إليهم ، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين ، وقد فسرنا الحول
بالتحملين الراحلين ، ولكن الحول فى الأصل : الإبل عليها الهوادج والانتقال ،
وهى أيضا الهوادج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحول أيضا على النساء
المتحملات كقول معقر :

أَمِنْ آلِ شَتَاءِ الْحُمُولِ الْبَوَاكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بَيْنَ الْأَبَاغِرِ
وإذا أقيمت الحول على معنى الإبل عليها الهوادج ، أو الهوادج ، كان الكلام على
حذف مضاف : أى ذوو الحول .

(٢) آدم : شحب لونه وتغير وزرع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة
ويقال آدم وأدم بكسر الدال وضما . والقناة : عود الرمح : والذبول اليبس والدقة .
يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد يياض الوجه ، فليس ذلك بعاد
فى ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فإنه محمود فيها ، لأنه آية صلاحها
كما قال أبو تمام :

لَأَنْتَ مَهْزَتُهُ فَعَزَّ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمَحِ حِينَ يَلْبِي
وعبارة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد يياضه ونضرته :
أى تغيرت بعد حسن وشبيبة وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال ،
وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه ، وتدل ذبولته على صلاحته وصدقه .

صَحِبْتَنِي عَلَى الْفَلَائَةِ فَتَاةٌ عَادَةٌ الْأَوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ^(١)
 سَتَرْتِكَ الْحِجَالَ عَنْهَا وَلَكِنْ بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ^(٢)
 مِثْلُهَا أَنْتِ لَوْحَتِي وَأَسْقَمْتِ وَزَادَتْ أَبْهًا كَمَا الْمُعْطَبُولُ^(٣)
 نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَفْصِيْرُ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ^(٤)

(١) أراد بالفتاة : الشمس ، وجعل الشمس فتاة لأن طلوعها يتجدد ، فهي بكر كل يوم ، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها ، كبرا ، والشمس من عاداتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد . يقول : صحبتني على الفلاة التي قطعها في سيري والأسباب التي عاينتها وتشمستها فتاة لا يهرم شخصها ولا ينتقص حسنها ، عاداتها في الألوان أن تبدلها وتقلها إلى الأدمة - السمرة - وتغيرها . هذا : وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر : الأزم الجذع ، يريدون أن الدهر باق على حاله لا يتغير على طول إناه فهو أبدأ جذع لا يسن ،

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهي الستر وبيت العروس . واللمى : سمرة في الشفة . يقول : - - - لهبوتة - سترتك الحجال عن هذه الفتاة - الشمس - التي غيرت لوني : لأنك في كنفها لا يصيبك حرها ، ولكن بك منها تقبيل لما في شفتيك من الأدمة - السمرة - كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمى الذي في شفتيك . وبعبارة أخرى : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن في شفتيك سواداً من قبيل السواد الذي تحدته حتى لكأنها قبلتك فأك فأثرت في موضع التقبيل .

(٣) مثلها : خبر مقدم ؛ وأنت : مبتدأ مؤخر ؛ ولوحتي : غيرت لوني ؛ وأسقمت أراد وأسقمتي ؛ وأبها كما : من البهاء وهو الحسن . والمعطبول : الطويلة العنق التامة الجسم ؛ والمعطبول : بيان لـ « أبها كما » . يقول : أنت مثل الشمس في تغير جسمي فهي لوحتي وسفعتي وغيرت لوني وأنت أسقمت جسمي ، وزادت تأثيراً في أبها كما التي هي المعطبول ، وهي أنت . وبعبارة بعض الشراح : أنت مماثلة لها بحسبك وغير بعيدة منها في فعلك ، وكلا كما له في جسمي فعل غيره وتأثير بدله ؛ فالشمس لوحته وأنت أسقمته وأذهبت نضرتة وأعملته ، وزدت أنت في قوة التأثير ، وأفرطت فيما أوجبه من التغيير . وهذا إشارة إلى أن محبوبته زيادتها على الشمس في حسنها زادت عليها في فعلها .

(٤) يقول : كنا أعلم بمقدار الطريق ولكننا سألنا تمللاً بذكر الطريق

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ أَشْدِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَفْلِيلٌ^(١)
لَا أَفْمَنًا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَابَ
بَ وَلَا يُمَكِّنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ^(٢)

إليه — كما قال في البيت التالي — فإن الإنسان إذا أحب شيئاً أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه ، كما قال بشر بن أبي خازم :

أَسْأَلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِي بِصِيرًا بِالظَّمَانِ حَيْثُ صَارُوا
وَمَا قَالَ الْآخَرُ :

وَخَبَّرَنِي عَنْ مَجْلِسِ كَفْتِ زَيْنِهِ بِمُحْضَرَةِ قَوْمٍ وَالْمَلَاءِ شُهُودِ
فَقُلْتُ لَهُ كَرَّ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَى وَذَكَرْتُكَ مِنْ كَرِّ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
أَنَاشِدَهُ إِلَّا أَعَادَ حَدِيثَهُ كَأَنِّي بَطِئْتُ الْفَهْمَ حِينَ يُعِيدُ
وَرَوَايَةَ ابْنِ جَنِي :

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا في الحقيقة أم يطول من الشوق ؟

(١) علله بالشيء : الهاء به ، يقول : إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق ، وكثيراً من رد السؤال يكون تظييراً للسائل ، يريد أن الذي حملني على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلم به عن طول الطرق .

(٢) لا أفمننا : معناه لم نعم ، كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » . يقول : لم نعم في الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك للمكان لئلا يؤخرنا عن الوصول ، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيئه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذي نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبري : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أي لا نقيم البتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى نلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم في مكان وإن طاب ، وقيل نفي النفي إثبات في كلام العرب ، فكأنه : قال : لا نقيم في مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

بأيدي رجالٍ لم يَشِمُوا سيوفَهُمْ ولم تَكْثُرِ القَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ (١)
قيل معناه لم يشيموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفي البيت معنى آخر ، وهو
وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشيء ، والمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشيموا ولم
تكثر القتلى : أي كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلَيْتُ مِنْى هُذَيْلٍ بِحَرْقٍ لَا يَمَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلَّوْا (٢)

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء في الحديث « إن الله
لا يمل حتى تملوا » (٣) معناه لا يجازيك جزاء المثل وإن ملتم ؛ وجاء في الحديث
« وإن صهيياً لو لم يخف الله لم يعصه » (٤) معناه لو لم يخف : أي أمن ، فكأنه قيل لو أمن
الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نبي النبي إيجاب فيكون التقدير : إن صهيياً لو أمن
الله ما عصاه : أي لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أي لم يعصه
أبدأ ، وفيه معنى آخر ، وهو أن « لو » في الكلام تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره
فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أي لما خاف لم يعص ، والمعنى الأول
وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو أمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان
امتنع من أجل الخوف .. وقال الواحدي : قوله « لا أقتنا » يجوز أن يكون على الدعاء
كما تقول : لافض الله فاك ، وقال ابن جنى : يجوز أن يكون على القسم : أي والله

(١) لم يشيموا سيوفهم - هنا - لم يعمدوها ، قال ابن بري : الواو في قوله « ولم »
واو الحال : أي لم يعمدوها ، والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يعمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٢) الحرق ؛ النار وصلى بالنار : قاسى حرها : والمراد : لاقت منى شدة .

(٣) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »
قيل معناه : إن الله لا يمل أبدأ : ملتم أو لم تملوا ؛ جري جري قولهم حتى يشهب
الغراب ويبيض الفار ؛ وقيل معناه . إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتزهّدوا
في الرغبة إليه ، فسمى الفطين مللا وكلاهما ليس بملل كعادة العرب في وضع الفعل
موضع الفعل بدا وافق معناه ، نحو قول عدي بن زيد :

نم أضحوأ لعِبَ الدهرُ بهم وكذلك الدهر يودى بالرجال

(٤) هو صهيب بن سنان : مولى عبد الله بن جدعان التيمي ، صحابي ، من أولاد

النمر ابن قاسط .

كَلَّمَا رَحَّبْتَ بِنَا الرُّوضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصَدْنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ^(١)
 فِيكَ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ^(٢)
 وَالسُّمُونُ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
 الَّذِي زُلْتَ عَنْهُ شَرْقًا وَعَرْبًا وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ^(٣)
 وَمَعِيَ أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهِ لَهٗ بِوَجْهِ كَفِيلُ^(٤)

لا أقنا ، وقالا تعليقا على قوله « ولا يمكن المكان الرحيل » : أى لو أمكنه لا ارتحل
 مضا شوقاً إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به
 من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للنزول به ، اعتذرنا إليه وقتلنا له
 لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت المر فلا تقدر أن
 نقيم عندك وإن كنت طيباً ؛ ورحب به : قل له مرحباً ؛ والروض : جمع روضة ،
 المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل : والمطايا : الإبل . والضمير في « إليها » حلب . والوجيف :
 ضرب من سير الخيل سريع ، والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول — مخاطباً
 الروض — : فيك مرعى مطاياتنا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب
 نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين :

(٣) زلت عنه : فارقته . يقول : الذى سافرت عنه شرقاً وغرباً ولم يفارقني عطاؤه
 فهو مقابلي حينما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده
 للعراق — كما تقدم — وهذا مثل قوله فيه :

ومن فرّ من إحسانه حسداً لهٗ تلقاه منه حينما سار نائل

(٤) الوجه : ما توجهت إليه ، والضمير في « لهٗ » لندى . والكفيل : الضامن .

جعل إهلا كه إياهم لعا ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا
 سؤاله ، فسمى قبل الله ملاعلى طريق الازدواج في الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء
 سيئة سيئة مثلها » وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهو باب واسع في العربية
 كثير في القرآن .

وَإِذَا الْعَدْلُ فِي النَّدَا زَارَ سَمَمًا فَعِدَاهُ الْعَدُولُ وَالْمَعْدُولُ (١)
 وَمَوَالٍ تَحِيهِمْ مِنْ يَدَيْهِ نَعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ (٢)
 فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمَحٌ طَوِيلٌ وَدِلاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَمِيلُ (٣)

يقول : ونداه ممي في أى طريق سلكته ، فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداه في وجهي : أى أمامي ، وهذا فيمن يعدى « كفل » بنفسه ، فتكون السلام من « له » « للتقوية » والباء بمعنى في ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة : به لوجهي أى كأن كل جهة كافلة لوجهي بقاء نداء . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجهها إلا واجهه جوده ، فكأن كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداه بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداء يرينه ويأتينى به ، والقلب شائع في السلام كثير في الشعر . يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداء ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشتركة فيها يستوى المعنى في إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيدا ، ولقيني زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفلح : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمنى له بكثرة الحوض عليه .

(١) العدل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العدل على الجود ، أما غيره فإنه يسمع : يقول إذا عدل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه فعداه هذا المدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عدل في جوده فسمعه أو رده لأنك فوقه جوداً . وعبارة بعض الشراح : أى فده كل عاذل ، لأنه مردود عنده ، وكل معدول ؛ لأنه فوقه في الجود .

(٢) وموال : عطف على العدول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول ؛ وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواله يستخدمون نعمه في قتل أعدائه ، وقد بين تلك النعم في البيت التالى ؛ وعبارة العكبرى : وفده موال شملتهم مكارمه وأحبتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعاديه مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء ؛ فالموالى : الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى ههنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٣) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابع » بدل « سابق » ؛ والسابع : السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة للمساء . والزغف : اللينة

كَلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوِّهِ
 قَالَ تِلْكَ أَلْمُيُوثُ هُدَى السُّيُولِ (١)
 دَهْمَتُهُ تَطَائِرُ الزَّرْدِ الْمُحْكَمِ عَنْهُ كَمَا يَطْمِيرُ النَّسِيلُ (٢)
 تَقْنِصُ أَلْخَيْلَ خَيْلِهِ قَنْصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ أَلْمَيْسَ الرَّعِيلِ (٣)
 وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ الْهُوْ
 لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ (٤)

المحكمة النسيج : يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير عوناً لهم على قتل أعدائه قال العسكري : فهو معنى قوله : غيرهم بها مقتول : فيمن ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن للذي يهبه له بمقارعة الأعداء ؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(١) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغيوث : الأمطار ؛ وهدى السيلول : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواليه ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه : هذه سيولنا ، شبه مواهبه المذكورة بالمطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواليه ديار عدو صباحاً للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيونا بالإضافة إلى السيلول ؛ يريد كثرة مواليه . وقال ابن جنى : هذا مثل ، وعنى بالغيوث سيف الدولة ؛ وبالسيول : مواليه ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، وكذلك مواليه به قدروا وعزوا .

(٢) دهمته : فاجأته ، والهاء : للعدو . والزردي : حلق الدرع ؛ والمحكم : الموثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدرود فيتطائر زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٣) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعيلى : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين ، يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش ؛ والقنيل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كليل له بذلك .

(٤) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ وَإِذَا أَعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلٌ^(١)
 وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنِ مَكَانٍ فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهُ جَمِيلٌ^(٢)
 لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عَرَضِهِ مَسْئُولٌ^(٣)
 كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ وَسَرَائِيكَ دُونَهَا وَأَخْطِئُولٌ^(٤)
 لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنِ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ حَمْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ^(٥)

بعده ؛ والهول : الفزع ؛ والتهويل : التفريع ؛ والضمير في أنه : للهول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينيه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعني أنه لا يفزعه شيء يراه ، فكان الهول يقول له : لا يهولك ما ترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبال بما يرى من أهوالها ، فكان الهول يظهر لعينيه في صورة التهويل ؛ يعني أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . وروى بدل « أنه » أنها ، فيكون الضمير للحرب :

(١) يقول : هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان :

(٢) ثناه : يروى ثناه ؛ والنثا : الخبر ، وهو ما يبقى — أى ينثر — من حديث ، وهو بمعنى الثناء ، يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل ، وعبارة العكبرى ؛ إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، ففي المكان الذى يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم ، وذكر كريم لا يفقد :

(٣) الهمام : الملك العظيم : يقول : ليس أحد من الملوك بقى عرضه بسيفه غيرك : أى أنت الشجاع دونهم ، هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير للتصل في موضع المنفصل وهو جائز في ضرورة الشعر :

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش مابين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة ، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر ، يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لا ستميحت تلك الديار :

(٥) تحرقت : انحرقت وملت ، والسدر : شجر النبق ، يقول : لوملت عن

وَدَرَى مَن أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الحَقِيرُ الذَّلِيلُ^(١)
 أَنْتَ طُولَ الحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ فَمَتَى الوَعْدُ أَنْ يَكُونَ القَفُولُ^(٢)
 وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ قَعَلَى أَيَّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ^(٣)
 قَمَدَ النَّاسِ كُلَّهُمْ عَن مَسَاعِيكَ وَقَامَتِ بِهَا القَنَا وَالنُّصُولُ^(٤)

طريق الروم لساروا فأوغلوا في ديار العرب دون أن يقف في طريقهم أحد حتى ربطون خيولهم بالسدر والنخيل التي بالعراق ومصر؛ يعني: لولا ذودك عن هذه الممالك للمكثها الأعداء، يريد بهذا: الغض عن العراق ومصر من اللوك والرفع من شأن سيف الدولة، هذا: وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً، لأنها هي المسكة إذا ربطت الخيل إليها، فكانت تربطها، وهذا كما تقول أحلى بلد كذا: أى حلت فيه؛ وعبارة ابن جني: هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر:

تركوا جارم يأكله ضَبْعُ الوادى ويرميه الشجر

(١) درى: عطف على ربط؛ وفيهما: أى في العراق ومصر، يقول: ولو تحرفت عن طريق الأعداء لعلم من أعزه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر - يعنى كافوراً وآل بويه - أنه حقير ذليل بقلبة العدو إياه، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلاً:

(٢) أن يكون: أى بأن يكون - أى يحصل - القفول، أى الرجوع؛ فد «يكون»:
 تامة يشير إلى أن غزواته لا تنقطع

(٣) سوى: استثناء مقدم؛ وخلف ظهرك روم: مبتدأ وخبر، أى أن خلف ظهرك روما سوى الروم - يريد آل بويه - أى أن هناك أعداء لك كالروم، فليس أعداؤك الروم حسب، وإنما أعداؤك كثير فأبهم فتاتل؟

(٤) المساعى: جمع مسعاة، المكreme والمعلقة فى أنواع المجد والجد والقنا: الرماح والنصول: جمع نصل، حد السيف، يقول: لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تَدَارُ الْمَنَائِيَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تَدَارُ الشَّمُولِ^(١)
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا وَزَمَانِي بِأَنْ أُرَاكَ بِخَيْلِ^(٢)
نَفْسَ الْبَعْدُ هُنَاكَ قُرْبَ الْقَطَايَا مَرَّتَيْ مَخْصِبٍ وَجِسْمِي هَزِيلِ^(٣)
إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمَنِيلِ^(٤)
مِنْ عَيْبِدِي إِنْ عِشْتَ لِي أَلْفُ كَأَفُو
رِي وَوَلِيٍّ مِنْ نَدَاكَ رِيْفٌ وَنَيْلِ^(٥)
مَا أَبَالِي إِذَا انْقَتَكَ الرَّزَايَا مِنْ دَهْتِهِ حُبُولَهَا وَأَلْحُبُولِ^(٦)

- (١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والشمول : الحمر ، يقول : إن غيره من الملوك يشتغلون باللهو وشرب الخمر . أما هو فمشغله الشاغل الحرب .
- (٢) وزمانى الخ : حال . وبأن أراك : متعلق بـ «خيل» . يقول : لأرضى بأن يصل إلى عطاؤك وأنا بعيد عنك لا أراك .
- (٣) المرتع ؛ المرعى ؛ والتنقيص : التسكدر ؛ والهزيل : ضد السمين ، يقول : أنا فى قرب عطائك منى وبعدى عنك كمن يرتع فى مكان مخصب وهو مع ذلك مهزول : أى استأهنا بعطائك مع البعد عن لقائك :
- (٤) تبوأ المسكان ، نزل به ، والنيل : العطاء ؛ والمنيل : المعطى . يقول : إن عطاياه تتبعه حيثما سار . فلو هو اتخذ دارا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها
- (٥) يقول : إذا عشت وبقيت حيا كان لى من العبيد الذين تههم لى ألف عبد مثل كالور الذى رغبته عنه واحتويت البقاء فى جملته ، وكان لى من ندادك وجودك عوض من ريف مصر ونهالها اللذين بهما شرف بلده وفيهما بسطت يده
- (٦) انقتك : اجتبتك ؛ والرزايا ، جمع رزية ، وهى المصيبة ؛ والحبول : الدواهي ، جمع حبل - بكسر الحاء - أنشد المفضل :

وقال في صباه وقد قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تَرَى مَنشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ (١)
عَلَى فَتَى مُعْتَمِلٍ صَعْدَةَ يَعْطَلُهَا مِنْ كُلِّ وَاقِي السَّبَالِ (٢)

* * *

فَيَا هَجَبًا لِلْخَوْدِ تُبْدِي قِنَاعَهَا تُرَأْرِي بِالْعَيْنَيْنِ لِلرَّجُلِ الْحَبْلِ (١)
وقال الأخطل :

وكنت سليم القلب حتى أصابني من اللامعات المبرقات حُبُول
وقال كثير :

فلا تعجلي يا عَزَّ أَنْ تفهمي بنصح أتى الواشون أم بحُبُول
والحُبُول : جمع خبل ، مصدر خبله : إذا أفسد من أعضائه أو عقله ، والحابل :
الشیطان ؛ والحابل : الفساد ؛ والحابلان : الليل والنهار لأنهما لا يأتیان على أحد إلا
خبلاه بهرم ؛ وفي الحديث « وبطانة لا تألوه خبالا » أي لا تقصر في إفساد أمره ؛
وقالوا خبل خابل : يذهبون إلى البالغة ، قال :

نُدَافِعُ قَوْمًا مُقْضِبِينَ عَلَيْكُمْ فَعَلِمْتُمْ بِهِمْ خَبْلًا مِنَ الشَّرِّ خَابِلًا
يقول : إذا تخطتكم الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالي من أصابته دواهيته
وآفاته ، لأن أملي إنما هو معقود بك .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ؛ والضفر : الشد ، ويسمى ما يشد على
الرأس من الذوائب : الضفائر ، ومن سماها الضفر : فقد سمى بالمصدر .

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعني بهذا أنه شجاع
صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك
تهويلا للعدو .

(٢) على فتى : متعلق بـ « منشورة » - في البيت السابق - وهو عاب في الشعر يسمى
التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنسكب القوس وتقلد السيف
إذا حمل كلامها حمل مثلها : ومعنى يعطلها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافي

(١) يقال : رأأت بهينها : إذا أدارتها ، تعمر الرجل :

وقال في صباه :

مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِدَالِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئًا مِنَ الْجُرْحَى سَلِيمًا مِنَ الْقَتْلِ (١)
أَرَى مِنْ فِرْنَدِي قِطْعَةً فِي فِرْنَدِهِ
وَجَوْدَةٌ ضَرَبَ الْهَامَ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ (٢)
وَحُضْرَةٌ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي
أَرْتَكِ أَحْمَرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّثْلِ (٣)

السبال : أى يعلها من كل رجل تام السبلة وهى ما استرسل من مقدم اللحية . يقول :
إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(١) بريئاً وسليماً : حالان ؛ ومحبي قيامى ، منادى والنصل . السيف ، يقول : يامن
يجب مقامى وتركى الأسفار كيف أفيم ولم أجرح بنصلى أعدائى . وقال الواحدى :
القيام هنا قيام إلى الشيء أو بالشيء . يقول : أيها المحبون قيامى إلى الحرب أو بالحرب
ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لا تعينونى بالسيف إن
أحببتم قيامى ؟

(٢) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرهما ، معرب معناه ، ما يستدل به على جودة
الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرءوس ؛ والنصل ، السيف يقول ، أرى من قوتى
ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة ومضاء كحدتى ومضائى ، ثم قال إن
جودة الضرب فى جودة الصقل ؛ أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب ، وهذا
تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تصقل الهمم وتورثها مضاء كالصقل للسيف
(٣) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والحصب ، استعارة من خضرة النبات ،
والذبات إذا كان أخضر كان رطباً ناعماً . وقوله فى الخضرة الخ : يعنى خضرة السيف ،
ويحمد من السيوف ما كان مشرباً خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَابِعُهُ أَشْرَبُهُ بِالْهِنْدِمَاءِ الْهِنْدَبَا (١)

وقال البحرى :

حَمَّتْ حَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذُبْلِ

(١) ما - بفتح الدال - مقصور ، نبت معروف يؤكل

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِ بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِنِّي (١)
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرَفِي وَذَائِلِي
نَكُنْ وَاحِدًا يَلْقَى الْوَرَى وَأَنْظُرَنَّ فِعْلِي (٢)

* * *

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوامه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه فى السيف ، أى فى استعماله والضرب به .

(١) الإماطة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبه بكذا وكأنه كذا . يقول : لا تشبهنى بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبهه بفلان ، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهى به ، وهناك أقوال أخرى للشراح فى قوله « بما وكأنه » نورد منها أهمها : قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هذا البيت أن « ما » نكرة بمعنى شئ موضوعه للعموم كأنه قال أمط عنك تشبهي بشئ من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك : أى بشئ معجب لك ؛ وقال أبو بكر الخوارزمى : « ما » هنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر : كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ويقولون كأنه ما هو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها فى المشبه به ذكره للنسبى مع كان . وقال ابن جنى : إنه يعتبر كأن قائلاً قال بما يشبه فيقول الآخر : كأنه الأسد ، فقال هو معرضاً عن هذا القول : أمط عنك تشبهي بما وكأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه — أى كأن — ذكر « ما » .

(٢) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : مالان واهتز من الرماح . وقوله « نكن » جواب الأمر . يقول : دعنى وهذا السيف وفرنقى ورعى حتى نجتمع فسكون فى رأى العين شخصاً واحداً يلقى الورى — أى يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أضله من قتل الأعداء ، قال ابن جنى : وقد لاذ فى هذا البيت اللفظ ذى الرمة ، ومعناه فى قوله :

وليلِ كجلبابِ العروسِ أدْرَعَتْهُ
وأعيسُ مهريُّ وأزوعُ مانجدُ

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي المنبجى :
 حَيًّا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا^(١)
 وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا
 وَالصَّبْرُ يَنْجَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحَلَا^(٢)
 وَلَا مُفَارَقَةَ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتِ
 لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا^(٣)

هذا : وقوله يلقي الورى : نعت « واحدآ » ؛ وبروى نلق : مجزوما على البدل من نكن .

(١) أحيا : فعل التلكم ، وجملة « وأيسر » : حالية : يخبر عن نفسه بأنه حتى باق ، مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول أقل وأهون ما قاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفى حين فرق بينى وبين أحبى وكنت ضعيفا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلانى ببعدم .

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا في معنى أفعال التى للتفضيل : أى أعدد ما يكون فى الإنسان وأيسر ما قاسيت شىء قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير أى الشىء الذى يقتل أحيا وأيسر مالاقت ، ، أو ما ألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه : أى أحيا مالاقت وأيسر مالاقت . قال : وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولو قلت فى النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم لقبح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقا على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قل وإنما كرهه لأن الجائر فى وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعدل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله فى القرآن الكريم « أموات غير أحياء » والمعنى أنها أموات لا تحيا فى المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(٢) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد ، يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمى .

(٣) المنايا : جمع منية ، الموت ، يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق إلى أرواحنا : أى إنما توصلت إلينا بطريق فراق الأحباب كما قال أبو تمام :

لو حار مرء نادُ المنيّة لم يجدْ إلا الفراق على النفوس دليلا

بِمَا بِحَفْنِكَ مِنْ سِحْرِ صِلِي دِنْفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتَ فَلَا^(١)
إِلَّا يَسِبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا^(٢)

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن « لها » جمع لهاة والمعنى ما وجدت لهوات الناي الح ، فلها : فاعل وجدت ؛ والنايا : في موضع جر بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبل ؛ والسيل : الطريق ، تذكر وتؤنث .

(١) الدنف : الذى أنقله المرض ؛ وقال علماء اللغة الدنف : المرض اللازم الخامر ويقال رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال دنف : لم يشنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنى وجمع وأنث لا محالة فقال رجل دنف - بالكسر - ورجلان دنفان ، ورجال أدناف . وأمرأة دنفة ، ونسوة دنفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

والشمسُ قد كادت تكون دنفًا أدفعها بالراح كى تزحلقا^(١)

يقول : أقسم عليك بحق ما بحفنيك من سحر أن تصلى حريصاً بحب الحياة فى وصالك فإن هجرت ، وأعرضت فليس بحب الحياة ؛ وعنى بسحر حفنيها أنها بنظرها تصيد القلوب وتسبى عقول الرجال ، فكأنها سحرتهم ، والمعنى من قول دعبل :

ما أطيّب العيش فأما على أن لا أرى وجهك يوماً فلا

لو أن يوماً منك أوساعةً تباعُ بالدنيا إذن ما غلّا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفًا ، ويروى : يهو - بدون ياء على أنه جواب للأمر - وقال المكبرى - تعليقاً على قوله « وإما إن صدت فلا » : الفاء جواب « أما » لأنها أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور ؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى لأكرمك يجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط . وإذا تدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول : إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) فصل الخضاب : ذهب ؛ والسلاوة : الاسم - من سلا عنه سلواً - والسلاو : طيب نفس الإلف عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سلوة وسلوانا : أى طيبت نفسى عنك ، قال :

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكأنها دنف حينئذ ، يقال دنفت الشمس وأدنت : إذا دنت للمغرب واصفرت .

يُجْنُ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَائِحَةَ تَزْوَرُهُ فِي رِيَّاحِ الشَّرْقِيِّ، مَا عَقَلَا^(١)
 هَا فَأَنْظُرِي أَوْ فَطَّقِي بِي تَرَى حُرْقًا مَنِ لَمْ يَذُقْ طَرْقًا مِنْهَا فَلَذَّ وَالْأَلَا^(٢)
 عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي إِلَى الَّتِي تَرَ كُنْتِي فِي الْهَوَى مَثَلًا^(٣)

جَعَلْتُ لِعِرَافِ الْهَيْمَةِ حُكْمَهُ وَعِرَافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
 فَمَا تَرَكَامِنْ رُقِيَةٍ يَغْلَسَانِي وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي

يقول : إن لا يشب هذا الدنف - يعني نفسه ، لأنه لا يزال شابا - فلقد شاب كبده لشدة ما يقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك الحضاب ، لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم ، فإذا زالت السلوة زال حضاب كبده وعاد شبيهه . يريد إذا سلا حيناً لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبي تمام :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ

والتنبي نقل شيب الفؤاد إلى الكبد ، وهو مما استقبح من استعاراته .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يجن - من الحنين ، وهو الصبوة والطرب - ورواية يجن اليتيم ليطابق قوله عقلا - في آخر البيت - يقول : إن هذا الدنف يصير مجنوناً لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد رائحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية الشرق لما كان له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجد ريح الشرق من قبل أحبائه :

فَإِنَّ الصَّبَّارِ يَمُوحُ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى كِبْدٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومَهَا

وقد نظر التنبي في هذا إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَسْتَنْشِقُ النَّسْمَاءَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ كَأَنِّي صَرِيضٌ وَالنَّسِيمُ طَيِّبٌ

(٢) ها : للتغية . أى ها أناذا فانظري : وترى : جواب الأمر ؛ ووأل . نجما يقول : ها أناذا فانظري إلى أوفكرى في إن لم تنظري ترى في حرقا من حبك ، من لم يجرب القليل منها ، فقد نجما من بلاء الحب ، وقد أجل التنبي ما فصله البحترى في بيتين قال :

أَعِيدِي فِي نَظْرَةِ مُسْتَنِيَبٍ تَوَخَّى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَنَامَا

تَرَى كِبْدًا مُحْرَقَةً وَعَيْنًا مَوْرَقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا

(٣) عل : كعمل ؛ ويشفع - بالنصب - جواب الترجي ؛ وبالرفع : عطف على يري

أَيَقْنْتُ أَنْ سَعِيداً طَالِبٌ بِدَيْمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمَحِ مُتَقَفِّلاً^(١)

يقول : لعلَّ الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيحاً لي إلى الحبيبة - التي جعلتني بحيث يضرب بي الثلج في العشق - لتواصلني بشفاعته ، قال الواحدى : وهذا من قول أبي نواس :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواها لعلَّ الفضلَ يجمعُ بيننا
قال : وهذا أحسن من قول المتنبي لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان ، وذلك نوع من القيادة ... قال : على أنى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعرائى يقول : لم أسمع المتنبي ينشده إلا فيشفقني - من قولهم كان وترأ فشفعه بأخر وإلى آخر : أى صيره شفيعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال المكبرى - تعليقا على قوله عل - : « عل » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . ووجههم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التي جمعها « اليوم تنساء » إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا يدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية في كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون في الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها في « ما » و « لا » بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؛ فدل على أن اللام الأولى في « لعل » أصلية ، والذي يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزداد إلا على سبيل الشذوذ ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟ ووجه البصريين أنهم وجدوها في كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

ولست سبيلاً إم على الأمر بعدما يفوت ولكن عل أن أتقدماً
وكقول الآخر :

لا تتهين "فقير" علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه^(٢)
(١) بصرت به : أى أبصرت به . واعتقل رجمه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : إنى

(٢) لا تتهين . أراد لا تتهين ، لحذف النون الحفيفة لما استقبلها ساكن ، والبيت للأصمعي قرايع السعدى .

وَأَنْتَى غَبْرٌ مُخَصِّصٌ فَضْلَ وَالِدِهِ وَنَائِلٌ دُونَ نَبِيلِي وَصَفَهُ زَحَلًا^(١)
 قِيلَ بِمَنْبِجٍ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرِهِ سَأَلًا^(٢)
 يُلُوحُ بِدَرُّ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ
 وَيَحْمِلُ الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلًا^(٣)

أيقنت بأن المذوح يطلب بدمي إن سفكته الحبيبة وأخذ منها تأري لأنى رأيت قد
 اعتقل رحمه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك نأرا أوليائه .

(١) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل ، العطاء . وزحل ، الكوكب المعروف
 وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول ؛ وأيقنت أنى لأستطيع
 عد عطائه لكثرتيه وأنى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف
 فضل والده .

(٢) القيل ؛ الملك - بلغة حمير - أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج ؛ بلد
 بالشام . والثوى . المنزل والمقام . والأفق ، القطر والناحية ؛ وقيل ؛ خبر مبتدأ محذوف
 أى هر قيل ؛ ومنبج خبر مقدم ، ومثواه ، مبتدأ مؤخر ؛ ونائله ، مبتدأ ، خبره ؛ فى الأفق ؛
 يسأل ؛ فى موضع الحال . يقول . هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الآفاق يسأل عمن
 يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه ، وفى مثل
 هذا يقول أبو تمام .

فَأَضَحَّتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرَدًا تَسَائِلُ فِي الْأَفَاقِ عَن كُلِّ سَائِلٍ
 ويقول :

وَفَدَتْ إِلَى الْأَفَاقِ مِنْ مَعْرُوفِهِ نِعْمٌ تَسَائِلُ عَن ذَوَى الْإِفْتَارِ
 ويقول أبو العتاهية :

وإِن نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَدْتَفِينَا

(٣) الفرة ؛ غرة الوجه ؛ وصحنها ؛ وسطها ؛ والهيجاء ؛ الحرب . يقول ؛ إن
 وجهه لحسنه يضئ كالبرق فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يحمل معه
 ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى ؛ الموت - بالنصب - أى أنه إذا حمل
 على أعدائه أصعب الموت حاملا إياه إليهم .

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كَحُلِّ أَعْيُنِهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَ (١)
لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ

لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَا (٢)

هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمٌ بِهِ قَدَمَا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنَهَا الْأَجْلَا (٣)

لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانَ أَسْلَمُوا الْخِلَلَا (٤)

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا (٥)

(١) يقول : إن كلابا - وهم قبيلة المدوح - لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذي يمشى عليه - كناية عن اعتبارهم بولائه ، وسيفه في جناب - وهم قبيلة عدوه - يسبق ملامة من يلومه في فعلهم - كناية عن شقاوتهم بعداوتهم - وهذا مثل يقال سبق السيف العدل وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيف العدل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس في روايات الديوان وهو :

مَهْدَبٌ الْجَدُّ يُسْتَسْقَى الْغَامُ لَهُ حُلُو كَأَنَّ عَلَى أَخْلَاقِهِ عَسَلَا

أى هو طيب الأصل لأن جده كان مبرا من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول : ممزوج بالعسل .
(٢) استعمار للفخر « سماء » لعلو الفخر ، يقول : له نور يصعد في سماء الفخر لو صعد فكر واصفا في محترقه طوال الدهر ما نزل ، لأنه يبقى يرقى في أثر ذلك النور فلا يلحقه والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد في الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع في الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٣) بادت : هلكت ، وقدماء : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميما لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الاجل قبل وقته .

(٤) الحرب العوان : التي قوتل فيها المرة بعد المرة والحلل جمع الحلة وهى النازل الى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا المدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا في أول الأمر .

(٥) قال الواحدى : يعنى لشدة مالحتهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا - كقولته تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » - وهاربهم إذا رأى ما ليس

فبعدة وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ بِالتَّجْمِيلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلَا^(١)
 فَقَدْ تَرَكَتَ الْأَلَى لِأَقْبِيئِهِمْ جَزْرًا
 وَقَدْ قَتَلَتْ الْأَلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَبَلَا^(٢)

شيء يعبأ به أو توهم ما ليس بشئ شيئاً ظنه إنساناً يطلبه ، وكذا عادة المارِب الخائف كقول جرير :

ما زلتَ تحسبُ كُلَّ شيءٍ بَعْدَ مِمْ خَيْلًا تَكْرَهُ عَلَيْهِمِ وَرِجَالًا
 قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقة والله من كتابهم - يريد القرآن الكريم - : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » قال : ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون هذا ليس بشئ يريدون شيئاً جيداً - وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء . فقيل هذا خطأ ، لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ، ومن قال . إن الله خلق من لا شيء جبل لا شيء شيئاً يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لا من شيء لأنه إذا قال لا من شيء : نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء .

(١) اللهوات : جمع لهاة ، وهي لحمة في الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعد اليوم الذي بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذي نحن فيه لور كضت خيلهم في لهوات صبي صغيرنا شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ في هذا حتى أحال . . . قالوا : وهذا مأخوذ من قول الشاعر :

لُو أَنَّهُ حَرَكَةُ الْجِرْدِ الْجِيَادِ عَلَى أَجْفَانِ ذِي حِلْمٍ لَمْ يَنْتَبِهْ فِرْقًا
 وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرٌّ بِفِكْرِي خَاطِرًا فَجَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ

وقد بعض الشراح : ويجوز أن يجعل الطفل منهم - أي من تميم - أي ماجسر الطفل منهم أن يسعل خوفاً وإشفاقاً مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم في أمر لحوفه وله عقل ؟ وعلى هذا : « ركضت » فعل خيل النصر وقيلته وقوه .

(٢) الجبل : بمعنى الدين ، والجزر : اللحم الذي يلقي للسباع ، يقال ما كانوا إلا جزراً أسيوفاً : أي الدين تقتلهم فنلقهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف يقول : إن الذين لفقوك منهم فنيتهم وجعلتهم جزراً للسباع . والذين لم يلقوك ما توا خوفاً منك .

كَمْ مَهْمَةٍ قَدَفَ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْمَحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا^(١)
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرَفِي فِي مَفَاوِزِهِ وَحُرٌّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذَا أَفْلَا^(٢)
أُنْكَحْتَ صُمًّا حَصَاهَا خُفٌّ يَفْعَلُهُ تَفَشَّمَرْتُ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا^(٣)
لَوْ كُنْتُ حَشَوَ قَمِيصِي فَوْقَ مُنْرُقِهَا سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيظَانِهَا زَجَلَا^(٤)

(١) المهمة : الفلاة الواسعة ، والقذف : البعيد . يقول : كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها - أى الذى يدل على الطريق - مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضانى بعد مامطلا ، وهو استعارة جميلة ، لأن المهمة كالمطلوب منه انقطاعه بالسير فيه وهو - بطوله وتأخير انقطاعه - كالمطلوب بما يقتضى منه ، فالضمير فى « قضانى » عائد إلى المهمة .

(٢) المفاوز : الفلوات ، والطرف : العيين ، وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو ما بدا منه . وأفل : غاب . يقول كنت أنظر إلى النجم دائماً فى مسيرى ليلا حتى كأن أجفانى معقودة به مخافة أن أضل الطريق ، وإذا غاب النجم - أى فى النهار - كنت أنصب وجهى للشمس دائماً حتى كأنه معقود بها ، وإنما يهتدى فى الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٣) الصم : الصلاب الشداد من كل شيء ، واليعة : الناقة القوية . وتفشمرت : تصفت وركضت على غير قصد . يقول : أو طأت خف ناقتى حجارة المفاوز حتى وطئتها وسارت بى فى السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(٤) حشو قميصى : يريد بدلى وفى مكانى ، والنمرق : وسادة يعتمد عليها الرாகب ، والغيطان : جمع غائط ، وهو ما اطمان من الأرض وانخفض . والزجل : الصباح والضجيج . يقول : لو كنت مكانى فوق نمرق ناقتى لسمعت أصوات الجن فى وهاد هذه المفاوز . أى أنها مسكن الجن بعدها عن الإنس ، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطل :

مَلَاعِبُ جِنَّانٍ كَأَنَّ تُرَابَهَا إِذَا اطَّرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ مُفْرَبِلُ
وَبَيْتُ الْمُنْبِيِّ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ :

لِلْجِنِّ بِالْمِيلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ كَأَنَّ تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ
« العيشوم : شجره صوت مع الريح »

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسِي مَاتَ أَكْثَرُهَا وَلَيْتَنِي عَشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَّلَا^(١)
أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخَلَا^(٢)

* * *

وقال في صباه - وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل :

قَدْ شَفَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغْلٍ^(٣)
تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا لَكُنْتُ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ^(٤)

(١) يقول : وصلت إلى المدوح بنفس مات أكثرها : أي ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقي من نفسه ليقضى حق المدوح بخدمته له . وعبرة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً : سمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتني أصادف عيشاً بما بقي من عمري قبل أن أموت ، فقوله ليتني عشت : أراد ليتني أعيش ، فعبّر بالماضي عن الضارع .
(٢) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلاً لعلو همتك ، فالديناحقيرة بالإضافة إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم
ومن قول أبي العتاهية :

إني لأنيأسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمِعُنِي فيها احتقارك للدنيا وما فيها
(٣) يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فما يأخذون من أموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطعاهم ، والبيت في ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، أما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام بكرماً .

(٤) أراد : تمثّلوا بحاتم ، خذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك ، لأنك الغاية في الجود .

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَا بَعَثَ بِهِ إِلَيْهَا أَبَا قَاسِمٍ وَبِالرُّسُلِ (١)
هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ (٢)
أَقْلٌ مَا فِي أَقْلَهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِي بَرْكَتِهِ مِنَ الْعَسَلِ (٣)
كَيْفَ أَكْفَى عَلَى أَجَلٍ يَدٍ مَنْ لَا يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قَبْلِي (٤)

* * *

وقال أيضاً في صباه :

قَفَا تَرِيًّا وَذَقِي قَهَاتَا الْمَخَائِلُ وَلَا تَخْشَى خُلْفًا لِمَا أَنَا قَائِلٌ (٥)

(١) وبالرسل : عطف على بما بعثت . وإيها : اسم فعل بمعنى كفى ودع ؛ أما إليه - بالخفض - فهي الاستزادة من التكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف ، فقد أكثر الهدايا وغمرني إحسانك .

(٢) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذي أهداها - يعني المدحوح - إلا رأيت الناس كلهم في شخص واحد ، يعني أنه جمع فيه جميع ما في الناس من معاني الفضل والكرم ، وهذا كما قال أبو نواس :

وليسَ على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ
وقد قرر المتنبي هذا المعنى فقال :

* أم الخلقُ في شخصٍ حتى أعيدها *

وقال :

* ومنزلك الدنيا وأنت الخلائقُ *

(٣) أراد بالبركة : الوعاء الذي كان فيه العسل ؛ يعني أن هذه الهدية عظيمة أقل شيء اشتمل عليه أقل ما في هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٤) أكفى : من المكافأ . وهي أن يقابل الشيء بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة : يقول : كيف أكفى من لا يعتقد في أعظم نعمة له عندي أنها نعمة احتقاراً لها وتصفيراً ؛ أو تقول : بماذا أكفى الذي أسدى إلى نعمة عظيمة وهو يستصغرها حتى يرى أنها لا تعد نعمة له عندي .

(٥) الودق : المطر . وهانا : بمعنى هذه . والمخايل جمع الخيلة - بضم الميم وكسر الخاء - السحابة الخليقة بالمطر . والخلف : اسم من الإخلاف في الوعد . يقول

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ أَسْتِهِ
وَآخِرُ قَطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجِنَادِلُ (١)
وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ (٢)
وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكُ الْأَرْضِ مُفْسِرٌ
وَأَنْتَى عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنِ رَاجِلٌ (٣)

- لصاحبه - : اصبر قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت محايبه وما يشهد لي بتحقيق ما كنت أعدك من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال ، وإنى لا أقول شيئا أعد به ولا أفعله .

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر بالنصب - عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع من « صائب » وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر . يقول : عابى أخساء الناس وأراد لهم من بين من يصيبه ما يرمى به : أى يلحقه ما يعينى به ، وآخر لا يؤثر فى ما يرمى به ولا يعلق بى ما يقوله فى كأنه يرمى بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءنى القوم من فارس وراجل ؛ يعنى أنهم من هذين الجنسيتين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفنى ولا يعرف أنه جاهل بى ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . فعلى : مفعول يجهل ، وأنه : مفعول على : أى يجهل معرفتى بجهله بى . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنتُ أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتنى وعلمتُ أنك جاهل فعذرتك
وقول الآخر :

جهلت ولم تعلم بأنك جاهل فَمَنْ لِي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي .
(٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماء كين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همى ، وأنى إذا علوت السماء وركبت السماء كين عدت نفسى وراجلا ، لاقتضاء همى ما فوق ذلك .

حُخِرُ عِنْدِي هِمِّي كُلِّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ^(١)
 وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مَنَا كَيْبِي إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّمِيمِ فِي زَلَازِلِ^(٢)
 فَعَلَقْتُ بِأَلْهَمِ الَّذِي قَلَقَلَ الْحَشَا قَلَا قَلَّ عَيْسٍ كَلْهَنًا قَلَا قَلَّ^(٣)

(١) يقول : إن همتي تزيني كل شيء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة في عيني .
 (٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومنا كبه : أعاليه . والضميم : الظلم . يقول : لم أزل
 ثابتاً ذا وقار كالطود لا يحركني شيء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت
 لدفعه عن نفسي .

(٣) القلقة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : ما في داخل الجوف . والقلقل - الأولى -
 جمع قلقل ، وهي الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا
 سريعى الحركة . والقلقل - الثانية - جمع قلقة ، وهي الحركة . يقول : حركت
 - بسبب الهم الذي حرك نفسي - إبلا خفافاً في السير ، يعنى سافرت ولم أعرج بالمقام
 الذي يلحقني فيه الضيم . ويجوز أن تكون القلقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن :
 يعود الضمير من كلهن على العيس ، لا على القلقل . يقول : خفاف إبيل كلهن خفاف ،
 يعنى أنهم خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال : أفضل الفضلاء . هذا : وقد عاب
 الصحاب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاه وهذه القلقات
 الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله - قال
 الثعالبي : قال لى أبو نصر بن الرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم .
 وسلسل الثانى ، وقلقل الثالث ؛ أما الذى شلشل فالأعشى - وهو من رؤساء شعراء
 الجاهلية - قال :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَاوِتِ يَنْبَعِنِي شَاوٍ مِشَلُّ شُلُولٍ شُلُشُلٌ شَوْلُ

« الشاوى : الذى شوى ؛ والمشلل : المطرد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل :
 الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها :
 البالغة » . وأما الذى سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا

وأما الذى قلقل فهو المتنبي الذى . يقول : البيت - ثم قال : لى قبلل أنت أيضاً .
 قلقت : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

إِذَا اللَّيْلُ وَارَنَا أَرْتَنَا خِفَافَهَا بِقَدْحِ الْخَصَى مَا لَا تُرِينَا الشَّاعِلُ (١)
 كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِي بِحَارًا مَا لَهْنٌ سَوَاحِلُ (٢)
 يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي، وَأَنْتَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ (٣)
 وَمَنْ يَنْبَغِ مَا أَبْنِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَلَا
 تَسَاوَى الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ (٤)

الشعراء - فاعلمن - أربعة - فشاعر يجزى ولا يجزى معه
 وشاعر يُنشدُ وسط المعصم وشاعر من حقه أن تسمعه
 * وشاعر من حقه أن تصفحه

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وَإِذَا الْبِلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلِغَاتِهَا فَانْفِ الْبِلَابِلَ بِاحْتِسَاءِ بِلَابِلِ

قال الثعالبي : وفي هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبي الطيب .

(١) واراننا : سترنا . والشاعل : جمع مشعلة - بفتح الميم - النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التي تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتتقدح النار فيها فترى ما لا تراه بضوء الشاعل .
 (٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كاللوح ، وجعل المغازة كالبحار في سعتها . يقول : كأني منها إذا ركبتها في هذه المغازة في ظهر موج ترميني في بحر لاساحل له .

(٣) يقول : يخيل إلى أن البلاد تلفظني فلا أستقر فيها . كما لا يستقر في مسامعي كلام العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه يلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا للحنى من قول القائل :

* كَأَنِّي قَدْ بِي فِي عَيْنِ كُلِّ بِلَادٍ *

وقد قال البحرى .

تَقَادَفُ بِي بِلَادٌ عَنِ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا عَيْرُ شُرُودٍ

(٤) العلا : جمع العليا ، تأنيث الأعلى - كالكبر في جمع الكبرى - وتساوى : إن كان ماضياً ثبت الياء في آخره ، وهو في موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تتساوى - بحذف إحدى التامين - فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والحايي والمقاتل جمع الحيا والمقتل : مصدرين ميبين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب

أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسِكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ^(١)
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحَهُ لَهُ

وَلَا صَدَرَتْ عَنْ بَاخِلٍ وَهُوَ بَاخِلٌ^(٢)

غَنَائِمُهُ عَيْشِي أَنْ تَفِيَتْ كِرَامَتِي وَلَيْسَ بَفِيَتْ أَنْ تَفِيَتْ الْمَا كِلِ^(٣)

* *

وقال لصديق له في صباه :

أَحْبَبْتُ بَرِّكَ إِذْ أُرَدْتُ رَجِيلاً

فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلاً^(٤)

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبُّ إِلَيْهَا بُسْكَرَةٌ وَأَصِيلٌ^(٥)

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّأْمِيلَ^(٦)

من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالي الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكثر له (١) نصب السيوف لأنها استثناء مقدم كبيت الكميت :

ومالي إلا آل أحمد شيعه ومالي إلا مذهب الحق مذهب

والوسائل جمع الوسيلة ، وهي الوساطة بين الطالب وللطالب . يقول : - للملوك عصره - : لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيفونا .

(٢) قال ابن جنى : يعني إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملاك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلاً غير بخيل ، لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفتدى روحه بماله :

(٣) الفتح : الرديء من كل شيء ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولاً . يقول رداة عيشي في رداة كرامتي لا في رداة مطاعمي

(٤) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحببت أن أبرك ، فوجدت أكثر ما عندي قليلاً بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٥) الصب : المشتاق ؛ ورغب في الشيء : أراده وطلبه ؛ ورغب عنه : لم يردده ؛ والبكرة : أول النهار ؛ والأصيل : آخره .

(٦) قال الواحدي : قال ابن جنى . هذا البيت يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون

بِرِّ يَخْفُ عَلَى يَدَيْكَ قُبُولُهُ ، وَيَكُونُ تَحْمِلُهُ عَلَى نَقِيلٍ^(١)

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجى :

عَزِيزُ أَسَى مِنْ دَاوَاهُ الْحَدَقُ النَّجْلُ

عِيَاءَ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلِ^(٢)

أهدى إليه شيئاً كان أهدها إليه صديقه المدوح ، والآخِر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى وتزودنيه وقت فراقك هدية منى إليك ، أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه على مما استدركه على ابن جنى : أراد - أى التنبى - أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلى هدية منى إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وظرفها التأميلاً : فالظرف وعاء الشيء . يقول : جعلت تأميلي مشتملاً على قبول هذه الهدية كاشتغال الظرف على ما فيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئاً من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلاً على لتكامله صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية برحبته فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك ، وحمله إنما يثقل على لا عليك ، لأنك إذا أعطيتنى أنقلت رقبتي بالشكر .

(٢) للعزيز : الشيء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر ، والأسى : العلاج ، يقال : أسوت الجرح أسوه أسوا وأسى إذا دوايته وأصاحته قال الأعشى :

هَذِهِ الْبُرِّ وَالْتَقَى وَأَسَا الشَّقِّ وَحَمَلُ الْمَضِيعِ الْأَنْقَالِ^(١)

وعزيز : حبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن دوائه : مبتدأ مؤخر . وانبجل جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق ، يقول : يعز علاج من داوئه هو الحدق النجل وهو داء عياء به مات العشاق من قبلنا ويروى عزيز أسى من داؤه - بتنونين عزيز -

(١) الشق : الصدع ، ويروى : الصدع . ، والمضلع : المنقل للأضلاع ، أى الأنقال

الأحمال المضلعة .

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى فَمَنْظَرِي
نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ أَلْهَوَا سَهْلٌ (١)

وإضافة أسي إلى « من » ورفعه بالابتداء لتخصه بالإضافة، وعزير : خبره، والتقدير أسي من داؤه الحدق النجل عزير . ويروي عزير أسي — على أن أسي تمييز كما تقول : عزير دواء ، فيكون عزير خبراً مقديماً ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبري : وهذا إذا جعلت « من » معرفة ، أما إذا جعلت « من » نكرة كان عزير مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير ؛ وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم في أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب . و« من » توصف . على وجهين بالجملة والفرد ، فوصفها بالجملة نحو :

رُبٌّ مَن أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمِ (١)

وبالفرد نحو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فكفي بنا فضلاً على من غيرنا حُبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا (٢)

فمن : نكرة في البيتين ، لأن « رب » لا يلها المعرفة . وقول حسان : على من ؛ أي على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع « غيرنا » على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريد من هو غيرنا ، كقراءة الأعمش « تماماً على الذي أحسن » بالرفع ، فيجعل « من » موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسي — أي ونون عزير — أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى الكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك :

(١) منظرى : أي موضع النظر مني ، ويجوز أن يكون مصدرًا مضافاً إلى المفعول

(١) من أبيات لسويد ابن أبي كاهل اليشكري : وبعده :

ويترار كالشجاف ، حلقه عسراً مخرجه ما ينتزع

ويحييني إذا لاقيته وإذا مكّن من لحمي رتع

وقوله رب من : أي رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أي أكده . والشجا :

ما يعترض في الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلاً : يروي شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفي ؛ والباء زائدة في

المفعول ، وهو « بنا » .

وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَّةٍ بَعْدَ لِحَظَّةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلُ الْعَقْلِ (١)
 جَرَى حُبُّهَا تَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي
 فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلٌ (٢)
 وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ الشَّقْمُ شَفْرَةً
 فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِقْسَلٌ (٣)
 إِذَا عَاذَلُوا فِيهَا أَحَبْتُ بِأَنَّهُ حَبِيبَتَا قَلْبًا فُوَادَا هِيََا جُمْلٌ (٤)

والنذير : المنذر ؛ وعدها يالئ على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلى فنظري منظر من ظن أن أمر الهوى سهل .

(١) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ماهى إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لا يجتمعان .
 (٢) يقول : جرى حب هذه المحبوبة في عروقي مجرى الدم لشدة امتزاجه بي ، فشغلي عن كل ماسواها ، وروى به - أى بالحب - ؛ وقوله حبها : الضمير للمحبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير في كلامهم . قال الواحدى : وروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبَتْنِي بَدَلًا ذَاتُ حُسْنٍ بَرَيْنَا تَكْحُلُ عَيْنَهَا وَلَيْسَ لَهَا كَحْلُ
 كَانَ لِحَاظَ الْعَيْنِ فِي فَتْكِهِ بِنَا رَقِيبٌ تَعْدَى أَوْ عَدُوٌّ لَهُ دَخْلُ

« سبتى أسرتى ؛ والدل : الدلال ؛ واللحاظ : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »
 (٣) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها ، ويجوز أن يريد فما دونها فى الصغرة ، يقول : قد أثر سقم الهوى فى كل شئ من بدنى فظهر فيه فعله . وما أبدع قول القائل فى مثل هذا المعنى :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَفِزُّ مَدَامِعِي فَأَحْسُ مِنْهَا فِي الْفُوَادِ دَيْبِيَا
 لَا عُضْوًا لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قَلُوبَا

(٤) عذلوا : لاموا . وأنة : فعلة من الأنين ، يكون من شدة الوجع . تقول أن بين أنينا : إذا اشتكى وجعا ، وهيا : حرف نداء - كيا وأيا وأى والهمزة - والحبيبة : الحبيبة . قال المكبرى : قوله حبيبتا : الفواد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه ،

كَانَ رَقِيْبًا مِنْكَ سَدًّا مَسَامِيْعِي
عَنِ الْعَذْلِ حَتَّىٰ لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ^(١)

يَابْنَ أُمِي وَيَا حَيْبَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ
وَتَصْغِيرِ التَّعْظِيمِ كَقَوْلِ لَيْدٍ :

وَكَلُّهُ أَنْسٌ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنْمِئِلُ
وَكَقَوْلِ الْحَبَابِ بْنِ مَنْذَرٍ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ «أَنَّهُ جَذِبَهَا الْحَمَكُ وَعَذِقَهَا الْمَرْجَبُ»^(١)
وَتَصْغِيرِ التَّحْقِيرِ مِثْلَ أَنْيْسَانَ وَنَحْوِهِ . قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ : وَالْأَنْفُ فِي «حَبِيْبَتَا» وَفِي «قَلْبَا»
وَفِي «فُوَادَا» : بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَكُلُّهَا فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ ، لِأَنَّهُ نِدَاءٌ مُضَافٌ ،
أَرَادَ : يَا حَبِيْبِي ، يَا قَلْبِي ، يَا فُوَادِي ، يَا جَمَلٍ - وَجَمَلُ اسْمِ الْحَبِيْبَةِ - وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ الْأَنْفُ فِيهَا لِلنَّدْبَةِ أَرَادَ يَا حَبِيْبَتَاهُ ، يَا قَلْبَاهُ ، يَا فُوَادَاهُ ، خَذَفَ الْهَاءَ لِلدَّرَجِ
قَالَ : وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ فُورَجَةَ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ فُورَجَةَ : قَلْبَا فُوَادَا يَدْعُوهَا لِأَنَّهُ يَتَشَكَّاهُمَا
شَكْوَى الْعَلِيلِ ، كَمَا قَالَ دَيْسَمُ بْنُ شَاذَلُوَيْهِ الْكُرْدِيُّ :

أَنِيفِي أُنَيْسِي ، وَشَجْوِي وَسَادِي ، وَعَيْنِي كَيْلٌ بِشَوْكَ الْقَتَادِ
إِذَا قِيلَ دَيْسَمٌ مَا تَشْتَكِي أَقُولُ بِشَجْوِ فُوَادِي فُوَادِي
فَهَذَا أَيْضًا يَقُولُ قَلْبِي فُوَادِي : أَيْ هُوَ الَّذِي أَتَشَكَّاهُ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنِّي إِذَا عَذَلْتُ
فِي حَبَا أَجِبْتُهُمْ بِأَنَّهُ ثُمَّ قَلْتُ قَلْبِي فُوَادِي يَا جَمَلٍ . يَرِيدُ أَيْ لَا أَلْتَفَتُ إِلَى الْعَذْلِ وَلَا أَزِيدُ
طَى الْأَنْبِيْنَ وَدَعَاءَ الْمَحْبُوبِ لِيَقِيْنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشَّرَاحِ : قَلْبًا فُوَادًا فِي حَمَلٍ
رَفَعَ عَلَى تَقْدِيرِ حَبِيْبِي قَلْبِي فُوَادِي : أَيْ هِيَ لِي بِمَنْزِلَةِ الْقَلْبِ ، وَدَلَّى هَذَا «جَمَلٌ»
اسْمٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْعَوَازِلِ : أَيْ أَقُولُ لَهَا هِيَ قَلْبِي فَلَا أَفَارِقُهَا وَلَا أَسْمَعُ عَذْلَكَ فِيهَا :
(١) الْمَسَامِعُ : جَمْعُ مَسْمَعٍ - كَمَنْبَرٍ - الْأُذُنُ . يَقُولُ - لِمَحْبُوبَتِهِ - : كَأَنَّكَ أَقَمْتَ رَقِيْبًا

(١) عَفَى بِالْجَذْبِ - هَهُنَا - الْأَصْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ تَحْتَكُ بِهِ الْإِبِلُ فَتَشْتَفِي بِهِ : أَيْ قَدْ
جَرَبْتَنِي الْأُمُورَ وَلِي رَأْيٌ وَعِلْمٌ يَشْتَفِي بِهِمَا كَمَا تَشْتَفِي هَذِهِ الْإِبِلُ الْجَرَبِيَّ بِهَذَا الْجَذْلِ ؛
وَصَغَرَ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ ؛ وَعَذِيقُ : تَصْغِيرُ الْعَذْقِ ، وَهُوَ النَّخْلَةُ ؛ وَالتَّرْجِيْبُ : إِرْفَادُ
النَّخْلَةِ مِنْ جَانِبٍ لِيَمْنَعَهَا مِنَ السَّقُوطِ : أَيْ أَنْ لِي عَشِيْرَةٌ تَعْضُدُنِي وَتَمْنَعُنِي وَتَرْفُدُنِي ؛
وَالْتَصْغِيرُ لِلتَّعْظِيمِ .

كَأَنَّ سَهَادَ الْأَنْثَلِ يَفْشِقُ مَقْلَتِي ، فَبَيِّنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَضَلُّ^(١)
أَحِبُّ الَّتِي لِي بَدْرٍ مِنْهَا مَشَابِهٌ ،
وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلٌ^(٢)

على مسامى يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس
ابن الأحنف :

أقامت على قلبي رقيباً وناظري فليس يؤدّي عن سواها إلى قلبي
وقول الآخر :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري ، وآخر يرعى ناظري ولساني
هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب : المنتظر ، رقبه رقبه رقبه ورقباناً - بالكسر فيهما -
ورقوبا ، وترقبه وارقبه : انتظره وورصدته ، ورقيب القداح : الأمين على الضرب ،
وقيل هو أمين أصحاب الليسر ، وهو أيضاً اسم السهم الثالث من قداح الليسر ؛ والرقيب
الذي في المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر ، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع
منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ،
وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال : -

أحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لِأَقِيَا بَنِيَّةً أَوْ يَلْقَى الثَّرِيّاً رَقِيبُهُمَا
(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل - بالكسر - يسهد سهدا وسهدا وسهدا :
لم ينم . ورجل سهد : قليل النوم ، قال أبو كبير الهدلي :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُوَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْسَ الْهُوَجَلُ^(١)
والضمير في «بينهما» : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عيني ،
أى لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقوله - أى التنبي - :

إِنِّي لِأُبْفِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ
يُجْعَلُ الطَيْفُ يَهْجُرُ عِنْدَ الْوَصَالِ ، كَمَا أَنَّ السَّهَادَ يَصِلُ عِنْدَ الْهَجْرَانِ .

(٢) المشابه : جمع الشبه - بفتحين - على غير قياس . ويصاب : يوجد . والشكل
للمشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص في هذا البيت من النسب إلى اللدج مفضلاً

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوَجَلُ : الرجل الأهوج ، والبطن :
الضامر البطن .

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعِ الدِّي؟ اللَّهُ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ (١)

الممدوح بالكمال على العشوق في الجمال ، فذكر أن في البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس ؛ ثم قال : وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(١) شجاع الذي : أراد شجاع الذي ، بالتنوين ، حذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذي» وذلك كثير في الشعر . وعبارة المكبري : شجاع بدل من ، «ابن» وحذف منه التنوين على مذهبه ، وبمثله كثير في الشعر القديم والحديث ، ومنه ما ذكر مسلم والبخاري وابن إسحاق في المغازي من قول عباس بن مرداس السلمي بالجعرانة للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهَبَ الْمُبِيدَيْنِ عَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهَا وَمَنْ تَخْفِضُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ (١)

فترك تنوين مرداس ، وهو اسم منصرف ، وبمثله :

عَمِرُوا الْعُلَا هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافَ (٢)
فهذا حجة الكوفيين في ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو المتحركة للضرورة في قول الشاعر - وهو بيت الكتاب - :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ (٣)

(١) النهب - ههنا - بمعنى المنهوب ، والعبيد - مصغر - اسم فرسه .
(٢) هو لابنه هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من رد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لآبن الزبير ، ومستنون ، أصابتهم سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والمعجاف : من العجف ، وهو الهزال وذهاب السمك .

(٣) هو للعجير السلولي ، وصف بعبيراً ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجاء يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ماولى العضد من الجنب . ويقال

إِلَى الثَّمَرِ الْحُلُوِّ الَّذِي طَيَّبَ لَهُ فُرُوعُهُ وَقَحَطَانَ بْنِ هُودٍ لَهُ أَصْلٌ (١)
إِلَى سَمِّهِ لَوْ بَشَرَ اللَّهُ أُمَّةً
بِنَسْرِ نَبِيِّ بَشَرْنَا بِهِ الرَّسُلَ (٢)

فجواز حذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير فينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل في الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ما هو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة الممدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل العرب . وجعل الممدوح كالثمر الحلو في جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ، ومن روى « لها » : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هي طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبياً ، فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا : وقال الجوهري : يقال بشرت الرجل أبشره بالضم بشرا وبشوراً من البشرى ، وكذلك الإبشار والتبشير ، والاسم البشارة - بكسر الباء وضمها - يقال بشرته بمولود فأبشر إشارة : أى سر ، وبشرت بكذا - بالكسر - أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس ابن خفاف البرجمي :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعَلَا غَبْرًا أَكْفَهُمْ بِقَاعٍ مِمَّحِل

فَأَعْنَهُمْ وَأَبْشَرِ بِمَا بَشَرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكِ فَانزِلْ

وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر

إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم ، وقد يكون هذا على حد قولهم : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أهد لتجافى عضديه عن كركرته وأبعد له من أن يصديه ناكث أو ماسح أو ضنب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضه كركرته - زور البعير - ومعنى يشري : يبيع ، وهو من الأضداد .

إلى القابض الأرواح والضيغم الذي
تحدث عن وفاته الخيل والرجل^(١)
إلى رب مال كلما شت شمله تجمع في شنتيه للعلا شمل^(٢)
هام إذا ما فارق الغمد سيفه وعأينته لم تدر أيهما الفصل^(٣)
رأيت ابن أم الموت لو أن بأسه
فشا بين أهل الأرض لأقطع النسل^(٤)
على سابع موج المنايا بنجره
غداة كان النبل في صدره وبل^(٥)

(١) الضيغم : الأسد . وسكن القاف - في وفاته - للضرورة . وقوله تحدث الخيل : يعني أصحابها ؛ أي الفرسان . والرجل : الرجلة وهم المشاة . وإلى القابض الأرواح : أي أشكو إلى قابض الأرواح . يريد لكثرة غزواته ووقائمه وقتله الأعداء . والأرواح تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالخفض على الإضافة ، مثل الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشمل : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع شمل معاليه ؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل المعالي

(٣) من خفض هام : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف ، والهام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يمضي في الأمور مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تدر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا وَهُنَّ سِوَاهُ وَالسِّيَوفُ الْقَوَاطِعُ

(٤) ابن أم الموت : يعني أخا الموت ، جملة أخا للموت لكثرة قتله أعداءه والبأس : الشدة . ووشا شاع . يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا وإذا ذلك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

(٥) السابح : الفرس الذي كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمى فرسه سابحا : استعار للمنايا موجاً ، ونسب « موج المنايا » على الظرفية : أي في موج المنايا و« بنجره » صلة سابع ، وهذا كقول مالك بن خالد الخناعي :

وَكَمْ عَيْنٍ قَرْنٍ حَدَقَتْ لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُقْفِضِ إِلَّا وَالسَّنَانُ لَهَا كُحْلٌ^(٢)

بِأَسْرَعِ الشَّدَمِ مِنْ يَوْمٍ لَانِيَّةٌ لَمَّا عَرَقْتَهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ^(١)

أراد بأسرع في الشد مني ، خذف ونصب ؛ ويروي موج المنايا - بالرفع - فيكون « موج » : مبتدأ ، خبره : بنحوه : أى أن موج المنايا صار عند نحره . وأضاف « غداة » إلى الجملة التي بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ؛ تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ؛ لا وقت بعينه ؛ كما يقال : أصبح وأمسى ؛ يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت المدوح على فرس يسبح في موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء في صدر فرسه كما يكثر الوبل ؛ وذلك لإقدامه وشجاعته ؛ فهو لا يبالي لذلك ويمضى قدما .

(١) القرن : الكفو في الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ؛ وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غروا ؛ فإذا وصلوا إلى العدو تداعوا : نزال فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل ؛ ومنه قول الحماسي :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها يسلم أو ظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل^(١)

(١) نية : لغة في نية ؛ واللهم : جمع لمة ؛ شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشد مني . يريد بأسرع شدا مني ؛ فزاد اللام ؛ كزيادتها في بنات الأوبرا .

(٢) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه في حين أنا راكب ؛ أما إذا جعلت نزال بمعنى النازلة - لا بمعنى النزول - كان المعنى : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؛ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؛ أى في حين عدم قتالي عليه ، والشعر لربيعة ابن مقروم الضبي . والأوظفة جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها والقوائم : الأرجل ؛ والهيكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطارددم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سلم الأوظفة من العيوب .

إِذَا قِيلَ رِقْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ^(١)
وَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ
عَنِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ^(٢)

ثم سمي القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين :
نمضت ، والسنان : طرف الرمح . يقول ، كم عين قرن حددت النظر نحوه قصداً لقتاله
فلم تطرف عينه إلا وهد أدخل فيها سنانه ، فجعله لعينه بمنزلة الكحل .
(١) يقول : إذا طلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقاً ، قال موضع
الحلم غير الحرب : يعني أن الرفق والحلم إنما يكونان في السلم ، أما الحرب فلا رفق
فيها ، والتحمل فيها جاهل - أحق - يضع الشيء في غير موضعه .
وهذا المعنى قد طرقة كثير من الشعراء ، ومنه قول الفerd الزماني :

* وبعض الحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلدَّلَّةِ إِذْعَانُ *

وقول سالم بن وابصة :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذِلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قَدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرْمِ
وقال الحريري :

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْوِطَانِ ذِلَّةً وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسْوَدُ صَاحِبُهُ
وقال الأعور الشني :

خَذِ الْقَفْوَاً وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنِّي أَرَى الْحِلْمَ مَالِمًا تَخْشَى مِنْقَصَةً غُنْمًا
والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(٢) ناء به الجمل : أنقله ؛ ويقال ناء بالجمل : إذا نهض به مثقلاً ؛ والمرأة تنوء بها
عجيزتها أي تثقلها ؛ وهي تنوء بعجيزتها : أي تنهض بها مثقلة . والجمل - بكسر
الحاء - ما حمل على ظهر أوراس ، وأما الحمل - بفتح الحاء - فهو ما يحمل في البطن
من الأولاد في جميع الحيوانات ؛ أما ما تحمله الشجرة من الثمر فمنهم من يفتحه تشبيهاً بحمل
البطن . ومنهم من يكسره يشبهه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل - بالفتح -
وكل منفصل حمل - بالكسر - يصف حمله بالرزانة يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل
حمله عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله ، ولما كان
الحلم بوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود - الجليل - ساغ في وصف حمل المدوح
هذا الكلام ، والمعنى أنه لو كان الحلم جسماً لكان من الثقل بهذه الصفة .

تَبَاعَدَتِ الْأَمَالَ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إِلَّا إِلَىٰ بَابِكَ الشُّبْلُ^(١)
وَنَادَىٰ النَّدَىٰ بِالنَّائِمِينَ عَنِ الشَّرَىٰ فَأَسْمَعَهُمْ هُبُوبًا فَقَدْ هَلَكَمُ الْبُخْلُ^(٢)
وَحَالَتْ عَطَابًا كَفَعَهُ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنجَازٌ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ^(٣)

(١) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعني أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله «وضاق بها الخ» أي لا سبيل لها إلا إلى بابك ويروى إلى بابه على الغائب .

(٢) الجود ، والسرى : السير ليلاً ، و«هبوا» وما بعدها إلى آخر البيت - حكاية - . يقول : إن شيوخ نداء يستحث القاعدين عنه على طلبه ، فكأنه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسرؤا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه ، فقد قالوا . إن الهباب النشاط ما كان ، قال لبيد :

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صِهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامًا^(١)
ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(٣) حالت اعترضت . يقول : إن عطايها لم تدع مجالاً للوعد لأنه يعطيها معجلة ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مظل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مظل ، كما قال أشجع السلمي :

يسبق الوعد بالنوال كما يسبق برق الفيث صوب الغمام

هذا : ويقال نجزت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازكها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته ينجزها - بالضم - نجراً : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرماً وعد . ومن أمثالهم إذا أردت المهاجرة فقبل المناجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال^(٢) وكل ذلك من نجز الشيء : فني وذهب فهو ناجز .

(١) الهباب : النشاط ، وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أي حمراء . وخف أسرع ؛ والجهايم ، السحاب الذي لا ماء فيه : أي لهذه الناقاة في مثل هذه الحال نشاط في السير ، فكأنها في سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التي هراقت مائها فانفردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تنجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا في ذلك

فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ (١)
وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ يَمَنَ وَجُوهَهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ (٢)
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ (٣)
كُنِيَ مُعْلًا فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٌ لِأَنَّ أَمْسِيَتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ (٤)

قال النابغة الذبياني :

وَكُنْتَ رَيْبِمَا لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةٌ فَمُلِكَ أَبِي قَابُوسٍ أَضْحَى وَقَدْ نَجَزَ (١)

(١) يقول : إن عطايها لا يقدر أحد على تحديدها : أى أن يجعل لها حداً تنتهى إليه ، كما لا يقدر أحد على رد ما فات ، بل رد الفائت أقرب من تحديدها ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان .

(٢) ما تنقم : ما تعيب ، والاستفهام : معناه الإنكار ، ويجوز أن يكون نفيًا وإخبارًا . والضمير في وجوهها : للأيام ؛ وفي أخمصه : للمدوح ؛ والأخص : باطن : القدم ، ووجوهها : مبتدأ ؛ ونعل : خبر ؛ ولأخصه : متعلق بنعل . يقول : إنه غلب الأيام بعزه ، وذلك له الأيام ذل من يطؤه بأخصه حتى يصير تحت رجله كأنه في الذل فالأيام لا تقدر أن تخالفه . أو تعيب فعله .

(٣) عزه : غلبه وأعجزه . وقوله « وإن عز » أى قل وجوده . يقول : انه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظيره له فإنه يعجز عنه لعدم نظيره ، وهذا كما يقول البحترى :

كُلُّ الَّذِي تَبَيَّنَ الرَّجَالُ تَصْيِبُهُ حَتَّى تَبَيَّنَ أَنْ يُرَى شَرَوَاهُ
« شرواه : أى مثله » ويقول أيضاً :

وَلَيْتَنِّي طَلَبْتُ شَيْبَةً إِنِّي إِذَا لِمَسْكَفٍ طَلَبِ الْحَالِ رِكَابِي

(٤) نعل : بطن من طيء ، وهم رهط المدوح ، وهو مفعول كفى ، وغفرا تمييز ، وأنتك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها في قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » . يقول كفاهم غفرا أنتك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن النذر . يقول ؛ كنت لليتامى في إحسانك إليهم بجزلة الربيع الذى به عيش الناس ، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك ونجرتنى فنى وهذب ، أى انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت

وَوَيْلٌ لِّلنَّفْسِ حَاطَتْ مِئْكَةَ غِرَّةٍ ۖ وَطُوبَىٰ لِّعَيْنِ سَاعَةٍ مِّنْكَ لَا تَخْلُوُ^(١)
فَمَا بَقِيَ بِشَامٍ بَرَقَتْ فَاقَةٌ ۖ وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا تَحْمِلُ^(٢)

وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعنى وليفخر دهر قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تجعل دهر مبتدأ محذوف الخبر : أى وكذلك دهر . ويجوز رفع دهر عطفا على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع خبرها بمعنى السكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذى هو كأنن تقدره كفى ثملا غمراً كونك منهم ودهر مستحق لان أمسبت من أهله : أى وكلتام غمراً دهر أنت فيه أى أنهم غمروا بكونك منهم وغمروا بزمانك لنضارة أيامه ، كما يقول أبو تمام :

* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حَسَنِهَا جَمَعُ *

وروى ابن فورجه ودهرا عطف على ثملا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالعنى : كفى ثملا غمراً على سائر العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه غمراً على سائر الأئمة كونك من أهله .

(١) حاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أى غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إصارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى لعنان أى العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى : اسم الجنة بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهرى : « ويل » كة عذاب ، وويج : كة رحمة ، وقيل هما بمعنى واحد ، وهما مرفوعان بالابتداء : يقال ويل لزيد وويج لزيد ، ولك أن تقول ويل لزيد وويج لزيد ، فتنصبهما بإضمار فعل ؛ وكأنك قلت ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك . ولك أن تقول ويحك وويج زيد . وويلك وويل زيد . - بالإضافة - فتنصبهما أيضاً بإضمار فعل ، وعبارة الزجاج : الويل كة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة . قلل : وأصل الويل فى اللغة العذاب والهلاك ؛ والويل : الهلاك يدعى به لمن وقع فى هلكة يستحقها . ومنه : « ويل للمطففين » فإن وقع فى هلكة لم يستحقها . قلت : ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم . ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويح ابن صمية تقتله الفئة الباغية »

(٢) شام ابرق : نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إبطاره ، والفاقة : الحاجة . والصيب : المطر الشديد . والحل : الجذب . يقول : لافاقة بفقير يرجى عطاءك لأنك تحقق مرجوه ، ولا جذب حيث كنت لأن جودك خصيب حيث كان ، وشام برقك : مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب .

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي :
صِلَّةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ

نُكْسَانِي فِي السَّقْمِ نُكْسَ الْهَيْلَالِ (١)
فَنَدَا الْجَنَسُ نَاقِصًا ، وَالَّذِي يَنْقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي (٢)
فِي عَلَى الدَّمَمَتَيْنِ بِالذَّوِّ مِنْ رِيَا كَخَالِي فِي وَجَنَةِ جَنْبِ خَالِي (٣)
بَطُولِ كَأَنَّ فِي عِرَاصِ كَأَنَّ لِيَا لِي (٤)
وَنُؤَى كَأَنَّ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقِ خِدَالِ (٥)

(١) نكس المريض نكسا ونكسا ونكاسا : هاوته العلة بعد النقص والبرء : قال
أمية بن أبي عائذ الهذلي :

خَيْالٌ لَزِينِبٍ قَدْ هَاجَ لِي نُكْسًا مِنَ الْحَبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد أعاداني إلى السقم بعد الصحة
كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه .

(٢) البلبال : الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان
الجسم تكون زيادة الحزن : أي كلما نقص من جسمه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص
(٣) الدمنة : ما أسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أي من
دمن ريا ، «من» يائية ، كقول زهير :

• أَيْنَ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ •

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والحال : شامة ، أي بثرة سوداء
ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون في الخد . شبه دمنتها في الصحراء بمخالين في خد
يقول : قف بدمنتي هذه المحبوبة لتنظرها وتذكر من كان فيهما من أهلها ، فقد
بقيتا كأنهما خالان في خد .

(٤) الطلول : ما بقي من آثار الديار وبطول : متعلق بقف . والعراص : جمع
عرصة ، ساحة الدار . يقول . قف بطول لأثبات في العراص كما تلوح النجوم في الليالي .
يعني أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح في عراص خالية كما تلوح
النجوم في الليالي المظلمة .

(٥) النؤى : جمع نؤى ، وهو ما يحفر حول الحباء يقيه ماء المطر أن يدخله

لَا تَلْنِي فَإِنِّي أُعْشِقُ الْمُسَاقِ فِيهَا يَا أَعْدَلَ الْمُدَالِ (١)
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَةِ الذَّوَا قِ حَرِّ الْفَلَا ، وَبَرَدِ الظَّلَالِ (٢)
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرَّوْعِ مِنْ مَلِكِ الْمَوْتِ
تِ ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةِ مِنْ خَيْالِ (٣)
وَلِحْتَفِ فِي الْعَزِّ يَدْنُو مُحِبًّا ، وَلِعُمُرٍ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِي (٤)

كالخندق . والخدام : جمع خدمة - بفتحين - الخللخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛
والسوق : جمع ساق ، والخدام : الغلاظ السمان . شبه النوى حول آثار الاخبية في
استدارتها بالخلاخيل حول الأسواق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخللخال
فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النوى لم
تدفن في التراب ، وأن ما أحدثت به ملاءها كما تملأ الساق الغليظة الخللخال ، وهذا
من قول أبي تمام :

أَنَافِ كَالْخُدُودِ لُطْمِنَ حُزْنًا ، وَنَوَى مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارِ
فَنَقَلَ اللَّفْظَ مِنَ السَّوَارِ إِلَى الْخُدَامِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

نَوَى كَمَا نَقَصَ الْهَلَالَ بِحَاقِهِ أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السَّوَارَ الْمَعْصَمُ

(١) فيها ، في المحبوبة ، أي في هواها : متعلق بتلني : أي لا تلني في هواها فإنني
أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال .

(٢) النوى : البعد والفراق وعنى بالحية نفسه ، والحية تطلق على الذكر والأنثى . يريد :
أنه قد تمس بحر الفلوات في النهار ويبرد الليل ، والليل ظل كله ، يعني أنه تعود السير في
الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدي : وهذا شكاية من الفراق وأنه
مبتلى به .

(٣) أمضى : أتخذ . والروع . الفزع والهول وأسرى من السرى ، وهو السير ليلا ،
شبهه نفسه بملك الموت لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ،
والخيال يوسف بالسرى ولا يكثر بعد المسافات .

(٤) الحنف : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة
الحبيب ، ومحب : عطف على أمضى - في البيت السابق - والقالي : الميغص يقول إنه
محب للحنف القريب إذا كان في العز ، وميغص للعمر في الذل وإن طال ذلك العم ،
يعني أن الموت في العز أحب إليه من الحياة في الذل .

نَحْنُ رَكْبٌ مَلْجِنٌ فِي زَيْ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصِ الْجَمَالِ (١)
 مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيدِ تَمْشِي بِنَا فِي السَّبِيدِ مَشَى الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ (٢)
 كُلُّهُ هُوَ جَاءَ لِلدِّيَامِيمِ فِيهَا أَثْرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذَّبَالِ (٣)
 عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضَّرِّ غَامَّةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)
 مَنْ يَرْزُهُ يَرْزُهُ سُلَيْمَانَ فِي الْمُلْكِ جَلَالاً وَيُوسُفَا فِي الْجَمَالِ
 وَرَبِيعَا يُضَاحِكُ الْفَتِيثُ فِيهِ
 زَهَرَ الشُّكْرُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي (٥)

(١) الركب : جمع الركاب . وقوله ملجن : أراد من الجن ، غذف التون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعبر في « بنى العنبر » وبلقين في بنى القين والزي : الهبئة . يقول : إنهم كالجن في إلفه الجاهل والفلوات وركائبهم كالطير في سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبي تمام :

فِي ثُبَّةٍ إِنْ سَرَوْا فَجَنُّهُ أَوْ يَمْمُوا شُقَّةَ فَطِيرِ

« الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد »

(٢) الجديد : فحل كرم كانت العرب تنسب إليه الإبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التي هي كالطير في السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للأجال حتى تفننها . وهذا من قول صريع النوني :

مُوفٍ عَلَى مَهْجِجِ الْيَوْمِ ذُو رَهْجِجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلِ

(٣) الهوجاء : الناقة التي لاتستوي في سيرها لنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء والدياميم :

جمع ديمومة ، وهي المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الفلوات تأثير النار في دهن الفتيلة ، ولعني قد أفتناها السير كما تفتى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألبتها بالظماً والحرف فأثرت فيها أثر النار في دهن الفتيلة .

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه الممدوح بالبدر في الحسن والشرف والعلو ، وبالبحر في الجرد والكرم . وبالأسد في البأس والشجاعة ، ثم قال نه ! مفضل أي كثير الفضل .

(٥) وريعا ؛ عطف على مفعول يزر - في البيت السابق - جعل الممدوح ربيعا -

نَفَحْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ رَدَّ رُوحًا فِي مَيِّتِ الْأَمَالِ (١)
هَمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفَعُ الْمَوَالِي وَبَوَارُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَمْوَالِ (٢)
أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّمَنُ
نُ عَنَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرَّبِّبَالِ (٣)

وهو الزمن المعروف ويطلق على الحصب ، وجعل عطاءه غيثا - مطرا - لذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ، وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه وحبه للعبود ما أتى عليه الشاكرون يقول : إن جوده يطر على السائلين فتبتسم له ثغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر .
(١) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الريح : هبوبها في البرد ؛ واللفح : هبوبها في الحر . ونفح المسك ينفع : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وقوله منه : أى من الربيع المذكور . لما شبه المدوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذى يهب فى الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحييت مامات من آمالنا .

(٢) الموالى : جمع مولى . وهو الحليف والصدق ، والبوار : الهلاك
(٣) عنده أى فى رأيه واعتقاده ، والرئبال : الأسد . يقول : هو يرى أن أكبر العيوب : البخل ، ومن ثم يتجنبه ويتحاماها ، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما ، وقال العكبرى - تفسيراً لصدر البيت - أكبر عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل . هذا : والرئبال مهنوز - وقد سمع مخففاً ؛ والجمع : الرأيل والريابل - على الهمز وتركه - قال بعضهم : يجوز فيه ترك الهمز ، وأنشد لجرير :

رِيَابِيلُ الْبِلَادِ يَخْفَنُ مِنِّي وَحِيَّةُ أُرَيْحَاءَ لِي اسْتِجَابَا (١)

ومثله لأبى حية النخري .

ويلقى كما كنا يداً فى قتالنا رِيَابِيلَ مَا فِينَا كَهَامٍ وَلَا نِكْسُ

ويقال فلان يترأبل : أى يغير على الناس ويفعل فعل الأسد .

(١) أُرَيْحَاءُ ؛ بيت المقدس .

وَالْجَرَاحَاتُ عِنْدَهُ نِعْمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ (١)
ذَا السَّرَّاجُ الْمُنِيرُ هَذَا النَّقِيُّ السَّجِيبُ هَذَا بَقِيَّةُ الْأَبْدَالِ (٢)

(١) النعمات : جمع نعمة ، وهي هنا الصوت ؛ والسبب : العطاء : يقول : عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نعمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أتى يطلبه ؛ يعني أنه يشق عليه نعمة السائل قبل الإعطاء ؛ ويحكي أن الحسن بن علي عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسه ، فالتفت وإذا أعرابي قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لفلانم : ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها فأخذها الأعرابي وقال له : يا ابن بنت رسول الله ! والله ما أتيتك إلا قاصدا ، فإذا أعلمك بحالي ؟ فقال له : إنا أناس نعطي قبل السؤال شحا على مارجاه السائل لنا ، ثم أنشد :

نحن أناس جنابنا خضيل يسرع فيه الرجاء والأمل
نبدل قبل السؤال نائلنا شحا على مارجاه من يسأل

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبي حفصة يرثى معن بن زائدة :

ثوى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض راحته السؤالا

وقال الخطيب التبريزي : يلتذ بنعمات السائل كما يلتذ الجراح (١) وقد روى اليازجي هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ

وشرحه هكذا : يجوز في « نعمات » كسر العين على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم ، فتكون جمع الجمع ؛ وسؤال : متعلقة بسبقت . يريد : أن عادته سبق عطاءه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ؛ كان ذلك مؤلما له كالجراحة عند المجروح

(٢) جعله سراجا منيرا لأنه برأيه يهتدى في مشكلات الخطوب ودجنات الأمور . أو علمه يهتدى إلى ما أشكل من السائل ، والجيب : ما انفتح من القميص على النحر ، والنقي الجيب : عبارة عن الطاهر من العيب ؛ أى أن ثوبه لا يشتمل على دنس

(١) لعل الإمام التبريزي يريد كما يلتذ بالجراحات التي تصيبه في الوغى : أى أنه كريم شجاع .

فَخُذَا مَاءَ رَجُلِهِ وَأَنْضَعَا فِي الْمُدْنِ تَأْمِنَ بَوَائِقَ الزَّلْزَالِ (١)
وَأَمْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا نِكَمَا تُشْفِيَا مِنَ الْإِعْلَالِ (٢)
مَالثًا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقِ وَالْفَرْ

بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرَّجَالِ (٣)

قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشَّمَالِ (٤)

نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْرُ ، وَأَخْلَاطُهُ الظُّبَى وَالْعَوَالِي (٥)

وَلَهُ فِي جَمَاجِمِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقَعَهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَبْطَالِ (٦)

والأبدال : العباد الزهاد ، سمو بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء في إجابة دعواتهم
ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(١) النضج : الرش . والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية . والزلزال - بفتح الزاى -
الاسم ، وبكسرهما : المصدر . يقول - مخاطباً صاحبيه - : رشا الماء الذى يسيل من
رجله إذا توضع على المدائن تصير آمنة من الزلزال بركة صلاحه .

(٢) البقير : قميص يشق بلا كمين ، وهو بيان للثوب . والإعلال : مصدر أعله
الله إذا أصابه بعله ، وهى المرض . يقول : واستشفيا بثوبه تبركاً به حتى تشفيا مما يكما
من الإعلال

(٣) مالثاً : حال مضمرة العامل ، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ
الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

(٤) يقول : إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها .

(٥) الظبي : جمع ظبية . حد السيف . والعوالى : الرماح . يقول : نفسه لشجاعته
وقوته تقوم مقام الجيش ، وتدييره بإصابته فى الرأى يكفل له النصر ، وهيبته إذا نظر
تقوم مقام السيوف والرماح .

(٦) قال الواحدى : يعنى أنه يفرق ماله بالمعطاء فإذا فى المال أنى أعداءه فضرب
جماجهم وأغار على أموالهم ، كما يقال هو مفيد ومتلاف ، فوقع ضربه فى رهوس أمواله
يكون فى الحقيقة فى رهوس الأبطال ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة
أموالهم ، وهذا كقولہ :

فالسلمُ يكسرُ من جناحى ماله بنوَالِهِ مَا تَجْبِرُ الهَيْجَاءُ

فَهُوَا لِاتَّقَانِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْمٍ مَرَّ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالٍ (١)
 رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ دِوَاتِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالٍ (٢)
 قَبِيحَاتُ طِينِهِ لَاقَتِ الْمَاءَ ، فَصَارَتْ عَذُوبَةً فِي الرِّزَالِ (٣)
 وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتِ النَّاسَ مِنْ فَصَارَتْ رَكَائِنًا فِي الْجِبَالِ (٤)
 لَسْتُ بِمَنْ يَمْرُؤُهُ حُبُّكَ السَّلْمَ وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ (٥)
 ذَاكَ شَيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيكَ ذَلِيلًا بَوَقْلَهُ الْأَشْكَالِ (٦)
 وَاغْتِفَارًا لَوْ غَيْرَ الشَّخْطُ مِنْهُ جُمِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالِ النِّعَالِ (٧)

(١) يقول : هم أبدأ يخافونه حتى كأنهم في يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جني : أي فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضاهه فيهم ، وإن لم يباشروهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذي يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقائه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) للماء الزلال : البارد السائح . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقي طينته التي خلق منها اجتمع مع الماء فصارت عذبا .

(٤) عاف الشيء : كرهه ، والركاينة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقي مما أعطى من اللحم والرزانة كرهه وأنف أن يحل في الناس حل في الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركائنها .

(٥) يفره : يخذعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأي ؛ والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتمة المعنى في البيت التالي .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشانئ : هو الشانئ - بالهمز - أي البغض ؛ وذليلا : حال ، وللأشكال : الأشباه والأمثال . يقول : لا يفرني ما أراه من محبتك السلم وأنك لا ترى حضور القتال ، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أ كفاء لك يستحقون أن تنازلهم في حرب :

(٧) واغتفار : عطف على فاعل كفاكه ، و«من» في منه زائدة : أي لو غيره السخه والهام : الرءوس ، والسكناية في هامهم تعود إلى الأعداء ، دل عليه قوله عيش شانئك

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَعْرَاءَ ، وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِي جِلَالٍ (١)
وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَالَّتِي لَوْنُهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ (٢)
أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِيعِ الشَّمِّ وَطَوْرًا أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ (٣)

يقول : وكفناك القتال عموك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لهدت
ردوسهم بهوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالمها . وقال ابن جنى : لو احفظوك
وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم ، ولقد أحسن في كنياته عن الحليظة بقوله :
لوغير السخط منه ، ومثله :

ولو ضَرَّ خَلْقًا قَبْلَهُ مَا يَسْرُهُ لَأَثَرَ فِيهِ بِأَسْهُ وَالتَّكْرَهُمْ
كفى عن الضرر باثر فيه .

(١) لبياد : متعلق بمحذوف حال من نعال - في البيت السابق - فيه تضمين ، وقد
عابه عليه قوم . والأعراء : جمع عرى ، وهو الذى لا سرج عليه . يقال فرس عرى
وأفراس أعراء ، والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة . يقول : إنها تدخل الحرب
أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذى جف عليها ، كما قال جرير :
وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرًا
(٢) استعار . معطوف على جواب « لو » ، والمراد بالحديد : السيوف . والنواب
جمع ذؤابة ، الحصلة من الشعر . يقول : إن سيوفه تستعير وتعير فإن لون النواب - وهو السواد
ينتقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ، ولونها - وهو البياض - ينتقل
إلى النواب فإنها بالروع تشيب الأطفال .

(٣) الطور : التارة ، ونصب على الظرفية ؛ والنابع من السم : الثابت في بدن شارب
لا يزاله حتى يقتله ؛ والسلسال : الساء العذب الذى يتسلسل في الحلق يقول : أنت سم
لأعدائك حلو لا وليائك ، وهذا المعنى طرقة كثير من الشعراء ، قال أبو دؤاد :

فَهُمْ لِلْمَلَأَيْنِينَ أَنَاءَ وَعُرَامٍ إِذَا يُرَامُ الْعُرَامُ
وقال أبو نواس :

حَدَّرَ امْرِيءٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا وَنَقَلَهُ أَبُو الشَّيْخِ إِلَى السِّيفِ قَالَ :

وَكَالسِّيفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنَتَهُ خَشِنَانُ

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي^(١)

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجي يوماً فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك، فطردنا به ظلياً، ولم يكن لنا صقر. فاستحسننا صيده، فقال: أنا قليل الرغبة في مثل هذا، فقال أبو على: إنما اشتيت أن تراه فنستحسنه، فنقول فيه شيئاً من الشعر، قال: أنا أفضل، أفتحب أن يكون الآن، قال: أيمكن مثل هذا؟ قال: نعم. وقد حكمتك في الوزن والقافية؛ قال: لا، بل الأمر فيهما إليك، فأخذ أبو الطيب درجاً، وأخذ أبو على درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال:

وَمَنْزِلَ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ وَلَا لِفَيْرِ الْفَادِيَاتِ الْهَطَلِ^(٢)
نَدَى الْخُرَامِيِّ ذَفِيرِ الْقَرْنَفَلِ مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشٍ لَمْ يَحُلِّ^(٣)

- (١) يقول: أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس.
(٢) ومنزل: أي ورب منزل. والفاديات: السحاب المنتشرة مباحاً؛ والهطل: جمع هاطلة وهي السكينة الماء. يقول: رب منزل زلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لانا نرتمل عنه وليس بمنزل لشيء غير السحاب الباكرة الماطرة، يعني روضاً نزلوه. وقد أسلفنا القول على واو «رب» في هذا الشرح
(٣) الندى: الرطب؛ والخزامى والقرنفل: نباتان طيبان. والأذفر: الذكي الرائحة. والمحلل: الذي يحل كثيراً. وقوله ملوحش: أي من الوحش، فحذف النون لسكونها وسكون اللام. يقول: يحمله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنسان. قال الجوهري: مكان محلل: إذا أكثر الناس به الحلول، قال امرؤ القيس:

كِبْرُ الْمَقَانَةِ الْبِيَاضِ بِصَفْرَةٍ غَدَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَلَلِ^(١)

- (١) أراد بقوله «بكر المقناة» درة غير مثقوبة أو لم ير مثلها، ثم قال غذا هذه الدرة

عَنْ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُفْزَلٍ مُحَيِّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْثَلِ (١)
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنِ لُبْسِ الْحَلِيِّ وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّفْضَلِ (٢)
كَأَنَّهُ مُضَمَّ نَخٍ بِصَنْدَلٍ مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيْلِ (٣)

(١) عن : ظهر؛ والمراعي . الذي يعرى مع غيره . يقال : راعت الظبية أختها: أى راعت معها ، والمفزل : الظبية لها ولد والحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله: أى أهلكه والموئل : اللجأ . يقول : ظهر لنا في هذا الموضع ظبي يعرى مع ظبية مفزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حينها ذهب :

(٢) الجيد : العنق ، والحلي بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقفائية . جمع حلي بفتح فسكون مائتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يتنذل في المنزل ، ومنه قول امرئ القيس :

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمَسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنِ تَفْضَلِ (١)
وفي حديث امرأة أبي حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبي حذيفة يرانى فضلا - أى متبذلة في ثياب مهنتي - وليس لنا إلا بيت واحد ، فمات أمرنى في شأنه ؟ فقال أرضعني خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبي حسن جيده عن أن يلبس حليا يزين بها وقد تعود العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(٣) ضمخه بالطيب طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لون الطباء ، ومعترضا : حال مضمرة العامل ، أى أسفه بما ذكر في حال كونه معترضا ، والأيل: الذكر من الأوعال ، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل ، والجمع أياييل ، وربما قالوا في إيل «إجل» يدلون الياء جيبا ، قال أبو النجم :

ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيسكدره ذلك ، والملة اناة الخلط ، وكل شيء خالط شيئا فقد قاناه ، وروى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . في البيت آراء كثيرة في معناه (انظر الزوزنى واللسان مادة قى)
(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعده لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة ، تخدم ولا تخدم .

يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأْمَلِ فَحَلَّ كَلَابِي وَثَاقَ الْأَحْبَلِ (١)
عَنْ أَشْدَقِ مُسَوِّجٍ مُسَلْسَلِ أَقْبَ سَاطِ شَرِسٍ شَمْرَدَلِ (٢)
مِنْهَا إِذَا يُشْغَ لَهُ لَا يَفْزَلُ مُوجِدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصَلِ (٣)

كَأَن فِي أَذْنَاهِمَنِ الشُّوَلُ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونِ الْأَجَلِ (١)
قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الياء المشددة جيا . ويروي قرون الإيل ، شبه المتنبى لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .
(١) الكلاب الذى يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل : جمع حبل . يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله ، فيحل الكلاب ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

(٢) عن أشدق : متعلق بـ «حل» ، أى حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق : الواسع الشدق . والمسوجر الذى فى رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التى فيها مسامير والمسلسل : الذى فى عنقه سلسلة . والأقب : الضامر ؛ والساطى : الذى يسطو على الصيد أى يصول ، عليه ، وقال ابن جنى : هو البعيد الأخذ فى الأرض ، والشريس : السبيء الحلق . والشمردل : القوى السريع الفتح الحسن الحلق ؛ يقول : إنه حل الأحبل عن كلب بهذه الأوصاف .

(٣) الضمير فى « منها » للكلاب المفهومة من قوله كلابى : أى صاحب كلابى ؛ وقوله إذا يشغ من الثغاء ؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يفزل : أى لا يفتر عن الطلب . وذلك أن الكلب إذا دنا من الطيب وكاد يأخذه : ثغا فى وجهه ففزله الكلب - أى تحير - ووقف مكانه من صوت الغزال ، وجزم الفعلين - يشغ ويفزل - بإذاعلى تضمينها معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب ، لا يفرق من صوت الغزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالموجد : الموثق القوى ؛ والفقرة : - بكسر الفاء وفتحها - ومثلها الفقارة - بالفتح : واحدة فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لبن الكاهل إلى العصب ، والجمع فقر وقفار ، وقيل فى الجمع : فقرات وفقرات وفقرات . يعنى أنه قوى الظهر لين المفاصل وذلك أسرع لأخذه .

(١) العبسى : - ما يبس على هلب الذنب من البول والبربر

لَهُ إِذَا أُدْبِرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ كَأَنَّهَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنْجَلٍ (١)
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدُوَّ السَّهْلِ إِذَا تَلَا جَاءَ اللَّدَى وَقَدْ تَلِي (٢)
يُقْبِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجَدَلِ (٣)
فَقَتْلَ الْأَيْدَى رَبِذَاتِ الْأَرْجُلِ آثَارَهَا أَمْنَالُهَا فِي الْجُنْدَلِ (٤)
يَكَادُ فِي الْوَثْبِ مِنَ التَّقْتَلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكُلْكُلِ (٥)

(١) السجنجل : المرأة . يقول : إنه يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه وذلك لسرعة التفاته وشدة تيقظه ، وقد شبه صفاء حدقته بالمرأة ويروى في سجنجل . أى كأن أمامه امرأة ينظر فيها فتريه ما خلفه أمامه .

(٢) يعدو : يجرى ، وأحزن : سلك في الحزن : أى الوعر : وأسهل : سلك في السهل ؛ وتلا : تبع ؛ واللدى : الغاية . يقول : إنه يعدو في الحزن من الأرض عدو الذى هو في السهل لقوة قوائمه ، وإذا تبع سائر الكلاب في طلب صيد بلغ الغاية التى يريد بها ، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوا بعد أن كان تالياً .

(٣) الإقواء . أن يجلس الكلب على إتيته ، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفأ بها - أقمى على أسته ونصب ركبته لتصل الحرارة إلى بطنه و صدره وجلس مفعول مطلق معنوى ، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل : أى بأربع قوائم ؛ والحرف : متعلق بـ «يقبى» ، والمجدولة : المفتولة ، يريد بقوائم محكمة الخلق لم يبدلها أحد ، وإنما هى كذلك خلقة .

(٤) قتل الأيادى : صفة لأربع ، يقال بدفتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسه عند العدو ، وذكر يديه بلفظ الجمع ، وكذلك الأرجل ، والعرب تفعل مثل ذلك فى التثنية . هذا : الأيادى أكثر ما تستعملها العرب فى النجم يقولون لفلان عندى يدواياد والربذات الحفصات السريعات . والجنبدل الصخر . يقول : إن قوائمه مفتولة سريعة فى العدو وشديدة الوطء لقوتها ، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثارا مثل صورتها . هذا : وقد قالوا : إن الكلب لا يوصف بشغل الوطء ، وإنما جاء هذا فى الخيل والإبل ، فنقله المتن إلى الكلب .

(٥) التقتل : كالانقتال ، والمتن : جانب الظهر عند الصاب ، والكلكل : الصدر . يقول : لسرعة ولين أعطافه إذا انقتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره فى آن واحد .

وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ شَبِيهُ وَسَمِيَّ الْحَضَارِ بِالْأَلِي (١)
كَأَنَّهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَرَوْلٍ مُوْتَقٌّ عَلَى رِمَاحِ ذُبُلٍ (٢)
ذِي ذَنْبٍ أَجْرَدٍ غَيْرِ أَعْزَلٍ يَخْطُ فِي الْأَرْضِ حِسَابَ الْجُمَّلِ (٣)
كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَفْزَلٍ
لَوْ كَانَ يُبْلِي السَّوْطَ تَحْرِيكُ بَلِي (٤)

(١) الوسمى : أول المطر ، والولى : ما يليه . والحضار : العدو الشديد ، مصدر حاضره إذا جراه في الحضر وهو العدو ، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه مبتدأ مؤخر ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه ، كفى بما بينهما عن جسمه ، وشبه تتابع حركته في الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عدوه الثاني في القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعني أنه لا يعيا ولا يفتر .

(٢) المضبر : المشدود المحكم الحلق ومثله الموثق ، والجرول الحجر ومنه سمى الحطيئة جرولا كما سماوا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعن بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٣) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذي لا يكون ذنبه على استواء مع قفاره ، وذلك عيب في الكلاب والخيول ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لنته ، ثم قال : إن آثار ذنبه في الأرض كأنها الكاتب إذا كتب حساب الجمل وحساب الجمل معروف . قال السكري : لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والثمين والألوف وهو خط قبلي ؛ وذى ذنب : بدل من قوله أشدق .

(٤) يقول : كأن ذنبه منفضل عن جسمه لكثرة تلويحه وحركته ، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه ، كما أن السوط يكسر تحريكه ولا يبله هذا التحريك ؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه - الكلب - من سرعته وحده يكاد يترك جسمه ويتميز عنه ، قال : وقد لاذ في هذا بقول ذى الرمة إلا أنه تجاوزه :

لا يذخران من الأيغالِ باقيةً حتى تسكاد تفرغى عنهما الأهبُ
وبقول أبي نؤاس :

ترأه في الحضر إذا هامي به يكاد أن يخرج من إهابه (١)

(١) هامي به : زجره والضمير : للكلاب ؛ والإهاب : الجلد .

نَيْلُ الْمَنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الرِّسْلِ وَعُقْلَةُ الظُّبْيِ وَحَتْفُ التَّنْفَلِ (١)
فَأَنْبَرِيَا فُذَيْنِ تَحْتَ الْقَسْطَلِ قَدْ ضَمِنَ الْآخِرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ (٢)
فِي هَبْوَةِ كَلَاهِمَا لَمْ يَذْهَبِ لَا يَأْتَلِي فِي تَرَكَ أَنْ لَا يَأْتَلِي (٣)

فهذان ذكر الإهاب - الجلد - وهو ذكر جميع الجسد ، قال ابن جنى وقوله لو كان يبلى الخ : أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل ، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك .

(١) نيل المنى أى به نيل المنى ، أو هو نيل المنى : أى به ينال الصائد مناه ، والذى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه والعقلة ما يعقل به الشيء من قيد ونحوه ؛ والحنف الهلاك ؛ والتنفل : ولد الثعلب . يقول : إنه يدرك الظبي فيمنعه عن الإفلات ؛ وهو من قول امرئ القيس :

* بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ *

ثم قال : ويدرك ولد الثعلب فيهلكه .

(٢) فأنبريا : أى الكلب والظبي : أى اعترضنا للناظرين فى عدوهما فذين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبي ظبي آخر وعنى بالقسطل : الغبار الذى ثار من عدوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبي ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضمنا الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمنا منه .

(٣) الهبوة : العبرة . ويقال ما ألوت فى كذا وما ائلت وما آلت : أى ما قصرت والذهول : الغفلة عن الشيء ، و « لا » فى « أن لا يأتلى » زائدة ، وهى تزداد فى مواضع كثيرة للعلم بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : * فى بئر لا حور سرى وماشمر (٤) *

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها :

قد جبر الدين الأله فجبّر وعور الرحمن من ولى العور

إلى أن قال :

مُتَّحِمًا عَلَى الْمَكَانِ الْأَفْوَلِ
 بِمَحَالٍ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجُدُولِ^(١)
 حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ أَفْعَلِ إِفْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَأَن لَمْ يَنْصُلْ^(٢)
 لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّيْقَلِ مَرَكَبَاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ^(٣)
 كَأَنَّهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمَالِ كَأَنَّهَا مِنْ ثِقَلٍ فِي يَدْبُلِ^(٤)

أى فى بئر حور؛ و « لا » زائدة « والخور المهلكة » يقول : كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبي مجد فى الحرب ، والكلب مجد فى الطلب ولا يقصر الكلب فى ترك التقصير ، وإذا لم يقصر فى ترك التقصير فقد جد .

(١) مقتحما : حال من ضمير يأتلى ؛ والافتحام : الدخول فى الأمر الشديد؛ والجدول النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالي بما يستقبله من هول . فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولا ، فوثب إلى الشط الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول .

(٢) افتتر : كشر : والمذروبة : الأنياب المحددة والأنصل : جمع نصل . يقول : حتى إذا دنا الكلب من الصيد ، وقيل له - بلسان الحال - أدركت فأفعل ما تريد ففعله من القبض عليه : كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .

(٣) لما شبه أنيابه بالنصال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة إذ هى محددة مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه^(١) فإنه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .

(٤) يدبيل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ربيع الشمال من خفة

واختار فى الدين الحرورى البطر فى بئر لاحور سرى وما شعر

بإفكه حتى رأى الصبح جشرا

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاء الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الخارجى . وقوله بإفكه : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك : الكذب ؛ وجشرا الصبح : انطلق وأضاء .

(١) الحطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهَا مِنْ سَعَةٍ فِي هَوَجَلٍ كَأَنَّهُ مِنْ عَلَيْهِ بِالْمَقْتَلِ (١)
عَلَّمَ بُقْرَاطَ فِصَادَ الْأَكْحَلِ (٢)
فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجَبُّدِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ (٣)
فَلَمْ يَضِرْنَا مَعَهُ فَقَدُ الْأَجْدَلِ إِذَا بَقِيَتْ سَالِمًا أَبَا عَلِيٍّ (٤)
فَأَمْلِكُ لِلَّهِ التَّعْزِيزَ ثُمَّ لِي (٥)

* * *

الكلب وسرعته في العدو، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة في جبل . جعل الكلب في خفة العدو كالرياح ، وفي ثقله على الصيد كالجبل .

(١) و (٢) الهوجل : للفازة ؛ والمقتل : الموضع الذي إذا أصيب قتل صاحبه ؛ والأكحل : عرق في الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه في

صحراء ، وكأنه من تميزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علم بقراط - وهو الطبيب المعروف - علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كعرق الأكحل ؛ وبعبارة

أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تتميز له فصار في دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ،

ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كهذا العرق ، هذا هو المعنى ، وبذا اتفق نقد الصحاح بن عباد هذا البيت إذ يقول

ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد ، وهو يصف الكلب بالعلم بالمقتل . . . (٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة - أي

الأرض - والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما في جلده : لحمه . يقول : إن قوائمه هذا الظبي التي كانت للوثوب صارت للتمرغ في التراب حين أخذه الكلب

وصار لحمه في القدر . (٤) و (٥) ضاره الأمر يضره : كضربه ومعه : أي مع الكلب . والأجدل :

الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر ، لأنه فعل فطه فأغنانا عنه . ثم قال - مخاطبا المدوح - : إذا بقيت سالما صدت بك الناس كلهم ، فيكون

للكلب بعد الله لي بك .

وقال يمدح بدر بن عمار، وقد فصد لعة، ففاص المبزع فوق حقه،
فأضر به ذلك :

أَبْعَدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ^(١)
مَوْلَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلٌ^(٢)

(١) أبعد : تفضيل ؛ والنأى : البعد ؛ و « ما » : نكرة موصوفة بمعنى شيء . يقول :
أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلفها ، إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان
البعيد . ثم قال : في البعد أى في جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد
بالبخل ، لأن الإبل لا تقرب هذا البعد ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

لا أظلم النأى قد كانت خلائقهم

من قبل وشك النوى عندى نوى قدافاً

ويقول أيضا :

فِرَاقٌ جَرَعَتْهُ مِنْ فِرَاقٍ وَفِرَاقٌ جَرَعَتْهُ مِنْ صُدُودٍ

ويقول البحترى :

على أن هجران الحبيب هو النوى لدى وعرفان المسىء هو العذل

ويقول أيضا :

دنت بأناس عن تفاء زيارة وشط بليلى عن تدان مزارها

ويقول إبراهيم بن العباس :

وإن مقيمات بمنعرج اللوى لأقرب من مى وهاتيك دارها

والأصل في هذا قول الثقب العبدى :

أفأظلم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني

(٢) ملولة : أى هى ملولة ؛ والتاء فيها : للبالغة ، لأنه يقال : رجل ملول وامرأة
ملولة ؛ و « ما » ؛ مفعول به ؛ و « لها » : خبر ليس مقدم ؛ وملل - آخر البيت -
اسمها مؤخر ، ومن ملل : متعلق به . يقول : إنها تمل كل شيء يدوم إلا ملها الدائم ،
فإنها لا تمله ، ولو هى ملته لتركته وعادت إلى الوصل . ومن روى تدوم - بالتاء - كانت
« ما » للنفى : أى ليست تدوم على حال .

كَمَا نَمَّا قَدَّهَا إِذَا انْفَعَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَرِّ طَرْفِهَا نَمِلُ^(١)
 يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَضْرَاهَا عَجْزُ^(٢) كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ^(٣)
 بِي حَرِّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا يَنْفَعِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ^(٤)
 الثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخْلَخَلُ وَالْمِعْصَمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِيلُ^(٥)
 وَمَنْهَمِهِ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْقَرَامِيسُ الدُّلُّ^(٥)

(١) انفتلت ، تثنت وتمايلت ، وطرفها : لحظها ؛ ورجل نمل : أخذ منه الشراب .
 يقول : إنها تمايل في مشيتها تمايل السكران ، فكان قدَّها نظر إلى طرفها فسكر من
 خمر عينها كما يسكر منه عاشقوها .

(٢) وجل : خائف . يقول : إن عجزها - ردفها - ثقيل بكثرة اللحم ، فهو يجذبها
 - إذا همت بالنهوض - إلى القعود فكان عجزها في ارتعاده واضطرابه - لكثرة لحمه -
 خائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه ،
 كما قال :

* إذا ماست رأيت لها ارتجاجا *

أما تفسير ابن جنى المصراع الثاني بقوله : أي كان عجزها وجل من فراقها فهو
 متساقط متجدد قد ذهب منته وتماسكه : فهو بعيد .

(٣) إلى ترشفها : أي إلى ترشف فمها ؛ أي مص ريقها . يقول : إذا اتصل بي ذلك
 الشوق انفصل الصبر : أي أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ؛ وقد طابق بين
 الاتصال والاتصال .

(٤) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والنحر : أعلى الصدر ؛ والمخلخل : موضع الخلل
 من الساق ؛ والمعصم : موضع السوار من اليد ؛ والفاحم : الشديد السواد ، يريد به
 الشعر ؛ والرجل - بفتح فكسر وبتحتين - الذي بين السبط والجعد . يقول : إنه
 يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهي داؤه .

(٥) ومهمه : أي ورب مهمه - أي فلاة - وجبته : قطعه . والقراميس : النوق
 الصلاب الشديدة ، واحدها عرمس . والدلل : اللذلة بالعمل للروضة بالسير - جمع
 نول - يستوى فيه للذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه يحب الفلاة - التي تعجز
 عنها النوق الصلاب التي اعتادت السير - على قدمه .

بِصَارِي مُرْتَدٍ بِمَخْبَرْتِي مُجْتَزِي ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ (١)
إِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعِينِي فِي فِرَاقِهِ الْحَيْلُ (٢)
فِي سَمَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ ، وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَآ بَدَلٌ (٣)

(١) الصارم : السيف ؛ ومرتد : أى متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجزىء ومشتمل : أى أنا مرتد بصاري مجزىء - أى مكثف - بمخبرتي - أى معرفتي - مشتمل بالظلام . يقول : جبت هذا المهمة وأنا متقلد بسيفي مكثف بعلمي وخبرتي فلم أحتج إلى دليل يهدينى الطريق ، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء .

(٢) نكر الشيء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده : أى إذا تغير صديق على ونحو ذلك . وأعياء الأمر : أعجزه ، ويقال عى بأمره وعي : إذا لم يهتد لوجهه ، والإدغام أكثر ، ويقال فى الجمع عيوا - مخففا - وعيوا أيضاً - بالتشديد - وأعيانى الأمر ، قال عمرو بن حسان من بنى الحارث ابن همام :

فإنَّ الكُثْرَ أعيانى قديماً ، ولم أفتِرْ لدُنِّ أنى غُلام (١)

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحراله لم تعجزنى الحيلة فى فراقه ، أى فراقته ولم أقم عليه .

(٣) الخافقان : قطرا الهواء ، وهما الشرق والمغرب . والمضطرب موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والمجيء . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لى موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسى بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إذا تَنَكَّرَ خِلٌّ فَاخْذْ بَدَلًا فَالأَرْضُ مِنْ تَرْبَةِ والنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ
وقال البحرى :

فإذا ما تنكرت لى بلاد أو صديق فإننى بالخيار
وقال عبدالصمد بن اللندل :

إذا وطن رابى فكل بلاد وطن

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفقر فقراً شديداً ، ولا أمكنى جمع المال الكثير وبرىء « أعانى » أى أذلى وأخضعنى .

وَفِي أُخْتِبَارِ الْأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمَّا رِ عَنِ الشُّفْلِ بِالْوَرَى شُفْلٌ^(١)
أَصْبَحَ مَالٌ كَالَهُ لِذَوَى الْحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلُّ^(٢)

وما أجل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي على سواد^(١)
(١) الاعتبار : الزيارة يقال أنا فلان معتمرا : أي زائرا ، قال أعشى باهية :

وجاشت النفس لما جاء فلهم^(٢) وراكب جاء من تثليث معتمر^(٢)
ويقال : اعتمر الأمر : أي أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله
ابن معمر القرشي :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بميدا من بعيد وضبر

تقضى البازي إذا البازي كسر^(٣)

يقول : قصدي إياه يشغلني عن قصد غيره لأنني صبيت رجائي عليه وعلقت آمالي به ،
ويروى اعتماد - بالدال - ومعناه الاعتماد بالسير إليه وتطبيق الرجاء به .

(٢) كاله : صفة مال ؛ ولذوى الحاجات : خبر أصبح ؛ ويسل : أي يسأل
- حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى السين - يقول : إن المال المبدول مثل ماله قد
صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاءوا : فلا هو يبتدئهم بالعطا ، ولا هم يسألونه ، لأنه
مالهم - لا ماله - ويروى : أصبح مالا - بالنصب - : أي أصبح للناس نافعا كما أصبح
ماله نافعا لذوى الحاجات ، أي أنه ينفعهم بنفسه وماله ، فهو لهم مال ، وكما أن ماله
يؤخذ بلا إذن : كذلك لا يستأذن في الدخول عليه ، فكل من ورد عليه أخذ ماله
بلا ابتداء ولا مسألة من الوراد .

(١) يقول : إذا لم يقدرني أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبا للبازي الذي
هو أبكر الطيور مشتتلا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح .

(٢) قال الأصمعي : معتمر : أي زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ،
وتسمى العمارة .

(٣) يقول : ارتفع قدره حين غزا موحنا بعيداً من الشام ، وجمع لذلك جيشا ،
وضير - أي جمع قوائمه - ليثب ؛ وكسر الطائر : ضم جناحه حتى ينقض
يريد الوقوع .

هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا بَيِّنُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلٌ^(١)
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحَمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَا لَهُ أَجَلٌ^(٢)
يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْقَرْيَمَةِ مَا يَنْفَعُ قَبْلَ الْفِعَالِ يَنْفَعُ^(٣)
تُعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقَهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَاةِ مُكْتَحِلٌ^(٤)
أَشْفَقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ بِشْتَمَلٍ^(٥)

(١) الجذل : السرور . يقول : لرجحان له ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور ، ومن ثم لا يكون لها أثر فيه فلا يبطل لدى السرور ، ولا يجزع عند الحزن .

(٢) الحمام : الموت . ودنا : قرب . والأجل : منتهى الحياة . يقول : إن للوئ طائع أمره ، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمرداً على المقدور وخرقاً له .

(٣) « ما » : اسم موصول ، اسم يكاد ؛ والتجويد : ينطق به بحرقيل : متعلق بـينفعل . يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفعل قبل فعله ، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِ كَتُّ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّىٰ إِنِّهَا لَتَكَادُ تَفْجُؤُهُ بِمَا لَمْ يُقَدِّرْ
« سدكت به : لزمته »

(٤) يقول : إن حقائق الحاصل والمعاني التي طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكان ذكاه وفطنته وحدة ذهنه فد اكتحلت بها عينه ، فهي ظاهرة فيها ظهور الكحل ؛ وبعبارة بعض الشراح : إن حقائق ما طبع عليه - من حدة الذهن وذكاء النفس - تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

(٥) الإشفاق : الخوف ، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتمل : أى أخاف أن يشتمل ، لحذف « أن » ورفع الفعل . يقول : إذا اضطرت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتمل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حدتها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومي :

أخشى عليك اضطرامَ الذهنِ لا حذرًا

أَعْرَهُ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا بِالْهَرَبِ أَشْتَكَبُوا الَّذِي قَمَلُوا^(١)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِغَةٍ أَرْبُعًا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ^(٢)
جُرْدَاءَ مِثْلِ الْحِزَامِ مُجْفَرَةٍ تَكُونُ مِثْلَى عَسِيْبِهَا الْخُصَلُ^(٣)
إِنْ أَدْبَرْتَ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَا لَهَا كَفْلُ^(٤)
وَالطَّنُّ شُرُزٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَأَنَّهَا فِي فَوْادِهَا وَهَلُ^(٥)

(١) أى هو أعر؛ والأعر؛ السيد الكريم، وأعداؤه؛ مبتدأ؛ خبره؛ ما بعده .
يقول: هو سيد شريف، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهرهم من بين يديه:
أعظموا فعلهم واستكثروه، لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم. وقوله إذا سلموا
بالهرب: إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات.

(٢) أقبلته وجهي: حوثة إليه وجملته قبائله، والسابغة: الفرس تسبح في
جرها؛ وأربعها: أى قوائمها الأربع، يقول: يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها
طرفها: أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها؛ وهذا من قول أبي نواس:

* يسبقُ طرفَ العين في التهابه *

« أى في شدة عدوه ». قال ابن جنى: أسرف في المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل
وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف.

(٣) الجرداء: القليلة الشعر، والمجفرة: الواسعة الجبين؛ والجفرة: سعتها؛
والعسيب: عظم الذنب؛ والخصل: جمع الخصلة من الشعر. يقول: إنها تملأ الحزام
بسعة جنبها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها، ويستحب في الخيل قصر
العسيب وطول شعره.

(٤) التليل: العنق؛ والكفل: الردف، ويستحب فهما الإشراف. يقول:
إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها
وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها؛ وعبارة الواحدى: من حيث تأملتها
وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها، كما قال على ابن جبلة:

تحسبه أقصد في استقباله حتى إذا استدبرته قلت أكتب

يريد: هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتها حسنة في إقبالها وإدبارها.

(٥) والطنن شرز: جملة حالية: أى يقبلهم وجه كل سابغة في هذه الحالة:
الطنن الشرز: ما كان عن يمين وشمال؛ وذلك أشد الطعن، وواجفة: مضطربة

قَدْ صَبَّتْ خَدَّهَا الدَّمَاءُ كَمَا يَصْبُغُ خَدَّ الْأَخْرِيدَةِ انْخِجَلُ (١)
وَأَنْخِجِلُ تَبْكِي جُلُودَهَا عَرَقًا بِأَذْمَعٍ مَا تَسْحَبُ مَقْلُ (٢)
سَارَ وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَأَنَّهَا كُلُّ سَبَسَبِ جَبَلِ (٣)
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصَيِّبَهَا مَطَرٌ شِدَّةٌ مَا قَدْ تَضَائِقَ الْأَسَلِ (٤)

لشدة الحرب : أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا - أى فزعا -
فهى ترعد من الخوف . ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبا . وعبرة
بعض الشراح : واجفة : أى مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدباراً حتى
كأنها تمور بهم .

(١) الضمير فى « خدها » للأرض ؛ والخريدة : الحية ، شبه وجه الأرض
متلطيخا بالدماء بخد الجارية الحية إذا خجلت فاحمر لونها ، واستعار للأرض خدأ
لمساكلة ما فى الشطر الثانى .

(٢) السح : السكب ، وللقل : جمع مقلة . وهى عحمة العين التى تجمع البياض
والسواد . يريد أن الخيل - من شدة الطراد وماهى فيه من هول الحرب - قد
عرت ، فجعل العرق مثل الدمع . إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون ، ولكنه
جار من الجلود .

(٣) سار : يروى بكسر فتونين : اسم فاعل . من السرى ، ويروى بالفتح :
فصلا ماضيا ، والمواكب : الجيوش ؛ والسبسب الفلاة الواسعة . يقول : قد عم القفار
والأماكن الخالية بجيوشه ففلاها حتى لم يبق قفر . وشبه السبسب بالجبل لكثافة
جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكت فى السهول
على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(٤) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى
لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها واتحامها ؛ وأصل
هذا المعنى لقيس بن الحطيم :

لو أنك تُلقي حفظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامه المتقارب
« عن ذى سامه : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى البيض ؛
عن البيض المسمى بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : أنهم تراصوا

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا عَمَامَةَ يَا
لَيْثَ الشَّرَى يَا حَامُ يَا رَجُلُ (١)
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ
عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ (٢)

في الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم - على إيماسه واستواء أجزائه - لم ينزل إلى الأرض . ثم قال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظلت على هاماتهم تتدحرج
فنزول عن الحنظل إلى البرد ، وبالغ في ذلك ثم نزل التنبي عن البرد إلى المطر ، وهو اللطف منه ثم أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :
تضايق حتى لو جرى الماء فوقه حمأه ازدحام البيض أن يتسربا
فتقله من المطر إلى الماء .

(١) لَيْثُ الشَّرَى : أسد الشرى ؛ والشرى : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر في الحسن ، بحر في الجود ، سحاب في كثرة العطاء ، أسد في الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل في الحقيقة ، يعني جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

(٢) عندك : صلة تقلبه ؛ وفي كل موضع : صلة مثل . يقول إن كففك التي تقلبها وأنت في بلدك وتصرفها في العطايا والهبات قد اشترت ذكرها في كل موضع حتى صارت مثلا في الجود . وروى - نقبله - من التقبيل أي تقلبه نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبي ربيعة :

* فقالت وعضت بالبنام فضحتني *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيويبه :

قد جعلت مي على الظرار تحس بنان قاني الأظفار (١)

(١) قال الشنمري : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير : خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهي حجارة مستديرة معددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الظرار ؛ وروى على الظرار - بطاء غير معجمة -

إِنَّكَ مِنْ مَفْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخَلُوا^(١)
قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا أُمْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا أَعْتَقَلُوا^(٢)
أَنْتَ تَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفَتْ قَوَاصِبُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ^(٣)
أَنْتَ لَعْمَرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى زُحَلُ^(٤)

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان مخضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحد الهاء فإنه يوحد ويذكر .

(١) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار . وبعبارة أخرى : إن مقضى جودهم أن لا يبقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرثوا أنفسهم من البخل .

(٢) امتشق السيف : استله وأسرع الطعن والضرب ؛ واعتقل الرمح : جمعه بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ، ولقاماتهم طول رماحهم . وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على للتنبى وولوعه بالتشهير به وبسرقاه — أخذ هذا من قول عوف بن محم الشيباني :

إِنَّ التَّمَانِينَ وَبُلَّتْهَا قَدْ أَحوجت سَمِي إِلَى تَرْجَانٍ
وَبَدَلْتَنِي بِالشَّطَاطِ انْحِنَا . وَكُنْتُ كَالصَّمْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ

(٣) و(٤) قواضب الهند : أى السيوف القواطع ، والذبل : الطوال الصلاب ، وحومة كل شيء : معظمه ؛ والوعى : الحرب . وزحل : من كواكب النجس ، والقمر : سعد يقول : أنت رجل تقيض اسمه في الحرب ، لأن البدر الذى هو اسمك من كواكب السعد والكنك في الحرب نجس على أعدائك . لأنك هلاك لهم .. أو تقول — كما قال بعض الشراح — : إن البدر منير فيهدى به في الأسفار ، وأنت في الحرب تقيض اسمك ، إذ تقتل الناس وتثير القبار بالحيل فتظلم الأرض ، ففعلك في الحرب تقيض ففعلك في السلم .

جمع طرة ، وهى عقيمة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج فى صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الإصبع ؛ والقانىء : الشديد الحرارة من الحناب .

كَتَيْبَةٌ لَسْتَ رَبِّهَا نَفْلٌ وَبِلْدَةٌ لَسْتَ حَلِيهَا عَطْلٌ^(١)
 قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا
 حَتَّى اشْتَكَنْكَ الرَّكَّابُ وَالسَّبِيلُ^(٢)
 لَمْ تَنْبِقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا الْعِلُّ^(٣)
 عُدْرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ أَنَّهُمَا آسِ جَبَانٌ وَمِضْعٌ بَطْلٌ^(٤)

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش ؛ وكتيبة : مبتدأ ؛ والحبر : نفل ؛ وكذا في
 المصراع الثاني ؛ والنفل : الغنيمة ؛ والحلى : الزينة . والمطل : التي لاحلى لها يقول :
 كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو ، وكل بلدة لست زيتتها هي عطل
 لازينة لها .

(٢) شرقها ومغربها : أى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به . والركاب :
 الإبل . يقول : قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على
 لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذلك
 بالحفاف والحوائر والأقدام ، وقال بعض الشراح : لأنها ضاقت بكثرة القاصدين
 والسالكين .. وليس بشيء ، وعكوى الإبل كثيرة فى الشعر قل أبو العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالاً

وقال البحرى :

تشكى الوجى والليل مُلتبسُ الدجى غُريرية الأنساب مرّت بقيمها
 « الوجى : الحفا ؛ والمرت : المفازة لانبات فيها ؛ والبقيع : البوضع فيه أصول الشجر

من ضروب شق »

أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات التنبى .

(٣) قليل عافية : أى عافية قليلة ، فهو من إضافة الصفة للموصوف ونجديكها :
 أى تستوهبك إياها ؛ والعلل : الأمراض . يقول : بذلت كل مالك ولم يبق لك إلا قليل
 من العافية قدمت العلل عليك تستوهبه منك ، وهذا كقوله السالف :

وبذلت ما ملكته نفسك كله حتى بذلت له هذه صححاتها

(٤) الآسى : الطيب ؛ والبضع : حديدة الفاصد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد
 بالمؤمنين : ما ذكره بعد من الآسى والبضع . وقد كان الفصاد فصده وأخطأ فى فصده

مَدَدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّيِّبِ يَدًا وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقَطِّعُ الْأَمْلُ (١)
إِنْ يَسْكُنِ الْبَضْعُ ضَرْرًا بِأَطْنَمَهَا فَرُبَّمَا ضَرَّ ظَهْرَهَا الْقُبَيْلُ (٢)

ونفذت حديدته في يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطيب والبضع ملومين في ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطيب كان جانا فارتدت يده هية لك والبضع كان شجاعا - أي حاداً نافذاً - فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطيب عنراً آخر في البيت التالي .

(١) يقول : إنما وقع للطيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعا ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطيب كيف يقطع الأمل ؛ لانه إنما تعود قطع العروق ، لا قطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن عبيد الله :

يَا فَاوِدًا لِيَدٍ جَلَّتْ أَيْدِيهَا وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا
يَدُ الْغَنِيِّ هِيَ فَارْفَقْ لِأَتْرِقْ دَمَهَا فَإِنَّ أَرْزَاقَ طُلَّابِ الْغِنَى فِيهَا
وقال أيضا للخليفة المعتمد :

يَا دَمًا سَالَ مِنْ ذِرَاعِ الْإِمَامِ أَنْتِ أَذْكَى مِنْ عَنَبٍ وَمِدَامِ
قَدْ حَسْبُنَاكَ إِذْ جَرَيْتِ إِلَى الطَّسِ تَدْمُوعًا مِنْ مَقَاتِي مَسْتَهَامِ
إِنَّمَا غَيْبَ الطَّيِّبُ شَبَابَ الْمَيْبِ ضَمَّعَ فِي نَفْسٍ مَهْجَةَ الْإِسْلَامِ

(٢) البضع : الفصد ؛ والقيل : جمع قبلة ؛ وهى الاسم من التقييل . وأراد بضر القيل : كثرة تقييل الناس ظهر كفه حتى أُر فيه وضره . قال الواحدي : وقد أكثر الشعراء من ذكر تقييل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقيل غير أبي الطيب ، وهذا من مبالغاته ، قال ابن الرومي :

فَأَمَدَدْتُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِ النَّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّقْيِيلَا
وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلِ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ وَظَاهِرُهَا لِلْقُبَيْلِ
فَبَاطِنُهَا لِلنَّسَبِ

وقال أبو الضياء الحمصي :

وَمَا فِي عِبَادِ اللَّهِ مِثْلَكَ ثَانٍ وَمَا خَلَقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعِ

يَشُقُّ فِي عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلَا يَشُقُّ فِي عِرْقِ جُودِهَا التَّمْدَلُ^(١)
خَامَرُهُ إِذْ مَدَدَتْهَا جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَذَاقَةِ عَجَلٍ^(٢)
جَازٌ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادِ لِأَمِّهِ الْهَبَلِ^(٣)
أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ السَّطْنُجُ وَعِنْدَ التَّمَقُّقِ الزَّلَلُ^(٤)
أُرْثَ لَهَا إِنْهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أُسَلَّتْ تَنْهَمِلُ^(٥)

لتجريد هِنْدِيَّ وإسداء نائلٍ وتقبيل أفواه وأخذِ عِنَانٍ
وقد ملح من قال :

يَدٌ تَرَاهَا أَبَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمٍ
مَا خُلِقَتْ بِنَانِهَا إِلَّا لِسَيْفٍ أَوْ قَلَمٍ

(١) الفصاد : هو الفصد ؛ وأراد بالشق : التأثير والنفاذ . ومن ثمّ عداه بني ، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده ؛ والعدل : اللام . يقول : إن الفصد يؤثر في يده ، ولكن لا يؤثر اللام في جودها ، أى لا ينجع قول اللاميين فيه . وقد نظر في هذا إلى قول أبي تمام :

خَلَائِقُ كَالزَّغْفِ الْمَضَاعِفِ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَهَا يَوْمًا شَبَابُ اللُّوَامِ
(٢) خامره : خالطه ، والجزع : الفزع وقلة الصبر ؛ والحذاقة : مصدر كالحذق ؛ والعجل : للستعجل . يقول : خامرى الطيب - حين مددت يدك إليه للفصد - جزع من هيبتك فعجل في الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه ، وهو على الحقيقة عجل من خوفه .

(١) جاز الشيء : تعده ؛ وغير اجتهاد : مفعول أى ؛ والهبل : الشكل . يقول : بالغ في الاجتهاد حتى جاوز حد الاجتهاد ففعل ما هو غير اجتهاد لأن الخطأ من سبل المقصرين المتهاونين ، ثم دعا عليه فقال لأمه الشكل .

(٢) التعمق : بلوغ عمق الشيء - وهو أقصاه - يريد به البالغة ومجاوزة الحد . يقول : إن النجاح في الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سعيها ، فإذا تكافى وبالغ وتعمق زل فأخطأ .

(٣) ارث لها : رق ؛ وبما بالذى : متعلقان بتهمل . يقول مخاطبا الطيب - : ارفق

مِثْلِكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوْلُ^(١)

* * *

وقال أيضاً بمدحه :

بِقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْحَمَالًا وَحَسُنَ الصَّبْرُ زَمُوا لَا الْجَمَالَ^(٢)

بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته : أي تجود بما لها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أي بالدم الذي تسفكه من الأعداء .

(١) إلا لمثلك : أي إلا لك . يقول : لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك في جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريماً سخياً لينتفع الناس بدولته .

(٢) زم البعير : خطمه بالزمام ، واسم ليس : ضمير الشأن ، وهم : مبتدأ ، وخبره محذوف : أي ليس الأمر والخبر هم شاءوا . حذف « شاءوا » لتقدمه في أول الكلام ، ويجوز أن يكون « هم » : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع التوصل ضرورة ، والتقدير : بقائي شاء الارتحال ليسوا شاءوا ، ويجوز أن تكون « ليس » هنا حرفاً عاطفياً فلا يكون لها اسم ولا خبر . يقول : لما ارتحلوا عنى ارتحل بقائي ، فكان بقائي شاء ارتحالاً ؛ لا هم شاءوا ذلك ، وكأنهم زموا صبرى للسير ، لاجتماعهم ، لأنى فقدت الصبر بعدهم ، وإنما نبي الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأناً ، فكان ارتحالهم ليس ارتحالاً عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالهم مع سير صبره عنه . وعبارة بعض الشراح : لما ارتحل الأحبة ارتحات حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذى أراد الارتحال ، لاهم . ولما جعل حياته راحة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شيء واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أي سبق ارتحالهم ، يقال شاءه : وشآه ؛ إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائي أراد رحيلهم ، فشاء من الشيئة ، فليقتى مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .

تَوَاوَا بَنْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنَنَا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي أُغْتِيَالًا^(١)
فَكَأَنَّ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلًا وَسَبْرُ الدَّمْعِ إِزْرَهُمْ أَنَهْمَالًا^(٢)
كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاةٍ فَلَمَّا نُزِنَ سَالًا^(٣)
وَحَجَبَتِ النَّوَى الظُّبْيَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالَ^(٤)
لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَّجَمَلَاتٍ وَلَكِنْ كُنِي بِصُنِّ بِهِ الْجَمَالَ^(٥)

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبني : هابني . والاعتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري . يقول : كأن البين هابني ففاجأني باغتياله ، يريد فاغتيالني اغتيال مفاجأة .

(٢) العيس : الكرام من الإبل ؛ ويروي عيرهم ، وهي الإبل التي تحمل الليرة ، والدميل : السير للتوسط والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير الذميل ودمي ينصب في أزرهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر . ومثله لابن الرومي :

لهم على العيس إمعان يشطُّ بهم وللدموع على الخدين إمعانُ

(٣) أماخ البعير : أبركه ؛ وثرن : أي نهضن للسير ؛ والبيت مبني على ما قبله . يقول : كنت لا أبكي قبل فراقهم ، فكأن إبلهم كانت تمسك دمي عن السيلان بيروكها فوق جفني ، فلما فارقتني سال دمي ، فكانها ثارت للرحيل من فوق جفني فسال ما كانت تمسك من دموعي . وهو تخيل بديع .

(٤) النوى : البعد والفراق ؛ والحجال : الحدور . يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عيني ، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عنى قبل من البراقع والحدور .

(٥) الوشي : الثياب المنقوشة ؛ وحجر به وشى : أي حجر من معدن فيه ذهب ، أشد ابن الأعرابي لأحبة بن الجلاح يرثي أبنا له :

وما هـِزْبَرِيٌّ مِنْ دَنَائِرِ أَيْلَةٍ بِأَيْدِي الْوُشَاةِ نَاصِعٍ يَتَأَكَلُ

بِأَحْسَنِ مِنْهُ يَوْمٌ أَصْبَحَ غَادِيًا وَنَفْسِي فِيهِ الْحَامُ الْمَجْلُ

« الوشاة الضرابون : يعني ضراب الذهب ؛ ونفسي فيه : رغبتني ، والمهبرزي

الهديار الجديد » والتجمل : التزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب أغرت على أبي الطيب في قولك :

وَصَفَرْنَ الْفَدَائِرَ لَا لِحْسِنٍ وَلَكِنْ خَفِنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَاً^(١)
 بِجِسْمِي مَنْ بَرْتُهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وَشَاحِي ثَقَبَ لَوْلُوَّةٌ بِلَالَاً^(٢)
 وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خَيَالَاً^(٣)

لبسن برود الوشى لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود
 فقال : نعم ، كما أثار هو في قوله :
 ما بال هذى النجوم حائرة كأنها العُمى ما لها قائد
 على بشار في قوله :

والشمسُ في كبدِ السماءِ كأنها أعمى تحير ما لديه قائدُ

(١) التضفير : قتل الذوايب ؛ والفدائر : جمع غديرة ، وهي الخصلة من الشعر .
 يقول : لم ينسجن ذوائبهن طلباً للتحسين ، ولكن خفن أن يضلن فيها لو أرسلنها
 لأنها تعساهن كالليل : قال ابن جنى : قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة ، ولكن لم
 تفرط في ذلك مثل المتنبي ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلها ذوائبها فجئن من قرنها إلى القدم

(٢) بجسمي : أى أمدى بجسمي ؛ وبرته : هزلته ؛ والشاح : شبه قلادة تشده
 المرأة بين العاق والكشح يقول : أمدى بجسمي التي هزلته حتى لو جعلت وشاحي
 ثقب لؤلؤة لوسعى حتى يدور على إذا شئت أن أدبره ، يصف دقته ونحوه ، ومثل
 هذا يقول الآخر :

قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تَمَنَّقْتُهُ

(٣) يقول : لولا أننى يقظان لكنت أظن نفسى خيالا ، يعنى أنه كالخيال في الدقة ،
 إلا أن الخيال لا يرى في اليقظة ، فقوله أظننى : أى أظن نفسى وقوله منى : متعلق
 بخيالا : أى خيالا منى ، كما تقول : جاءنى خيال من المحبوب قال الواحدى : قوله منى :
 أى من دقتى ، ويعد أن يقال من نفسى ، لأنه قال أظننى ، ومعناه أظن نفسى ، ولا
 يقال أظن نفسى خيالا من نفسى . هذا : والمرب تقول ظننتنى وختنتنى وعلمتنى ، ولم
 يرو عنهم ضربتنى ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا في أحدهما لقوة
 تعديته . وقد جاءت عدمتنى شاذة في قول جرير العود :

بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ حُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(١)
وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ نَمِّمٌ أُبْدَتْ
لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا أَعْتِدَالًا^(٢)
كَأَنَّ الْحَزْنَ مَشْفُوفٌ بِقَلْبِي
فَسَاءَةَ هَجْرَهَا يَجِدُ الْوِصَالَ^(٣)

لقد كان لي في ضرتين عدمتني وما أنا لاقٍ منهما مُتَزَحِّزِحُ
(١) الحوط : الفصن الناعم : ورنت : نظرت ؛ والنصوبات في البيت أسماء وضعت
موضع الحال . كأنه قال : بدت مشرقة ، ومالت مثنية ، وпахت طيبا ، ورفت مليعة ؛
أو تقول للعين : بدت مشبهة قمرًا في حسنها ، ومالت مشبهة غصن بان في ثنيتها ، وпахت
مشبهة عنبراً في طيب رائحتها ، ورنت مشبهة غزالا في سواد مقلتها . وهذا يسمى
التدييح في الشعر ، ومثله :

سَفَرْنَ بَدُورًا وَانْتَبَيْنَ أَهْلَةً وَمِسْنُ غُصُونًا وَالتَّفْتَنُ جَاذِرًا
(٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله في الظلم لأنه جور عن الحق . يقول :
هي في حكمها جائرة ، ولكن قدها معتدل لا جور فيه .
(٣) يقول : كأن الحزن يشوق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتني ، يعني كلما
هجرتني واصل الحزن قلبي وعلق به . هذا : وقوله « مشغوف » روى بالعين المهملة ،
وبالعين المعجمة ؛ وقد قرئ قوله تعالى « قد شفها جبا » بالعين وبالنون ، فمن قرأها
بالعين فعناه تيمها ، ومن قرأها بالعين يعني أصاب شغاف قلبها أو غشى الحب قلبها ؛
وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الخطيم :

إِنِّي لِأَهْوَاكِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ قَدْ شَفَّ مِنِّي الْأَحْشَاءُ وَالشَّفَفُ
أما الشغف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هني
بالبطران يجد له لذة مع حرقه .
قال امرؤ القيس :

لَتَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَمْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي
« يعني أحرقت فوادها بحي كما أحرقت الطالبي هذه المهنوءة ففوادها طائر من لذة
الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقه » :

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يَدِمْنَ عَلَيْهِ حَالًا^(١)
 أَشَدُّ النِّعَمِ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَبَيَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا^(٢)
 أَلِفْتُ تَرَخُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قَتُودِي وَالْفَرِيرِي الْجَلَالَ^(٣)
 فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالَ^(٤)
 عَلَى قَلْقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَمَحِّي أَوْجُهَهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالَ^(٥)

(١) كذا: خبر مقدم عن «الدنيا» وصرُوف: خبر عن محذوف: أى هى صروف؛ والصرُوف: الأحداث: يقول: إن الدنيا كانت على من كان قبلى كما أراها الآن: أى كما هى على الآن، ثم بين ذلك فقال: هى صروف لا تدوم على حاله واحدة (٢) فى سرور: خبر «أشد» والجملة بعده: نعت سرور. يقول: إن السرور الذى يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد النعم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور.

(٣) قنودى: جمع قند، وهو خشب الرحل، والفريرى: المنسوب إلى غرير، فحل من الإبل كان فى الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل والجلال: كالجليل—أى العظيم— كما يقال: طوال، وطويل. يقول: تعودت الارتحال حتى ألفتها، وصارت الرحال أرضا لى، لأنى أبدأ على الرحال، فهى لى كالأرض للمقيم.
 (٤) اللقَام: مصدر ميمي، بمعنى الإقامة. وأزعم الأمر: وأزعم عليه: مضى فيه؛ وثبت عليه عزمه؛ وقال الكسائى: يقال أزعمت الأمر، ولا يقال أزعمت عليه. قال الأعشى:

أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا وَشَطَّطْتُ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تَزَارَا

وقال الفراء: أزعمته وأزعمت عليه: بمعنى، مثل أجمعت وأجمعت عليه. يقول: ما طلبت الإقامة فى أرض لأنى أبدأ على سفر، ولا عزمى على الرحيل عنها. لأى الرحيل إنما يكون بعد الإقامة، ولا إقامة لى حتى أرحل.
 وقال ابن جنى: المعنى إذا كان ظهره— أى البعير — كالوطن لى فأنا — وبين بيت البلاد — كالتقاطن فى داره

(٥) على قلق: القلق الاضطراب؛ والجار والمجرور: فى موضع الحال من التاء فى ألفت؛ وبروى على قلق— بكسر اللام— أى بعير قلق. يقول: لا أستقر فى مقام

إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلَالًا^(١)
 وَلَمْ يَنْظُمْ لِنَقْصِ كَانَ فِيهِ
 بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ
 لِكُلِّ مُعَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالًا^(٢)
 حُسَامٌ لِابْنِ رَاقٍ الْمُرْجِي
 حُسَامِ الْمَتَّقِي أَيَّامَ صَلَا^(٣)
 سِنَانٌ فِي قَنَاةِ بَنِي مَعَدٍّ
 بَنِي أَسَدٍ إِذَا دَعَوْا النَّزَالَ^(٤)

كأنى على ظهر الريح : أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال ، فعبر بالريحين عن الجانبين ، وروى يمينا أو شمالا ، فتكون بكسر الشين .

(١) غرة الشهر : أراد أول الشهر ؛ وإلى البدر : يروى إلى بدر بن عمار - بدون ال - لأنه علم . ومن روى البدر : أراد بدر السماء ، لا الاسم العلم ، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر ، ثم نسيه إلى أبيه ، لأنه ليس بدرأ على الحقيقة ، وإن أشبهه : ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال ، ولا بدر إلا وكان هلالا أولا ؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالا قط ، وقد فسر هذا بقوله : ولم يعظم لنقص « البيت » . وترك التنوين من « عمار » ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله « لنقص » فى البيت التالى - بمعنى بعد كما فى قوله :

* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(٢) يقول : هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلا والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشيء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .

(٣) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام - الثانى - بدل من ابن رائق . يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساما للبتقى لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان التقي حاربه به فى خير ليس هذا موضعه .

(٤) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبني أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط المدوح . قال الواحدى : يقول إن المدوح سنان فى قناة العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد فكأنه قال : هو سنان قناة بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران -

أَعَزُّ مُغَالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا وَمَقْدِرَةٌ وَنَحْمِيَّةٌ وَالْآ(١)
وَأَشْرَفُ فَأَخِيرِ نَفْسًا وَقَوْمًا وَأَكْرَمُ مِنْتَمِّ عَمَّا وَخَالًا(٢)
يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا مُحَالًا(٣)

بعض إلى بعض - من الخيل عند شدة القتال . يقول : هو رئيسهم وصدرهم الذي به قاتلون ، وفي مثل هذا المعنى يقول النامي - وقد قصر عنه للتنبي - :

إِذَا فَاحَرَّتْ بِالْمَكْرُمَاتِ قَبِيلَةٌ فَتَقَلِّبُ أَبْنَاءَ الْعَمَلِيِّ بِكَ تَقَلِّبُ
قَنَاءَةً مِنَ الْعَلِيَاءِ أَنْتَ سِنَانُهَا وَتَلِكَ أَنَا يَبِيبُ إِلَيْكَ وَأَكْمَبُ

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناة ، ثم قال : جعل بنى أسد - وهم رهط المدوح - قناة - أى رحا - لبنى معد ، وجعل المدوح سناناً لهذه القناة : يعنى أن المدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد : بنى أسد - على أنه جمع أسد - وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى : يجوز أن يكون بنى أسد : منادى مضافاً : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا يا بنى أسد ، فيقوم لهم قولهم في الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب في قناتهم ، لأنهم إذا دعواهم أغنوا عنهم .

(١) أراد بالعزيز - ههنا - الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة - بتثليث الدال - أى قدرة : وحماية . بمعنى حماية أى حماية الجار والحليف ومن يحق الدود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى الحماية : أى الأنفة وعزة النفس . ونسب المنصوبات الخمس على التمييز . يقول . هو أعز من يغالب الأقران كفاً ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الدود عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منسب . يقول : هو شريف حسيب إذا اتسمى كان له الشرف هن أبيه وأمه .

(٣) الإثناء : مصدر أنى عليه . يقول : إن المدح الذي يستعظم للدنيا وأهلها حتى يكون لإفراطه محالاً عليها إذا أطلق عليه كان حقاً ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة أخرى : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان النسبة إليهم محالاً . يعنى أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء .

وَيَبْقَى ضِعْفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتْرِكْ أَحَدٌ مَقَالًا^(١)
 فَيَا أُنَّ الطَّاعِنِينَ تَكَلُّ لَدُنْ
 مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشَّمَالًا^(٢)
 وَيَا أُنَّ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ مِنْ الْعَرَبِ الْأَسْفَلِ وَالْقِلَالَا^(٣)
 أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَوَّوْا بِذَمِّي
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرَّةً مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًا بِهِ الْمَاءِ الزُّلَالَا^(٥)

(١) ضعف الشيء : أن زاد عليه مثله ؛ ويترك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ما قدروا عليه حتى لم يترك أحد مقالا : بقى ضعف ما قالوه من المحاسن يعني للسادح والثنى لا يبلغ في مدحه ما يستحقه ، كما قالت الخنساء .

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ
 وقال أبو نواس :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا هَلِيكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَأَنْتَ فَوْقَ الَّذِي نُنْتِي

(٢) بكل لدن : أى بكل رمح لين للهنز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ، مضاف إلى الجملة بعده . يقول . يا ابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحترى .

وَأَتْبَعْتَهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ

(٣) العضب . السيف القاطع ؛ والقلال . جمع قلة ، أعلى الشيء والمراد هنا . الرءوس يقول . يا ابن الضاربين بكل سيف رءوس العرب وأرجلها قال ابن جنى . وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس في قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسفل اللثام ، وبالقلال . الكرام ؛ أى ابن الذين يضربون الشريف والذنىء فلا تتركون أحداً ، أو لا يهابون أحداً .

(٤) المتشاعرون : الذين يدعون الشمر وليسوا من أهله . وغرى بالشيء : أولوج به ،

والداء العضال : الذى لا دواء له يقول : إنه داء لهم يستعمون به حسداً ، ولذا لا يمكن أن يحمده .

(٥) الزلال : العذب الصافي الذى يزل فى الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول :

مثلهم يصبى كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذمونى

وَقَالُوا هَلْ يُبَيِّنُكَ الْثَرِيَّا فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ أُسْتَفَالَا^(١)
هُوَ الْمَفْنِي الْمَذَاكي وَالْأَعَادِي وَبِيضَ الْهِنْدِ وَالشَّمْرَ الطَّوَالَا^(٢)
وَقَائِدَهَا مَسُومَةً خَفَافًا عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُهُ ثَقَالَا^(٣)
جَوَائِلَ بِالْقَسِيِّ مُتَقَفَاتٍ كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذَّبَالَا^(٤)

لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلى وشعوى ، فالنقص فيهم لا فى ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(١) يقول إن الحساد قالوا الى حسداله على ولى عليه : هل برفعك المدوح الى الثريا ؛ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن انحط عن منزلى : أى أنه رفعه الى ما فوق الثريا فإن استفل وانحط رجع الى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة المدوح . وهذا تخيل بديع . هذا : وسيت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا ؛ قيل لغزارة نوبها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكانتها كثيرة العدد بالإضافة الى ضيق المحل ، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال :

خَامِلٌ إِنِّي لِلثَرِيَّا لِحَاسِدٍ وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاحِدٍ

أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهِيَ سِتَّةٌ وَأَفْقِدُ مِنْ أَحْبَبَتِهِ وَهُوَ وَاحِدٌ

(٢) اللذاكى : الخيل السنة ، وهى التى أى عليها بعد قروحها سنة . وبيض الهند : السيف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى يفتى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة المكبرى : هو مفنى الخيل والأعداى بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهيبية والسيف والرماح بالضرب والطمع ، ويجوز بالهيبية .

(٣) قائدها : معطوف على المعنى ؛ والضمير : للذاكى : والسومة : العملة . يقول : وهو قائد الخيل خففا فى الركض ثقالا على الحى الذى تحمل بساحته صباحاً للغارة ، أى ثقالا على الأعادى .

(٤) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة ، وجوائل بالقى ، أى تجول بأرماح فرسانها ، والقى : جمع القنا . ومتقفات : أى مقومات بالتقف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايل الأسنة والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسنتها فى اللمعان بالفتائل .

إِذَا وَصَّتْ بِأَيْدِيهَا صُخُوراً يَفِينَنَّ لَوَطءَ أَرْجُلَيْهَا رَمَالاً^(١)
 جَوَابُ مُسَائِلِي آلِهِ نَظِيرٌ وَلَا لَكَ فِي سُؤَالِكَ لَا أَلَا^(٢)
 لَقَدْ أَمِنْتَ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسٌ تَعُدُّ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالاً^(٣)
 وَقَدْ وَجِلْتَ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى غَدَّتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وَجَالاً^(٤)

(١) يفئ : يمدن ويرجعن ؛ و يروي : يقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتنت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المهزي :

* كَانِ حَصَى الصَّيَانِ مِنْ وَقَعِهَا رَمَلٌ *

(٢) جواب : مبتدأ ؛ خبره : عجز البيت ، وقوله آله نظير : في محل نصب حكاية السؤال . يقول : إذا سألتني سائل فقال : هل لهذا المدوح نظير ؟ جوابه : لا ، ولا لك أيضاً نظير في هذا السؤال ، لأن أحداً لا يجهل هذا غيرك ، فأنت في جهلك به بلا نظير . وأراد « لا » و « لا لك » فأخر المظوف عليه ضرورة ، كما قال الأحموس :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقِي عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(١)

وكرر النبي بقوله « ألا لا » إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه

(٣) الإعدام : الإقتار والفقير . يقول : كل نفس ترجو عطاءك وتمعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبنة .

(٤) وجالا : جمع وجل - بكسر الجيم - أى خائف يقول : خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلت أوجالهم ، وهذا كقولهم : جن جنونه ، قال :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ طَلِبِيئاً يَدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

(١) بعده :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَنَجَرُونِي هُنَا مِنْ ذَلِكَ تَكْرَهُهُ الْكِرَامُ
 وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسِّ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطِ الْحَرَامُ
 والنخلة : كناية جميلة عن المرأة ؛ وكفى بالهناة عن الرفث .

سُرُورُكَ أَنْ تَسْرَهُ النَّاسَ مُطْرًا تَعَلَّمَهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلَالَ (١)
 إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ الشُّؤَالَ (٢)
 وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنَا مُسْتَمِيعٌ يُنِيلُ الْمُسْتَمَاعَ بِأَنْ يَنَالَ (٣)
 يُفَارِقُ سَهْمَكَ الرَّجُلَ الْمَلَاقِ فَرَّاقَ الْقَوْسِ مَا لَاقَى الرَّجَالَ (٤)
 فَمَا تَقِفُ السَّهَامُ عَلَى قَرَارٍ كَانَ الرَّيْشَ يَطْلُبُ النَّصَالَ (٥)

(١) يقول : إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس :
 وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ،
 لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه . فهم يدلون عليك ،
 إذ عرفوا منك هذا .

(٢) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعدتة
 منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لا يفوتك
 لذة العطاء .

(٣) الاستماعة : طلب العطاء ، والسماحة ، الجود . يقول أسعد الناس سائل يعطى
 مستوله بأن ينال منه شيئاً ، يعني أن مستوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئاً .
 والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الأخذ منه عطاء له فبراه حقا عليه
 ويسر بذلك . قال البحترى :

فَيَكُونُ أَوْلَ سُنَّةٍ مَأْتُورَةٌ

أَنْ يَقْبَلَ الْمُدْوَحُ رِفْدَ الْمَادِحِ

(٤) « ما » نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفا ، والتقدير فراقه
 للقوس وهو ملاقى الرجال . يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذي يلاقيه نافذاً منه ،
 وفيه نفس القوة التي فارق بها القوس حين لم يلاق أحداً بعد : أي إذا رمى رجلاً بسهم
 خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس يصفه بشدة نزع القوس
 وقوة الرمي وانطلاق السهم ؛ ويجوز أن تكون « ما » ظرفاً ، كأنه قال : يكون الأمر
 كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلك ماطر طائر .

(٥) النصال ، جمع نصل ، الحديدية التي تكون في السهم . يقول : إن سهامك إذا
 رميتها لاتقف عن مسيرها ، فكان ريشها يطاب نصالها ليدركها فهي تنضي أبداً ، لأن
 الريش لا يدرك النصل ، لتقدم النصل عليه .

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى (١)
 وَأَقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شِمَالًا (٢)
 أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءِ وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالًا (٣)
 وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَأَ وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمُهْدِ الْكَمَالَ (٤)

* *

وهذا من قول ليلي الأخيلية :

ولما أن رأيت الخليلَ قبلاً تبارى بالحدودِ شبا العوالى
 نسيته وصاله وصدت عنه كما صد الأربُّ عن الظلال (١)

فقل المعنى من الخيل والحدود والعوالى : إلى السهام والريش والنصال .
 (١) جراه : جرى معه ؛ وعلاه : غلبه في العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا في
 مراحل الساعى واللكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو
 المألوف فليس يعالك أحد ، إذ لا يبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين :
 الأولين : أى الذى غبروا ومضوا .

(٢) يفضله على جميع الناس ، ويقول : إنه لو كان يمين شىء ماصح الناس كلهم أن
 يكونوا شمالاً لذلك الشىء ، وفي مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كان خالقُ الله جنباً واحداً وكنت في جنبٍ لكنت زائداً
 نباهةً وناثلاً ووالداً

(٣) يقول أنت في علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالاً ، جعله
 كالسما ، وخصاله في الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحرى :

وبلوتُ منك خلائقاً محمودةً لو كُنَّ في فلكٍ لكنَّ نجوماً

(٤) وأعجب : عطف على أقلب - في البيت السابق - وتنشأ : أصله تنشأ - بالهمز -
 فليته للوزن ، وأراد أن تنشأ ، فحذف « أن » . يقول : أنت قد ولدت كاملاً ، فكيف
 استطعت أن تزداد بعد الكمال ؟

(١) قالت ليلي هذين البيتين في فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛
 وقد مر شرحهما .

وخرج بدر بن عمار إلى أسد ، فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع. وقتل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضر به بالسوط ، ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِي الْخُدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيْطُ رَحِيْلًا مَطَرٌ تَزِيْدُ بِهِ الْخُدُوْدُ مَحُوْلًا^(١)
يَا نَظْرَةَ نَفَتِ الرَّقَادَ وَغَادَرَتْ فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيَيْتُ فُلُوْلًا^(٢)
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُوْلِي إِنْمَاءً أَجْلِي تَمَثَّلَ فِي فُوَادِي سُوْلًا^(٣)

(١) أن عزم : أى لأجل أن عزم . والخليط : الذى يخالطك ويمشرك ، والمراد به الحبيب ؛ والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ؛ قال الشاعر :

إِنْ خَلِيْطُ أَجْدُوا الْبَيْنَ فَانْجَرِدُوا وَأَخْلَفُوْكَ عِدَى الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا
وَجَمْعُ الْخَلِيْطِ : خَلْطَاءٌ وَخَلَطَ ، قَالَ وَعَلَةَ الْجَرْمَى فِي جَمْعِهِ عَلَى خَلَطَ :

سَائِلٌ مَجَاوِرَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتَ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَسِيْرَةِ الْخُلْدِ
يقول : إن فى خده - لأن عزم الحبيب فراقاً - مطرا - يعنى الدمع - تزيد الحدود به محولا - جدبا - ومحول الحدود : شحوبها وتحدد لهما وفهاب نضرتها والطر من شأنه أن تصب به البلاد ويخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَو نَبَتِ الْعُشْبُ مِنْ دَمْعٍ لَكَانَ فِي خَدِّي الرِّيْعُ

(٢) نفت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرته إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثته السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ، وعبرة بعض الشراح : وترك قلبه كالسيف للفلول لا يقوى على مقاومة النوايب واتقأها ، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهيام .

(٣) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما يطلبه الإنسان ويتمناه ، وهو خبر «كانت» ومن الكحلاء : متعلق بسؤل ؛ ولين السؤل - فى آخر البيت - للفاية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَمِيلًا^(١)
وَأَرَى تَدَلُّكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا وَأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ تَمْلُولًا^(٢)
تَشْكُو رَوَادِفِكَ الْمَطِيَّةَ فَوْقَهَا
شَكْوَى الَّتِي وَجَدْتَ هَوَاكَ دَخِيلًا^(٣)
وَيُعِيرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا^(٤)

هذه المرأة الكحلأ . ولكنها كانت في الحقيقة أجلى تصور مرادا في قلبي ، يعني أن نظرته إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأنت عليه .

(١) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع ، ولذلك وصله بعلى . والنوى : البعد . يقول : إني أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك ، والصر على نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلَّا عِنْدَ فُرْقَةٍ مَنُ بَيْنَهُ صِرْتُ بَيْنَ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ
(٢) يقول : إني آمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنٌ دَلَالِكُ يَا أُمِّمَ جَمِيلُ
(٣) الروادف : الكفل ومحاولة ، جمع رادفة ، لأنها تردف الإنسان : أى تكون خلفه ، كالرديف الذى يكون خلف الراكب . يقول : تشكو المطية تقلر روادفك فوقها شكوى النفس التي وجدت هواك مداخلها ، يعني العاشق لها ، يعني نفسه .

(٤) يقول - مخاطباً حبيته - : يحملنى على الغيرة جذبك زمامها إليك لأنها تقلب فيها إليك كأنها قبلة ، كما قال مسلم بن الوليد :

وَالعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤُوسِ كَأَنَّهَا يَطْلُبُنَّ مِيرًا مُحَدَّثٍ فِي الْأَحْلُسِ
هذا ، والغيرة : الحمية والأثفة ، لعلها من غار النهار : إذا اشتد حره ، يقال : غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بطلها تغار غيره وغيرا وغاراً وغياراً ؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوداً :

لَهْنَ نَشِيجٌ بِالنَّشِيلِ كَأَنَّهَا ضَرَارٌ حِرْمِيٌّ تَفَاحَشَ غَارَهَا^(١)

(١) نشل اللحم من القدر : انتزعه منها وهو النشيل ، والنسبة إلى الحرم حرمي وهو من العدول الذى يأتي على غير قياس . قال المبرد : يقال امرأة حرمية وحرمية

حَدَقُ الْحَسَانَ مِنَ الْفَوَائِي هَجَنِي لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةٌ وَغَلِيلًا^(١)
حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ الْفَوَائِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلًا^(٢)
الْفَارِجُ الْكَرْبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا وَالْقَارِكُ الْمَلِكُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٣)

وأغار الرجل أهله : تزوج عليها فغارت ، والعرب تقول أغير من الحمى : أى أنها تلازم الحموم ملازمة الفيور لبعلمها . هذا : والغم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فإذا أضيف قلت فوك وفالك وفيك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب ، قال :

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه يصبح عطشان وفي البحر فمه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان : حسناء .
والفوائى : جمع غناية ، وهى القى غنيت بحسنها عن التجميل . والصبابة : رقة الشوق .
والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاعج الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق - الأولى - ويذم : ييجر ويعطى
الذمام ؛ وغيرها : يجوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية . وبدر
ابن عمار . فاعل يذم . يقول ، إنه يجير من كل ما يقتل إلا من أحداق الحسان ، فإنه
لا يستطيع الإجارة منها ، كما قال .

وَوَقَى الْأَمِيرُ هَوَى الْعِيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِبَاسِهِ وَسَخَائِهِ
وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله .

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسانِ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظام عن أوليائه بإزال مثلها بأعدائه ، يعنى أنه
يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم ليغنى أوليائه فيزيل عنهم الفقر . ويقال
فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفرجاً : إذا أزال عنه الغم وكشفه ، والكريب
وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالخفض تشبهاً بالحسن الوجه .

وأصله من قوطلم ، وحرمية البيت وحرمة البيت : قالوا إن أهل الحرم - وهم قريش -
أول من اتخذ الضرائر . شبه غنيتها : القدور بصخب الضرائر

مَحَكُ إِذَا مَطَلَ الْفَرِيمُ بِدَيْنِهِ جَمَلَ الْحَسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفَيْلًا^(١)
نَطَقُ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لِثَامَهُ أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولًا^(٢)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا^(٣)

(١) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوها ، وقد محك
يمحك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك وتماحك اليبعان والحصان تلاحا ، قال
الفرزدق يهجو جريرا :

يا ابن المراغة والهجاه إذا التقت أعناقهُ وتماحك الحصان
ماضراً تلبّ وإئبل أهجوتها أم بُلت حيثُ تناطح البحران^(١)
يقول . إنه يلج في تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى في
ذلك ؛ فإذا مطلوبه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا
أخضعهم قهراً .

(٢) النطق - كالنطق - اللسان البليغ ؛ والضمير في « لثامه » . للممدوح ، قال
الواحدى . وكانت العرب تتلثم بعمائمها ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن
عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطقهُ قلوب
السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

(٣) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا - جاد - به على وكان بخيلا به ، فلما
أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، وللصراع الأول من قول
ابن الحياط .

لمستُ بِكِنْيِ كَفِّهِ أَبْغَى الْغِنَى ولم أدِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدَى
فلا أنا منه ما أفادَ ذُو الْغِنَى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي
وقال أبو تمام :

علمنى جُودك السماحَ فما أبقيتُ شيئاً لدى من صلتك
وقال أيضا :

لستُ بِحَيِّ مُصَافِحًا بِسَلام إننى إن فعلتُ أتلفتُ مالى

(١) المراغة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير
فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرَقًا فِي مُتُونِ عَمَامَةٍ هِنْدِيَّةٍ فِي كَفِّهِ مَسْلُولاً^(١)
وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِباً^(٢) لَوْ كُنَّ سَيْلاً مَا وَجَدَنَّ مَسِيلاً^(٣)

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والصراع الثاني من قول أبي تمام :

هِنَهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمَثَلِهِ إِنْ الزَّمَانُ بِمَثَلِهِ لِبَخِيلٍ

وقال ابن جني : للمعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل : السخاء لا يكون إلا في الوجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا ما تصور من السخاء لبقى أبداً بخيلاً ، والشيء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه في حالة عدمه كثير من الأوصاف التي يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الوجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما أسلفنا . هذا والسخاء الجود ، يقال سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى يسخى سخاء وسخوة قال الجوهري وقول عمرو بن كلثوم

مشعشةً كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا^(١)

أى جدنا بأموالنا ، قال وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال

فليس بشيء .

(١) جعل اسم «كأن» نكرة ؛ وخبرها معرفة ضرورة . والتون جمع متن ، وهو الظهر . والقمامة السحابة . والهندي السيف المصنوع من حديد الهند ، وفي كفه ومسلولاً حالان . وقد عكس التشبيه في هذا البيت ، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا شبه البرق بالسيف فقال كأن برقا في ظهور القمام سيفه إذا سله في يده ، مبالغة في بريقه ولعانه .

(٢) محل قائمه أى قائم السيف أى مقبضه هو يد المدوح ؛ ومواهباً تميز . يقول : إن كفه تسيل نعماً وهبات لو كانت مطراً لما وجدت موضعاً تسيل فيه لسكرتها ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام :

(١) شعشع الشراب مزجه بالماء ؛ والحص الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه الزعفران ، يقول اسقني الخمر بمزوجة بالماء كأنها من شدة حررتها بعد امتزاجها بالماء ألقي فيها نور هذا النبات الأحمر ، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَمَنْ كَأْتَمَّا

يُمْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرَّقَابِ نَحُولًا^(١)
 أَمَقَّرَ اللَّيْثُ الْهَزْبِرَ بِسَوْطِهِ لَمِنِ أَدْحَرَتِ الصَّارِمِ الْمَصْفُولًا^(٢)
 وَقَعَتْ عَلَى الْأَزْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرَّفَاقِ تُلُولًا^(٣)
 وَرَدُّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةَ شَارِبًا وَرَدَ الْفَرَاتَ زَيْرُهُ وَالنَّيْلًا^(٤)
 مُتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا بَسَ فِي غَيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلًا^(٥)

أفاد من العُلْيَا كُنُوزًا لو أَنهـا صَوَامِتَ مَالٍ مَا دَرَى أَيْنَ تَجْمَلُ

(١) مضاربه - جمع - مضرب - حد السيف الذي يضرب به الرقاب ؛ ويبدن : يظهرن . أراد : أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى الزوم والرقبة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأتماهي - لرقبتها - تبدى نحولا من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق ؛ وعبارة بعض الشراح : يصف هذا السيف بالرقبة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولا ، فرقتها من ذلك النحول .

(٢) عفره : مرغه في التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار - كما أسلفنا - هاج أسدا عن بقرة قد اقترسها فوثب على كفل فرسه وأحمله عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش به فقتله . يقول : إذا كفت تصرع الأسد بالسوط - وهو أشد الحيوان بأسا - فلن خبات سيفك ؟

(٣) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرؤوس . والرفاق : جمع رفقته : الجماعة في السفر . وتلولا : حال : أي مائلا للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصف بالسافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٤) الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والزئير : صوت الأسد . يقول : إذا زار في طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين ورد وورد .

(٥) الغيل : الأجمة - الغابة - واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلتطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر

مَا قُوِيَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنُنَّا تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاً^(١)

كأنه في غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما طى كتفيه من الشعر. وكثرته. شبه لبدتيه بالغابة.

(١) الفريق: الجماعة، وهو أكثر من الفرقة؛ وحلولا - أى حالين نازلين - حال من « الفريق »؛ وتحت الدجى: في موضع الحال من نائب « ظننا ». يقول: ما استقبلت عين هذا الأسد في الظلام إلا ظننت نارا أوقدت لجماعة نزلوا موضعا؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السنور وعين الحية تتراءى في ظلمة الليل بارقة هذا: وقد قلنا إن « حلولا » حال من الفريق، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف وإن كان قد جاء في شعر العرب القدامى، كقول النابغة الجعدي من قصيدة يصف فرسا:

كَأَنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِرًا خَضِبِينَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَخْضِبُ
حِجَارَةَ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ كَسِينِ طِلَاءٍ مِنَ الطَّحْلِبِ^(١)
وَكَقَوْلِ زَيْدِ الْفَوَارِسِ:
عَوْذٌ وَبُهْتَةٌ حَاشِدُونَ عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ^(٢)
وَقَوْلِ تَابِطِ شَرَّاءَ:
سَلَبَتْ سِلَاحِي بَأْسًا وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبٍ^(٣)

(١) الحوامى: جمع حامية، ما عن يمين الحافر وشماله؛ وتخضب بدل من « تكن » والفيل: الماء الجارى على وجه الأرض؛ والرضراضة: الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة في ماء قليل وذلك أصلب لها. والنون من « كسين » للحجارة؛ والطلاء كل ما يطلى به، والطحلب، خضرة تملو الماء المزمى؛ ومدبرا حال من الماء في « حواميه » وهو محل الشاهد.

(٢) عوذ وبهته. اسما رجلين، وحلق الحديد الدرور، مضاعفا حال من « الحديد » وهو الشاهد وجاز أن يجعل « يتلهب » في موضع الحال، ومضاعفا، حال من المضمرة في « يتلهب ». ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير المعان الدرور.

(٣) والشاهد هو مجيء بأسا حالا من المضاف إليه، وهو الياء من « سلاحى » وجزاء أن يكون حالا من مفعول « سلبت » المحذوف، والتقدير سلبتى بأسا سلاحى

فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ

لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ (١)

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تَيْبِهِ؛ فَكَأَنَّهُ آسٌ يَجُسُّ عَلِيلاً (٢)

وَيَرُدُّ غَفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ حَتَّى تَصِيدَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا

وَتَظُنُّهُ مِمَّا يَزُجِرُ نَفْسَهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْفُولًا (٤)

فَقَصَرَتْ خَشْفَتَهُ أَنْطَطَى فَكَأَنَّمَا

رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَهُ مَشْكُولًا (٥)

(١) يقول: هو في غيظه منفرد انفراد الرهبان في متعبداتهم، غير أنه لا يعرف

حراما ولا حلالا. والأسد إذا كان قويا هزبراً لم يسكن معه في غيظه غيره من الأسود.

(٢) الثرى وىروى البرى: التراب، والتية: الزهو والمعب. والآسى: الطبيب

والأسد لعزته في نفسه وقوته لا يسرع المشى لأنه لا يخاف شيئا، وقد شبهه في لين

مشيه بالطبيب الذى يجس العليل - المريض - فإنه يرفق به ولا يجعل.

(٣) العفرة: الشعر المجتمع على قفاه. واليافوخ: الرأس. والإكليل: التاج.

يقول: ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالأكليل،

وإنما يفعل ذلك إذا غضب وغطاط يجمع قوته في أعلى بدنه.

(٤) نفسه: فاعل «تظنه» وزجر الأسد: ردد زثيره. ومشفولا: مفعول ثان

للظن؛ وعنها: صلة مشفولا يقول: إن نفسه تظنه مشفولا عنها لكثرة ما يزجر من

شدة غضبه وغيظه. ووقع في بعض الروايات: نفسه - بالنصب - أى يزجر لنفسه؛

والرواية الأولى أصح.

(٥) القصر - هنا - ضد التطويل: والخافة: مصدر مضاف إلى المفعول؛ والخطى:

جمع خطوه، وهى مسافة ما بين القدمين، والكمى: البطل المستتر فى سلاحه؛

والمشكول: اللقيد بالشكال. قال الواحدى: وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وخج (١)

وبال. يقول: كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله (٢) فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه،

قال: هذا تفسير الناس لهذا البيت، قال: وقال ابن فورجه: المعنى لما خاف منك الأسد

تقاصرت خطاه هية ونازعته نفسه إليك جراءة فخلط إقداما بإحجام، فكأنه فارس

(١) فحج: باعد ما بين رجليه ليبول (٢) الشكال الجبل الذى تشد به قوائم الدابة

الَّتِي فَرَيْسَتَهُ وَبَرَبَرَتْ دُونَهَا ، وَقَرُبَتْ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلًا^(١)
 فَتَشَابَهُ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفًا فِي بَدَلِكِ الْمَاءِ كُؤُلًا^(٢)
 أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
 مَتْنًا أَزَلٌّ وَسَاعِدًا مَفْتُولًا^(٣)
 فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٍ يَا بَنِي تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلًا^(٤)
 نِيَالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهُمَا تَعطَى مَكَانَ جِلْمِهَا مَا نِيَالًا^(٥)

كمن ركب فرسه مشكولا ، فهو يهيجه للاقدام بجراً ، والفرس يحجم عجزاً عما يسومه
 لمكان شكله .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التي هاجه عنها .
 والبربرة : الصياح والبربرة - في الأصل - كلام الغضب استعارها لزجرجة الأسد .
 وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل
 سن كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل في الأعراس . يقول : لما قصدته ألقى
 الفريسة وزجر دونها ، يعني ذودا عنها ، لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .
 (٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق المدوح ، والضمير من «إقدامه»
 للأسد . يقول : تشابها في الجراءة والإقدام وتخالفا في أن الأسد شحيح بطعامه
 وأنت جواد باذل له ، كما قال البحري .

شاركته في البأس ثم فضله بالجود محقوقاً بذلك زعيماً
 (٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛
 والأزل : الأرسح - أي القليل لحم العجز والفخذين - وامرأة زلاء : لا عجز لها ؛
 والسمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهي صفة لازمة له
 كما يقال الضبع العرجاء والمفتول الندمج الشديد كأنه قتل أي لوى - يقول : إن هذا
 الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه ممسوح وساعده مفتول فقد أشبهه منك
 هذان العضوان .

(٤) ظامئة الفصوص : يعني فرسا دقيقة المفاصل ليست برهلة رخوة . يقال خيل
 ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب في سرج فرس
 بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأتي أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .
 (٥) نيالة : فعالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة - بفتح فكسر - الحاجة

تَذْمَى سَوَالِفَهَا إِذَا أُسْتَحْضَرَتْهَا وَيُظَنَّ عَقْدُ عِقَانِهَا مَحْلُولًا^(١)
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولًا^(٢)
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
يَبْنِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَيْلًا^(٣)

والشيء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ وما نيل : نفى . يقول : إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حصرها - جريها - وهي طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام مانيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزي : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهي مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنْأَلُ قَدَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنْأَمِلَهُ

(١) السوالف : جمع سالفة ، وهي صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضرة ، وهو الركض . والعنان : سير اللجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها ، وقال الواحدى : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ يعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض الشراح : إنما تدير عنقها ورأسها كيف شاءت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدوداً قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدى : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(٢) الزور : وسط الصدر حيث تلتقى عظامه ، عاد إلى وصف الأسد يقول : ما زال هذا الأسد حين لتيك يجمع قوى نفسه في صدره حتى صار عرضه في قفله طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٣) يدق . يكسر ، والطحبار والطحبارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة ؛ والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو في أسفله ؛ وكتب يحيى بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر عبدالعزيز : أجملوا في الطلب ، فلو أن رزق أحدكم في

وَكَأَنَّهُ غَرَّمَهُ عَيْنٌ فَادْنَى لَا يُبْصِرُ أَلْطَبَ الْجَلِيلِ جَلِيلًا^(١)
أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ تَارِكٌ فِي عَيْنِهِ الْمَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا^(٢)
وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا^(٣)
سَبَقَ التَّقَاءَ كَهُ يَوْثِبَةٌ هَاجِمٌ
لَوْ لَمْ تُصَادِمَهُ لَجَازَكَ مِيلًا^(٤)

عرعره جبل أو حضيض أرض لأناه قبل أن يموت ؛ وعرعره الجبل : أعلاه . يقول :
إنه لفضبه يضرب الأرض بصدرة فيدق الحجر كأنه يريد أن يخفر الأرض ويتخذ
سيلا إلى قرارها .

(١) ادنى : اقتعل ، من الدنو : أى اقترب . يقول : كأن هذا الأسد غرته عينه
ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هية لك ، ولكنه مغرور ، ظن الخطب
الجليل - وهو مقاتلتك - غير جليل .

(٢) الأنف والأنفة : الاستنكاف ، قال ابن جنى : من عادته - أى المتنبى - أن
يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسدداً لما هو فيه ، كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث بجمّة أسنة قومٍ لاضعافٍ ولا عُزلٍ

فالحوادث جمّة : جملة اعتراضها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه . يقول : إن الكريم
يأنف من الدنيا فلا يهرب ، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل في عينه : قال
العكبرى : وهذا عذر للأسد . يقول : لم يهرب الأسد وأنفته جعلت في عينه العدد
الكثير قليلاً حتى كأنه في عينه قليل . وقال اليازجى يقول : إن أنفة الكريم في أن يغاب
بالجن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلاً ، يشير
إلى ثبات المدوح وإقدامه على الأسد خوفاً من عار الهزيمة .

(٣) مضاض : مؤلم مومع ؛ والحتف : الهلاك . يقول : إن العار مومع فمن خافه
لم يخف الهلاك ، وهذا كقولهم من أنف من الدنيا لم يحجم عن المنية وهذا البيت مثل
الذى قبله في الاعتراض كما قال ابن جنى .

(٤) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك ، والليل من الأرض : قدر منتهى مد
النظر ، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم ، والجمع ؛ أميال وميول ،
يقول : أنه أعجلك من التفاتك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند
وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها .

خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ

فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيدَ^(١)

بصت مَنِيَّتِهِ يَدِيهِ وَعُنُقَهُ فَكَأَنَّهَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولًا^(٢)

سَمِعَ ابْنَ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَجَايَهَرُزُولٍ مِنْكَ أَمْسٍ مَهُولًا^(٣)

وَأَمْرًا مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فَرَارُهُ ، وَكَقْتَلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا^(٤)

(١) خذله : خانه ولم ينصره ، وكأخه استقبله في الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة والتجديد : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة . وهي الأرض : أى صرعه ، يقول ؛ خاتته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك - الانقياد وترك الخصومة - وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر في ذلك ، وهذا من التهكم .

(٢) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن منيته حانت على يدك فقبضت على يده وعنقه لا يستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا . قال الواحدى : أساء أبو الطيب في هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح ولا غناء في قتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى في نسبة الإساءة إلى التنبي ، لأن المعنى بديع - كما ترى - ولا غبار عليه .

(٣) الهرولة : الاضطراب في العدو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسداً كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسداً آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٤) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكقته : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك ، لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالدم والعباب ، وهذا من قول أبي تمام :

أَلْفُوا النَّمَايَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُحَلِّ العَيْشَ وَهُوَ قَتِيلٌ

وله أيضا :

لَوْلَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذْ

لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الحَزَنِ

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خُلَّةً

وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا^(١)

لَوْ كَانَ عَلَيْكَ بِالْإِلَهِ مُقْسِمًا فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا^(٢)

لَوْ كَانَ لَفُظِكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْتَوَزَّاةَ وَالْإِنْجِيلَ

لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَغْرِفُوا التَّامِيلَ^(٣)

(١) الخلة : الخليل ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والخلولة . وقال أوفى بن مطر المازني :

ألا أبلغاً خلتي جابراً بأن خليلك لم يقتل

تخطأت النبل أحشاه وأخر يومي فلم يعجل^(١)

ومثله قول الحماسي :

ألا أبلغاً خلتي راشداً وصنوي قديماً إذا ما اتصل^(٢)

يقول : إن تلف الأسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذي فر منك ، ووجب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط في هذا البيت والذي بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الوجود لا يؤمل : أي فكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطى فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال :

لم يُبق جُودُكَ لي شيئاً أوَّملهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بلا أمل

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب - وهو تعظيم الثانية - ضرورة قال

(١) تقدم شرحهما .

(٢) يقول : أبلغا ابن عمي راشدا صديق من عهد قديم ، إذا وصلت إليه ؛ وبعده :

بأن الدقيق يهيجُ الجليلَ وأن المرزب إذا شاء دَلَّ

فَلَقَدْ عُرِفْتَ ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً ،

وَلَقَدْ جُهَلْتَ ، وَمَا جُهَلْتَ مُخَوَّلًا (١)

نَطَقْتَ بِسُوءِ دُوكِ الْحَمَامِ تَفَنِّيًا ، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلًا (٢)

مَا كَلُّ مِنْ طَلَبِ الْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كَلُّ الرَّجَالِ فَخُولًا (٣)

وقال وقد نظر إلى جانبه خلمة مطوية * * * فسأل عنها ف قيل هي خلع الولاية ، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلًا :

أَرَى مُحَلَّلًا مَطْوَاةً حِسَانًا عِدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا أَعْتِلَالِي (٤)

العكبري : وهذا كثير إذا كان في حرفي العلة - الواو والياء - ومثله بيت الكتاب - كتاب سيويه - :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ أَيْدِي نَسَاءِ يَتَمَاطِينَ الْوَرِقِ (١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز ؛ ومخولا : مفعول لأجله ؛ وحقيقة الشيء ما ثبت من أمره ؛ والحامل : الساقط الذي لا نباهة له ولا شهرة . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من سخائمك وجودك ، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك ، لأنهم لا يبلغون كنه قدرك ، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك ، فليس جهلهم إياك لأنك حامل الذكر :

(٢) السؤدد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل ؛ فالحمام إذا غنت فأعما تنطق بسيادتك ، والحيل إذا صهلت فأعما تنطق بغزواتك التي تكلفها إياها ، والبيد تنميم وتأكيد للبيت السابق .

(٣) نافذا ومخولا : منصوبا بما على أنها حجازية ، والنفاذ جواز الشيء والمخولوص ومنه نفذ ينفذ نفاذاً ونفوداً ، ورجل نافذ في أمره ونفوذ ونفاذ : ماض في جميع أمره وأمره نافذ : أي مطاع ، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذاً ونفاذاً : خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسأثره فيه ، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفوداً . يقول : ليس كل من رام الرفعة والمعالي يبالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شعبان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(٤) عداني : منعي ؛ واعتلالي : فاعل عداني ؛ وأراك بها : أي أراك وهي عليك

(٨) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذي لا حجارة فيه .

منظر السيرة
عبد الله بن عبد الله

وَهَبَكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجَتْ عَنْهَا أَتَطْوِي مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ (١)
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوْاخِرُهَا الْأَعَالِي مَعَ الْأُولَى بِجِسْمِكَ فِي قِتَالِ (٢)
تُلَاحِظُكَ الْعُمُيُونَ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْنِدَةَ الرَّجَالِ (٣)
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلَامٍ ؛ فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَابَ الرَّمَالِ (٤)
وَإِنَّ بِهَا ، وَإِنَّ بِهِ لِنَقْصَا وَأَنْتَ لَهَا النَّهَائِيَةُ فِي الْكَمَالِ (٥)

* * *

ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذي لبس فيه الخلعة عيلا .

(١) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها . أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعني أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقي عليه من الجمال ما لا يطوى ولا يزول .

(٢) يصفه حين كانت الخلع عليه : يريد بأعلى الثياب : ما ظهر منها للأعين . يقول أقامت أعلى ثيابك تحسد الذي يلي جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله فيبينهما قتال لذلك .

(٣) فيها : أى فى الخلل : أى إن العميون تنظر إليك نظر الحبة والسرور وأنت فى هذه الخلل كأنك فى قلوب أصحاب العميون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الخلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان . وقال غيرها : أى يديمون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعميون إنما تنظر إليك لأن القلوب تحبك - كما قال ابن جنى - أو تستحسن الخلع - كما قال ابن فورجه .

(٤) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيتها فكأنى أقول إنى أحصى الرمل ، وهذا ما لا تقبله العقول ، لأنه عمال .

(٥) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لا يزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك ؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك .

وقال فيه أيضاً :

عَدَلْتُ مُنَادِمَةَ الْأَمِيرِ عَوَازِلِي

فِي شُرْبِهَا وَكَفْتُ جَوَابَ السَّائِلِ (١)

مَطَرْتُ سَحَابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوَانِحِي

وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَأَصْطِنَاعُكَ حَامِلِي (٢)

فَمَسَّتْ أَقْوَمُ بِشُكْرٍ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فِيكَ عَلُوٌّ قَدْرِ الْقَائِلِ (٣)

* * *

(١) العذل الملام ، وكفيته الأمر أغنيته عنه ، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لامنى على شرب الخمر لامته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف ، وليس للعاذل أن يعذل على ما يورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لم تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادم فلانا منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه ، قال النعمان بن فضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فَإِنْ كَدْتَ نِدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي ، وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمَثَلِ
لَمَلِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَنَادُمْنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمَثَلِ
وجمع النديم : ندام وندماء ، وجمع الندمان : ندامى ، والمرأة ندمانة ، والنسوة ندامى ، ويقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه ، لأن القلب فى كلامهم كثير كالتقى من القروس ، وجذب وجيد وما أطيبه وأيطبه ؛ وخنز اللحم وخزن .

(٢) الجوانح الأضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلي الصدر . والاصطناع المروف بالإحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنانى جودك . فحملت شكرك على هذا الإحسان ، وإحسانك حملنى - لأنه كفاى المؤنة - وتحمل أنقالى .

(٣) أوليتنى ، أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومضى سؤال عن الزمان ، كأنه قال - منكرآ - أى زمان أقوم بشكر ما أعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أنيت عليك وشكرتلك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبني علوا ورفعة : أى أن شكرىك يرفع قدرى .

وقال يمدحه :

بَدْرٌ فَتَى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَالِهِ يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ (١)
تَتَحَيَّرُ الْأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ (٢)
قَمْرًا نَزَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِعِ مِنْ وَجْهِهِ وَبِمَيْنِهِ وَشِمَالِهِ (٣)
سَفَكَ الدَّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسَهُ كَرَّمًا لِأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ (٤)

(١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجالاً :

* يا أيها الملك الذي ندمأوه *

إلى أن قال :

وَالصِّدْقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَقُلْ لَنَا أَمِنَ الشَّرَابُ تَسُوبُ أُمٌّ مِنْ تَرْكِهِ (١)
فقال بدر : بل من تركه : فقال أبو الطيب هذه الآيات .
يقول : إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظه هو منه ، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظه من ماله أوفر .

(٢) يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل في جانب دولته لاقتضاها الزيادة على ما فعل .
(٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثاني . قال ابن جنى : أى إن يمينه تسع العطاء ، وشماله الدماء ؛ قال ابن فورجه : الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين في كل شيء ؛ وإنما يكون عمل الشمال كالعانة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

(٤) يقول : إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم ، لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالاً له ، فالباعث له على قتلهم هو الجود ، وهذا كقوله :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَقَى إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابِ

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ما قاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء

(١) انظر قافية الكاف .

إِنْ يُغْنِي مَا يَجْوِي فَقَدْ أُتْبِقِي بِهِ ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ^(١)

سأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :

قَدْ أُبِتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَةً وَعِغْتُ فِي الْجَلْسَةِ تَطْوِيلًا^(٢)
أَنْتَ الَّذِي طُولُ بَقَاءِ لَهْ خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهَنَّ مِنْكَ أَوَاهِلُ^(٣)

وقال ابن جنى : أبلغ من هذا في المدح أنه ينحر ويذبح ليا كل الطير مما يجده من اللحم ، فسكأنه سفك الدماء بجوده لا يباينه .

(١) قال ابن جنى : لوقال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بقلبي غرام لست أبلغ وصفه على أنه ما كان فهو شديد

تمر به الأيام تسحب ذيلها فتنبلي به الأيام وهو جديد

قال : وله أن يحتج عنه فيقال : إن الأيام بعض الدهر ، وليست هذه الأيام جميعه ؛ وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء الحب ، فقال إن الغرام باق بقلبي فإذا ما زال زال معه الذكر ، وقول أبي الطيب بقى الذكر له إنما يصح ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

(٢) أبت : رجعت . وعغت : كرهت . يقول : لم أطول في جلوسى عنده لأنى رجعت وقد قضيت حاجتى .

(٣) أقفرت : خلوت ورحل عنك أهوك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول :

عاطباً منازل الأجابة - : قد تمثل خيالك في قلوب المحبين فكانت لك فيها منازل ، غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت أهلة بك ، لأن مثالك لا يزالها .
وعبارة الواحدى : لم تدرس منازلك في القلوب وإن أقفرت أنت ، يعنى تجدد ذكرها في قلبه . وهذا من قول أبي تمام :

وقفت وأحشائي منازلٌ للأسى به وهو قفر قد تعفت منازلُه

يَعْلَمَنَّ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتِ وَإِنَّمَا أَوْلَاكُمْ بِكُمْ عَلَى الْعَاقِلِ^(١)
وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ فَمَنْ الْمُطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلِ^(٢)

ومثله للبحرئى :

* عَفَّتِ الدِّيَارُ وَمَا عَفَّتْ أَحْشَاؤُهُ *

وقال ابن المعتز :

بَوْسًا لِدَهْرٍ غَيْرَتِكَ صُرُوفُهُ لَمْ يَمْنَحْ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَمَحَا كَا
قال ابن جنى : بيت المتنبي أجمع من بيت أبى تمام ، لأنه ذكر منازل الحزن شخص ،
والمتنبي ذكر المنازل فعم ، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى فى كلمتين .

(١) قوله يبكى عليه : يروى يبكى عليه ، أى أولاً كما بأن يبكى عليه ؛ فحذف الجار
ثم حذف «أن» ، وأولاً كما : أى أحقك ، مبتدأ ، خبره : العاقل . وذلك : خطاب
للمنازل . يقول : إن القلوب التى هى منازل لديار الأجابة تعلم أن الأجابة قد رحلوا
وتركوها خالية ، أما الديار فلا تعلم ذلك والذى يعلم - وهو القلوب - هو الأولى بأن
يبكى عليه لعلها بما ألم به . وعبارة الواحدى : إن منازل التى فى القلب تعلم إقفارك وخلوك
من الأجابة وأنت لا تعلمين ، والأحق منك بالبكاء عليه هو العاقل ، يعنى القلب ، أى
أن قلبى أحق بأن يبكى عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك ، أما هو فعليم به ،
وقال ابن جنى . أى إن منازل الحزن بقلبي تعلم ما يمر بها من ألم الهوى وأنت
تجهلين ذلك .

(٢) اجتلب : افتعل من الجلب ، والنية : الموت ، والطرف : النظر ؛ قال اللغويون
الطرف اسم جامع للبصر . لا يثنى ولا يجمع ، لأنه فى الأصل مصدر فيكون واحداً ، ويكون
جماعة ، قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم » يقول : إن طرفى هو الذى جلب النية إلى
بالنظر ، فمن أطالب بدمى وأنا الذى قتلت نفسى ؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح :
وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتي بكفى إلا أن ما حانَ حانُ^(١)

(١) قبله :

وإني لمن دمع عيني بالبكا حذاراً لما قد كان أو هو كأن
وقالوا غداً أو بعد ذلك بليلة فراق حبيب لم بين وهو بأن
وفى الأغاني :

* بكفيك إلا أن من حان حان * *

« والحان المالك »

تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظَّبَاءِ وَعِنْدَهُ
اللَّاءُ أَفْتَكُمَا الْجَبَانَ بِمُهَجَّتِي
الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرُ
كَأَفَانْنَا عَن شِبْهِنَّ مِنَ الْمَهَا
مِن كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٍ خَاذِلٍ (١)
وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَى الْبَاخِلِ (٢)
وَالْحَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ (٣)
فَلَمَّهَنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ (٤) -

ويقول دعبل :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ
لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا
ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

(١) الضمير في « وعنده » للذي اجتلب - في البيت السابق - يعنى نفسه . والظباء أى الجبابب الصهباء بالغلزان . والتابعة : التى تتبع أمها فى المرعى . أراد : الصغيرة السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول : وهى التى تتخلف فى المرعى عن صواحبها . يقول : تخلو الديار من حسانها ، وتفارقها وخيال من أهواه لا يفارقتى . وقال الواحدى : تخلو الديار من النساء الحسان وعندى من كل صغيرة منهم خيال يأتينى كأنه تأخر عنهن .

(٢) اللاء : أى اللواتى ، نعت للظباء ، أو بدل « من كل تابعة » ؛ وأفتكها : مبتدأ ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتي : صلة « أفتكها » ؛ وكان الوجه تقديم « بمهجتي » على « الجبان » ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزى : الباء من قوله « بمهجتي » متصلة فى المعنى بأفتكها ، إلا أنه لا يمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله : الجبان ، ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل عليه أفتكها ، فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتسكت بمهجتي ؛ ويريد بالجبان : النافرة من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي هى النفور التى أنا مغرم بها . والبخيلة منهم بالوصل هى أحبهن إلى قربا .

(٣) الراميات : أى هن الراميات ، ولك أن تجرها على التبعية ، ومثلها الحاتلات . والحتل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول ترميننا بسهام لحاظهن وهن عنا نافرات غير مقبلات علينا ، وكذلك يختلننا - يصدتنا - بحسنهن غير عالما بذلك .

(٤) المها : بقر الوحش ، تشبه الحسان بها لحسن عيونها . والجبالل : جمع جباله الشرك ينصب للصيد ، يقول : هؤلاء يشهن بقر الوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن

مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرَّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرُّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلَاحِلٌ (١)
 وَلِذَا أَسْمُ أَغْطِيَةِ الْعَيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ الشُّيُوفِ عَوَامِلٌ (٢)
 كَمْ وَقْفَةٌ سَجَرَتِكَ شَوْقًا بَعْدَمَا
 غَرِي الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ (٣)

وعن تصيد بقر الوحش ، فجازيننا عنهم وأخذن بنارهن في صيدنا شبهن فصدتنا
 بمجانل نصبها في غير التراب ، يعني بأعينهن .

(١) الثغر : جمع ثغرة ، وهي ثغرة البحر التي بين الترقوتين ، والجاذر ، جمع
 جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والمراد بالجاذر : النساء والدمالج : جمع دملج
 وهو حلى يلبس في العصد . والخلاخل : جمع خلخل ، لفة في خلخال . وجآذر
 وخالخل : مبتدآن ، خبرهما : الجار والمجرور قبلهما . يقول : إنهن يفعلن بحسنهن
 مايفعل الطاعن بالرمح : أى يقتلن بهواهن ، وحليهن تفعل ما تفعل الرماح ، وعجابه
 ابن جنى والواحدى : نساء مثل الجآذر بحليهن يفعل مايفعل الطاعن بالرمح ، كما قال
 الآخر :

هَلْ يَفْلِيَنِّي وَاحِدَ أَقَاتِلُهُ رِيْمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سِلَاسِلُهُ
 * سِلَاحُهُ يَوْمَ الْوَعْنَى مَكَا حِلُهُ *

وقال صريع الغواني .

بَارَزْتَهُ وَسِلَاحُهُ خَلَاحِلُهُ حَتَّى فَضَضْتَ بِكُنْفِي الْخَلَاحِلَا

(٢) يقول : إنما سميت أغطية العيون جفوناً لأنها تتضمن أحداقاً تعمل ما تعمله
 السيوف فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف ، وهو الجفن ؛ ومن أنها : بيان لذا ،
 والضمير - من قوله أنها - للعيون . وعمل مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .

(٣) سجرتك : ملأتك ، ومنه : «والبحر المسجور» ويجوز أن تكون بمعنى الهبتك
 ويروى شجرت : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ما شجرك عنه : أى ما صرفك :
 من قولهم شجرتك الدابة : إذا أصبت شجرها - والشجر ما بين اللحين - باللعجاء لتكفها ،
 ويروى سحرتك أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سحرك : أى رثت .
 وغري به : أولع ؛ واللجاج : التمدى في المباحة . يقول - مخاطباً نفسه - . كم وقفة لك
 مع الحبيبة تركتك على هذه الحال ؟ وتعام الكلام في البيت التالي .

دُونَ التَّمَانِي نَاحِلِينَ كَشَكَلْتِي نَصَبَ أَدَقَمَهَا وَمَمَّ الشَّاكِلِ (١)
 إِنْعَمَ وَلَدًا فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أِبْدَاءُ إِذَا كَانَتْ لِهَيْبِ الْوَائِلِ (٢)
 مَا دُمْتَ مِنْ أَرْبِ الْحَسَانِ فَإِنَّمَا رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلُّ زَائِلِ (٣)
 لِلْهُوِ آوَنَةٌ تَمْرُهُ كَأَنَّهَا قُبُلُهُ يَزُودُهَا حَبِيبُ رَاحِلِ (٤)
 جَمَعَ الزَّمَانُ فَمَا لَدَيْدٌ خَالِصٌ مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورٌ كَامِلِ (٥)
 حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رُوِيَ يَتَهُ الْمُنَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلِ (٦)

(١) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفنا وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى يعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضنا من بعض ولم تتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتى نصب - أى فتحتين - قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما بقرب إحداها من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تَعَانُقِي كَمَا تَعَانُقُ لَامُ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا
 ومثله لأبي إسحق الفارسي :

ضَمَمْتُهَا ضَمَّةً عُدْنَاهَا جَسَدًا فَلَوْ رَأَتْهَا عِيُونَ مَا خَشِينَاهَا
 (٢) يقول : تمتع بالنعمة واللذة ما بقى لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول ؛ أنه يفنى ولا يبقى .

(٣) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : لما مصدره زمانية ، والظرف المتأول منها سلة « انعم » . يقول ؛ انعم ولد مادام للحسان أرب فيك : يعنى مادمت شابا ، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .

(٤) آونة : جمع أوان كزمان وأزمنة ؛ والقبل : جمع قبلة . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذيذة ولكنها وشكله الانقضاء كذلك ساعات للهو وأوقات السرور .

(٥) و (٦) جمع الفرس : غلب فارسه ، وجمع الرجل : ركب هواه ؛ فلا يمكن رده قال الشاعر :

خَلَفْتُ عِذَارِي جَائِحًا لَا يَرُدُّنِي

عَنِ الْبَيْضِ أَمْثَالِ الدَّمِيِّ زَجْرُ زَاجِرٍ

مَمْطُورَةٌ طُرُقِي إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَأَبِلٍ^(١)
مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَنْثِي الْأَزِمَةَ وَالْمَطِيئِي ذَوَامِلٍ^(٢)

وجمحت المرأة تجمّع جماحاً من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها
ومثله طمحت طمّاحاً ، قال :

إِذَا رَأَيْتَنِي ذَاتُ ضِفْنٍ حَفَّتِ وَجَمَحَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنْتِ
وجمّح إليه : أسرع ، وقوله تعالى « لولوا إليه وهم يجمعون » قال الزجاج : أي
يسرعون إسراعاً لا يرد وجوههم شيء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى :
فرس جموح له معنيان أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب
الرأس لا يثنيه راكبه ، وهذا من الجمّاح الذي يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثاني أن يكون
سريعاً نشيطاً مرحاً ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و « ما » من قوله
« بما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شيء . ويشوب : يخلط . وأبو الفضل : كنية
الممدوح ؛ واللى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهبوب الخوف . يقول : جمع
الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى إن هذا الممدوح
رؤيته منى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه
المنية من شائب ينقصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — تخلص — ماروى
أغرب منه

(١) ممطورة : خبر مقدم عن طرقى ؛ وإليها : صلة طرقى ؛ ودونها : خبر مقدم عن
وابل : والفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل : المطر الغزير : يقول : إن طرقى
إلى رؤية الممدوح ممطورة بأثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه ،
ودون الوصول إلى رؤيته — أى بينى وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج ، فالضمير
فى « بها ، ودونها » لرؤيته ، وروى « إليه ودونه » والضمير : للممدوح .

(٢) الأزمة : جمع زمام ، ماتقاد به الدابة وذوامل : مسرعات . يقول : إن رؤيته
محبوبة بما يفشاها من الهابة التى ترد الأبصار عن النظر إليه ، حتى لو أن مطياً أسرع
فى سيرها واعترضتها هذه الهيبة : لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقاً من الإقدام ؛
قال الواحدى : وهذا إلى الهيباء أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر
الكلام فقال : كأن على الطرق إليه سرادقاً يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس
أبداً ينخون نحوه . هذا : والسرادق — وجمعه سرادقات — هو كل ما أحاط بشيء ، نحو
الشقة فى المضرب . أو الحائط المشتمل على شيء ، أو الحباء ؛ قال فى الصحاح : السرادق

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَالرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ وَاللِّبْحَارِ وَالْأَسْوَدِ شَمَائِلٌ^(١)
وَلَدَيْهِ مَلْعَقِيَانِ وَالْأَدَبِ الْمَفَا دِ وَمَلْحِيَاةٌ وَمَلَمَاتٍ مَنَاهِلٌ^(٢)
لَوْ لَمْ يَهَبْ لَجَبُّ الْوُفُودِ حَوَالَهُ
لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلِ^(٣)

الذي عمد فوق صحن الدار، وكل بيت من كرسف - أي قطن - فهو سراق
قال روية :

يَا حَكْمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ الْحَمُودُ
سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ تَمْدُودُ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاوَهُ صَدُورَ الْفِيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسْرَدَقِ

(١) الشمائل : الخلائق والطبائع : جمع شمال . يقول : فيه إضاءة الشمس ومنفعتها

وبهاؤها ؛ وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح في أحياء البلاد وسوق
الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه في المطاء .

(٢) ملعقيان يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخست النون
بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالفتحة ؛ ومثله: ملحية وملمات ؛ والعقيان : الذهب . والناهل
الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن
الحياة : أي لأوليائه ؛ ومن المات : أي لأعدائه ، وقد زاد على أبي تمام في قوله :

تَرْبِي بِأَسْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ

لأنه ذكر الموت والحياة .

(٣) اللجب . الضميج ؛ والوفود ؛ الذين يقدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛

كحواله وحواليه ؛ والقطا ؛ الطائر المعروف ، والفلاة ؛ الصحراء ؛ والناهل . الوارد على
منهل الماء ؛ قال ابن جنى ؛ يعني لولم يخف القطا أصوات الوفود يبابه لسرى إليه ليشرب
منه ، وقال ابن فورجه ؛ يعني أن القطا يراه ماء معيناً فيهم يوروده ويشفق من لجب
وفوده على عادة الطير ؛ قال الواحدى بعد أن ساق كلامهما ؛ المعنى أنه لعموم نفعه تهم
الطير بالورود غليه لتتفع غلتها . ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما
ذكر الشيخان .

يَدْرِي بِمَا يَكُ قَبْلَ تَنْظِيرِهِ لَهُ مِنْ ذَهَبِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تَسَائِلِ (١)
 وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًا لَهَا وَمَوْلِيًّا أَحْدَاقَنَا وَتَحَارُّ حِينِ يُقَابِلِ (٢)
 كَلِمَاتُهُ قُضِبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَمِنُ مَفَاصِلِ (٣)
 هَزَمَتْ مَكَارِمَهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا حَتَّى كَانَتْ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلِ (٤)
 وَقَتْلَنَ دَفْرًا وَالذَّهِيمَ فَمَا تَرَى أُمَّ الذَّهِيمِ وَأُمَّ دَفْرٍ هَابِلِ (٥)

(١) أراد قبل « أن » في الموضعين حذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهنه : صلة يدري . يقول : هو - لذكائه وحدة ذهنه - يدري ما تطلب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل .

(٢) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعتراضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر إليه من الهيبة ، وإنما تراه في حال اعتراضه وتولييه لا نحرافه عنها حينئذ .

(٣) القضب جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل : قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة ، وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى العظمين . يقول : كلاته سيوف قواطع أيها أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل : يعنى أنها تنصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حتى كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش . كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره : وقنابل : يروى قبائل .

(٥) يقال للداهية : أم دفر . وأم الدهيم ؛ والدفر - فى الأصل - النتن ، ثم سميت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ؛ - فى الأصل - اسم ناقة كانت لعمر بن الريان بن الدهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقمهم كشيْف بن زهير فضرب أعناقهم ، ثم حمل رؤسهم فى جوائز وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم أدخلها فى الإبل فراحت على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوازق : أظن بنى صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوازق ، فإذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البر على القلوص . نذهبت مثلاً ، فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ، والهابل : الثاقل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت فكان أمها صارت ثاكلاً ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لأن مكارمه

عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللَّحْجُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لُحْجٍ سَاحِلٌ^(١)
لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَوَلَدَ النِّسَاءَ وَمَا لِهِنَّ قَوَائِلٌ^(٢)
لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ لَدَرَّتْ بِهِ ذَكَرٌ أُمُّ أُنْتَى الْحَامِلِ^(٣)
لِيَزِدَ بَنُو الْحَسَنِ الشَّرَافُ تَوَاضُعًا هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلٌ^(٤)

عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح في إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك ، ثم ابتداء وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما ترى أراد لما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : ابتداء ، وهابل خير لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(١)

فلم يقل تنهلان لا كتفأته بأحد الضميرين .

(١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون إليه فى مسائلهم ، وهو فى جوده ليج ليس له منتهى ، وكل ليج له منتهى ينتهى إليه إلا هذا .

(٢) مثله : نعت لمصدر محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوابل :

جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوابل فى تلك الحال :

(٣) الجنين : الولد فى بطن أمه ؛ وبيانه : مفعول مطلق : أى كبيانه ؛ وضمير

« به » : للجنين ، والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنتى : أراد أذكر هو أم أنتى فحذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنتى » بعد نقل حركتها إلى

الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم - أى كما بان كرمه حين كان جنيناً - لما القبس على الحامل الذكر بالأنتى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود

كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنثى .

(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو ما يضرم فيه النار ليهتدى به فى الأسفار وغيرها

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة - بالقاف - تروى زحلوقة - بالفاء - وهما

لقتان ، وهى آثار تزج الصبيان من فوق إلى أسفل .

سَتَرُوا النَّدَى سَتَرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ قَبِدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ (١)
 جَفَخَتْ وَهَمٌّ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِيَهُمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ (٢)
 مُتَشَابِهِي وَرَعِ الثُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ عَفُ الْإِزَارِ حُلَا حِلُ (٣)
 يَا أَفْخَرَ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ (٤)

قال الواحدي : يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً ، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع . وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل في الظلام ، فإنها لا تخفى ، ومتى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر ؛ كذلك : متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر . وقال ابن بري : كان لهذا المدوح نسب في ولد الحسن بن علي عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع ، لأنهم كلما ازدادوا في التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لا يفتكم ، كما أن المشاعل لا تنكتم في الظلام .

(١) السفاد : نزو الذكر على الأنثى . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه . يقول : إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده . ثم ذلك لا يفتكم ، كما لا يخفى السحاب الهاطل .

(٢) جفخت : خفرت وتكبرت ؛ وشيم : فاعل جفخت ؛ وهم : متعلق بجفخت ، وجملة وهم لا يجفخون بها : معترضة ؛ والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق والطبيعة ؛ والحسب : ما يعد من مآثر الآباء ؛ والأعر السيد الكريم . يقول : إن لهم شيئا كريما تدل على ما لهم من الحسب الشريف ، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لعدم عن الزهو والخيلاء .

(٣) متشابهي : كأنه منصوب على الحال من ضمير « يجفخون » ؛ والورع التقوى وعف الإزار وعفيفه : منزّه عن الفحشاء ؛ والحلاجل : السيد العظيم . يقول : هم سواء في التقوى والورع ، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة .
 (٤) يا أخر : يريد : يا هذا أخر ؛ لحذف للنادي ؛ ويجوز أن تكون « يا » للتنبية كقوله تعالى « ألا يا اسجدوا لله الذي يخرج الخبء » كأنه قال « ألا اسجدوا » وكقول ذي الرمة :

ألا يا أسلي يا دارمي على البلي ولا زال مُنْهَلًا بِحَرَائِكِ الْقَطْرِ

ويروي : فأخر ، ثم قال : إن الناس فيك ثلاثة أقسام : إما مستعظم يستعظمك . لما رى من عظمتك ، أو حاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل جهل قدرك .

وَلَقَدْ هَلَوْتَ فَمَا تَبَالَى بَعْدَمَا عَرَفُوا: أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ^(١)
 أَتُنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءَ لَقُلْتُ لِي قَصَّرْتَ فَأَلْإِمْسَاكَ عَنِّي نَائِلُ^(٢)
 لَا تَجْسُرُ الْفُصْحَاءُ تُنَشِدُ هَهُنَا بَيْتًا وَلَكِنِّي الْهَزْبُ الْبَاسِلُ^(٣)
 مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلَا سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ^(٤)
 وَإِذَا أُتِنْتَ مَذْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ^(٥)

(١) يقول : بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكثرت لذم الحاسد لأنه لا ينقص من قدرك ، ولا لحد الحامد لأنه لا يزيدك علواً : فقوله بعد ما عرفوا : أى بعد الذى عرفوه - فالضمير للناس ، والعايد إلى «ما» محذوف :

(٢) النائل : العطاء . يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى بعد ما عرفت تقصيرى . وبعبارة أخرى : إني قصرت في الثناء عليك ، فكان حقاك أن تؤاخذنى بهذا التقصير ، ولكنك أمسكت عنى تسكراً وتفضلاً فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزه لكفانى .

(٣) تنشد : أى أن تنشد ، فحذف « أن » فرفع الفعل ، والجزر : الأسد والباسل الشديد . يقول : لهيبتك وعلملك بالشعر وتميزك جيده من رديته لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى - لجودة شعري واقتدارى - أجرؤ على ذلك . قال الواحدى : وقول أبى نصر بن نباتة فى هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول :

وَيُلْمَهَا عِنْدَ الشُّرَاقِ هَيْبَةٌ لَوْ سَابَقَتْ قَضَبَ الْعِظَامِ فَضَائِلُ

نَفَضَتْ عَلَيَّ مِنَ الْقَبُولِ حَجَبَةً قَامَتْ بَضْبِعِي فِي الْمَقَامِ الْهَائِلِ

(٤) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب السحر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها - كما جاء فى القرآن الكريم . - يقول . ما نال شعراء الجاهلية جميعاً شعري ولا سمع أهل بابل بمثلى سحرى فى الشعر .

(٥) يقول : إذا ذمى ناقص كان ذمه دليل كمالى وفضلى . لأن الناقص لا يجب الكمال الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ فَضْلُ ابْنِ يَوْسُفٍ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مَوْلَعٍ

مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْيَلِ عَصْرِ يَدْعِي أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيَّ فِيهِمْ بَاقِلٌ^(٣)
وَأَمَّا وَحَقُّكَ وَهُوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ لِلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ^(١)
الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ^(٢)

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حفصة :

ما ضرني حسدُ اللثامِ ولم يزلْ ذو الفضلِ يحُسده ذُو التقصيرِ
وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لقد زادني حُبًّا لنفسِي أني بغيض إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
وأني شقيٌّ باللثامِ ولا ترى شقيًّا بهم إلا كريمِ الشائلِ

(١) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى : يعود على أهيل ، لأن لفظ « أهل » واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعي ، وفيه جرى المثل : أعياء من باقل . يقال إنه كان اشترى طيباً بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته؟ فعي عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه ، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما - فأقلت الظبي . يقول : من يكفل لي بفهم أهل عصر يدعون أن « باقلا » يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ يعني أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم ، ولا الناقص من الفاضل ؛ أو تقول : من لي باهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى « باقل » بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه ؟ قال ابن جني ناقداً : « وباقل » هذا لم يؤت من سوء حسابه ، وإنما أتى من سوء عبارته ، فلو هو قال أن يفهم الخطباء فيهم « باقلا » أو نحو هذا لكان أسوغ قال الواحدى - ردأ عليه - : وليس كما قال فإن « باقل » كما أتى من البيان أتى من البنان فإنه لو أتى من سبائته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي ، نصح قول أبي الطيب في نسبتته إلى جهل الحساب .

(٢) مقسم : روى بكسر السين - طى أنه اسم فاعل - وبفتحها - على أنه مصدر يسمى بمعنى القسم .

(٣) تقديم البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت فالطيب : مبتدأ ، وأنت : مبتدأ ثان ، وطيبه : خبر أنت ؛ والجملة : خبر الطيب ؛ ومثله الشطر الثاني ؛ وروى ابن جني ، والماء أنت - ينصب الماء - قال : وتقديره وتغسل أنت الماء ، دل على هذا المضمرة قوله الغاسل . يقول : إذا أصابك الطيب فانت طيب

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَبْتَ
قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَنَّاكَ أَنَامِلُ^(١)

وقال يهجو قوما توعدهوه :

أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ
وَجَرَّكُمْ مِنْ خِفَّةِ بَكْمِ النَّمْلِ^(٢)
وَلَيْدِ أَبِي الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالِكُمْ
فَطَفَنُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالِكُمْ عَقْلُ^(٣)

له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء كما قال الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانِ لِلدُّرِّ حَسَنُ وَجْهِكَ زَيْنَا
وَتَزِيدِينَ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبَا أَنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسى . - يقال فلان حسن النثا وقبيح النثا ، ومنه نثا الحديث والخبر نشوا حدث به وأظهره وأشاعه . وروى نثاك يقول : ما دار اللسان في الحنك وما قلبت أنامل قلما بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أما تمك الجهل قبل أن تموتوا : أى أتم موتى من جهلكم وإن كنتم أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر ، ولحفة وزنكم تستطيع النمل أن تجركم ، والسفيه الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف ثقل الوزن .
(٣) وليد تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب ؛ والدعوى : الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل الحسيس أتم لا عقل لكم تعقلون به شيئا ، فكيف فطنتم للانتساب إلى من لستم منه فى شيء ؛ أى إلى غير أبيكم .

وَلَوْ ضَرَبْتُمْ مَنَجْنِيْقِي وَأَصْلَكُمْ
قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أُصْلُ^(١)
وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَدْبُرُ أَمْرَهُ
لَمَا كُنْتُمْ نَسْلَ الَّذِي مَالَهُ نَسْلُ^(٢)

(١) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. قال صاحب اللسان: المنجنيق - بفتح الميم وكسرهما - والمنجوق: دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: من جي نيك: أي ما أجودني، وهي مؤنثة، قال زفر بن الحارث:

لقد تركتني منجنيقُ ابن بحدلٍ أحميدُ عن المصفور حين يطيرُ
وتقديرها منفعل، لقولهم: كنا بمنجق مرة ونرشق أخرى. قال الفراء: والجمع منجنيقات، وقال سيدييه: هي فعليل، الميم من نفس الكلمة أصلية، لقولهم في الجمع مجانيق وفي التصغير مجنيق، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم، وهذا لا يكون في الأسماء ولا الصفات التي ليست على الأفعال للزيادة ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا، والزيادات لا تلتحق بينات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدرج، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان، لقولهم جنق مجنق: إذا رمى، والتنبى يريد بالمنجنيق هنا: هجاءه. ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس ». على حد قول الحماسي:

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحُ^(١)
يقول: لو ضربتكم بهجائي وأصلكم قوي لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولا أصل لكم يعرف؟

(٢) يقول: لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب: أي فقد ظهرت دعاؤكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون. بهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء.

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها في الحماسة، وقد تقدم شرحها وأولها:
يَا يُوُسَّ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاخُوا

وقال : وقد جعل أبو محمد بن طنج يضرب بكه البخور ، ويقول سَوْقًا إِلَى
أبي الطيب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْعَمَالِ وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْعَمَالِ (١)
إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبُخُورِ سَوْقًا فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ (٢)

* * *

وقال وقد بلغه أن إسحاق بن كينغ يتهدده وهو ببلاد الروم ، وكان
أبو الطيب بدمشق (*) :

أَنَا فِي كَلَامِ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيْفَنَغٍ يَجُوبُ حُزُونًا يَبِينُنَا وَسُهُولًا (٣)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ
وَبَيْنِي سِوَى رُنْحِي لَكَانَ طَوِيلًا (٤)

(١) قال الليث : الفعّال اسم للفعّل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال ابن الأعرابي : الفعّال فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعّال وفلان لثيم الفعّال ، قال : والفعّال - بكسر الفاء - إذا كان الفعل بين الاثنين .
(٢) البخور - بفتح الباء - قال البكري : والعامّة تضمها ، وقلت - ههنا - بمعنى أشرت ، ويقال قال بكه : أى أشار ، وقال برأسه نعم : أى أشار ، والنوال : العطاء . يقول : إن أشرت في هذا البخور أن يساق إلى سوقا فهكذا قلت وفعلت في العطاء .
* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به وهو في طرابلس - وكان محافظاً على الطريق - فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاء بالقصيدة التي مطلعها :

لَهْوَى النّفوسِ سريرة لا تُعْلَمُ عرضاً نظرت وخبّت أنى أسلم

وستمر بك في قافية الميم ، وهي من عيون قصائده .

(٣) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أنا في وعيده من مسافة بعيدة .

(٤) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء : كناية عن الاست ، والعرب تسب بأنسبة الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بَأَنَّ بَنِي أَسْتِهَا نَذَرُوا دَمِي *

وَإِسْحَاقُ مَأْمُونٌ عَلَىٰ مَنْ أَهَانَهُ وَلَكِنَّ تَسَلَّىٰ بِالْبُكَاءِ قَلِيلًا^(١)
وَلَيْسَ جَمِيلًا عَرَضُهُ فَيَصُونُهُ وَلَيْسَ جَمِيلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٢)
وَيَكْذِبُ مَا أَذَلَّتْهُ بِهِجَائِهِ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهَجَاءِ ذَلِيلًا^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا العشائر:

لَا تَحْسَبُوا رَبِّكُمْ وَلَا طَلَلَهُ أَوْلَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتَلَهُ^(٤)

يقول: إنه على البعد بوعدني، ولو لم يحل بيني وبينه إلا رمحي لكان ما بيني وبينه طويلاً بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إلى ولا يستطيع الإقدام على لجينه.

(١) يقول: إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكثر له، وقصاراه إذ أسسه الهوان أن يبكي، ولا يلجأ في الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة.

(٢) يقول: إن عرضه ليس جميلاً حتى يستحق أن يهان، لأنه إنما يهان الجليل، وعرضه لا يجعل أن يجعل.

(٣) يقول: هو كاذب في دعواه أنني أذلتته بهجائي، فهو ذليل حقير من قبل هجائي إياه، فقله ما أذلتته بهجائه: كلام مسنأف، و«ما»: نافية.

(٤) الربع: المنزل؛ والطلل: ما شخص من آثار الديار. جعل كون الأجنة في الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلاً، لأن الأمكة إنما تحيا بالعمارة والسكان، فإذا خلت من العمار فهي ميتة، وفي الحديث «من أحيأ مواتاً فهو أحق به» الموات: الأرض التي لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد، وإحيأؤها: مباشرة عمارتها. يقول رحلم: فخر ربكم وعفا طللكم، ولكنهما ليسا أول حتى قتل من جراء فراقكم ثم بين ذلك فيما يلي. هذا: وحسب الشيء يحسب: أي ظنه، بفتح السين وكسرهما، في المضارع، قال في التهذيب: والكسر أجود اللغتين، وقال الجوهري: ويقال أحسبه - بالكسر - وهو شاذ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسوراً فإن مستقبله يأتي مفتوح العين، نحو علم يعلم - إلا أربعة أحرف جاءت نواذر: حسب يحسب، ويبس يبیس وبس يبیس، ونعم نعم، فإنها جاءت من السلم بالكسر والفتح ومن المعتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعاً بالكسر: ومق يمق، ووفق يوفق، ووثق يوثق، وورع يورع، وورم يرم، وورث يرث، وورى الزند يرى، وولى يلى.

قَدْ تَلَفَتْ قَبْلَهُ النَّفُوسُ بِكُمْ
وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمْ الْعَذَلَةَ (١)
خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشْنَا
وَفِيهِ صِرْمٌ مَرُوحٌ إِبِلَهُ (٢)
لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكَ
مَا رَضِيَ الشَّمْسُ بَرْجَهُ بَدَلَهُ (٣)
أَحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَذُورُهُ
وَكَلُّ حُبِّ صَبَابَةٍ وَوَلَهُ (٤)
يَنْصُرُهَا النَّيْتُ وَهِيَ ظَامِنَةٌ
إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبَهَا هَطَلَةٌ (٥)

(١) العذلة : جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربيع بسبيكم أو بهواكم أو بفراقكم ، وأكثر العاذلون - اللاتمون - عذلم في هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم .

(٢) الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها ، وجمعه أصرام . والروح : الذى يروح إبله من المرعى . يقول : إن الربيع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لارتحال أحبابنا عنه : يعنى أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد فى حق كالحالى الموحش لى ، فكأنه قفر لا أحد فيه ؛ وإن كان عامراً بأهليه .

(٣) الضمير فى « برجه » : للحبيب . ورضى : بمعنى اختار وأحب ، فلذلك عداه بغير حرف الجر . يقول : لو سار هذا الحبيب الجميل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذى كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه ، لأنها لا تنفى غناؤه ، إذ لا تعادله فى المحاسن .

(٤) لك أن تجعل « والهوى » عطفاً على الضمير المنصو ، قوله « أحبه » فيكون من قبيل قوله :

وَأِنِّى لَأَعِشُّ مِنْ عِشْقِكُمْ نَحْوَى وَكُلِّ فَتَى نَاحِلِ
وَلَكْ أَنْ تَجْعَلَهُ قِيسًا ، كَقَوْلِ الْبَحْرَى :

* أَمَا وَهَوَاكِ حِلْفَةٌ ذَى اجْتِهَادِ *

والأدور : جمع دار ؛ والصبابة : رقة الشوق ؛ والولة : ذهاب العقل ؛ أى أحبه وأحب كل ما يرتبط به ، ثم قال : إن الحب صبابة تملك قلب العاشق ووله : أى فهو يجعل كل شيء للحبيب .

(٥) ينصرها : أى الأدور ؛ والمطلق : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى سار عنها وكان ينزل بها ويقال نصر الغيث الأرض نصرأ : أغاثها وسقاها وأنبثها ؛ قال الشاعر :

وَاحْرَبَا مِنْكَ يَا جَدَّائِيهَا مُقِيمَةً فَأَعْلَمِي وَسُرَّحِلَهُ (١)
لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتَ فِيهَا لَخَلَّتْهَا تَفَلَّهُ (٢)
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا السَّبَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ (٣)
وَلِئَمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ (٤)

من كان أخطأه الربيعُ فإِنَّمَا نُصِرَ الحِجَازُ بِبَيْتِ عَبْدِ الوَاحِدِ
ونصرت البلاد : إذا مطرت ، فهي منصوره ، أي محطورة ؛ ونصر القوم :
إذا غشوا .

(١) الحرب - بالتحريك - في الأصل نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له ، والمراد هنا : الهلاك . يقول الواقع في الهلاك : واحربا والجداية : ولد ، الظبي . ومقيمة : حال من الضمير في « منك » . وفاعلي : معترضة . يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار أقت أو رحلت : لأنك إن أقت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأي - البعد فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعذك سيان في هلاكى (٢) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير في « بها » للأدور . والتفلة : المنتنة الريح . يقول : إنمنا كانت ديارك تطيب بك فإذا خلت منك لم يطبلى رياها وكانت عندي تفلة ، ولو خلطوا تراها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هباً

(٣) النجل : الولد : ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذي بعضه - أي ولده -
يفوق أبا الباحث عن نسي ، أي أنا فوق أب الذي يبحث عن نسي ، وقوله والنجل الخ :
أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٤) نافرت فلانا فنفرته : أي فاخرته ففخرته ؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا
يحتكان في الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل والصدق فيقولان له : أي نفرينا
أفضل ؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالغلوب المنفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بان الذي فيه تماريتنا واعترف المنفور للنافر (١)

(١) يروى : قد قلت شعري فمضى فيكما واعترف . . . الخ
وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثة وكانا قد تنافرا
إلى هرم بن سنان المري ؛ والمنفور ؛ الغلوب ؛ والنافر ؛ الغالب .

فَخَرًّا لِعَضْبِ أَرْوْحٍ مُشْتَمِلَةٍ وَسَمْهَرِيَّ أَرْوْحٍ مُمْتَقَلَةٍ (١)
 وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِيًّا خَيْرَهُ وَمُنْتَمِلَةً (٢)
 أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ السَّاقِدَارَ وَاللَّرْهَ حَيْثُمَا جَمَلَهُ (٣)
 جَوْهَرَةً يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَعَصَّةٌ لَا تُسِفُّهَا السَّفَلَةُ (٤)

وَأَنْتَهَدُوا: أفرغوا وأفنوا. يقول: إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والمفاخرين من غلبوه بالفخر ولم يجد خيلة فافتخر بالأباء؛ معنى إمعان يحتاج إلى الفخر بحدوده من لا فضيلة له في نفسه.

(١) العضب: السيف القاطع؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا؛ مفعول مطلق نائب عن فاعله. أي ليفخر فخرا؛ ومشتمله؛ أراد مشتملا به. والاشتمال أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذي يشتعل به. والسهمري: الرمح واعتقل الرمح؛ جملة بين ساقه وركابه. يقول: إن سيفي ورمحي يفتخران بي، لا أنا بهما.

(٢) خيرته؛ أي أفضله، يروي «خبره» أي زينته وجماله. يقول: لبست الفخر فصار رداء على منكبي، ونعلا تحت قدمي، فخير به إذن أن يفخر بي.

(٣) يقول: بي بين الله أقدار الناس في الفضل، لأنني أصف كل أحد بما فيه؛ أو لأن من أكرمني وأحسن إلي: دل ذلك على مروءته، وميله إلى ذوى الفضل، ومن استخف بي، ولم يكثر لي؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نخبته كما قال البحرى:

وإن مقامى حيثُ حَيَّمْتُ مِحْنَةً تَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ
 وقوله والمرء حينما جعله: أي حينما جعل نفسه؛ فمن صان نفسه، ورفع قدرها؛ رفع الناس كذلك قدره، ومن تعرض للمهوان أهين، كما قال:

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من أكرمه
 وقدما قيل:

وأكرم نفسي إن اهنتها رَمَقْتُ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي
 ويجوز أن يكون المعنى، والمرء حينما جعله الله: أي لا يستطيع أحد أن يتقدم منزله التي وضعه الله بها.

(٤) جوهرة؛ أي أنا جوهرة؛ والنصبة: ما ينص به الإنسان فلا يسفه والسفلة - بكسر الفاء - كهيئة - بسكونها وكسر السين - أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم

إِنَّ الْكِذَّابَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ (١)
فَلَا مِبَالَ وَلَا مُدَاجٍ وَلَا وَإِنْ وَلَا عَاجِزٌ وَلَا تَكَلَّهُ (٢)
وَدَارِعٍ سِيفْتُهُ فَخَرَ لَتِي فِي الْمَلْتَقَى وَالْعَبَاجِ وَالْمَعَجَلَةِ (٣)

يقول : أنا زينة الناس إذ أنوه بمنافعهم ، وأشيد بذكر محاسنهم ؛ فأنا جوهرة يفرح بها ، وشجى في حلوق اللثام لا يقدرّون على إساغتي ، لأنى أقول فيهم ما أدلم به وأكشف عن نقائصهم .

(١) الكذاب : البكذب : يقال : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً ، ورجل كاذب ، وكذاب ، وتكذاب وكذب ، وكذوبة ، وكذبة - مثال همزة - وكذبان ، وكذابان ، ومكذبان ؛ ومكذبانة وكذبان ، وكذب وكذب قال جريرة بن الأسيم :

فإذا سمعت بأننى قد بعثتكم بوصول غانية فقل كذباً

والكذب : جمع كاذب ، مثل راح وركع ، قال أبو دواد الرواسي :

متى يقل ترفع الأقدام قولته إذا اصمحل حديث الكذب الوالعه (١)
أليس أقربهم خيراً وأبمدهم شراً وأسمحهم كفالين منقسه
لا يحسد الناس فضل الله عندهم إذا تشوه نفوس الحسد الجشعة

والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » فجعله نعماً للألسنة ، وأكاد به : أقصد به على وجه الكيدى . يعرض بقوم وشوابه إلى أبى العشار . يقول : ذلك الكذب أهون عندي من راويه وناقله : أى لا أكثرث له ولا لمن رواه .

(٢) مبال : خبر عن محذوف : أى فلا أنا مبال ؛ والمداجى : الذى يساتر العداوة ؛ والوائى : المقصر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفى عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداج لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسئء ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى ،

(٣) الدارع : لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللقي : الشئ المطروح ؛

(١) الولة : جمع وال ، مثل كاتب وكتبة ، والوالع : الكاذب .

وَسَامِعٍ رُعْتُهُ بِقَافِيَةٍ بِحَارٍ فِيهَا الْمُنْفَعُ الْقَوْلَةُ (١)
وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ
مَنْ لَا يُسَاوِي أُلْخَبَزَ الَّذِي أَكَلَهُ (٢)

والمعاج : العبار : والمعجلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذي يكون من الضارب والطاعن في الضرب والظعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الشكل - من قولهم ناقة هجول : إذا قعدت ولدها - قال علماء اللغة : والمجول من النساء والإبل : الواله التي قعدت ولدها التكلى لمجلتها في جيئها وذهابها جزعا ، قالت لحنساء .

فما هجولٌ على بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ (١)
وجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل في قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » أي من طين ؛ وقال الشاعر :

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الْعِمَاءُ مِدْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يُنْبِتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْمَجْلِ
يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشيء الملقى وقت التقائنا .
(١) رعته : أعجبتة أو أرهبتة . والقافية هنا : القصيدة ؛ والمنفع : الذي يهذب القول ويختاره ، واقولة الجيد القول . يقول : إنه بيده السامع بالقافية الجيدة يرتاع لها ويتحير في حسنها الشاعر الحميد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و « من » مفعول أول ، وأشهد يروى يشهد : ويروى أشهد - مضارع شهد ، فتكون « معي » بحذف واو الحال أي ومعى : وقد تحذف : كما تقول مررت بزیده على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذي وشى به ، وكان يقال له المسعودي ، كان اللثني قد وصله بأبي العشائر فصار نديما له ، ثم تناوله عند أبي العشائر :

(١) بعده :

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار
يوماً بأوجد مني يوم فارقتي صخرٌ وللعيش إحلا ولا إمرار
وترتع ما رتعت : يروى ترقع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهي لا تراه ، ويدنى منها فشمه وترأه فتدر فتدر عليه اللبن .

وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ
وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرِغْمٍ مِّنْ جِهَلِهِ^(١)
مُسْتَحْيِيًّا مِنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ
أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً^(٢)
أَسْحَبًا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ
ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيْسِهِ وَجِلَّةً^(٣)
وَبَيْضُ غِلْمَانِهِ كِنَائِلُهُ
أَوَّلُ مَحْمُولٍ سَيْنِهِ الْحَمَلَةَ^(٤)
مَالِي لَا أَمْدَحُ الْخُسَيْنَ وَلَا
أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَدَّلَهُ^(٥)
أَأْخَفَتِ الْمَسِينُ عِنْدَهُ خَبْرًا
أَمْ بَلَغَ الْكَيْدِبَانَ مَا أَمَلَهُ^(٦)

(١) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رأوني طالما من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عرفوني

(٢) اللحل : الثياب : ومستحيا : أى إنما أ فعل ما ذكرت مستحيا : فهو حال ، العامل فيها مقدر . يقول : إنما أقت مع الأعداء فى بلد لآنى أستحي من أبى العشائر أن ألبس حلمه فى غير بلده .

(٣) وجلة : خائفة . يقول : إن ثيابه لا تحب أن تفرقه لتشرفها به فهى تخاف أن يخلعها على جلسيه .

(٤) النائل : العطاء : وكذلك السيب . يقول : إن غلماناه البيض كعطاءه فى أنه يهبهم - أى غلمانهم - أى أنه يهب غلماناه كما يهب أمواله ، فيكون أول ما يعله إليك من العطاء ، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء - وهم الغلمان -

(٥) ويروى : أبذل ماود مثل ما بذله : أى من الود ، فحذف النون . وهذا كالماتبة مع نفسه ، والإقرار بالتقصير فى مدحه ، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله .

(٦) الكيدبان : الكذاب - وقد وفينا القول على هذه السادة قريبا - يقول : أكذبتنى عينى فيما أدت إلى من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة فقير ما بيننا ؟ ويجوز أن يريد بالعين : الرقيب ، وأنت : جريا على اللفظ . يقول : هل أخفى الرقيب عنده خبراً من أخبارى فى حبي إياه وميلى إليه ؟ وقال بعض السراخ : يقول . هل أخفت عينه عليه أثراً من آثار خدمتى فوجدتها على . أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عنده ما يأمله من الوشاية بى ؟ وهذا استفهام إنكار . أى ليس الأمر على ما ذكر ؛ وإذن : لا أقصر فى حقه ولا ألو جهداً فى مدحيه . هذا : ويقال أمل خيره بأمه أملا ، وكذا أمه تأميلا أى رحله .

أَمْ لَيْسَ ضَرَابَ كُلِّ جُجْمَةٍ مَنخُوَّةٍ سَاعَةَ الْوَعَى زَعَلَهُ (١)
 وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنطِقٌ عَذَلَهُ (٢)
 وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لَا يُفْتَرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلَهُ (٣)
 وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمَكْلَلِ فِي طَيِّبِ الْمَشْرِعِ الْقَنَاءِ قَبْلَهُ (٤)

(١) منخوة: أى ذات نخوة - أى عظمة وكبر - والرأس يوصف بالكبر ، يقال فى رأسه نخوة والزعلة : النسيط ، والزعلة أيضا . البطرة الأشرة . يقول . أليس المدوح ضراب كل رأس متكبر بطريوم الوغى والقتال ؟ .

(٢) عذله : أى لاهه على إسرافه وكثرة عطاياه .

(٣) الهول : الأمر العظيم الشديد ؛ ولا يفتره : أى لا يفتره الهول وإن كثر ركوبه إياه . والمهزم : ما يقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوبا أجراه مجرى المركوب من الدواب : أى أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المهزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .
 (٤) قال الواحدى : أراد بالأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقته بأنطاكية ؛ والمككل الحاد الماضى فى الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أى مضى قدما . ولم يخم ، أنشد الأصمعى :

حَسَمَ عِرْقَ الدَّاءِ عَنْهُ فَقَضِبُ تَكْلِيلَةَ اللَّيْثِ إِذَا اللَّيْثُ وَثِبَ

قال الأصمعى : وقد يكون كلل بمعنى جبن ؛ يقال حمل فما كلل : أى فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

وَلَا أَكْلَلُ عَنْ حَرْبٍ مُجْلِحَةٍ وَلَا أَخْدَرُ لِلْمَلِيقِينَ بِالسَّلْمِ

ويقال إن الأسد يهلك ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلك ، والمككل : الذى يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، واليهلك ؛ يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع . ويقال انكل الرجل انكلالا : أى تبسم ، وانكلت المرأة تنكل انكلالا : إذا ابتسمت قال الأعشى :

وَيَنْكَلُ عَنْ غُرِّ عِذَابِ كَأَنَّهَا جَى أَقْحَوَانَ نَبْتُهُ مَتْنَعِمِ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وَتَنْكَلُ عَنْ عَذْبِ شَقِيَّتِ نَبَاتِهِ لَهُ أَشْرُ كَالْأَقْحَوَانَ الْمَوْرِ

ومن روى « البكلل » - فى البيت - بفتح اللام : أراد للتوج . ويجوز فى « الشرع »

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خِيُولُهُمْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَا رَأَتْ كَقَوْلِهِ (١)
فَأَكْبَرُوا وَقَعَلَهُ وَأَصْفَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فِئْلِهِ الَّذِي قَعَلَهُ (٢)
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا
بَعْضُ جَمِيعٍ عَنِ بَعْضِهِ شَمَلَهُ (٣)

النصب على أنه نعت للفارس ، والحفص على أنه نعت للأحمر : يعني الذي أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من « وجهه » : للفارس ، وضمير « أقسم » . للممدوح . ويقول . لما رأب حيولهم وجه فرسه في حومة الوعى أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفه حتى يأتي عليهم قتلا . ولعل هذا المعنى من قول الآخر .

حتى يظنوه إنساناً بغير قفاً وأنه راكب طرفاً بلا كفل

(٢) يقال أ كبرت الشيء إذا استكبرته ، وأصفره . يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض أى استكبروا فعله واستصغره هو ، وتم الكلام هنا ثم استأنف فقال . أ كبر من فعله الذى فعله . أى هو أ كبر من فعله . وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى على هذا التفسير لا يكون مدحا ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أ كبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيرا من الخير فاعله ، وإن شرا من الشر فاعله ولكن معنى البيت . إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله : كما تقول أعطاني فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه قال العروضى : ثم العجب أنه غلط في صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن « الذى » يصلح أن يكون بمعنى « من » وبمعنى « ما » . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب في هذا إلى « ما » فذهب إلى « من » ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أ كبر من فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أ كبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصفره بضم الراء - على أنه مبتدأ محبر عنه بما بعده : أى وأصفر فعله أ كبر مما استعظموه .

(٣) القاطع : يروى : القائل ، والقائل . والكميل : بمعنى الكامل ؛

أنشد سيبويه :

على أننى بعمد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولاً كيلا

فَوَاهِبٌ وَالرَّمَاحُ تَشْجُرُهُ ، وَطَاعِعِينَ وَالْهَيْبَاتُ مُتَّصِلَةٌ (١)
وَكَلَّمَا آمَنَ الْبِلَادَ سَرَى وَكَلَّمَا خِيفَ مَنَزِلٌ نَزَلَتْ (٢)

يَذْكَرُنِيكَ حَنِينَ الْمَجُولِ - وَنُوحُ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيدًا (١)

وكل - بفتح العين وضمها - يكل - بالضم - في مضارعهما : وكل - بكسر
العين - يكل - بالفتح - لا غير . قال الجوهري : والكسر أردؤها . يقول : يقطع
ويصل كما يشاء . ولا يشمله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلي
(١) تشجروه : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه قول شريح بن أوفى العبسي :

يَذْكَرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحَ شَاجِرًا فَهَلَا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ (٢)

يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطمان .
(٢) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى في طلب الغزو والفتح ،
وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

(١) يقول : لم أنس عهدك طي بعده ، فكلمنا حنت مجول - وهي الفاقدة ولدها من
الإبل وغيرها - أو ناحت حمامة ، رقت نفسى فذكرتكم ؛ والهديل هنا صوت الحمامة
ونصبه طي للصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل
الفرخ الذي يزعم الاعراب أن جارحاصاده في سفينة نوح فالحمام يبكي عليه ، كما
قال طرفة :

• كداعى هديل لا يُجَابُ ولا يُمَلِّ •

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعوه نائمة عليه فلا يجيبها ولا تعمل دعاه .

(٢) قبله :

وَأَشْمَتْ قَسْوَامَ بِآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسَلِّمِ

شَكَكَتْ لَهُ بِالرَّمْحِ جَيْبَ قَيْصِهِ نَحْرَ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفْمِ

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرِ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَقْبِعُ الْحَقُّ يَظْلِمُ

يَذْكَرُنِي حَامِيمَ [البيت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال
فكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك
بحاميم - لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا الودعة في القربى » حتى حمل

وَكَلَّمَا جَاهِرَ الْقَدْوُ ضُحَى ۖ أَمَكْنَ حَتَّى كَانَهُ حَتَلَهُ (١)
يَحْتَقِرُ الْبَيْضَ وَاللَّدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيْهِ الدَّلَاصَ أَوْ نَثَلَهُ (٢)
قَدْ هَدَبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةَ لِى ۖ وَهَدَبَتْ شِعْرَى الْفَصَاحَةَ لَهُ (٣)

(١) الختل : الأخذ خدعة ؛ أى على بفتة . يقول : كلما حارب أعداءه جهاراً تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأنام بفتة ؛ وضمير « أمكن » للعدو ؛ أى أمكنه من نفسه .

(٢) البيض - بكسر الباء - السيف ، وزوى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تجمل على الرأس . واللدان : الرماح اللينة ، جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة اللساء . ونثل الدرع : ألقاها عنه : قال ابن جنى : وذكر الدرع بقوله ثله ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن يقول : إنه محترق السيف والرماح - دارعا كان أو حاسراً - وسن بالسيف المهملة - يروى بالشين المعجمة ، وكنها بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أى صب ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبها عليه ، قال الجوهري : سفت الماء على وجهى : أى أرسلته إرسالاً من غير تفريق ، فإذا فرقت بالصب قلت « بالشين » ويقال شن عليهم الفارة : إذا فرقها .

(٣) الفقاهاة : الفهم والمقنعة والعلم : فقه الرجل يفقه فقاهاة . يقول : إن فقاهاة للمدوح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعرى ويعرف جيده ، وفصاحق هذبت شعرى له ، فانا آتية به فصيحاً لا طاب فيه .

عليه المبسبى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات : يقول ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام فى الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى الكرى أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط فى العين فيمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم فبها ترى العين : أى فى رأى العين ، شككت : أى خرقت له بالرمح جيب : أى طوق فيصه كناية عن طعنه به فى صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحاً على على يديه ووجهه وعبر بالقم مبالغة فى التنكيل ، ولأنه أول ما يلقي الأرض من الوجه ، وذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعاً لعل بن أبى طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرنى حاميم ، والحال أن رعى قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدُهُ لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهُ (١)

واستأذن كافوراً في المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافر في مسيره ؛ فقال : لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث في خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْفِي لَا تُكَلِّفُنِي مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالًا
وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبَى مَكَانًا ، وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالًا (٢)
إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقَّنِي الْفَوَارِسَ وَالرُّجَالَ (٣)

(١) يقول : أنا أحمد حمد سيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له . وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

(٢) وأنت مكلفي : حال : وأنبي : تفضيل - من قولهم نبا به السكان : إذا لم يوافقه ، ونا السيف : كل عن الضريبة ؛ والشقة : السافة . يقول : تمنعني من للسير خوفا على أن ينبو بي السكان الذي أنا قاصده وتتعبني مشقة السفر وأنت تكلفني من الإقامة عندك بما هو أنبي بي وأطول تعباً وأشد حالاً من السفر البعيد .

(٣) الفسطاط ، مدينة مصر قديماً . وأراد بلقي أجعلهم يلقونني : أي اجتمعهم خلفي ليردوني إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردي إليك . هذا : والرجال . الرحالة قال تعالى « فرجالاً أو ركبانا » يقال رجل الرجل رجلاً فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه وشاهد رجلان :

على إذا لاقيت ليلي بخلوة أن ازدار بيت الله رجلاً حافياً
والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالي ورجالي ورجالي ورجلان ورجلة ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأرجل وأرجيل ؛ قال أبو ذؤيب :

أهمّ بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا تمدّ واغزُ وشط الأراجيل (١)
قال ابن بري : الأراجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل - مثل صاحب

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لأبيهم تمد أي انصرف عنا وحارب وسط الرحالة . وقال الجوهري : أرجل هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .

لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّي وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْبِي مُحَالًا^(١)
وقال يمدح أباشجاع فاتكا^(*) وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب
وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

وأصحاب وأصحاب - إلا أنه حذف الياء من الأراجيل ، لضرورة الشعر قال أبو
الثلج المهذلي :

با صغراً وارد ماء قد تتابعه سَومُ الأراجيل حتى ماؤه طحل^(١)
والرجلان بمعنى الرجلين ، جمعه رجلين ورجال - مثل عجلان وعجلى وعجال -
ويقال رجل ورجالي : مثل عجل وعجالي ؛ وامرأة رجلى : مثل عجلى ؛ ونسوة رجال
مثل عجال ، ورجالي مثل عجالي . أما الرجل خلاف المرأة لجمعه رجال ؛ ورجالات .
جمع الجمع . قال الجوهري في جمع الرجل : أراجل ، واستشهد بيت أبي ذؤيب المتقدم
ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جارِ ظلِّ ممتبطاً غير جيرانِ بني جَبَلِه

خسر قوا جيبَ فاتنهم لم يبالوا حرمة الرجله^(٢)

(١) منى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم - الظلم - وإن فوارسه
ورجالاته لا يقدرون على رده إليه .

* قال ابن خلكان : هو « فاتك » الكبير المعروف بالجنون ، كان رومياً أخذ
صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيدي من
سيده بالرملة كرها بلائعن وأعتقه ، فكان حراً عنده في عدة المالك ، وكان كريم
النفس ، بعيد الهمة ، شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « الجنون » ، وكان رفيق
الأستاذ كافور في خدمة الأخشيدي ، فلما مات مخدومهما وقرر كافور في خدمة ابن
الأخشيدي أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج
أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له فانتقل إليها - وهي بلاد وبيد
كثيرة الوحش - فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبه
النتني ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم « فاتك » وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد

(١) سوم الأراجيل : أي حر الأراجيل ؛ وماء طحل : كدر .

(٢) عنى بجيب فاتنهم : هنها .

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالَ فَلَئِمْسَعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالَ^(١)

خدمته خوفاً من كافور ، و « فانك » يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقياً في الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع « فانك » إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « التنبي » الأستاذ كافور في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول التنبي :

فَأَمْسِكْ لَا يَطَّالُ لَهُ فَيْرَعِي [البيت]

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الإغاة : يقول - مخاطباً نفسه - : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى المدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك النطق : أى فامدحه ، وجزاه بالثناء عليه إن لم تمنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفي مثل هذا اللفظ يقول يزيد اللهلي :

إِنْ يُعْجِزِ الدَّهْرُ كُنِّيَ عَنْ جِزَائِكُمْ فَإِنِّي بِالْمَوْىِ وَالشُّكْرِ مَجْتَهِدٌ

قال المكبري : « وهذا من الابتداء الذي يكرهه السامع بأن يقول للمدوح : لا خيل عندك تهديها ولا مال . وهو أول ما يقول له وقال في إعراب « لا خيل » نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين ، وقال سيويوه والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين » وأنشد العجاج :

تَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحُشَّ الطُّبَيْخُ بِنِ الْجَحِيمِ حَسِينَ لَا مُسْتَمْرَخُ^(١)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفي قراءة من قرأ : « فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحجج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر في « الحجج » وقرأ بعضهم برفع « الرفت . والفسوق ، ونصب ، الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبي الصلت .

فَلَا لَعُوَ وَلَا تَأْتِمُّ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمُ^(٢)

(١) يريد بالطبخ : لللائكة اللوكلين بالعذاب ، وحش النار بالحطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشاً : إذا أسعرها وهيجهها تشبهاً بإسعار النار .

(٢) قالوا في قوله تعالى « لا لعو فيها ولا تأتمم » أن تأتمم يجوز أن يكون مصدراً

قَرَّبَمَا جَزَى الْإِحْسَانَ مُؤَلِيَهُ خَرِيدَةً مِنْ عَدَارَى الْحَيِّ مِكَسَالٍ^(١)
 وَإِنْ تَكُنْ نَحْكَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي
 ظَهْوَرَ جَزَى فِئِي تَضَهَّالٍ^(٢)

(١) الخريذة الجارية الحية . والمكسال ، من النساء : الفأرة القليلة التصرف ؛
 وخريذة : فاعل جزى ؛ والإحسان : مفعول ثان مقدم ؛ ومؤليه - أى معطيه - مفعول
 أول . يقول : ربما حازت بالإحسان من بولي - يعطى - الإحسان امرأة عاجزة عن
 كل شيء ؛ يعنى إن لم تمكن الكفاة فعلا فهي ممكنة قولاً كالـكفاة من هذه المكسال ،
 بحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلاً فيما يلي . هذا :
 والجزاء المكفاة على الشيء جزاء به ، وعليه جزاء ، وجزاء مجازاة - قال الجوهري
 جزيته بما صنع جزاء وجزايتيه : بمعنى ، ويقال جزايتيه لجزايتيه : أى غلبته وقوله تعالى
 « لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً ،
 يقال جزيت فلاناً حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لآبى
 بردة بن نيار حين ضحى بالجدعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بمدك » أى تقضى
 قال الاصمعى : هذا مأخوذ من قولك قد جزى عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومعناه
 لا تقضى عن أحد بمدك ويقال جزت عنك شاة : أى قضت ، وبنو تميم يقولون أجزاء
 عنك شاة - بالهمز - أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس
 شيئاً » : لا تقضى .

(٢) الشكل - بالضم - جمع شكل ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح :
 مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتصهال بمعنى الصمىل
 أخرجه مخرج تسيار ونحوه : ضرب لنفسه للثل فى عجزه عن الكفاة بالفعل والاجترأ
 عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاه فمجز عن الجرى لكنه يسهل . يقول : إن لم يكن
 عندى الفصل فعندى مكفاة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافر
 فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة سهل شوقاً إليها ، وقال
 المرى : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جزيتك قولاً وجعل التصهال مثلاً لثنائه
 على المدوح : وكان « فاتك » هذا يسر خلافاً للأسود - كافر - وينطوى على بغضه
 ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ، ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفاً
 من كافر

وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي سَيِّانٌ عِنْدِي إِكْتَارٌ وَإِقْلَالٌ (١)
 لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا، وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بِحَالٍ (٢)
 فَكُنْتُ مَنِيْبَةً رَوْضِ الْحَزَنِ بِأَكْرَهُ
 غَيْثٌ يَغِيْرُ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَالٌ (٣)
 غَيْثٌ يَبِيْنُ لِلنُّظَارِ مَوْفِعُهُ أَنْ الْعَيْوُثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالٌ (٤)
 لَا يُدْرِكُ الْحَدَّ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ لِمَا يَشْقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ (٥)
 لَا وَارِثٌ جِهَاتٍ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ وَلَا كَسُوبٌ بَغِيْرِ السَّيْفِ سَثَالٌ (٦)

(١) سيان : مثنى « سى » بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول ليس شكريك عن فرح بما أهديته لى ، لأن الغنى والفقر عندى سواء لقلة مبالاى بالدنيا قال ابن جنى : ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لغفائك . وكان يقول حمل إلى ما قيمته ألف دينار فى وقت واحد .

(٢) بحال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنى رأيت من القبيح أن يجادلنى بالبر والنعمة وأنا بحيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد : وقوله : « وأنا » يجوز فيه فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباخ : جمع سبخة ، وهى الأرض لا تنبت لأنها ذات تر وملك ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده ، نضرة وذكاء . يعنى أن مطر بره لم يصادف منى سبخة لا تنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضرت لبعدها عن العبار والتر والضعف والمعنى أن بره صادف منى من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول إن وقع إحسانه منى يبين للناظرين أن غيره من الحسينين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لا يقدونوه من يستأهله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى العيوث على معناها الحقيقى : يعنى أن المدحوح أحكم من العيوث لأنه يضع إحسانه فى موضعه أماهى فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٥) لما يشق : أى لما يصعب ، متعلق بفعال والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

(٦) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسثال : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سثال ، يقول : لا يدرك الهد إلا سيد لم يرث أباه مالا - والمدحوح لم يرث أباه لأنه كان جوادا فلم

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ
تَدْرِي الْقَنَاةُ إِذَا أَهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ
إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَدَالٌ (١)
أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالٌ (٢)
كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالٌ (٣)

مخلف مالا - ويمينه تجهل ماوهب لكثرتيه ، وليس هو كسوبا ولا مثالا بغير السيف
أى لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح

(١) الضمير في « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له - بلسان
حاله - إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله في سبيل المجد .
وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعدال : مبالغة ، من العدل
وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخل يفوت على نفسه كسب
المحمدة والذكر باستبقاء ماله يساق . وقال ابن جنى : أكرم الناس من تعب في جمع
الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزى : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال
وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكانه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل
قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .

(٢) القناة : الرمح والبيت في صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح في يده أنه سيشتق
به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(٣) فانك : هو اسم المدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على « فانك »
والمنقصة : النقص . يقول : لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التى ذكرت ، ثم استدرك
فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره في الظاهر ، لأنه يوم أن له شبيها ، وإنما
هو كالشمس إذا شبت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها وهذه الكاف هى التى يقال لها
كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف مالا يقبل
الحركة كالألف . وقال ابن جنى : إذا قيل كفانك ودخول الكاف منقصة جعل له
شبيه ، فاتنقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس - وإن كانت لاشبيه لها والكاف زائدة -
كقول رؤبة :

* لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَلَقِ (١) *

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخَطَرِ *

راجعها في أراجيز العرب للبكرى ، وفي خزانة الأدب للبغدادى ؛ ولواحق
الأقرب ؛ خاص البطون قد لحقت بطونها بظهورها ، والملق : الطول ؛

الْقَائِدِ الْأَسَدِ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ هِدَاهُ وَهِيَ أَشْبَالُ^(١)
 الْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَاللَّسِيفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ^(٢)
 تَغْيِيرُ عَنْهُ عَلَى الْفَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ^(٣)

أى فيها مقق ، وهو الطول ، ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكفاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقول : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكفاف في كفاتك ، فقال الكفاف ههنا زائدة ، وإعما معناه وتقديره : فأتك أى هذا المدوح فأتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكفاف ، فكيف يقام إنها زائدة ؟ وعجاجة الإمام التبريزى : لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبهه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله : ودخول الكفاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فأتك » : أى أن دخول الكفاف عليه ينقص من قدره ولأنه يوم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشيء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البرائن من السباع والطيور بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجلا م أسود تغدوم برائنه - يعنى سيفه وسلاحه فهين له كالبرائن . - رجال مثلهم من الأعداء أى أنه بضمهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغديتهم ، قال الشراح : بشير إلى غلمانة الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائه منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا .
 (٢) به صلة القاتل ؛ والسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كما للناس : فما مصدرية وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : لسيوف آجال كما للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره في جسمه . فجعل ذلك قتلا للسيف ، ثم قال : وإن لسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهري الحمل - بالتحريك - الإبل بلا راع : مثل النفس ؛ إلا أن الحمل يكون ليلا ونهاراً ، والنفس لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالحمل . والمرعى : الذى له راع يقول : إن هيبته تمنع الإغارة ، على ماله فكأنها تغير على الفارة وماله سهمل لاراعى له بأقاصى الأرض لا يغار عليه لهيبته . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هية له ، فكان هيبته تغير على غارة غيره ، ثم قال : وماله بأقاصى الأرض أهمال لا يغار عليها . وحملة المعنى أنه - لجلالة قدره ونباهة شأنه وعظمه فى النفوس - تنهيه الفرسان فى غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله .

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ

عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنَسَاءٌ وَذِيَالٌ^(١)

تُمْنِسِي الضُّيُوفَ مُشَاهَةً بِمَقْوَمِهِ كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الْعَطِيبِ آصَالٌ^(٢)

لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالَ^(٣)

(١) العير: حمار الوحش، وهو بدل تفصيل من «ما»؛ والهيق: العظيم - ذكر النعام - والخنساء: البقرة الوحشية، سميت بذلك لخنس أنفها - والخنس قريب: من الفطس، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه. والذيال: الثور الوحشي لأنه يجر ذنبه كالذيل. يقول: يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره، وجعل الاختيار للأسنة مجازاً، لأنه يطلب الصيد بها، فكأنها هي التي تختار. وعبارة العكبري: يعني أنه كان ملازم الحروب في الفلوات، وكان يتقوت بلحوم الوحش، وكان عارفاً بصيدها، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسنته.

(٢) مشاهة: أي تعطى ما تشبهه، وإنما يقال في هذا المعنى أشباه - بالالف - تقول تشبهت المرأة على زوجها فأشهاها: أي أنالها شهواتها، ولكن التنبي استعمل «فعل» في موضع «أفعل» والقوة: الساحة. والآصال: جمع أصل: جمع أصيل، آخر النهار، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم. يقول: إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال؛ وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

أَيَّامَنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَشْحَارُ

(٣) القاري: الضيف، وقاريها: يعني المدوح، والخرادل القطع - كأنها مقصورة فمن قولهم: لحم خراديل: أي مقطع - وهو من الجموع التي لا واحد لها والقدال فيه: لغة. وقال كعب بن زهير:

يَفْدُو قَيْلَحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلٌ^(١)

(١) من قصيدة «بانت سعاد» التي مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسداً. يقول: يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمهما لحماً. والعيش هنا: القوت؛ ولحم، معفور: أي ملقى في العفر - بفتحين - وهو التراب؛ وخراديل: مقطع.

لَا يَعرِفُ الرُّزءَ فِي مَالٍ وَلَا وُلْدٍ إِلَّا إِذَا حَفَرَ الأَضْيَافَ تَرَحَّالٌ^(١)
يُرَوِّى صَدَى الأَرْضِ مِن فَضَلَاتِ مَا شَرِبُوا
تَحَضُّ اللِّقَاحِ وَصَافِي اللُّونِ سَلْسَالٌ^(٢)
تَقْرِى صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَنِبَطَ دَمٍ
كَأَنَّمَا السَّاعُ نُزَالٌ وَقُفَّالٌ^(٣)

والأوصال : جمع وصل ، وهو العضو ؛ والشيزى : خشب أسود تعمل منه الجفان -
القصاع - يقول : لو اشتهت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتامم وشيكا ، قطع من لحمه
حرصاً منه على مسرتهم . قال العكبرى : وهذا من الإفراط الذى يجسر فيه بما لا يكون
إشارة إلى اسنيفاء الغاية فيما يمكن .

(١) الرزء : المصيبة وحفره واحتفره : دفعه من خلفه يحفره حفزراً ، قال الراجز :

تَرِيحٌ بَعْدَ النَّفْسِ المَحْفُوزِ إِرَاحَةٌ الجَدَايَةِ النَّفُوزِ^(١)

يقول : إن المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره أى أنه يتاله
من ذلك ما ينال من يرزأ فى ماله وولده .

(٢) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات - بفتح الصاد - ولكنه
سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللقاح : جمع
لقحة ؛ وهى الناقة الحلوب ؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد صافى اللون : الحمر
والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والحمر فيفضل
عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف
أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلقي كل وارد بقرى جديد من
اللبن والحمر . وعبارة ابن الأقلبي : يروى عطش الأرض فضلات ما يسقيه أضيافه من
اللبن والحمر وما يتابع لهم من الأظاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض
مقام السقى . وما يحل لها محل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ،
وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جنى .

(٣) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والعبط والعبيط : الطرى من الدم ،
والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الاضياف - منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل .

(١) يريد بالنفس المحفوظ : النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز : أى يدفع والجداية :
الظبية ؛ ونفز الظبي : جمع قوائمه ثم وثب .

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالِيَهُ مُخْلِطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالٌ^(١)
لَا يَجْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ وَعَبِيرٌ عَاجِزَةٌ عَنْهُ الْأَطْفَالُ^(٢)
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَّةٌ وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالشَّمْرُ ضَلَالٌ^(٣)

قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يحدد فيها ذبحها ، كأن الساعات تزال ينزلون عليه ؛
وقال : رجوعا من سفر : يعنى أنه لا يطعم أضيافه اللحم القرب ، بل يحدد لهم الدجج
والنحر كل ساعة فيجربى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يربق دما
طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه . فجعل ابن جنى
الدم العبيط من الأعداء .

(١) أراد بالنفوس : الدماء قال السموهلى بن عاديا .

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلٌ^(١)
وأغنام : جمع غنم ؛ وآبال : جمع إبل . يقول : تجرى الدماء حوله مختلطة دما
الأعداء بدماء الذبائح للأضياف ، كما قال البحرى :

مَا انْفَكَ مُتَضَيِّعًا سِنْفِيَّ وَغِيَّ وَقِرِّي عَلَى الْكُوَاهِلِ تَدَمَّى وَالْعَرَاقِبِ
(٢) نائله : عطاء . والأطفال : تصغير أطفال يصف عموم بره ، وأن القريب
والبيد فيه سواء ، حتى الأطفال التى لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمروفه ،
فبره يصل إلى كل أحد .

(٣) الأقران جمع قرن ، وهم الأكتفاء فى الحرب . والبيض : السيوف . والظبة :
حد السيف . وهادية - من هدى اللازم - أى مهتدية . والسمر : الرماح . يقول :
إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه ، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية -
لأنها تمضى قدما على استواء - والرماح ضالة لأنها تذهب يمينا وشمالا فى الطعن ، وهو
الطعن الشزر . فهو أمضى الفريقين سيفا فى أقرانه . وقال العسكبرى : أراد أن القوم
إذا دنا بعضهم من بعض تجالودوا بالسيوف ، فكأن الرماح ضالة فى الرجال ، فقصرت
الرماح وضلت عن مقاصدها ، وضاق المجال عن التطاعن بها ، وصار الامر إلى المجالدة

(١) من آياته التى يقول فى مطلعها :

إذا المرء لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرْضَهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
والظبابة جمع ظببة ؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر ، وما أشبه ذلك .

يُرِيكَ نَجْوَهُ أَضْمَافَ مَنْظَرِهِ
وَقَدْ يُلْقِيهِ الْمَجْنُونُ حَاسِدَهُ
بَيْنَ الرَّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ^(١)
إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَالُ^(٢)
مِنْ شَقِّهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ^(٣)
يَرِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ لَهَا

بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، حينئذ يكون
أضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اخترته رأيت به ربي أضمافا على ما أراك منظره . ثم
قال : وفي الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال
وفهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ما عندهم من المعانى ،
كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها
من اللنى . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدا
له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل
هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون
على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان «فاتك» يلقب بالمجنون ، ففسره
أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحسن عند النسكر له أن يلقب بمثله . وقد نظر فى
لفظ البيت إلى قول أبى تمام :

رَأَى بَيْنَ حَيْطَانَا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
أَوْلَيْكَ عُقَالَاتُهُ لَا مَعْلَقَهُ^(١)
وفى معناه إلى قول الكلابى :

أَلَا أَيُّهَا الْمَغْتَابُ عِرْصِي تَعْمِينِي
أَنَا الرَّجُلُ الْمَجْنُونُ وَالرَّجُلُ الَّذِي
تُسَمِّيهِ الْمَجْنُونَ فِي الْجِدِّ وَاللَّعْبِ
بِهِ تُتَقَى يَوْمَ الْوَعْدِ غِرَّةُ الْحَرْبِ

(٣) يقول : يرى الجيش الذى يناصره بالبيض - السيوف - ولا بد له ولتلك
السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ، فالضمير فى «بها»

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إِذَا مَارَقْتُ بِالْفَدْرِ حَاوِلَ غَدْرَةَ
فَإِنَّ بَاشِرَ الْأَسْحَارِ فَالْبَيْضِ وَالْقَنَا
فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تُثِمَّ حَلَالُهُ
قِرَاهُ وَأَحْوَاضُ الْمَنَاسِيَا مِنْهَا

إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِثَالٌ^(١)
يُرْوَعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا
مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَفْتَالٌ^(٢)
أَنَالَهُ الشَّرْفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَنَّى نَالُوا^(٣)
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيَّتَهُ مُهَنْدٌ وَأَصْمُ الْكَعْبِ عَسَالٌ^(٤)

البيض ، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله : لا بد بالرفع على إعمال « لا »
عمل « ليس »

(١) نشبت : علقته ؛ والمخالب ، للسبع والطيور ؛ بمنزلة الظفر للانسان ، أثبت
له المخالب على إصممار تشبیهه بالأسد والحلم : الأناة والعقل . والريثال : الأسد . قال
الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقيه بالجنون من أعدائه ، لأنهم يرونه كالأسد فى الشجاعة
والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا المدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء .
يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيه مخالبه زايه الحلم . لأن الحلم والأسد
لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة .
(٢) يروعهم : يفرعهم ؛ ومنه : تجريد ؛ وصروف الدهر : حدثانه ؛ والاعتيال
الإهلاك على غفلة . يقول : هذا المدوح دهر يقول الأعداء ، إلا أنه يفولهم جهاراً ،
أما الدهر فإنه يتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيماً لشأنه ، ثم بالغ
وفضله على الدهر .

(٣) « ما » : خبر مقدم عن « الذى » ؛ ونالوا : الضمير للعدى ؛ والجملة صلة « الذى »
يقول : هو بجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهالك نال الشرف الأعلى ، فما الذى
نال أعداؤه بإحجامهم وتوقهم ما يأتبه من المخاوف والأهوال ؟

(٤) المهند : السيف الهندى القاطع . وأصم الكعب : الرمح ؛ والأصم : الصلب ؛
والكعب ؛ الناشز بين أنبوي الرمح . والعسال : المهتز المضطرب . يقول : إذا تزينت
للملوك بالتيجان ونحوها زين هو بالسيف والرمح . يعنى أنه احتاز الرياضة مغالبة بنفسه
واستحقها بشجاعته وإقدامه . هذا . و« حليته » تروى بالنصب على أنه خبر كان ،
و « مهند » اسمها ، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه ، فكأنه أراد وصفه ،
فقربه من المعرفة ، وتروى « حليته » ، بالرفع ، فتكون مبتدأ . خبرها ما بعدها .
والجملة خبر كان ، واسمها ضمير الشأن أو ضمير المدوح .

أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجَمَانَ قَاطِبَةٌ هَوْلٌ تَمَّتْهُ مِنَ التَّهِيَّاءِ أَهْوَالٌ^(١)
 تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِفَتْخِيرٍ فِي الْحَمْدِ حَيَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالٌ^(٢)
 عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَائِيلُ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَّاهُ مِنَ الْمَازِي سِرْبَالٌ^(٣)
 وَكَيْفَ أَسْتَرُمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ وَقَدْ عَمَرْتَ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ^(٤)
 لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّي وَتَكَرَّمَتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الصَّلِيَاءِ يَحْتَالُ^(٥)
 حَتَّى غَدَوْتَ وَاللَّأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفْنِكَ آمَالُ^(٦)

(١) أبو شجاع . كنية المدوح ، وهو خبر عن هذوف . أى هو أبو شجاع وأبو الشجمان . بدل وقاطبة . جميعا ، والمهول . ما أخف وأفرع وهو خبر آخر ونمته . غذته وربته أو نسب إليها ، يقال . نساء جد كريم ونمته إلى فلان . والهيءاء . الحرب يقول . هو أبو شجاع كنية ، وهو أبو الشجمان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه ، وهو هول عند الحرب في أعين الأعداء . ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء ، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها .

(٢) يقول : إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه . يعنى أنه الممود في أفعاله وأقواله وليس محمد دونه أحد .

(٣) السربال : الثوب ؛ والمآذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه في الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سرايل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الدم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٤) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : للرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طنان : أى كثير الطين ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقفتى فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٥) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتديير ورأى تحصيلاً لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيد شرفاً وذكراً ، يشير إلى ما وصله به «فانك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور في مدحه ، لأن أبا الطيب لم يكن يحسر أن يمدحه ابتداء خوفاً من كافور .

(٦) غدوت - هنا - تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزا

وَقَدْ اطَّالَ ثَنَائِي طُولَ لَابِسِي إِنْ الشَّاءَ حَتَّى التَّنْبَالِ تِنْبَالٌ^(١)
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشْرِ
فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَخْتَالَ^(٢)
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ حَتَّى الْمِفْضَالِ مِفْضَالٌ^(٣)
وَلَا تَمُدُّكَ صَوَانَا لِمُهْجَتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرَّوْعِ بَذَالٌ^(٤)
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قِتَالٌ^(٥)

تختال على العلياء حتى غدوت والأخبار تهول في الأفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ،
وصار لكل أحد أمل في كفيك حتى السكواكب تأملك .

(١) التنبال : القصير ، وجمه تنابل وتنايلة ، لما جعل الثناء لباساً للمدوح : عبر
عن طول معانيه بطول المدوح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائي لطول
ما يتضمنه من وصف مناقب للمدوح . وعبارة الواحدى يقول : مدح العريف يشرف
الشعر ، ومدح اللئيم يؤدي إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعري قد شرف بشرف هذا
المدوح . وزاد على ذلك العكبري فقال : أى قد طال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب
المدح والإطراء ، جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى
ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال ، الراغب عن الكرم والإفضال
(٢) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فشى الخيلاء . تختال وقوله أن تختال
أى عن أن تختال تخذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك ترفع عن
عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك تختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك
أعظم قدراً من كل أحد .

(٣) المفضال : الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة
كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضل وتربى عليهم .

(٤) المهجة : دم القلب . والروع : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد
الصيانة . يقول : وكأن نفسك لا تمدك قائماً بحق صيانتها حتى تبذلها وتجوذبها فى
الروع فتقتحم المهالك ، وتعرض لمواجهة الحروب والتألف .

(٥) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين المشقة التى
السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانَ طَاقَتَهُ مَا كُلُّهُ مَا شِئْتِ بِالرَّحْلِ شِمْلَالٌ^(١)
إِنَّا لِنَبِي زَمَنٍ تَرَكُ الْقَيْحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ^(٢)
ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْقَيْشِ أَشْقَالٌ^(٣)

الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين - كما لا يخفى - وهو من قول منصور العمري :

الجودُ أحسنُ مسأيا بني مطرٍ مِنْ أَنْ تَبُرَّ كُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلَبٍ
مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَكْسَبَةٌ لِلْمَجْدِ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّسَبِ

(١) الطاقة : اسم - من أطاقه : إذا قدر عليه - والشملال : الناقة القوية الخفيفة المشي السريعة . يتذر عمن لم يسد من الناس . يقول كل إنسان يجرى في السيادة على على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلا للاضطلاع بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود . ويبلغ مبلغ المدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملا لا .

(٢) يقول : من يتجنب معك التبجح ولا يعاملك به في هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلا ، اكثرة من يعاملك بالتبجح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال .

وصرنا نرى أن المتاركَ مُحْسِنٌ وَأَنْ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ وَصُولُ

وقال العكبري : وهذا من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتسكن فضائله ترك الرذائل » .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، واه محتاج إليه في دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حقل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غنى النفس ما يكفيك من سدِّ خَلَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى قَفْرًا

قال ابن جنى : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رؤى يستقي ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول ..

تم - جون الله - الجزء الثالث ؛ ويليهِ إن شاء الله - الجزء الرابع

فهرست

قوافي الجزء الثالث من شرح ديوان المتنبي

صفحة

مطلع القصيدة :

٣

أركائب الأحباب إن الأدمعا . . . اليرما

١٢

الحزن يفلق والتجمل يردع . . . طيع

٢١

بأبي من وددته فافترقنا . . . اجتمعا

قافية الفاء

٢٢

موقع الخيل من نذاك طفيف . . . الوف

٢٣

أهون بطول الثواء والتلف . . . يا أبا دلف

٢٥

لجنية أم غادة رفع السجف . . . شنف

٣٥

به وبمثله شق الصفوف . . . الحتوف

٢٥

ومنتسب عندي إلى من أحبه . . . حفيف

٣٦

أعددت للغادرين أسيافا . . . آنافا

قافية القاف

٢٩

أيدرى الدمع أي دم أراقا . . . شاقا

٤٨

لمينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي . . . وما يقي

٦٥

تذكرت ما بين العذيب وبارق . . . السوابق

٧٣

أرق على أرق ومثلي بأرق . . . تترقق

٨١

أي محل أرتقى . . . أتمقى

٨٢

هو البين حتى ما تأتي الحزائق . . . أطارق

٩٠

وجدت اللدامة غلاية . . . أشواقه

١١

وذات غدائر لا عيب فيها . . . للعناق

٩١

سقاني الخمر قولك لي بحمى . . . بمذق

مطلع القصيدة .

صفحة

٩٢

ما للروج الخضر والحدائق ... العوائق

٩٨

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم ... الحمق

١٠١

أراها لكثرة العشاق ... في المآق

١١١

لام أناس أبا العشار في ... والورق

قافية الكاف

١١٣

رب نجيع بسيف الدوله انسفكا ... ملكا

١١٣

إن هذا الشعر في الشعر ملك ... فلك

١١٥

أما ترى ما أراه أيها الملك ... حبك

١١٥

بكيت ياربسع حتى كدت أبكيكا ... مفايكا

١٢٠

تتنا بصور أم نهنها بكا ... لك

١٢١

لم تر من نادمت إلا كا ... ذاكا

١٢٢

يا أيها الملك الذي ندماؤه ... لا ملكه

١٢٢

قد بلغت الذي أردت من البر ... عليك

١٢٢

لئن كان أحسن في وصفها ... لك

١٢٣

فدى لك من يقصر عن مداكا ... فداكا

قافية اللام

١٣٦

رويدك أيها الملك الجليل ... تنيل

١٤٠

نعد المشرفية والعوالي ... قتال

١٥٢

إلام طماعية العاذل ... للعاقل

١٦٣

أعلى الممالك ما يبني على الأسل ... كالتقبل

١٧٠

بنا . نك فوق الرمل ما بك في الرمل ... يبلى

١٧٩

لا الحلم جاد به ولا بمثاله ... وزباله

١٩٠

يؤم ذا السيف آماله ... أفضاله

١٩١

أيقده في الحيمة العذل ... يشمل

١٩٨

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل ... والأبل

٢١٢

أقل أنل إن صن احمل على سل أعد ... صل

صفحة

مطلع القصيدة :

- ٢١٢ عش ابق اسم سد قد جد مرانه رف اسر نل .
٢١٣ شديد البعد من شرب الشمول ... النخيل
٢١٤ أتيت بمنطق العرب الأصيل ... قبلي
٢١٥ لقيت العفاء بأماها ... بأجالها
٢١٦ وصفت لنا ولم نزه سلاحا ... التزال
٢١٧ ليالى بعد الظاهنين شكول ... طويل
٢٣٢ إن كنت عن خير الأنام سائلا ... فضاللا
٢٣٢ دروع ملك الروم هذى الرسائل ... ويشاغل
٢٤٢ إن يكن صبر ذى الرزية فضلا ... الأجلا
٢٥٤ ذى المعالي فليعلون من تعالى ... فللا
٢٦٧ مالنا كلنا جو يارسول ... للتبول
٢٧٩ لا تحسن الوفرة حتى ترى ... القتال
٢٨٠ محي قياى ما لذكم النصل ... القتل
٢٨٢ أحياء وأيسر ما قاسيت ماقتلا ... عدلا
٢٩٠ قد شغل الناس كثرة الأمل ... شغل
٢٩١ قفا تريا ودقى فهاتا الهائل ... قائل
٢٩٥ أحببت برك إذ أردت رجلا ... قليلا
٢٩٦ عزيز أسى من داؤه الحدق النجل ... قبل
٣٠٩ صلة المجر لى وهجر الوصال .. الهلال
٣١٧ ومنزل ليس لنا بمنزل ... المهطل
٣٢٥ أبعد نأى اللبحة البخل ... الإبل
٣٢٧ بقاى شاء ليس هم ارتحالا ... الجمالا
٣٤٩ فى الحد إن عزم الخليط رجلا ... محولا
٣٦٢ أرى حلالا مطواة حساناً ... اعتلالى
٣٤٦ عدلت منادمة الأمير عواذلى ... السائل
٣٦٥ بدر فقى لو كان من سؤاله ... ماله
٣٦٦ قد أبت بالحاجة مقضية .. تطويلها

مطلع القصيدة :

صفحة

٣٦٦

لك يا منازل في القلوب منازل ... أو اهل

٣٧٨

أمانكم من قبل موتكم الجهل ... النمل

٣٨٠

يا أكرم الناس في الفعال ... القفال

٣٨٠

أنا في كلام الجاهل ابن كيفنغ ... وسهولا

٣٨١

لا تحسبوا ربكم ولا طله ... قتله

٣٩٢

أخلف لا تكلفي مسيراً ... مالا

٣٩٤

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... الحال